مصر

وميلاد القرن العشرين

دراسة تحليلية

عبد الرازق عيسى و عبير حسن

المكتبة التاريخية

العربي للنشر والتوزيع

مصر

وميلاد القرن العشرين

صورة مصر عام ١٩٠٠

دراسة تحليلية

عبد الرازق عيسى و عبير حسن



٦٠ شارع القصر العيني (١١٤٥١) القاهرة
تليفون: ٧٩٥٤٥٢٩ - ٧٩٢١٩٤٣ فاكس: ٧٩٤٧٥٣٦
٤٢ ميدان البصرة شارع دجلة من شهاب - المهندسين
تليفون: ٧١٩٢١٤٠ فاكس: ٧٦١٨٢٨١
E-Mail:alarabi5@intouch.com

العربى للنشر والتوزيع

60 شارع القصر العينى (١١٤٥١) - القاهرة
تليفون : 7954529 - 7921943 فاكس : 7947566
٤٢ ميدان البصره - شارع دجله من شهاب - المهندسين
تليفون : 7492145 وفاكس : 7618381
E-Mail:alarabi5@intouch.com

الطبعة الأولى
2001

مصر وميلاد القرن العشرين

المؤلف : عبدالرازق عبدالرازق عيسى - عبير حسن

الغلاف للفنان : ياسر عبدالقوى

عدد الصفحات : 412

الاهـــــداء

بقى ومعلمى

المفكر والكاتب والروائى

ابراهيم عيسى صاحب تجربة الدستور

الذى حاول فى نهاية القرن العشرين اعادة تجربة لطفى السيد

وجريدته فى بداية القرن ولكن شتان بين ما قوبل به كلاهما

اهدى اليه هذا العمل ....

﴿ مصر التى تبحث عن نفسها ﴾

فى مصر وميلاد القرن العشرين

حبا وعرفانا واعترافا بالجميل

عبدالرازق عيسى

القرن العشرين

النوم الآن
واليقظة بعد مئة عام ، يا حبيبتى
كلا
عصرى لا يخيفنى ،
عصرى بائس ، مخجل .
عصرى شجاع .
عظيم وبطل .
أنا لم أندم لأنى اتيت هذا العالم مبكراً .
إننى فخور بذلك .
يكفينى فخراً ان أكون من القرن العشرين .
ومع الرجال الذين هم معنا .
لنقاتل فى سبيل عالم جديد .
بعد مئة عام يا حبيبتى .
كلا ، ما قبل ذلك ، ورغم كل شىء .
رغم الميت والوليد .
ستكون أيامه القادمة ضاحكة .
عصرى هذا القرن العشرون .
وليالى المنهزمة أمام الحان الشفق .
وستكون أيامه براقة يا خديجتى .
مثل عينيك .

الشاعر التركى
ناظم حكمت
من قصيدته القرن العشرون

تقديم

يعتبر عام ١٩٠٠ حداً فاصلا بين قرنين القرن التاسع عشر والقرن العشرين، لذا فهو نقطة هامة جداً فى انطلاق مصر نحو قرن جديد ، وله مميزاته عما قبله وايضا عما بعده ، ففى عام ١٩٠٠ وبدايات القرن العشرين بدأت طبقة الأفندية التى مثلت فيما بعد الطبقة الوسطى وبدأت فى التبلور لتأخذ وضعها فى المجتمع المصرى وفى التاريخ المصرى . وشهد هذا العام بداية لها يمكن ان نسميها نهضة وطنية سياسية نحو الاستقلال ، والثانية نهضة فكرية كبيرة ، ففى الاولى ظهر مصطفى كامل على مسرح الاحداث السياسية وعمل على اعادة بعث الروح الوطنية المطالبة بالاستقلال ، وكانت نقطة البداية فى هذا الهدف ، أما الثانية فيكفى أن عام ١٩٠٠وما تلاه من سنوات شهد تبلور نهضة فكرية فى كافة مجالاتها بدءاً من الصالونات الادبية وعلى رأسها صالون نازلى فاضل وإمتداد بتبلور مجموعة الإمام محمد عبده مروراً بانتشار الصحف حتى المتخصصة العلمية والسياسية وصحافة المرأة .

ومن خلال هذه العناصر الثلاثة ظهرت زعامات فكرية آمنت بوجوب بعثة تنويرية فى مصر فكان من الرواد أحمد لطفى السيد ، قاسم امين ، أحمد فتحى زغلول . وكانت هناك صحف الاهرام – الهلال – المقتطف – المقطم – اللواء – المؤيد ، بجانب اكثر من عشرين مجلة نسائية مصرية ، وبنظرة مقارنة سريعة بين هذا العهد وبين وقتنا الحاضر يتضح مدى ما نحن فيه من تدهور حالى .

وهنا يكون من حقنا السؤال ، ماذا حدث حتى نتأخر بدلا من التقدم الذى كنا بدأناه ؟ أو بمعنى أخر ما هى الاسباب التى ادت لانتكاسة هذا المشروع الفكرى الذى بدأ فى التبلور فى بدايات القرن ؟ ، نفس السؤال وان كان بعيداً بعض الشيء يمكن ان نسأله فى المجالات الاخرى وبصورة أكثر تحديداً . لقد بدأت النهضتين المصرية واليابانية متعاصرتين ولكن نجحت واستمرت التجربة اليابانية فى حين أخفقت التجربة المصرية فما هو السبب ؟ .

هذه اسئلة نطرحها ولا نملك الاجابة عليها ولكنها مجرد محاولة لطرح تساؤلات قد تبدو

الاجابة عليها بالغة الاهمية اذا أردنا ان نواصل ما بدأناه من مائة عام ، واذا كنا جادين فى النهوض بهذه الأمة .

التى لم تكتفى بالتقهقر الخلف بل الى ما وراء الخلف حين الهوة السحيقة ، ومن حيث المشاركة السياسية فقد شهد هذا العام بداية فعلية استمرت بعد ذلك لمشاركة المواطن المصرى العادئ فى الحياة السياسية بدءاً من الاحزاب الفعلية وليس الورقية كالآن ، وموقفه فى الانتخابات والتى وصلت ذروتها فى اسقاطه لرئيس الوزراء يحيى ابراهيم باشا فى دائرة منيا القمح شرقية وهى السابقة الوحيدة فى تاريخ مصر ، مروراً بالمظاهرات وثورتى ١٩١٩ وبعدها ثورة ١٩٣٥م وللاسف فبعدما حدث ليلة ٢٣يوليو ١٩٥٢م توقف هذا النشاط واصاب الفساد الحياة السياسية ، وهنا ايضا يكون السؤال لماذا حدث هذا التدهور ؟

والاجابة على هذا السؤال قد تعطينا مفتاح للحقيقة التى نبحث عنها والتى منها تكون البداية الفعلية لأى اصلاح مرجو !!!

وفى وقتنا الحاضر اصاب التدهور والانهيار معظم المجالات واصبح العديد من المسلمات فى حاجة لمناقشات جديدة وطرح جديد ، حتى فكرة الوطن اصبحت فى حاجة لاعادة طرح ، كذلك فكرة الانتماء هى الأخرى تحتاج لاعادة نظر لهذا كله لابد من العودة للتاريخ لمحاولات الاجابة على بعض الاسئلة الحائرة ولإجاد حلول للشباب التائه ، وللاهتداء بأنواره ، ففكرنا وكان القرار ان نعود لزمن قريب منا وليس ببعيد عام ١٩٠٠ الذى كان بداية لتشكيل نموذج للنهضة المصرية فى المجال الفكرى . فرجعنا للصحف وانتقينا منها عشرات المقالات فى كافة المجالات بدء من المقالات السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية وقمنا بتحليل يسبق المقال إلا فى الموضوعات الاقتصادية تركنا معظمها كما هى لأنها تنطبق بحالنا الحالى فنفس المشكلات من التدخل الاجنبى فى الاقتصاد المصرى ومروراً بأحوال الفلاح كما هى الآن لدرجة اننا لو قمنا بنشر إحداها فى الوقت الحاضر وحذفنا التاريخ لما إختلفت إطلاقاً عن الوقت الحالى .

وبعد فهذه محاولة نقدمها لاخواننا المصريين قد تكون فيها الاجابة عن بعض الاسئلة الحائرة او الاسئلة المكتومة التى تبحث لها عن مخرج .

عام ١٩٠٠ لماذا ؟

لقد كان لمصر فى مطلع القرن ٢٠ صورة مختلفة اختلافا كليا وجزئيا عن صورتها فى مطلع اقرن ٢١ وهو امر طبيعى فالاختلاف والتغيير من طبيعة الاشياء والزمن ، ولكن ترى كيف كانت تلك الصورة مظلمة أم مضيئة ؟ مشرقة أم تدعو للاسف ؟ هذا ما سوف تحاول السطور التالية الاجابة عليه .. فنحن لا نود ان نجزم مبكرا انه كانت لمصر صورة مظلمة بشعة تدعو للاسف والألم ، بل نود ان نكون موضوعيين ، لذا سنترك الاحداث ان تعرض نفسها ، وتقدم الارقام والتحليلات والحقائق نتائج موضوعية حقيقية لا تدخل للباحثين فيها ، فليس من الحيدة ان يتدخل الباحثين بريشتهم والوانهم لاضفاء الظلمة او السطوع على تلك الصورة .. بل من الواجب عليهم ان يلقو الضوء عليها لتظهر هى بحقيقتها الاصلية دون تغيير او تبديل حسب الأهواء والرغبات .

ولهذا سوف نتجه لإلقاء الضوء على الحالة السياسية والمالية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لمصر فى مطلع القرن العشرين {أى فى عام ١٩٠٠} ...

أولا : الحالة السياسية :

مع مطلع القرن العشرين كانت مصر تقع تحت سيطرة الاحتلال البريطانى الذى جثم على صدرها {ما يقرب من ٧٢ عاماً} منذ ١٨٨٢ . كان يحكمها فى تلك الفترة – الخديوى عباس الثانى الذى لم يستطع – رغم بعض محاولات منه – ان يتخذ اى موقف ضد ارادة المعتمد البريطانى {اللورد كرومر} الذى كان صاحب النهى ولامر فى شؤن البلاد الداخلية ، وكان بمقدوره التدخل فى كل الوزارات والادرات من المستشارين والمفتشين والموظفين البريطانيين الذين كانو على رأس المصالح الهامة .. فالسردار والضبات البريطانيون على رأس الجيش ، وتم تعيين مفتشا عاما للبوليس ، وتم وضع المالية فى يد المستشار المالى ، والاشغال فى يد وكيل الوزارة البريطانى . وفيما يخص الحياة النيابية فقد تم الغاء مجلس النواب ، وتأسيس مجلس شورى القوانين ، ولم يكن لهذا المجلس أى رأى قطعى او ملزم فى أمر من الامور ، وإنما كان فقط يستشار فى التشريعات التى كانت تنوى الحكومة اصدارها ، أيضا لم يكن له ان يبدى رأية او أى رغبة فى الجزية التى كانت تدفع لتركيا أو الدين العمومى ، او اى شيىء مما

التزمت به الحكومة بموجب قانون التصفية او معاهدات دولية .

وبذلك فقدت البلاد استقلالها ودستورها وحياتها النيابية ، وفقد الناس الطمأنينة على حياتهم وحريتهم ، وقاست الامة من نظام الحكم الاستبدادى ، والشلل فى حياتها السياسية ، وخلت البلاد من روح الكفاح ومقاومة الاحتلال فترات طويلة ، ورركنت الامة الى الاستسلام والخضوع ، وفى ظلال تلك الروح اتجه الكثيرون من اصحاب المصالح الى موالاة رجال الاحتلال وتملقهم خوفا من بطشهم او طمعا فى منصب او مصلحة خاصة ، فاصبح سبيل النجاح فى الوصول الى مناصب الحكومة او مكاسب اخرى هو الولاء للاحتلال ورجاله ، وعمل الاحتلال بقوة على توطيد هذه الحالة من اليأس والقنوط والتخاذل لدى الافراد ،فبدأت فى ابعاد من يعرف عنه الميول الوطنية عن المناصب الحكومية الكبيرة ، وتم حصر الترقى لمن يتنكرون للاتجاهات الوطنية فضاعت الوطنية من نفوس الكثير من المصريين ، وانتشر الذل والتخاذل والنفاق ، وعمت النفعية والمصلحية والوصولية ، وهكذا استطاع الاحتلال ان يمسخ الروح المعنوية لدى المصريين ويفقدهم الشعور بمعانى الكرامة والروح القومية ... ولعل اكبر مثال لذلك اقامة حفلات رسمية لجيش الاحتلال فى ساحة سراى عبدين ، وحضور العديد من الوزراء وكبار الموظفين المصرين لحفلات جيش الاحتلال .. الى غير ذلك من المظاهر الغير وطنية .وفى ظل هذه الحالة السياسية القاتمة اللون ، وهذه المظاهر الغير وطنية ظهر مصطفى كامل الذى تزعم حركة وطنية قوية مع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، والطريف ان يكون نشاط مصطفى كامل فى الكفاح الوطنى تحت اشراف الخديوى عباس حلمى الثانى ، فيكون هذا التآلف الفريد بين السلطة الحاكمة وبين الحركة الوطنية ، وان كان قد انفصم عرى هذا التآلف فى وقت ما فان الحركة الوطنية قد استمرت وزادت قوة وذلك لاعتمادها على القوة الشعبية .

وقد اعتمد مصطفى كامل فى كفاحه عى الخطب والمقالات والندوات والدعاية القضية المصرية فى مختلف دول اوروبا . وعند عودته لمصر انشأ مصطفى كامل جريدة اللواء اليومية ، ثم الشهرية ، استطاع من خلالها ان يشرح الحالة السياسية لمصر ،ويخاطب الروح الوطنية لدى الشعب واستطاع ايضا ان يبث الحماسة الوطنية فيهم ويشحذ عزيمتهم وهممهم لمقاومة الاحتلال ، ثم انشأ الحزب الوطنى . وواصل الكفاح الوطنى على نفس النهج والاسلوب حتى اسلم روحه لبارئها ، ليسلم راية الكفاح لرفيقه محمد نجيب

وهكذا قاد مصطفى كامل حركة وطنية ناشئة ظهرت مع قدوم القرن العشرين .

وجدير بالذكر انه لم تكن هناك صحف معارضة قوية حتى مطلع القر ن العشرين فكانت الصحف اما موالية للاحتلال ، أو معرضة فى خشية وتردد ، هذا باستثناء جريدة (العروة الوثقى) .. بينما مع بدايات القرن العشرين ظهرت بعض الصحف المعارضة لسلطات الاحتلال فى قوة وشجاعة ،مثل جريدة المؤيد التى ظهرت فى ١٨٨٩ وجريدة اللواء التى ظهرت فى ١٩٠٠

ثانياً : الحالة المالية :

قبل دخول جيش الاحتلال مصر فى ١٨٨٢ كانت مصر تعانى ازمة مالية ، واشتدت الازمة وإزداد الاضطراط مع دخول جيش الاحتلال بسبب التعويضات التى طلب بها الاجانب عن الاضرار والخسائر المالية التى إدعوا انها لحقت بهم وبتجارتهم فى حوادث عام ١٨٨٢ .

ومع دخول الاحتلال مصر تم الغاء نظام المراقبة الثنائية ، وتعيين مستشار مالى بريطانى حتى تنفرد بريطانيا بالنفوذ داخل من مصر بعد ابعاد يد بقية الدول الأخرى صاحبة الديون والمصالح المالية فى مصر . ولهذا كان على سلطات الاحتلال ان تسرع فى اصلاح الاحوال المالية ، ذلك انه كان قد أُتفق على انه ان لم تنجح بريطانيا فى تنظيم مالية مصر فى مدة وجيزة محددة فانها ينبغى ان تخلى مكانها للجنة ادارة دولية . لذلك فانه عندما نظم الاحتلال مالية الحكومة من ناحية ضبط الايرادات والمصروفات ، والاجتهاد فى زيادة الدخل الخرج ، فان ذلك كان فقط ليطمئن اصحاب القروض على اداء اقساط ديونهم السنوية ، فالاحتلال كان يحاول ارضائهم حتى لا تطالبها احداهن بالجلاء عن مصر ، لان هذه الدول لم يكن يهمها الا الاطمئنان على مصالحها ومصالح دعاياها المالية .

ولكى تنجح سلطات الاحتلال فى اصلاح الاحوال المالية لمصر لجأت الى طرق عديدة فتم فرض بدل السخرة ، وبدل الخدمة العسكرية ، ورسوم جمركية لكثير من الواردات .. وغيرها حتى استطاعت ان تزيد الايرادات عن المصروفات فى عام ١٩٠٠ وجرت بعض الاصلاحات فى بعض دواوين الحكومة ومصالحها ، اما عن النظام المالى الذى كان موضوعا لصندوق الدين فقد كان يشوبه كثير من القصور والعيوب ، وكانت ابرز عيوب ذلك النظام هى تقييد مصاريف الادارة المصرية بقيود قاسية استبدادية ، وتقيد مصروفاتاسكك الحديدية ... وغيرها .

واذا كان الاحتلال قد حاول اصلاح مالية الحكومة ، فان الحالة المالية للشعب قد ازدادت سوءاً بسبب فرض العديد من الضرائب لزيادة دخل الدولة . كما ازدادت بشدة ديون الفلاحين خاصة بعد انشاء البنك الاهلى وقيامه بتسليف الفلاحين بفوائد كبيرة .

والجدير بالذكر ان سلطات الاحتلال كانت تحمى وتدعم النفوذ الاجنبى فى الحياة المالية للبلاد ، وقد نما هذا النفوذ وترعرع فى رعاية الامنيازات الاجنبية والمحاكم المختلطة ، فدخلت رؤوس الاموال الاجنبية مجال الاستثمار فى مصر فى معظم المجالات ،الزراعة والصناعة والتجارة والتسليف ، بحيث تأسست شركات الرهون ، والبنوك ،و الشركات المالية ، و المصانع ، و المصانع ، و الفنادق ، و شركات البناء .. وغيرها ، حتى صارت السوق المالية فى ايديهم وتحت تصرفهم . ونتيجة لذلك ذادت دين الاهالى ، وضحت كثير من الاراضى مرهونة لشركات الرهون التى استطاعت فيما بعد انتزاعها .. وهكذا تدهورت الحالة المالية لاهالى البلاد ، ذلك ان الاحتلال قد افسد من حيث حاول اصلاح الاحوال المالية للبلاد .

ثالثاً : الحالة الاقتصادية

لقد كان اساس سياسة الاحتلال الاقتصادية هى التركيز على الزراعة وجعل مصر بلدا زراعيا . وتركزت هذه السياسة على زراعة القطن التى كادت تذهب بسائر الزراعات الاخرى ، مثل زراعة المواد الغذائية والسكرية ، لانها على اهميتها لاهالى البلاد لا توازى القيمة التجارية للقطن ، الذى كان يعد مصدرا ماليا هاما لسلطات الاحتلال ، هذا عى الرغم من ان التوسع الهائل فى زراعة القطن لم يخلو من مساوىء ، ذلك ان ذلك التوسع جاء على حساب المزروعات الاخرى ، ايضا ان اعتماد مالية البلاد على محصول واحد يعد خطرا كبيراً خاصة اذا ما تعرض هذا المحصول الى اضرار سواً بيئية او تجارية . وكان من نتيجة تلك السياسة القطنية- ان صارت مصر مع مطلع القرن العشرين تستورد القمح والدقيق والسكر والذرة .. الخ

ونتيجة للسياسة الزراعية كان لابد من الاهتمام بالرأى وتحسين احواله ، وبالفعل كان الرأى تحت سيطرة المفتين وكبار الموظفين البريطانيين الذين اهتما اهتماما بالغا ، لكنهم لم يهتموا بالصرف مما اضر الارض الزراعية وقلل من امكانيتها الانتاجية . واقامو مشروعات كثيرة لتحسين الرى مثل القناطر والسدود ..

ونتيجة لتلك السياسة الزراعية ان تم القضاء على الصناعة فى مصر ، واصبحت تعتمد على انجلترا فى الحصول على المنتجات المصنعة ، وايضا اصبحت تعتمد على الدول الاوروبية فى حياتها الاقتصادية أى فى بيع قطنها ، و بالتالى كانت مصر تعانى من حالة تبعية اقتصادية . ونتيجة لذلك كسدت الصناعات الاهلية وتوقفت النهضة الصناعية سنوات طويلة ، والغيت البعثات الصناعية للخارج واقفلت كثير من المصانع التى كانت موجودة قبل الاحتلال

وبيعت المعامل والورش ، فالغى مصنع الورق ببولاق ، والغيت سك النقود وبيعت آلاتها ، وبيعت مغازل القطن ومصانع النسيج التى بدأت فى مصر منذ عهد محمد على .

رابعاً الحالة : الاجتماعية :

كان المجتمع المصرى مع مطلع القرن العشرين يتكون من طبقات ، الطبقة الحاكمة وطبقة كبار الملاك والطبقة الفقيرة من الفلاحين والعمال ، والطبقة المثقفة ، التى ظهرت مع ظهور التعليم الحديث فى مصر منذ عهد محمد على وبرز دورها مع مطلع القرن العشرين يتراجع دور علماء الدين {المعممين} فى المجتمع .

وقد كان الكثير من كبار الملاك ،وبعض المثقفين قد جعلو ولائهم للاحتلال ولمصالحهم وللحياة النفعية بشكل عام ، اما الطبقتين المتوسطة والفقيرة فقد كان الهم الشاغل لهما السعى والكد وراء الرزق والحصول على القوت لهم ولاولادهم . وعلى الرغم من ذلك فقد ذاد الفلاحون الفقراء فقراً بسبب وجود المرابين وبنوك التسليف واتفاع مقدار الديون ، وبالتالى فقدان اراضيهم ، واذا كان هذا الحال فى الريف فان المدينة لم تخلو من عيوب ومساوىء ، فقد انتشرت الخمور ، واماكن بيعها ، كما انتشرت المخدرات التى جلبها الاجانب الى ارض مصر وبخاصة الجالية اليونانية ، ومن المعروف ان انتشار المسكرات والمخدرات لابد وان يكون مصحوبا بانتشار الدعارة وفساد الاخلاق ، وضعف الصحة وضيا ع الدين ، وبالتالى ازدياد الجرائم وضعف الامن . والى جانب ذلك كان المصرى يعانى مشكلات عديدة ، بينما كان يتم تسخير كثير من الفلاحين – من قبل الاحتلال – لحفر الترع والقنوات واقامة الجسور وحراستها وغيرها من الاعمال العامة مقابل اجور زهيدة لا تمكنه من الحصول على ما يسد به جوعه ، كان الفلاح بل ومعظم المصريين الفقراء ومتوسطى الحال من حالة صحية سيئة ، فقد كانت الامراض الوبائية والمتوطنة منتشرة ، فى قلة بل انعدمت اماكن الرعاية الصحية ، فالمستشفيات قليلة ، ضعيفة المستوى والخدمة ، والادوية غير متوفرة ، صعب الحصول عليها كما ان التدابير الصحيجة كانت ضعيفة جدا ، فمياه الشرب غير نظيفة وغير نقية ، وفى الريف اعتمد الفلاحون على مياه الترع فى الشرب وامور حياتهم اليومية ،و والمجارى غير موجودة فى القرى ، فقيرة جدا فى المدن ، ومياه الصرف تملأ الشارع – عدا الشوارع الراقية التى كان يقطنها الانجليز والصفوة – الى جانب القمامة المتراكمة بها ، فاصبحت الشوارع مرتعا خصبا للزواحف والقوارض والحشرات التى كانت مصدرا اساسيا فى نقل العدوى للامراض الوبائية ،

وهكذا كان المصريون يعانون حالة صحية شديدة السوء.

اما عن التعليم – عصب الحياة الاجتماعية – فقد كان فى حالة تقهقر وتراجع بعد التقدم الكبير والعناية التى لاقاها فى عهد محمد على واسماعيل ، وذلك يرجع الى الاهمال المتعمد من قبل سلطات الاحتلال للتعليم – لانه اداة التنوير – فقد ألغى التعليم المجانى ، وتوقفت حركة انشاء المدارس ، وتم اغلاق بعضها ، وفرضت اللغة الانجليزية كلغة للتعليم ، وشيئا فشيئا ضاعت فرصة الطبقة الفقيرة في التعليم – هذا وقد قامت الحكومة – باشراف سلطات الاحتلال بمسخ برامج التعليم ، واستبعاد مادة التاريخ من مناهج الدراسة لمحاربة الشعور الوطنى لدى الجيل الناشيء ، فضاع الهدف الاساسى من التعليم وهو تهذيب النفوس وزرع الروح الوطنية داخلها . وايضا تم القضاء على التعليم الحربى ، اذ كان الهدف القضاء على الروح العسكرية ، والقضاء على وجود اى عسكرى مصرى داخل البلاد المصرية ، كما تم القضاء على التعليم الصناعى ، بالغاء مدرسة العمليات الكبرى ببولاق وكانت من اقوى وافضل المدارس الصناعية ، تم اعادة فتحها بعد مسخ برامجها وتضييق حدودها الدراسية وامكاناتها العملية ، ومن هنا ضاعت الروح العسكرية من ناحية ، وحب التصنيع والابتكار لدى المصريين من ناحية اخرى .

الجدير بالذكر انه مع مطلع القرن العشرين كانت البعثات الدراسية والعلمية لجامعات اوروبا وبخاصة فرنسا قد تضائل جدا ، وتم تحويل مسار البعثات المتبقية من فرنسا الى انجلترا وتحويل نوعيتها من دراسة القانون والاداب والسياسة الى دراسة الطب والكيمياء وغيرها من العلوم التطبيقية . والهدف من ذلك واضح وهو ابعاد تلك الشريحة المتميزة الناشئة – وهو المثقفين والمتعلمين – عن دراسة العلوم التى تناقش امور هامة مثل الحريات والاستقلال والحقوق الشرعية والقوانين الدولية ، والوعى القومى ،وغيرها من الامور التى تثير الحماسة والوعى والروح الوطنية لدى تلك الفئة من الشباب ، ولفت انظارهم الى العلوم التطبيقية لابعادهم عن العلوم الفكرية .

خامسا : الحياة الثقافية

قد بدأت مع مطلع القرن العشرين كانت طبقة الأفندية – المثقفين – فى الازدهار والتألق ، تلك الطبقة التى بدأت فى الظهور فى القرن التاسع عشر مع دخول التعليم المدنى الحديث إلى مصر ، والعلوم العقلية الحديثة المأخوذة عن أوربا من خلال الاساتذة الاوربيين الذين تم

استقدامهم للمدارس المصرية فى عهد محمد على ، وايضا من خلال الاعمال المترجمة التى قام بهـا هـؤلاء الاسـاتذة وتلامـذتهم المصـريين من الجـيل الاول من خـريجى تلك المدارس ، تلك المترجمات التى كانت سببا فى الاحتكاك الفكرى والحضارى بين مصر والغرب الاوروبى وقد ورثت هذه الطبقة – من المحامين والاطباء والموظفين والدارسين – الدور الذى كان يلعبه مشايخ الازهر فى القرن التاسع عشر وهو الدور القيادى للحركة الوطنية والحياة السياسية فى مصر – ثم بدأت تلك الطبـقـة فى تكوين الاحـزاب السـيـاسـيـة – مـثل الحـزب الوطنى وحـزب الامـة – والجمعيات الوطنية السرية .. وغيرها من سبل مقاومة الاحتلال ، وايضا ازدهرت الصحافة ، من خلال نشاط تلك الطبقة المتعلمة المثقفة – فظهرت فى تلك الفترة العدية من الصحف التى لاقت قبولا شعبيا كبيرا وحققت نجاحا ملحوظا ، وكان هدفها الدفاع عن القضية الوطنية ، كل بطريقته واسلوبه واتجاهاته ، وعلى سبيل المثال ظهرت صحيفة {اللواء} – لسان حال الحزب الوطنى – لصاحبها ومؤسسها مصطفى كامل ، زعيم الحركة الوطنية فى تلك الفترة لتهاجم الاحتلال البريطانى بضراوة وجرأة شديدة ، وقد قامت هذه الصحيفة فى اصلهاعلى اكتاف الافندية الذين تحمسوا لها ولاتجاهها الوطنى . وايضا هناك صحيفة {الجريدة} –لسان حال حزب الامة – لمؤسسها احمد لطفى السيد ، زعيم سياسة المعتدلين الذين كانوا يرون ضرورة الاصلاح الداخلى ، واهمية الاصلاح الاجتماعى مثل الاهتمام بالتعليم وغيره ، وان ذلك هو السبيل الى الحرية والاستقلال لا مهاجمة الاحتلال والبلاد والشعب فى حالة لا يستطيعون معها قيادة الامور الداخلية للبلاد .

ونستطيع ان نذكر انه مع مطلع القرن العشرين كانت الحياة الثقافية فى مصر تزخر بطبقة من الافندية والمثقفين والمتعلمين من رجال الادب والفكر والسياسة والعلم والفن بل والاقتصاد ايضا وان كانت جذور ذلك ترجع الى عصر اسماعيل والناخ الفكرى الذى ساد فى عصره ، ذلك انه كان شديد الاهتمام بتأسيس نهضة فكرية وعلمية ، فان ذلك المناخ قد عاد تدريجيا مع مطلع القرن العشرين من خلال الصالونات الادبية – مثل صالون نازلى فاضل – والهيئات العلمية المختلفة مثل المجمع العلمى وجمعية المعارف لنشر الثقافة من خلال التأليف والطباعة والنشر ، والجمعية الجغرافية التى كانت تهتم بمتابعة الابحاث الجغرافية والعلمية ونشرها .

ومع مطلع القرن العشرين كانت الصحافة قد بلغت اوج ازدهارها فى مصر سواء أنشئت بيد مصريين أم شوام . ففى عم ١٩٠٠ كانت تصدر اعداء كبيرة من الصحف والمجلات فى مصر أبرزها : الاهرام والوطن ومصر والمقطم والهلال والمؤيد والاخبار واللواء وأبو نضارة

هذا الى جانب الجريدة الرسمية «الوقائع المصرية» هذا الى جانب عدد من المجلات النسائية التى بدأت فى الظهور عام ١٨٩٢ بظهور مجلة الفتاة ، ثم تبعها عدد آخر من المجلات النسائية مثل انيس الحلى ومرآة الحسناء والهوانم ، وان اختلفت تلك المجلات فى قوتها وتأثيرها ، فان لها مدلول هام هو تأثر المرأة المصرية وتأثيرها فى الحياة الثقافية فى تلك الفترة .

ويمكننا القول بان تلك الصحف كانت بمثابة لقاءات ثقافية وندوات التقت من خلالها الأراء والافكار والحوارات الفكرية والسياسية ، فكانت بمثابة جامعة تربى خلالها ذلك الجيل من رواد مصر فى الادب والفكر والسياسة ، وكان لها دور كبير فى انضاج الشخصية المصرية . وقد ساهم فى ذلك المثقفون من رجال البعثات العائدون من اوروبا بافكارهم واراء غربية جديدة ، وعمل كثير منهم فى الصحافة فاستطاع نشر تلك الافكار التى تبنى اساسا على مبدأ الحرية الفكرية والتقدم الحضارى . وبفضل هؤلاء بدأت حركة التنوير تتسرب الى مصر شيئا فشيئا ، وبدأت تظهر اصوات تطالب بالاصلاح الاجتماعى ، ونشر الوعى القومى ، وبعث الروح الوطنية لدى عموم الناس .

والجدير بالذكر انه فى تلك الفترة بدأ بعض المثقفين فى الاقتراب من الوضع السيء للمرأة المصرية فى القرن التاسع عشر ، وتناولوا حقوقها وضرورة تعليمها وتحريرها من الجها والعبودية للرجل معا ، كما بدأت المناداة بخروجها للعمل وسفورها ، وابرز هؤلاء المهتمين بالمرأة قاسم امين ، صاحب كتابى "تحرير المرأة " و " المرأة الجديدة " والذى يعد بحق رائد حركة تحرير المرأة .

وفى ظل هذه البداية التنويرية ظهرت شخصيات هامة فى عالم الادب والفكر والسياسة بل والاقتصاد ، ففى الفكر والسياسة برزت اسماء مصطفى كامل ومحمد فريد واحمد لطفى السيد واحمد فتحى زغلول وقاسم آمين ، وفى مجال الادب والشعر برز ابراهيم المويلحى واحمد شوقى وحافظ ابراهيم واسماعيل صبرى وفى مجال الاقتصاد برز محمد طلعت حرب ، صاحب فكرة انشاء بنك مصر ... وهذا على سبيل المثال لا الحصر .

وهكذا نجد ان مصر دخلت القرن العشرين وهى تقاوم الاحتلال البريطانى من خلال الحركة الوطنية التى قادها مصطفى كامل ، ولكن دون هيئات نيابية وسياسية حقيقية ، دخلت ذلك القرن فى ظل حالة مالية واقتصادية مرتبكة ، وفى ظل حياة اجتماعية مضطربة ، ولكن كل ذلك لم يمنع وجود فكرة مشروع حضارى ثقافى جيد قام على يد الافندية المثقفين المصريين الذين سعوا لتحرير وطنهم من خلال تحرير العقل والفكر بل وتحرير المرأة ، والذى كانو سببا فى بدأ حركة التنوير وانتشار الصحافة والمنتديات الفكرية والثقافية .

التعليق ....

عباس حلمى ١٨٩٢ : ١٩١٤

فى يناير ١٩٠٠م احتفلت مصر بعيد جلوس الخديوى عباس حلمى الثاني وهو العيد التاسع لتوليته، والخديو عباس تولى الحكم فى ١٨٩٢ خلفا لوالده الخديوى توفيق الذى أدخل الانجليز مصر طلبا لحمايتهم، ولكن ابنه كان على خلاف ابيه فقد وصفه اللورد كرومر بانه "مصريا بحتا" وحاول تقريب مجموعه من الشباب الوطنيين إليه وعلى رأسهم"مصطفى كامل" وأوفدهم لأوروبا فى مهام سياسية فقد كان يهدف لدعم سلطاته كحاكم شرعى للبلد فى مواجهة سلطة كرومر المستبدة . فيحكى فى مذاكرته عن اللقاء الأول بينهم قائلا "كانت مقابلتنا الأولى عادية. ونظرا لسنى الصغير، أعتبر ممثل إنجلترا أن من حقه أن يعطينى توجيهات ونصائح وقبلتها مع بعض الغضاضة، ولكن عرفت أن هذه كانت مراسم شكلية للغاية. وكان رجلا له قيمة فعلية، وسأقوم بالصراع معه. ولا شك فى أن اللعبة كانت شيقة، ولكن أعترف أن الطرفين لم يكونا متعادلين. كنت وحيدا ، دون تأييد. وكان لورد كرومر مدعما بدبلوماسية مستبدة، وبوزارة لندن التى كانت تثق فيه، ويممثل بريطانيا العظمى لدى الباب العالى. ولم يكن ورائى سوى الفراغ ! فلا يوجد هناك أى تنظيم، ولا أى رجل، ولا تقاليد، ولا مبادئ. ولم يكن مسموح لى عمل أى إعلام، بينما كان لدى خصمى، وتحت تصرفه، البرقيات والصحافة، ولم يكن هناك من يعرف تفكيرى أبدا . وكان على أن أكون حريصا للغايه، وأن أتذكر بنوع خاص أننى إذا ما كنت على العرش، فإن ذلك يرجع إلى بريطانيا، التى أيدت حقوق أسرتى. وكان هذ المعنى يأتى بلا انقطاع فى محادثته .

ومن خلال الدراسات التى قامت حول عباس حلمى يتضح منها أنه هو لا كرومر صاحب

فكرة بناء سد أسوان، وهو نفسه الذى وقع المرسوم الخاص بالغاء السخرة والكرباج، كما حاول ان يسيطر على الجيش ويدخل الاصلاحات فيه ويذكر هو فى مذكراته قوله "هؤلاء الضباط وجدوا فىّ – كمصرى – رئيسهم الطبيعى، حتى أكثر من كونى أميرهم وفى نفس الوقت من يدافع عن كرامتهم العسكرية" وهو فى سبيل ذلك دخل فى صراع عنيف مع اللورد كشنز الذى تم تعيينه سردارا للجيش المصرى والذى اعتبر أن انتقادات "عباس" موجهه ضده شخصيا فأسرع بتقديم استقالته مما أثار أزمة كبيرة مع الوجود البريطانى الذى أصر على تقديم أعتذار لكشنز وهو :

مدينة الفيوم ، ٢٦ يناير ١٨٩٤

تصريح من صاحب السمو خديو مصر

إلى سعادة السردار – وادى حلفا

قبل أن أترك مصر العليا لكى أعود إلى القاهرة، أرغب فى أن أؤكد التعبير عن عميق مشاعري وحسن توصياتي للجيش الذى ذرته عند الحدود . وإنى أحرص كذلك على أن أؤكد لكم رضائى التام بشأن مظهره وتنظيمه، وذلك الرضاء الذى أظهرته لكم من قبل. وإن من سرورى أن أهنئ الضباط، سواء المصريين أو الانجليز، الذين يقودنه، وإنى سعيد لكى أرى الخدمات التى قدمها الضباط الإنجليز لجيشى. وإنى أرجوك يا سعادة السردار إبلاغ هذ التصريح لعلم الضباط والجنود .

عباس حلمى

ونشر هذا التصريح فى جريدة الوقائع المصريه بعددها الصادر فى ٢٨ يناير ١٨٩٢م، من هنا حاول عباس حلمى أن يجمع حوله حزب من الوطنيين المصريين للقيام بالدعاية للقضية الوطنيه في خارج مصر وخصوصا فى فرنسا هادفا فى الوقت ذاته لتدعيم سلطته باعتباره حاكم مصر الشرعى ويؤكد د / أحمد عبدالرحيم مصطفي "أن ذلك كله له اثر كبير فى الحركة

الوطنية المصرية التى اتجهت لاطراح موجة اليأس التى خيمت على المصريين فى أعقاب هزيمة الثورة العربيه فى التل الكبير ". فى الوقت ذاته عمل على التقرب من الدوله العثمانيه صاحبة السيادة الرسميه والأسميه في الوقت ذاته على مصر، وكانت ممثله فى مصر عن طريق مندوب رسمي هو الغازى مختار باشا الذى تمتع بالاحترام الشديد فى مصر. ولكن عند اندلاع الحرب العالميه الاولى ودخول الدوله العثمانيه فى الحرب ضد انجلترا صاحبه السيادة الفعليه على مصر ما كان للثانيه ان تترك مصر تابعه حتى ولو اسميا للأولى من هنا كان السعى لعزل عباس حلمى الموالى للعثمانيين ففى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ "أعلنت الحكومة البريطانية، وعن طريق إرسالها خطابا لكل الدول تعلن فيه أن مصر قد وضعت تحت حماية صاحب الجلالة البريطانية، واصبحت تمثل بعد ذلك محميه بريطانية، وبدون تركيا" وفى يوم ٢٠ ديسمبر كتب القائم بالاعمال الانجليزى فى القاهرة ملن شتيهام للامير حسين كامل يبلغه باختياره من جانب انجلترا كسلطان لمصر. وبذلك الغيت الخديوية المصريه ورفضت السلطات الانجليزيه السماح لعباس حلمى بالعوده من استانبول وامره السفير البريطنى السير لويس مليت بأن ينتقل الى مقر كان قد اعد له فى نابولى وهى نفس المدينه التى كان جده قد نفى اليها، وكانت حجة الانجليز كما اعلنوه يوم ١٩ ديسمبر ١٩١٤ هى "أن حكومة جلالته – الحكومة البريطانية– لديها الدلائل الواضحه بأنه منذ نشوب الحرب مع المانيا، كان صاحب السمو عباس حلمى باشا، خديو مصر السابق، قد ألقى بنفسه، وبشكل نهائى ، إلى جانب أعداء جلالته" وبذلك كان عباس حلمى آخر خديوى لمصر قبل الغاء الخديوية واعلان السلطنة –وتوفى الرجل فى ١٩٤٤– ومازال فى احتياج للعديد من الدراسات حول تاريخ الرجل لإزالة الغموض الذى يكتنف حياته.

عيد الجلوس الانيس (*)

تقام الليلة الحفلة الشائقة بعيد جلوس الحضرة الفخيمة الخديوية فى حديقة الازبكية وقد اجتمع نحو ثلثين من اعضاء اللجنة البارحة فى تلك الحديقة وأنقسموا لجاناً تدير نظام الحفلة وتقوم بواجب الاستقبال الجناب العالى وللاعيان والوجهاء الذين يشرفون الحفلة وتراقب حركات الجمهور فى الدخول والخروج وحضور الغناء والتمثيل والالعاب وغيرها حتى تكون الحفلة على تمام الترتيب والانتظام .

(*) المقطم ٨ يناير ١٩٠٠

عيد الجلوس الخديوى المانوس(*)

كان أمس أول السنة التاسعة من عهد جلوس مولانا الخديو المعظم عباس حلمى الثانى على أريكة الخديوية المصرية وملك اباته وأجداده الاولين فما أعظمه يوما جاء مذكراً بخير أيام مصر بل بخيرأعيادها ولذلك احتفل به عيداً سعيداً فى جميع أرجاء البلاد واستراحت فيه دواوين الحكومة من العمل واستقبل الجناب العالى الخديوى به الامراء والعلماء والوزراء وكبار الموظفين والذوات والأعيان وكل ذى حيثية من الوطنيين والنزلاء استقبالا رسمياً تلقى فيه شعائر الولاء الصادق والتهانى الحقة من أعماق القلوب كما تلقى التهانى التلغرافية من ملوك أوروبا العظام ومن رؤساء حكومته فى داخلية القطر وجميع سراتها وأعيانها .

ولم يكن عيد الجلوس الخديوى أعم عيداً على جميع الرعية بالسرور وأبهج مظهراً فخيما وأكمل مراسم منه فى يوم أمس فقد أقام فيه الكثيرون من أطراف القطر المصرى معالم الزينات معربة عم يقوم بأفئدتهم من صادق العبودية والولاء. وناب حضرات المديرين فى مديريتهم عن الجناب العالى الخديوى فى قبول تهانئ الوجوه والاعيان مبلغيها إلى السدة الكريمة التى قابلت مظاهرات الأمة بأظهر دلائل الشكر والامتنان والارتياح .

وقد احتفل الازهر الشريف فى الليلة الماضية احتفالا جمع كل علمائه وكبار طلبته فى الرواق العباسى اجابة لدعوة صاحب الفضيلة شيخه الاكبر الذى أمر أن تقام الاعلام على أرجائه وأن تضاء المصابيح على مناراته وأن تكون من طلبته حلق الصلوات والاذكار فى الجامع المعظم. وقد ألقى حضرة الاستاذ الشيخ سليمان العبد أحد علماء الازهر الشريف فى ذلك النادى الكريم الذى يرأس جمعه مولانا شيخ الجامع خطبة غراء ذكر فيها هذا العيد السعيد بأطيب ذكره مشيرا إلى مزية هذا الاحتفال وحسن أثره من نفوس الجمع مختتم خطبته بالدعاء بطول بقاء وتمكين وتأييد جلالة مولانا أمير المؤمنين السلطان عبدالحميد الثانى وجناب خديونا المعظم مليك مصر وحاميها وقد أمن الجمع أزكى وأطهر تأمين .

وفى خلال الاحتفال دارت اكؤس الحلوى على الحاضرين وانفض كما بدئ على ترتيل آى القرآن الشريف استنزالا لفيوض بركات الله عز وجل بقبول ذلك الدعاء والتأمين .

(*) المؤيد ٩ يناير ١٩٠٠

الحفلة الكبرى

وأما حفلة المهرجان الكبرى وهى التى أقيمت معالمها مظاهر زينات باهرة ومحالى مسرات زاهرة فى حديقة الازبكية اعلانا بفرح الامة وأبتهاجا باقبال هذ العيد المبارك السعيد ان شاء الله عليها فقد كانت فوق ما يبلغ فى الوصف الكاتبون وينتهى فى الكتابة إليه الواصفون، ولا غرو فهى مظهر كان أكبر المظاهر شأنا وأجلاها بيانا لسرور جميع عناصر الامة وتزلانها على اختلاف طبقاتها. فقد زينت الحديقة أجمل زينة وأكملها يراها القادم عليها عن بعد من نطاق النور الملتف حول سورها ومن مطالع الشموس والاقمار فى جميع أفقها ومن الرايات والاعلام يشاهدها كل راء خفاقة على كل معالمها. ويبهر نظر الداخل فيها ما يجد فى طرقها من الانجم الزهر تدلت صفوفا على الجانبين فى كل طريق مر بها وبدت أثمارا على أغصان أشجارها وأدلة يهتدى به على سارياتها. ومن ثريات مختلفات مؤتلفات فى سموات سرادقاته المنمقة بالازهار النضرة حتى كانها الرياض فى روض لا فى السموات ولا فى الارض. وتبارك الله أحسن الخالقين.

كذلك كانت حديقة الازبكية أمس وقد قصدها جماهير الناس على اختلاف طبقاتهم من الساعة الثالثة بعد الظهر وظلت مسرح الانظار ومطلع الشموس والاقمار الى ما بعد نصف الليل بساعتين وحضرات أصحاب السعادت والعزة والفضل عبدالقادر حلمى باشا رئيس لجنة الاحتفال العمومى وجميع أعضائها ونخبة النشأة المصرية من أبناء ذاوتها وبنى بجدتها يستقبلون الوافدين وخصوصاً المدعوين كل بما يليق به من مظاهر الحفاوة والتكريم .

وفي الساعة الثامنة شرف الحفلة فى موكب عظيم صاحب الدولة الامير الجليل البرنس محمد على باشا شقيق الجناب العالى الافخم نائبا عن ذاته الكريمة تقدمه كوكبة من الفرسان وتحيط به ثلة من الحرس الخديوى وبمعيته حضرة عز تلو الاميرالى حسين بك محرم قومندن

الحرس والمراسلات الخديوية وبعض رجال التشريفات. وما أقبل على الحديقة حتى كان فى استقباله عند الباب سعادة رئيس اللجنة وحضرات أعضائه فقدموا لدولته شعائر الاجلال الواجب فى مثل هذا المقام وصدحت الموسيقى عندئذ بالسلام الخديوى وسار بهذا المظهر الفخيم الى السرادق الكبير المعد لاستقبال دولته واثر تشريفا أطلقت الالعاب النارية الجميلة المناظر كما أن المدفع الهوائى أطلق ٢١ طلقة تحية لدولة المير. وقد أظهر اعجابه الزائد من حسن تنسيق الزينة وفخامة مجلاها وشكر سعادة الرئيس وبقية أعضاء اللجنة بالنيابة عن الامير المعظم على هذه المظاهرة الوطنية الشريفة فتقبلوا منه هذه التعطفات بجمل الشكر وجميل الدعاء ببقاء مولانا الخديو المعظم ودولته. وبعد برهة من الزمان عاد دولته بموكبه الحافل الى السراى العامره فودع كما استقبل بشعائر الاجلال والتكرم .

هذا وقد أخذت جماهير الوفود يتلو بعضها بعضا فى المساء وفى مقدمتهم الكثيرون من المدعوين وفى مقدمة هؤلاء بعض الامراء الفخام أعضاء العائلة الخديوية وحضرات المستشارين والسردار ووكلاء النظارات وبعض القناصل الجنرالية وغير الجنرالية ،الرؤساء الروحانيين وغيرهم وكان الجميع يجدون من أعضاء اللجنة خير حفاوة واكرام .

اما مجالس الانس هناك فكانت كاملة كافلة لمسرة كل من دخل الحديقة فمن أغان بديعة يصطاد بها الاسماع ويتهوى بها القلوب أشهر مغنى مصر ومطربيها حضرتا عبده أفندى الحمولى والشيخ يوسف المنيلاوى ومن تمثيل بديع يقوم به جوق حضرة اسكندر أفندي فرح والممثل الاشهر الشيخ سلامه حجازى فى تياترو الحديقة الذى كان مزيناً مفروشاً محسناً من جميع الوجوه حتى لاق أن يؤمه حضرات الاميرات من أعضاء العائلة الفخيمة الخديوية وكبيرات السيدات من العائلات الشهيرة المحترمة وكان يتخلل تمثيل رواية أدبية فيه غناء مطرب بديع من المغنية الشهيرة المبدعة الست ملكة سرور وتخلل هذا وذاك خطبة رائقة ألقاها حضرة الخطيب البليغ والمحامى الشهير اسماعيل بك عاصم. وسوى كل هذا ملاه جميله وملاعب أهلية رائقة

كخيال الظل وارجوز والالعاب البهلوانيه في جهات مختلفة من الحديقة ليأخذ النظر خطة من كل فريق فيما يحب ويشتهى وقد سحبت نمر يانصيب هناك فأشترك فيها المئات من الناس تحقية للرغبة والمشاركة فى كل وجوه الاحتفال

والخلاصة أن الاحتفال كان جامعاً لكل مظاهر الانس والبهجة معرباً بأفصح لسان عن اشتراك كل الطبقات من سكان مصر الاصليين والنزلاء فى شعائر الاخلاص والولاء للامير المحبوب ولا نعنى بذلك اشتراك ناس من كل العناصر فى هيئة اللجنة فقط بل نقول ان الاقبال الفائق على هذه الحفلة من جميع هذه العناصر مثل اتفاق الاميال واجماع الكل على هذ المقصد السامى أوضح تمثيل كما أن هذا الاحتفال أبان عن كمال استعداد وعلو همه وحسن ذوق لدى جميع أعضاء اللجنة الذين قاموا بمشروعه وباشروا اقامة معالمه وتنسيق مناظره من كل الوجوه فلا عدمت مصر أمثال هذه لمظاهرات الشريفة ولا عدم المصريون مثل هذا الوئا والتناصر فى عمل عظيم يعود بالنفع العميم على وطنهم العزيز ولا عدم كل ساكنيها من أفئدتهم الحب الخالص المتبادل الذى يؤلف بين أميالهم ورغائبهم وأعمالهم فى خدمة الوطن وأميره المحبوب ولا عدمت أعياد وادى النيل غرتها من محيا طلعة هذا العيد المبارك فى عشرات أعوام الجيل المقبل والله الواهب المجيب .

التعليق ....

الوزارة الفهمية

سميت هذه الوزارة بهذا الاسم نسبة لمصطفى فهمى باشا . ومصطفى فهمى باشا هو ابن حسين افندى البكباشى التركى الأصل، وقد ولد فى كريت عام ١٨٤٠ أثناء اقامة والده بها . وقد عاش حياته الاولى رجلا عسكريا، فقد درس بالمدرسة الحربية بالقلعة والتحق بالجيش وظل يترقى فى المناصب حتى حصل على رتبة الفريق. ثم عين مديرا للمنوفية ثم محافظا للقاهرة وبورسعيد، وأصبح بعد ذلك ناظر للخاصة الخديوية وسر تشريفاتى خديوى. وقبل أن يتولى رئاسة النظارة عمل ناظراً لنظارات متعددة هى الاشغال والخارجية ، والحقانية ، والمالية ، والداخلية والحربية ، والبحرية .

وقد شكل مصطفى فهمى باشا أول نظارة له فى ١٤ مايو ١٨٩١ وقد استمرت حتى ١٧ مايو ١٨٩٢ (اى أقل من عام). ويؤرخ تشكيل هذه النظاره الانتصار الكامل لتغلغل الاحتلال البريطانى فى الشئون المصرية، وقد عرفت نظارته هذه بنظارة الاستسلام نظرا لانها قبلت مالم تقبله غيرها من حضور مستشار الحقانية البريطانى لجلساتها .

ومصطفى فهمى باشا - كما يذكر د/ يونان لبيب رزق - ظل رجل الجميع لأنه كان يجيد تنفيذ الأوامر أكثر مما يجيد اصدارها، وأيضا كان يتقن الهروب من المواقف التى تستلزم معارضة احد اطراف السلطة، فهو - مثلا - بالرغم من اشتراكه فى نظارات الثورة العرابية الا أنه عندما تعقدت الامور ترك البلاد بدعوى سوء صحته وسافر إلي أوروبا ولم يعد منها الا بعد أن هدأت الأمور .

وقد كانت نظارة مصطفى فهمى باشا وزارة موالية وخاضعة للنفوذ الانجليزى خضوعا تاما فلم يكن مصطفى فهمى يصدر أى شأن من شئون الحكومة الا عن ارادة اللورد كرومر، وساءت هذه السياسة الخديو عباس حلمى ووجد من ميول مصطفى فهمى الانجليزية ما يجعل تعاونه مستحيلا فأوفد اليه فى ١٥ يناير ١٨٩٣ رئيس الديوان التركى يبلغه رغبته فى أن يستقيل مراعاة لصحته، لكن مصطفى فهمى أجاب بأنه سيفكر فى الأمر، وأنه يرى أن من الضرورى استشارة اللورد كرومر، فاستشاط الخديو عباس غضبا فارسل اليه على الفور كتابا

باقالته لاعتلال صحته، وعهد فى نفس اليوم إلى حسين فخرى باشا ناظر الحقانية الاسبق بتأليف الوزارة الجديدة هذا مما سبب أزمة شديدة بين الخديو وسلطات الاحتلال التى اعترضت على تكليف حسين فخرى بتأليف الوزارة، بل وطالبت بحقها فى الرقابة على اختيار الوزراء المصريين، واحتدت الأزمة برفض الخديو لذلك ورفضه إقالة فخرى باشا وارجاع مصطفى فهمى باشا، ولكن الازمة قد انتهت بحل وسط اتفق عليه الطرفان الخديو وسلطات الاحتلال وهو استقالة حسين فخرى باشا وتأليف رياض باشا للوزارة الجديدة .

الجدير بالذكر أن الخديو عباس الذى أقال مصطفى فهمى مسببا أزمة كبيرة بينه وبين الانجليز، عاد ليعهد إليه (مصطفى فهمى) تشكيل الوزارة من جديد رغبة منه فى التخلص من نوبار (الذى شكل نظارته الثالثة فى الفترة من (١٥ ابريل ١٨٩٤ - ١٢ نوفمبر ١٨٩٥) وذلك بسبب خلاف وقع بينهما. ولما كان نوبار مؤيد من الاحتلال، فلم يجد سوى أن يقترح اعادة مصطفى فهمى صديق الانجليز الوفى رئيسا جديدا للنظارة وذلك حتى يغرى دار المعتمد البريطانى على قبول اقالة نظارة نوبار وبالفعل تم للخديو ما أراد، ذلك أن نوبار عندما أحس بميل الانجليز لاقتراح الخديو قدم استقالته فى ١١ نوفمبر ١٨٩٥، وألف مصطفى فهمى وزارته الثالثة فى اليوم التالى .

وقد كانت هذه النظارة أطول النظارات عمرا استمرت ثلاث عشرة سنة (١٨٩٥ - ١٩٠٨)، وقع خلالها أحداثا كبيرة دخلت الحياة السياسية فى مصر بعدها مرحلة جديدة من مراحلها . ففى ١٨٩٧ تم تعيين المستر كوربت نائبا عموميا، بموافقة النظارة (الوزارة) - التى تعتبر سلسلة متصلة من التسليم فى حقوق البلاد ومرافقها - وفى عام ١٨٩٨ تم اصدار المرسوم بتأسيس البنك الاهلى واعطته الحكومة امتياز اصدار اوراق النقد المصرى، فصار بمثابة بنك الحكومة، وهو بنك اهلى شكلا واجنبى فعلا، حيث كان مؤسسوه وحمله أسهمه أجانب. وأيضا فى نفس العام (١٨٩٨) عقدت الحكومة صفقة خاسرة، هى بيع البواخر الخديوية بأبخس الاثمان إلى شركة (آلن وألدرسن) الانجليزية. كما باعت الحكومة فى نفس السنة تفاتيش الدائراة السنية وكانت املاكها الزراعية تبلغ نحو ٣٠٠٠٠٠ فدان، إلى شركة سوارس مقابل ٦،٤٠٠٠٠٠ جنيه وهو قيمة دين كان على الدائرة فى ذلك الحين، وقد كانت صفقة خاسرة وفيها ظلم فاحش على الحكومة والبلاد. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل شرع المستشار المالى البريطانى فى نفس العام ١٨٩٨ فى بيع سكك حديد الحكومة السودانية إلى شركة انجليزية بحجة حاجة الحكومة إلى المال لتدبير نفقات الحملة على السودان، حتى اضطر الخديو أن يلجأ إلى تركيا يستنجد بها بدعوى أن هذه السكك من املاك مصر التى نص فرمان توليته على عدم جواز التصرف فيها فاقرة سلطان تركيا على موقفه، وذكر أن بيعها مخالف

للسيادة التركية، فتراجع اللورد كرومر وتقرر عدم البيع .

وأيضا تم في عهد هذه النظارة استعادة السودان وإسقاط الدولة المهدية ولكن بدلا من أن تؤدي هذه الاستعادة إلي التمهيد للتخلص من الاحتلال البريطاني على اساس أن من أهم المبرارت التي تذرع بها البريطانيون للبقاء خلال تلك السنوات تعرض مصر للأخطار من الجنوب، اذا بها على العكس تؤدى إلى انتشار الوجود البريطاني في مصر والسودان بدلا من مصر وحدها وذلك بعد توقيع اتفاقية الحكم الثنائي في يناير ١٨٩٩ .

وأيضا شهدت تلك النظارة الوفاق الودى الذى اعترفت فرنسا من خلاله بالوجود البريطاني في مصر وتعهدها بعدم عرقلته وترتب عليه زيادة استقرار وسيطرة الوجود البريطاني في مصر، وأيضا شهدت تصاعد الحركة الوطنية المصرية يقودها مصطفى كامل والحزب الوطني المصرى، وتأسيس جريدة اللواء تلك الحركة التي تصاعدت ١٩٠٦ نتيجة لوقوع حادثة دنشواى . كما وقع حدث هام في ظل هذه النظارة هو فصل "نظارة المعارف العمومية" عن "نظارة الاشغال العمومية" وتعيين سعد زغلول باشا ناظرا لها .

وعن مصطفى فهمي باشا يذكر الخديو عباس – في مذكراته – "أنه كان مخلصا للغاية (للوكالة البريطانية) وكان الخديوى الحقيقى لديه اللورد كرومر ، وكانت طلباتي تظل بلا اجابة، وكان رئيس مجلس النظارة يرد على أسئلتي المحددة بتقارير غير مضبوطة، وكان مصطفى فهمي نمط يمثل (الوزير المثالي) الذى كان اللورد كرومر يرغب فيه" .

الجدير بالذكر أن المقال يذكر لفظ الوزارة الفهمية (وهو قد صدر في عام ١٩٠٠) وهو أمر غريب ذلك أن لفظ وزارة لم يكن يستخدم بل كانت تعرف بالنظارة منذ انشاء أول نظارة في ١٨٧٨ وحتى عام ١٩١٤ (قيام الحرب العالمية الأولى) حين تغير لفظ نظارة إلى وزارة .

وجدير بالملاحظة – أن هذه الجريدة – جريدة مصر لصاحبيها أديب اسحاق وسليم النقاش، تكيل المديح لوزارة مصطفى فهمي باشا، فتذكر أن في عهدها انتشر الأمن والرخاء، وأن الفضل الأول في انقاذ مصر من خطر التصادم مع الانجليز للوزير العاقل الحكيم مصطفى فهمي باشا ولحضرات النظار الكرام .. ولا نفهم ما هذا الولاء والتقدير لتلك الوزارة التي سلمت كل حقوق ومصالح البلاد لمحتليها الانجليز . ربما كان ذلك لأن اصحاب الجريدة الشوام كانوا يخافون غضب الحكومة والاحتلال معاً. أو لأن الجريدة لم تكن من الجرائد المعارضة – بشكل مباشر – لسياسة الاحتلال في مصر مثل الصحف الوطنية .

الوزارة الفهمية(*)

أما ونحن فى انقلاب الوزارات والانتخابات المتوالية فى ممالك الدستور وجمهوريات الشورى فاننا يحسن بنا أن نشكر الله على نعمة لم نشعر بحقيقة أمرها إلى الآن كل الشعور ولابد للذين يسطرون تاريخ مصر فى الاعوام القادمة حين تموت الاغراض ويزول زمن الاهواء والاميال التى تخرج الكتاب عن جادة الحق القويم أن يروا فوق ما نرى من نعمة الايام الحالية وفضل الوزارة الفهمية فى تمدين البلاد وانماء مواردها وتعميم الامن في ربوعها ونشر العدالة فى جوانبها وتسييرها فى بحر السياسة العجاج على طريق الامن والسلامة إلى مرفاه والاقبال. نعم لابد أن يجئ يوم تتضح فيه مزية السياسة التى سارت عليها وزارتنا الحالية فوق اتضاحها فى هذه الايام ويدرك المؤرخون أن الوزارة التى نشلت القطر المصرى من خطر شديد كان يتهدد كيانه وجدت به فى مجارى الصفاء والراحة على حين أن الدول الكبرى كانت فى اضطراب وهول والوزراء العظام أوقعوا ممالكهم فى المصاعب الجسام - أن الوزارة التى تمّ هذا الفوز السامى على يديها فى زمان الاضطراب والانقلاب لحرية بالا كرام والاحترام والامة الكريمة التى ارتعت فى بحبوحة الامن وتمتعت بنعمة الراحة واليسار الجديرة بان تقر بالفضل لذويه وتغبط نفسها على ما أوتيت من حسن الحظ وتخلد لهذه الوزارة الفهمية جميل الذكر في قلوب بنيها لان حفظ الجميل من شيم الكرام ونحن أمة عرفت بكرم الخصال فحرى بنا أن نذكر فضل وزرائنا المخلصين ونكافأهم بالشكر على ما فعلوا لخدمة الوطن كما تكافئ الامم الاخرى رجالها الذين يقودنها إلى ساحات الظفر فى السياسة والحروب .

ونعلم القارئون أن تخطئة الحكومة والتشديد فى الملام كانا من شؤوننا عند كل حادثة توجب اللوم والتعنيف ونحن سنبقى على هذه الخطة إلى ما شاء الله ولكننا نعلم أن رجال

(*) مصر ٢٥ اكتوبر ١٩٠٠

الوزارة بشر مثلنا يسهون ويغلطون فنحن الآن نرى حكايات الوزراء في اوروبا واميركا والشرق امامنا ونقرأ حوداث ابدالهم وتاريخ اعمالهم فنرى أن الذى يلامون عليه لا يقع تحت عد واما وزراؤنا فاذا كانت لهم غلطات ولم تكن الهفوات التي كنا نشير اليها من عمل العمال الاصاغر فان غلطاتهم اقل من ان تعد وهى تعد صفراً فى جنب حسناتهم المتوالية مدة هذه الاعوام. يكفى دولة الوزير المحنك مصطفى باشا فهمي وزملاءه الفخام أنهم نشلوا البلاد من الغرق السياسي كما قلنا وتحملوا لوم الجاهلين فما غيروا سيرهم المحمود حتى انقاد الكبير والصغير لرأيهم ورأت الامة من اعلاها إلى ادناها أن الوزارة الفهمية اختارت السبيل القويم والخطة التى تعود بالنفع على البلاد فبطلت تلك الاقوال الشديدة وسكنت الخواطر التى كانت فى قلق وهياج واقتنعت الامة باسرها أنه لا يصلح لها السير الا على طريقة الوزارة الفهمية مع الانكليز. صحيح ان الوزارة سلمت كثير من المصالح المصرية للشركات الانكليزية ولكن الوزارة مانعت المحتلون بعد الجدل اعتقاداً منهم بحسن نيتها ولو كانت الوزارة متطرفة فى كرههم لحملوها على التسليم بكل المطالب وهم والحق يقال ما شرعوا فى تعميم قوتهم ونشر مصلحتهم الا حين رؤأوا من البلاد ميلاً إلى موابتهم ونكايتهم. ولقد كانت البلاد إلى عهد قريب تظن الحكمة فى اتباع قول المهيجين والمحرضين وتجهل ما للدولة الانكليزية من القوة الهائلة على تنفيذ مأربها وهى الدولة التى عجزت دول الغرب والشرق عن مناجزتها وصدها كما ترى فى اخباره من حين إلى حين. وأما الآن فإن الامة المصرية عرفت أن السير على خطة المجاملة والتعقل افضل ما يمكن اتباعه مع هذه الدولة واكثرها نفعاً لمصر وكان الفضل الاول فى ذلك كله وفى انقاذ مصر من خطر التصادم والتلاطم لوزيرنا العاقل الحكيم عطوفلو مصطفى باشا فهمى ولحضرات النظار الكرام الذين كان من حسن الحظ أنهم رأوا رأيه فى أهم مسائل القطر. ولو انصف الناس لاعربوا عن رضاهم وشكرهم لهذه الوزارة الوطنية بكل لسان ونشروا مدائحها فى كل مكان.

التعليق ....

هــــل تحدث ثورة

هل تحدث ثورة ؟! سؤال تطرحه جريدة المقطم – في مقال نشرته بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٩٠٠– وتجيب عليه بذكاء وبناء على معطيات ودلائل هامة . فهي تذكر أنه كان هناك خوف من جانب طائفة من الاجانب من قيام ثورة مما يؤثر على استقرارهم ومصالحهم، ولكنها –المقطم– تطمئنهم على لسان كرومر بأن زمان الثورات قد فات لان الامم لا تثور الا اذا اشتد الظلم وضاقت الارزاق، والآن فقد زال الظلم ويسرت سبل الرزق –حسبما يرى كرومر والمقطم– بل وبدأ الناس يقتنون الاموال والاطيان، واصبحوا يشترون ما كانوا قد باعوه فباتوا في أمان وراحة وخير لذا فانهم لن يستجيبوا للمهيجين. يذكر كرومر متجاهلا حالة الفقر والبؤس والشقاء والمرض التي كان يعاني منها الجمهور الاعظم من المصريين بمختلف طباقاتهم موظفين وفلاحين وأرباب حرف، ذلك أن كرومر في محاولاته الاولى لاصلاح الاحوال المالية للبلاد حاول تخفيض ميزنية الدولة، فلجأ إلى عدة حيل منها تخفيض عدد الموظفين المصريين بحجة أن الحكومة تستخدم عددا كبير جدا لا فائدة منهم، فأصبح هناك عد د كبير من المتعطلين، في حين تم تعيين عدد كبير من الموظفين البريطانيين بلغت مرتباتهم اضعاف المرتبات الزهيدة للموظفين المصريين اما الفلاحين فإن حالهم ليس بخاف على أحد؛ ذلك أن هؤلاء الفلاحين الذين تذكر الجريدة أنهم يقتنون الأطيان، فإنهم لم يكونوا يمتلكوا شيئا سوى الديون، سواء للمرابين الاجانب ، أو للبنك الأهلي –أسميا– الانجليزى الاصل والهوية، وقد بلغت ديون الفلاحين جدا كبيرا من حيث الحجم والاهمية جعل كرومر نفسه يفرد لها مساحة ليست صغيرة في تقاريره فهو يذكر –في تقرير عام ١٩٠١– "أنه قد استدان من البنك الاهلي عدد ١٨٩١ نفسا مبلغ ٢٧٦,٠٠ ج.م من اكتوبر ١٩٠٠ الى سبتمبر ١٩٠١، وأن البنك قد سلف اكثر من ٣٤٠٠٠

نفسا منذ ابتدأ بتسليف الاهالى عام ١٨٩٩ وحتى عام ١٩٠١" هذا بالاضافة إلى سوء حالة الصرف الصحى ومياه الشرب ونظافة الشوارع وبالتالى سوء الحالة الصحية وارتفاع نسبة الوفيات، إلى غير ذلك من سوء الاحوال بصفة عامة .

وتعود الجريدة - المقطم - فتذكر أنه لا شئ يفيد الانسان بقيود الاجتماع مثل مصالحه، وأن خير واق يقى البلاد من شر القلاقل والفتن هو تكثير اصحاب الاملاك والأموال والمصالح. وتدلل على ذلك بأن الحكومة تسعى فى بيع الأطيان للأهالى وتحثهم على الاقتصاد ليتوفر المال لديهم، وتدفعهم للمشاركة فى المشاريع الاقتصادية، بخاصة من البنوك فترتبط مصالحهم بمصالح الحكومة، ويكون حفظ مصالحهم مرتبط بحفظ نظامه، فتكون حالة الاستقرار حفظا لمصالحهم وحرصا على اموالهم ، وبذلك تمنع الثورات والفتن .

وفى هذا الأمر -أى تكثير أصحاب الاملاك وتقويتهم- صدقت المقطم- وهى جريدة الاحتلال ولسان حاله- فإن طبقة اصحاب الاملاك هم الذين استفادوا من بعض اعمال كرومر الاولى مثل بدل السخرة وبدل الخدمة العسكرية، ذلك أنهم هم الذين لديهم القدرة عل دفع البدل بينما الفلاحون ليس لديهم تلك القدرة، وهم الذين خاطب كرومر ودهم ليحقق الكثير من اهدافه من خلالهم -اقتصادية كانت او سياسية- فسلطات الاحتلال -ممثله فى كرومر- تمكنت من خلالهم (اصحاب الاملاك) من السيطرة على الاقتصاد المصرى المتمثل فى محصول القطن ، وايضا على الحالة السياسية في مصر من السيطرة على الاقتصاد المصرى المتمثل فى محصول القطن، وأيضا على الحالة السياسية فى مصر من خلال سيطرة هؤلاء الملاك على صغار الفلاحين العاملين كاجراء فى اراضيهم .

ولم يقف الأمر عند عام ١٩٠٠ بل كانت تلك هى السياسية التى سار عليها الاحتلال فيما بعد. فعندما اشتد ساعد الحركة الوطنية متمثلة فى مصطفى كامل زعيم الحزب الوطنى، ولم

تستطع ايقاف الهجمات التى كان يشنها ضدهم داخل البلاد وخارجها، فلم تجد هناك مفرا من أن تحاربه بنفس طريقته أي من خلال حزب آخر طالما سعى كرومر فى انشائه- لكن بشكل غير مباشر حتى لا يلقى ذلك الحزب نفورا شعبيا منذ البداية- وكان هذا الحزب هو "حزب الأمة" .. الذى تكون فى سبتمبر ١٩٠٧ بتأييد غير رسمي من اللورد كرومر والدوائر الانجليزية فى مصر.

وقد تكون هذا الحزب من مجموعة من الاغنياء الارستقراطيون الذين يتعاطفون مع مبادئ الحزب الوطني لكنهم لا يرضون عن برنامجه العنيف، بل يفضلون اتباع المزيد من الصبر والتفاهم مع الانجليز يشد أزرهم أعوان الاحتلال مثل مصطفى فهمي باشا رئيس الوزراء ، والاميرة نازلي فاضل وكان رئيس الحزب حسن عبدالرازق، وبعد موته خلفه محمود سليمان من كبار الملاك.

الجدير بالذكر أن المقطم تقحم على المقال مسألة الفتن والثورات فى الدولة العثمانية وسياسية حكومتها فى مواجهة تلك الفتن، كما تتحدث كثيرا عن المظالم والمغارم، واختلال الادارة واعوجاج المحاكم، وسلب حرية الناس، والتهديد والوعيد، والارهاب والعقاب لحمل الناس على طاعتها، كم تتذكر المقطم الفارين والمهاجرين. وفي رأيي أن هذا الحديث عن الدولة العثمانية كان نتيجة أن أصحاب المقطم -فارس نمر ويعقوب صروف- كانوا من الفارين من بلاد الشام الواقعة تحت الحكم العثماني المباشر هربا من سوء الحكم وقسوة المعاملة .

هــل تـحــدث ثـورة (*)

هل يمكن أن تحدث ثورة فى هذ القطر.

سؤال يستغربه القراء لاسيما وأن المقطم يسأله فى الأيام وهو يبشر بتقرير الاتفاق والوئام ونشر رايات الامن والسلام. ويصيح قائلاً حيوا على الفلاح فولاة الامور متعاونون على الاصلاح. على انا لم نسأل هذا السؤال لان له اليوم أدنى محل أو أقل أحتمال بل لننفى من جهة امكان حدوث ثورة فى هذا القطر مادامت احكامه دائرة على محور العقل والعدل واموره على محور الاصلاح والاعتدال ولتثبت من جهة أخرى أن سياسة الحكومة العثمانية فى بلادها مورثة الفتن والثورات لان الطرق التى تتخذها لاخماد الفتن وازالة الاحن إنما هى كبريت ووقود لاضرام نارها وأسعار آوارها فلذلك لا تخمد فتنة حتى تعقبها فتن ولا تدفن محنة حتى ينبت على دمنها محن .

لما هاجت الخواطر فى هذا القطر منذ أعوام أكثرت الجرائد من التهويل والأيهام قلقت طوائف من الافرنج النازلين هذه البلاد قلقاً شديداً من الثورة العرابية هولاً. وعلمنا حينئذ أن قوماً منهم كاشفوا جناب اللورد كرومر بخوفهم كأنهم يطلبون الأمان على أرواحهم وأموالهم فى تلك الأيام فأجابهم جنابه أن زمان الثورات قد فات لان الأمم لا تثور الا اذا اشتدت وطأة الظلم عليها وابتز مالها منها وضاقت أبواب الرزق فى وجهها فلم تجد سبيلاً إلى اليسر والفرج. فالثورة العرابية حدثت لهذه الاسباب ولولاها ما أجاب الاهالى دعاة الثورة إلى دعوتهم ولا اجتمعوا على كلمتهم لشد ازرهم فى ثورتهم ولولا ثقل المظالم والمغارم على الاهالى ولولا رزوحهم تحت اثقال الديون لم تثر اقلام المهيجين ثائرتهم ولا شدت خطب الخطباء وثق عصبتهم وأما الآن فقد يسرت لهم سبل الرزق وزالت عنهم المظالم والمغارم وأمنوا شر الحاكم وجور الظالم واطلقت لهم حرية الشكوى ويسرت لهم سبل الرزق والكسب وعرف كل منهم ماله وما عليه

(*) المقطم ١٥ ديسمبر ١٩٠٠

فاصبحوا يستردون ما كانوا قد فقدوه ويشترون ما كانوا قد باعوه ويقتنون الاموال والاطيان فباتوا في راحة وأمان وخير واطمئنان فمهما هيجهم المهيجون لم يحركوا ساكنا ومهما قيل لهم بقي القول عندهم "كلاماً في كلام" وقد اثبتت الايام أن رأى جناب اللورد كرومر كان عين الصواب وأنه أدرى بطبائع الناس واخلاق الامم باسباب السكون والثورات من الذين ارهبهم تهويل الجرائد واوهمتهم ظواهر الامور.

لا شئ يقيد الانسان بقيود الاجتماع مثل مصالحه ولاشئ يحبب إليه الاخلاد إلى الهدوء والسكينة والابتعاد عن المشاكل والقلاقل مثل عياله وأمواله، ألا ترى أن ذوى اليد الطولى في كل حركة وفتنة وذوى الرغبة العظمى في القلب والقلقلة هم الذين ليس عندهم أموال يضيعونها بها ولا مصالح يعطلونها بل أذا نجحوا في فتنتهم كسبوا وأذا لم ينجحوا لم يخسروا شيئا.

أولا ترى أن خير واق يقى البلاد شرهم هو تكثير اصحاب الاملاك والمصالح فيها لانهم يسعون ضد سعيهم ويحافظون على السكينة وهدوء الحال جهدهم. انظر إلى فرنسا مثلاً فقد توفرت فيها عوامل القلاقل والفتن حتى أربت على ما في غيرها من البلدان. وأهلها قلال الصبر على القديم ميالون بالطبع إلى قلبه واستبداله بالحديد. ولكن المتمولين والملاك والزراع كثار فيها وذوى المصالح التي تعطلها الحركات والقلاقل منبثون في كل جهة منها. وهؤلاء يحولون دون اضرام الفتن ويحبطون مساعي المحرضين على الثورات فكأنهم قيود ثقال في أقدامهم واثقال عظيمة على كواهلهم تجبرهم على التزام السكون وتمنعهم من تعدى الحدود لأنه كلما قام زعيم ورام رفع راية الثورة في الداخل أو محاربة أمة أخرى في الخارج قال جمهور الفرنسين مالنا وللمخاطرة باموالنا وخسارة أملاكنا وارزاقنا وابوا ان يجيبوا دعوته وأن يجاورهُ على مراده.

وأذا تاملت جيداً وجدت العقلاء قد جردوا من هذه الحكمة سياسة يجرون عليها في تدبير أمور هذا القطر فغرض ولاة أمورنا المنصوب أمام عيونهم وعيوننا هو أن يكثروا عدد المتمولين واصحاب العقار والملك بما في الامكان الا ترى سمو الخديوى المعظم اذا سمع ان موسراً يبدد ثروته أو يبيع اطيانه يستدعيه إليه أو يرسل إليه من يحذره من تبذير ماله واضاعة عقاره وينصحه بالمحافظة عليها وزيادتها عوضاً عن اضاعتها. أولاً ترى ان

ـة تسعى في بيع الاطيان للاهالى وتشترط فى كل مشارطة لها أن
لاهالى على سواهم فى مشترى الاراض والاطيان. «ولا ترى أنها تحث
ں على الاقتصاد حتى يتوفر لديهم المال «تدبر لهم الوسائط ليأتمنوا
ـة على أموالهم كما فى بنوك الاقتصاد مثلاً لترتبط مصالحهم بها
حفظ مصالحهم متوقفاً على حفظهم لنظامها وابتعادهم عما يخل
لنظام ويفضى إلى الاضطراب والانقلاب .

نتيجة هذه السياسة المبنية على العقل والفطنة زيادة الخير لافراد الاهالى وانشاء حزب
ـهم يحافظ على النظام والسكينة والحالة الحاضرة حفظاً لمصالحه وحرصاً على أمواله.
ـتنع الثورات والفتن ويستتب السكون والنظام ولهذا اجبنا فى بدء المقالة أنه لا يحدث
ة فى هذا القطر .

ما اذا التفتنا الى البلاد العثمانية وتدبرنا سياسة حكومتها وجدنا الثورات والفتن كثيرة
الك المحروسة" ووجدنا حكومتها موجهة همها الى اخماد نارها ومحو آثارها . الا أنها
لذلك سياسة تؤدي الى ضد ما تروم. فهي تزيد المظالم والمغارم على رعيتها وتوفر
ادارتها واعوجاج محاكمها اسباب العسر والضنك والفقر فى بلادها وتنتقل من الشديد
ـد فى مضايقة الناس وسلب حريتهم والجور عليهم وتعتمد على الوعيد والتهديد
ف والارهاب والتعذيب والعقاب فى حمل الناس على طاعتها بحيث ترى المهاجرين
ن الوفا فى كل عام والفارين تفرون من بلادها افواجاً فى كل يوم والحاقدين يزيدون
اصحاب المصالح والاملاك والاموال يقلون عدداً والراغبين فى قلب الهيئة الحاضرة
ن الفرج من تغيير الحالة الجارية يزيدون جدا . ونتيجة ذلك استسهال الثورة وزيادة
ـها لان الذين يخسرون بها يقلون والذين يكسبون بها اولا يخسرون يزيدون يوما فيوما .
فتن وتتجدد الثورات فى البلاد العثمانية من سوء سياسة حكومتها ولا خوف من حدوث
ورات فى الديار المصرية من حسن سياسة حكومتها .

التعليق ....

حاجة العاصمة

يتناول المقال "حاجة العاصمة" الذى نشرته جريدة "مصر" فى ٣ نوفمبر ١٩٠٠ جانبا هاما من الحياة العامة والامنية فى مصر فى تلك الفترة .

المقال ينتهز تعيين حكمدار جديد، فيذكر بعض عيوب ومساوئ جهاز البوليس فى مصر فى صورة امنيات يتطلع اليها الناس، وهو اسلوب ذكى لنقد الواقع و اظهار عيوبه ومساوئه.

وأول مساوئ جهاز البوليس التى يتناولها المقال - **وفى رأى أنها مساوئ ليست قاصرة على هذا الزمن وحده** - هى سوء معاملة رجال البوليس لعامة الناس، فهم يضربون ويلكمون العامة فى الطريق، ويشتمون المارة بأقبح الالفاظ، ولا يتورعون فى أهانة السيدات فى قارعة الطريق، ويذكر صاحب المقال أيضا أن رجال البوليس يغضون البصر عن بعض المسيئين مقابل قليل من المال، كما أنهم يسيئون معاملة البعض الآخر بقصد الانتقام والتشفى .

وينتقل المقال بعد ذلك إلى أمر هام هو سوء حالة الشوارع وعدم الاهتمام بنظافتها وترك جثث الحيوانات بها عدة أيام. والجدير بالذكر أن صاحب المقال يذكر أن مصلحة الكنس والرش مسئولة عن جزء من هذا الاهمال -ربما كمحاولة لابعاد جزء من المسئولية عن كاهل البوليس- فى حين أنه قد تقرر جعل هذه المصلحة بما فيها من العمال والادوات تحت ادارة مصلحة الصحة وذلك اعتبارا من أول يناير ١٩٠٢ ، وكما هو معروف كانت مصلحة الصحة العمومية تابعة لنظارة الداخلية. أما عن سوء حالة الشوارع فقد كان ذلك أمرا فعليا، ذلك أنه فى عام ١٩٠٠ بلغت مساحة ما كنس ورش ٦١٪ من مساحة الشوارع كلها أما الباقى وهو ٣٩٪ فكان يتم تنظيفه مرة كل أربعة أيام، فى حين أن تكاليف هذا العمل فى ذلك العام قد بلغت ٢٥٠٠٠ ج.م وهو ليس بالمبلغ القليل ؟! وأيضا كانت مياه الامطار راكده فى الشوارع، حيث لا يوجد صرف بها .

ويترك المقال مسألة حالة الشوارع، ليذهب مذهبا أخرا ألا وهو انتشار المقامرة فى المقاهى .. وهنا يظهر سؤالا هاما يفرض نفسه .. لماذا تناول صاحب المقال هذه المشكلة الأمنية بعينيها ؟ فمن غير المعقول ألا يكون على دراية بالمشاكل الأمنية الأخرى ! كما أنه من غير المعقول أن تكون المقامرة "لعب البوكر" هى أخطر الجرائم فى تلك الفترة ! . ولكن ربما

أراد أن يستخدم الجزء الصغير ليشير إلى كل الخطر، بمعنى أنه أراد أن يذكر ابسط الجرائم حتى لا يضع نفسه موضع المساءلة والعقاب، وربما يكون قد رأى في انتشارها خطرا كبيرا على الاقتصاد والشباب المصرى. وقد يكون أراد أن يلمح إلى عجز البوليس في مقاومة أبسط الجرائم، فهو يذكر أن عمال البوليس كانوا يدخلون مواضع اللعب فلا يجدون لعبا ممنوعا أما لأن أصحاب المحل احتاطوا لدخولهم وغيروا هيئة اللعب قبل وصولهم، أو لأنهم لم يروا نقودا بين ايدى اللاعبين فعادوا كانهم لم يجدوا شيئا . هذا مع أن معدات البوكر (من موائد واوراق لعب مخصوصة للبوكر) كانت موجودة. وهذه المشكلة البسيطة فهو بهذا يدلل على الحالة الأمنية في مصر كلها .

وبالفعل فإن الحالة الأمنية في مصر عام ١٩٠٠ كانت سيئة، فطبقا لتقرير كرومر -عن المالية والادارة والحالة العمومية في مصر والسودان- لعام ١٩٠٠ فإن عدد الجنايات قد زاد عما كان عليه في عام ١٨٩٩ ، وهذا ما يشرحه الجدول التالي :

السنة	القتل	السرقات بظروف	جنايات اخرى	المجموع
١٨٩٧	٤٣٠	٣٧٨	٦١٦	١٤٢٤
١٨٩٨	٤١٤	٣٤٤	٥٨٤	١٣٤٢
١٨٩٩	٣٧١	٢٦٠	٦٢٠	١٢٥١
١٩٠٠	٤١٩	٢٩٢	٧٨٥	١٢٨٩

ويتضح من الجدول أن حالات القتل والسرقات والجنايات الأخرى في عام ١٩٠٠ قد زادت بشكل ملحوظ عما كانت عليه عام ١٨٩٩ .

أما فيما يخص الجنح فقد ازدادت زيادة كبيرة في عام ١٩٠٠ عن السنوات الثلاث السابقة عليها وهذا ما يتضح من الجدول التالي :

السنة	سرقة	اعتداء	باقى الانواع	المجموع
١٨٩٧	١١٨٠٣	١٣٨٣٢	١١٢٧٤	٣٦٩٠٩
١٨٩٨	١٢٦٧١	١٤١٦٠	١٠٩٢٩	٣٧٧٦٠
١٨٩٩	١٢٤٩٦	١٥٤٦٤	١١٧٥٣	٣٩٧١٣
١٩٠٠	١٣٧٧٨	١٨٣٣٨	١٢٥٧٥	٤٤٦٩١

وبالنظر إلى هذا الجدول نجد أن عام ١٩٠٠ قد شهد ارتفاعا كبيرا فى جرائم السرقة والاعتداء وكافة أنواع الجرائم الاخرى، بحيث فاقت كل السنوات الأخرى بما يقترب من حوالى ٥٠٠٠ حالة.

وأيضا فإن فى حوادث السرقات البسيطة فقد زادت ١١٠٧ حالة فى عام ١٩٠٠ عما كانت عليه فى ١٨٨٩ . وعلى الارجح فإن سبب زيادة جريمة السرقة عام ١٩٠٠ يرجع إلى قلة المحصول بسبب انخفاض النيل فى عام ١٨٩٩، بحيث بقى ٢٥ الف فدان من غير زرع .. ومن المعروف أن الفقر والحاجة هما أهم أسباب الجرائم ولاسيما السرقة .

حاجة العاصمة (*)

للناس عادة مطردة الفوها فى جميع الاحوال فهم لا يتحولون عنها لانها من نتائج الطبع الانسانى تبقى فى الانسان ما بقى طبعه بشرياً هى أن القوم يهتمون للشئ الجديد ويجدون له طلاوة وحلاوة فوق الموجود فيه ويميلون إلى انتظار الخير من الجديد ولو عرفوا أن الفضل كله فى القديم. فإن قام فى البلاد وزير جديد أو حاكم أو قاض تحولت الاذهان إلى الذى سيكون من امره وجرى الناس على عادتهم فى تقدير النتائج من خطته وانتظروا الكثير من مبتكرات اعماله حتى أنه يصح الآن أن يقال أن كل حاكم جديد أو موظف فى مركز كبير لا تبدو منه حركة تختلف عن حركة سلفه يعد فى عرف الناس مقصراً ويخيب آمال الا كثيرين .

وفى مصر اليوم حكمدار للبوليس جديد فالناس ينتظرون منه حركة يعرف بها فى اوائل استلامه للمنصب الذى قضى عمراً فى الاستعداد لاستلامه وهو يفرض عليه السعى والحركة الجديدة لان أحوال مصر توجب الالتفات والحركة وليس لان الذين كانوا قبله فى هذا المنصب قلت حركتهم أو لأن رؤساءه فى المحافظة وبقية العمال قصروا فى اداء المفروض عليهم هذا غير أن الأبواب كثيرة وأبواب الحركة المطلوبة عديدة واسعة واستمرار الجهد والسعى لازم لابد منه لمدينة مثل هذه ينتابها الخراب اذا اغمض الحكام جفنهم لحظة واطلقوا العنان لعوامل الفساد والاهمال المتكاثرة فى كل جانب من هذه العاصمة الكبرى .

وأول ما تتوجه إليه الاذهان فى مثل هذه الاحوال معاملة رجال البوليس والخفراء لعامة الناس والطرق التى يجرون عليها فى القيام بواجباتهم فقد اشتهر أن الرجال فى بوليسنا لا ينتقون ممن يصلحون لمعاملة أهل المدن لأن الذين يصلحون لذلك يطلبون فوق ما تحتمل ميزانية البوليس ولم يبق الا أن يجتهد الرؤساء والضباط فى تربية الرجال الحاليين على قدر ما تمكن

(*) مصر ٣ نوفمبر ١٩٠٠

التربية وأن يظلوا على مراقبتهم وملاحظتهم في جميع الشؤون ولاسيما عند حدوث المشاكل والجنح والمخالفات التي يسوقون من آجلها الناس الي المخافر فنحن نسمع مراراً في الاسبوع **أنهم يغضون الطرف عن بعض المسيئين لقاء أجرة قليلة أو هم يسيئون معاملة البعض الآخر بقصد الانتقام والتشفي ولطالما سمعنا أنهم يضربون ويلكمون في الطريق ويشتمون المارة بأقبح الالفاظ ولا يتحاشون أهانة السيدات في قارعة الطرق لغير علة** على مثل ما نشرت إحدى السيدات الكريمات في جريدة المؤيد الغراء وقيل أنهم يعذبون افراداً في المخافر تعذيباً جائراً وغير هذا مما اذا صح بعضه فقط كان مصابا يجب على الحكمدار الجديد أن يلتفت اليه ويعمل بكل القوى على اصلاحه .

هذه فيما نظن حاجة العاصمة الكبرى ويليها في الاهمية زيادة العناية في تطهير الشوارع والحارات من الجثث والاوساخ وهو عمل بعضه للبوليس والبعض لمصلحة الكنس والرش ولكن قسم البوليس منه مهمل فان هذه المدينة لا تخلو شوارعها من حيوانات ميتة في حين من الأحيان وقد تبقى الجثة أياما في موضع واحد ولا يجئ واحد من رجال البوليس لاخراجها ودفنها حتى تضيق الصدور من رائحتها وينتحي أحد الافراد فيعني بابعادها . ويذكر في هذا الباب أيضا كثرة المتسولين والمتسولات وسكوت البوليس عنهم ولو في المواضع التي لا يجوز لهم أن يظهروا فيها حتى أنهم أصبحوا ضربة عامة وصار تداخل البوليس لتخفيف ضررهم من الأمور الواجبة على عمال الضبط جميعهم .

وقد كان البوليس من زمان بعيد يعد نفسه في قيد ثقيل لانه يريدان يمنع المقامرة في القهاوي والاماكن العمومية ولا يقدر بدعوى أن لعبة البوكر التي صارت ضربة الافراد والعائلات لا تحسب مقامرة وأما الآن وقد حكمت المحكمة المختلطة بأنها قمار لا يجوز عدتها من الالعاب المحرمة في هذه القهاوي فما على البوليس الا أن يظهر همة في أبطالها وهو كلما أسرع يوما في هذه الحكاية أنقذ بعض النفوس من الخراب وليس في المدينة كلها واحد يجهل أن لعب البوكر قائم في اكثر القهاوي وأن هذه العلامات والعظام التي تتداولها الايدي تشرى وتباع

بالمال وهى تستعمل سترا للمقامرة وواسطة للاستمرار فى الشر الذى تجرى عليه قهاوى مصر في كل يوم. فالمدينة ينتظر من الحكمدار الجديد أن يظهر همة جديدة فى تنفيذ رغائبا رئيسه المحافظ والعودة إلى ترقب هذه القهاوى على مثل ما جرى في الاسبوع الماضي والذى قبله فإن بعض عمال البوليس اكثروا من التردد على القهاوى حتى ضيقوا عليها وأبطلوا اللعب حيناً فيها فقللوا الخراب مدة ذلك الاهتمام ولكن أولئك العمال كانوا يدخلون مواضع اللعب فلا يجدون لعباً ممنوعا اما لأن اصحابها اخفوه قبل وصولهم أو لانهم لم يروا ولم يجدوا شيئا وكل من فى المدينة يعلم أن اللعب غير منقطع فى كل الجهات .. والرأى عندنا أن لا يعول ضباط البوليس بعد الآن على الذى يرونه ساعة الدخول إلى موضع اللعب بل أن يامروا باقفال كل محل فيه معدات البوكر وهى معروفة لاريب فيها منها الموائد المعروفة لا تصلح لغير البوكر ووجودها فى القهوة معناه أن البوكر وهو يمتاز عن غيره ايضاً ولا يستعمل لغيره من الالعاب الا فى أحوال نادرة. ومنها هذه العلامات من خشب أو عظم أو معدن تستعمل بدل النقود فى الربح والخسارة وتسهل الخراب على جامعة المقامرين. هذه وغيرها علامات البوكر فاذا كان رجال البوليس يريدون منع هذا اللعب المحرم وعمل مبرة يمدحون عليها إلى يوم القيامة فليتخذوها دليلا لهم ويقفلوا كل موضع يجدونها فيه ويسدوا باب المصاب على شبان ولعوا بهذه اللعبة الشيطانية وشغفوا بلذتها فهم يقصدون مأوي اللصوص ومثابات الاوباش والسفهاء ليقضوا الساعات فى لعبها ولا يخرجون الا وقد خلت الجيوب من المال وضاعت كرامة النفوس من مخالطة أهل الرذيلة والقحة ومعاشرة الادنياء. أن رجال الحكومة يطالبون فى كل زمان بمساعدة أهل الكرامة والأدب فى المحافظة على ادابهم وكرامتهم فإذا كانت لذة البوكر تزيد عن اعتبار المرء لنفسه واحتقاره للرجل البذئ فتدفعه إلى محل اللعب ولو ضاعت فيه الكرامة فإن الحكومة تخدم الناس اسمى خدمة اذا هى ساعدتهم علي الخلاص من هذا الشر وابطلت لعب البوكر فى القهاوى والحانات.

التعليق ....

الامتيازات الاجنبيه والمحاكم القنصلية

عندما نزح الأجانب بكثرة إلى مصر عمل حكامها منذ الدوله الايوبيه على منحهم امتيازات خاصة لتشجيعهم على البقاء فى البلاد وممارسة تجارتهم ولاسيما بعد فترة الحروب الصليبيه واستمرار العداء بين الشرق والغرب، ومن هذه الامتيازات التى حصل عليها الأجانب الحق فى التقاضى أمام قناصلهم وتبعا للقوانين السائدة فى بلادهم لا القوانين السائده فى مصر، وفى هذا قضاء على مبدأ اقليمية القانون. وعندما دخل العثمانيون مصر وجدوا هذا الوضع السائد فلم ينكروه بل عملوا على استمرار الامتيازات الاجنبيه وعملوا على تشجيعهم من جانب الفاتح الجديد حتى لا يعاملوا بشدة فيهربوا ويؤدى ذلك لخسارة اقتصادية .

وقد ارتبط بالامتيازات الاجنبيه ما يعرف بالبراءات فالفرنسيون والامم الاخرى كان يسمح لهم ببيع اوراق خاصه تدعى براءات للافراد المحليين وبناء عليه تمنحهم نفس الامتيازات التجاريه والحصانه القضائيه باعتبارهم أجانب ودخل عديد من غير المسلمين تحت هذه الحمايه (حماية السلطات الاجنبيه) .

وعلينا أن نعترف بأن هذه المعاهدات لم يكن لها أى اثر مادامت الدولة العثمانية قوية ومحافظة على نظمها أما فى حالة الضعف فقد استغل الاجانب كل ما اثير فى هذه المعاهدات من شروط وفسروها كيفما يحلو لهم. وكان هذا هو الاساس الذى قام عليه القضاء القنصلى الذى برز بوجهه القبيح فيما بعد فى القرن التاسع عشر والعشرين .

وتذكر الدراسات التى قامت حول القضاء فى تلك الفترة أن القناصل استغلوا هذا الامر فمدوا سلطاتهم واستحوذوا على جميع القضايا التى تقع بين الاجانب والاهالى بما فيها قضايا العقارات ودخل تحتها الرهن ونزع الملكية كذلك نظروا فى قضايا الافلاس وبالتالى أصبح المصريون خاضعين لقوانين القناصل، وبلغ عدد المحاكم القنصلية سبع عشرة محكمة،

تطبق كل منها قانونها الخاص، ومن ثم تناقضت الاحكام على المجرم الواحد، وقضاتها – أى القناصل يجهلون القانون والقضاء ويحكمون فى القضاء وفقا لاهوائهم حتى فى الفصل بين الاجانب المختلفين الجنسية .

وتذكر د / لطيفة سالم – أن استئناف الأحكام كان ينظر أمام محاكم الدول التابع لجنسيتها المتهم – وطبيعيا أن تكون النتيجة لصالح الاجنبى حيث يعود المتهمون إلي مصر مرة أخرى ليواصلوا نشاطهم غير الاخلاقى وعدوانهم السافر على المصريين الذين لا يملكون الا الخضوع والاستسلام، وبذلك أصبح ارتكاب الجرائم أمرا مألوفا على يد الاجانب لا يعوقهم مانع ولا يقف امامهم رداع .

وعلى سبيل المثال، فانه اذا قتل أجنبى مصريا يحتمى فى منزله لأن رجال البوليس لا يستطيعون دخوله الا بإذن من القنصلية، وعند الحصول على الاذن واصطحاب المندوب يكون القاتل قد أخفى أدلة الجريمة، وتجرى السلطة المختصة التحقيق بحضور مندوب القنصل، ويسلم الأجنبى لقنصليته، فيحجز فى سجن الأجانب، وتعيد القنصلية التحقيق، وتستدعى شهودا بمعرفتها، وترسل المتهم إلى بلده وتنته المحاكمة التى تكون بالطبع فى صالحه. وقد فرضت الرسوم الباهظة على المصريين الذين يريدون رفع القضايا على الاجانب، مما اضطراهم للانسحاب من الميدان فى أحيان كثيرة. وبذلك فقد انعكست الأوضاع، فاصبحت المحاكم القنصلية هى الاصل والمحاكم المحلية الاستثناء وخولف مبدأ "المدعى يتبع محكمة المدعى عليه" وتحققت رغبات الاجانب، وتساهلت الحكومات وتعدت الامتيازات الاجنبية حدودها .

ومنذ عام ١٩٠٠م عملت الصحافه المصريه على الهجوم على الامتيازات الاجنبيه وبيان اوجه العلل والضعف الذى يعيش فيه المصرى نتيجة لها واستمرت المفاوضات بين مصر وبريطانيا والدول صاحبة الامتيازات بشأن الغاء الامتيازات الاجنبيه ورئى أن تنسحب السلطة القضائية من القنصليات تدريجيا. وجاء اتفاق مونترو ١٩٣٧ ليضع القواعد الجديده للمحاكم القنصلية فى فترة الانتقال أى منذ توقيع الاتفاق بالغاء الامتيازات الاجنبيه وحتى الغاء هذا القضاء عام ١٩٤٩. وعلينا أن نعترف فى النهاية أن هذا القضاء أدى للقضاء شبه التام على مبدأ اقليميه الشريعة الاسلاميه وكذلك أدى إلى الخلل التشريعى والقضائى .

متى نطلب الغاء الامتيازات الاجنبية(*)

لقد ثقلت وطأة الامتيازات الاجنبية على المصريين وحكومتهم وتدفقت اقلام الكتاب على صفحات الصحف المحلية بالشكوى من استبداد الاجنبي لان الحيف الذى يلتحق بالامة المصرية من تغطرس النزلاء مم لاتطيق النفوس احتماله. وأى ظلم افدح من أن يكال لسكانى القطر الواحد بمكياليين الفئة الواحدة ترتجف اعصابها بازاء احقر انفار البوليس واذل رجال الاجانب والفئة الثانية وهى الاجنبية عن القطر لا يبالى ولا بقانونها لأن رعويته الاجنبية تحميه اذ كان سارقاً ومقامراً وقاتل وتاجر حشيش وفاسقاً ومزوراً ونصاباً ومحتالا .

ثم قذارة الشوارع الوطنية وظلامها الدامس ومثر غبارها صيفاً وتراكم وحولها شتاء وضيقها واعواجاجها بينما نرى الشوارع الماهولة بالأجانب يغلب ليلها النهار بساطع الانوار التى تبتلع ثروة الامة تظللها الاعلام الاجنبية فلا تستطيع الحكومة اقفالها واراحة البلاد من شرها فهى ابدا بازدياد واموال الامة بنقصان. وهذه بيوت الفسق والفجور المنتشرة فى أحياء مدن القطر رغماً عن البوليس والقانون كله تبعة للحكومات الاجنبيه فاذ ضايق البوليس احدى الفاجرات بكثرة ما يفرض عليها من الضرائب فما عليها لتمنعه عنها لا أن تتفق مع اجنبى دنئ على أنها زوجته مقابل جعل شهرى تدفعه له فتقلع اذ ذاك عيون جميع أنفار البوليس، وهذا الحشيش وشيوع تدخينه اعظم ضربة أصابت الامة المصرية. وقد كان يسهل على الحكومة استئصال شفته لولا أن تجارة أجانب فاذا اشتبهت الحكومة بوجود كمية منه فى منزل أو حانوت لاحد الاجانب لا تجسر على تفتيش الجهة المشتبه به بغير استئذان القنصل، وقبل صدور الاذن تصدر الاشارة فينقل الحشيش إلى مكان آخر ثم يعقب التفتيش العقيم قضية ضد الحكومة ومطاليتها بالعوض المدنى لان أحد عمالها اتهم اجنبيا بانه تاجر حشيش ومس شرفه .

وترى الاجنبى يقتل وطنياً فيذهب دمه هدراً واذا أبعد القاتل من القطر بحجة محاكمته لا يحتاج ليعود اليه إلى أكثر من تغيير اسمه او اطلاق لحيته، ولكثرة ما يحدث من هذ النوع دب الرعب بقلوب الوطنيين حتى أنهم كثيرٌ ما يتسامحون بحقوقهم ويطأطئون الروس خوفاً على

(*) الرائد المصرى ٢٢ نوفمبر ١٩٠٠

حياتهم. ومن ذلك أن لاحد مستخدمي محكمة مصر الاهلية منزلاً في جهة كلوت بك قضى عليه سوء الطالع ان ايطاليا استأجر قسما منه وقد مضت السنين فلا المستأجر يدفع الاجرة ولا المالك يجسر على المطالبة بحقه لان الايطالي تهدده انه ذا شكاه للمحاكم اعدمه الحياة. هذا مثال من امثلة لاتعد لكثرتها يعلم منه مقدار استبداد الاجنبي بالوطنيين والانكى منه أنه بعض الرعاع لم يقفوا عند حد هضم الحقوق واحتقار الاشخاص بل تجاوزه إلى الازدرء بالارواح فيطلقون النار على الوطني ليميتوه لاجل التسلية والمزاح وقد سبق اننا اشرنا إلى كثير من هذه الحودث في حينه ونذكر منها الآن حادثة شارع كلوت بك وحادثة رأس التين بالاسكندرية وساعي التلغراف بالمنيا وغيرها كثير مما هو معلوم عند القرء الكرام فلا حاجة إلى اعادة ذكره.

فالوطني ذليل بازاء حكومته وبازاء الاجنبي ايضاً وبالعكس الاجنبي وقد صداق المصباح الاغر اذ قال " ان بين الاعزاز والاذلال في مصر اربعة غروش ثمن قبعة" لان الذي يضعها فوق رأسه تطاطئ الرؤوس اجلالا لجنابه

.

والاجنبي ممتاز عن الوطني ليس بم اكسبته اياه المعاهدات والتقاليد القديمة فقط بل يمتاز عنه ايضاً بما تميزه به الحكومة مما لا علقة له بالامتيازات المكتوبة فانها تقدم الاوبرا الخديوية مثلا الى الاجواق الفرنجية بدون مقابل وتتحفها في كل عام بحوالي الخمسة آلاف جنيه ولم يخطر ببالها قط ولو مرة واحدة مساعدة الاجواق العربية وذنب هذه انها خضعة لسلطة الحكومة وقانونها وهو السبب في بقاء التشخيص العربي متأخراً منحطا .

منحت الحكومة المسيو بوترون مدير مصلحة الدومين اجازة سنة بمعاش كامل وستمنحه اجازة سنة اخرى بنصف معاش وبعدئذ تتفق معه على مبلغ المكافأة او الهبه الذي لاريب عندنا في انه سيكون وافراً بالنسبة "إلى راتبة بينما نرى ان عزتلو يوسف بك حكيم الذي خدم الحكومة بارائه ومشورته واستقامته ونشاطه عشرة اضعاف مما خدمها به المسيو بوترون وكل الاجازات المتفرقة التي اجيزها في مدة خدمته الطويلة لا يتجاوز مجموعه الثمانيه شهور قد فصل من الخدمة وهو لا يملك غير مرتبه وبعض مما تركه له والده لانه كان طاهر اليد نزيه النفس عفيفا وقد كان باقياً له ليكون له الحق بالمعاش الكامل نحو العشرين شهراً فلم تتساهل الحكومة معه بهذه المدة في حين أن كثير من زملائه الافرنج في الدائرة السنية قد تساهلت مع بعضهم بثلاث سنوات ومع البعض الآخر بضعف هذه المدة اما الذين حازوا منها هذه النعمة في

غير الدائرة السنية فانهم يعدون بالعشرات والمئات وقد بلغ منها أن الضباط الانكليز الذين سافروا إلى الترانسفال مازالت مراكزهم في مصر محفوظة إلى الآن .

واجور القضاة الوطنيين فى المحاكم المختلطة اقل من ثلثى اجور زملائهم الافرنج والمحاكم المختلطة تطلب المساواة بين القضاة لكن الحكومة رعاها الله تأبى الابقاء الاجنبى ممتازاً .

ثم قذارة الشوارع الوطنية وظلامها الدامس ومثار غبارها صيفاً وتراكم وحولها شتاء وضيقها واعوجاجها بينما ترى الشوارع المأهولة بالاجانب يغالب ليلها النهار بساطع الانور وترتاح العين اذا شاهدت اتساعها وتنظيمها ونظفتها هى وحدها دليل كاف على بيان منزله كل من الاجنبى والوطنى لدى الحكومة .

فالحكومة هى التى تذل الوطنى اكثر مما تذله الامتيازات والحكومة هى التى تضغط عليه حتى تميت نفسه سواء كان بنسق التعليم بمدارسها وبالكيفية التى تعامله بها . وسكان الارض وأهل السماء يشهدون أن الحيف الذى يلحق بالمصريين من جراء الامتيازات التى يدعى الافرنج أنها حق لهم لامتيازات الاخرى التى مازالت حكومة مصر تتحف افرادهم بها لهى مما لا يطاق احتماله بل يسهل دونها احتمال كل ظلم واستبداد وجور ملم تعانه ولا تعانيه أمة تحت السماء. ولكن مجرد كون هذه الامتيازات ظلماً واستبداداً لا يقنع الدول الاوربية بالتنازل عن ما تدعيه أو عن بعضه لأنه لا يهمها العدل بين الناس فى غير بلاد ما فى الخارج فمطمع كل واحدة منها أعلاء شأن رعاياها وصيانة حقوقهم من الضياع فهى لا تتخلى عن أى ظلم صيرته المعهدات حقا لمجرد كون المصرى مظلوماً ومقهوراً .انما هى تتنازل اذا لقيت عزمٌ وحزماً فى المطالبة وضمنات اكيدة لحقوق رعاياها . واسوء الحظ أن حكومة مصر ليست بذات حزم وعزم بازاء الدول الاجنبية ولا يوجد حتى الآن فى مصالحه الضمانات الكفلة للحقوق العمومية والخصوصية. وعندنا انه اذا دام الاحتلال ألف عام وعام ودامت المصالح المصرية على ما هى فإن هذه الامتيازات ستظل على حالها ولو بلغت شكوى المصريين اذان السماء .

لنفرض جدلا أن مجلس النظار قرر مخابرة الدول بشأن هذه الامتيازات لثقلة على النفوس بعدما وثق من دولة الاحتلال أنها تؤيد الحكومة المصرية بمطالبها العادلة. ونفرض ايضاً أن الدول أوعزت إلى وكلائها السياسيين بقبول المخابرة مع الحكومة فاجتمع وكلاء الدول بسعادة ناظر الخارجية فى جلسة خصوصية لاجل المباحثة والمداولة. فلا ريب أن أول شئ يطلبه القناصل الضمانات الكافيه لصيانة حقوق رعاياهم. فهل توجد فى مصر هذه الضمانات؟ وبماذا يجيب عطوفة ناظر الخارجية مع ما أشتهر عنه من بلاغة الحجة وسرعة الخاطر اذا قال

احد القناصل فى الجلسة أن محافظ العاصمة وزع منشوراً لاجل صيانة الاعراض من الابتذال بالفسق والفجور ثم الغى هذا المنشور مع شدة حاجة المدينة اليه بعد ثلاثة ايام من نشره لانه لم يوجد من يحسن تنفيذه لان عمال البوليس وهم حرسة الامن العام فى كل بلاد صاروا يتخبطون فى معاملة النساء فلا يميزون بين حرة ومومسة فكانوا يحجزون كل امرأة رأوها فى طريقهم وأن كانت عجوزا دهرية، وقد قال فيهم أحد كتابكم البلغاء أنهم يقبضون عليها لان وجهها مكشوف "وان كانت عجوز جبهتها تنقد لهم سبعين عاماً وتخرج لهم من صندوق حدبتها عشرين قسيمة للطلاق" فعقب الالغاء رد فعل وانفجر بركان الفسق والفجور حتى كاد يجرف بسيله العرم كل عفاف وفضيلة يقفان فى سبيله .

ثم بماذا يجيب عطوفته ايضاً اذا أطلعه قنصل آخر على بعض الحكم التى ينطق بها ايضاً قنصل آخر على بعض الاحكام التى ينطق بها بعض القضاة وقال له انه وأن يكن نبغ بين قضاتكم افراد يفاخرون القضاة فى برلين فانه يوجد بعض منهم وأن كانو قلائل ممن نرى القانون بايديهم كالسيف فى يد المجنون فهل نترك رعايانا تحت رحمة هؤلاء الاغرار؟ . ثم قال قنصل اخر أن بعض حكامكم كانوا يفخرون بأنهم يتقنون معدات الرقص والابتذال استجلابا لرضى بعض المفتشين فيعلون وظائفهم ويزيدون أجورهم.ثم قام بعده قنصل آخر وأشار إلى نقيصة أخرى وآخر اوضح معيبه اخرى فبماذا يجيب ناظر الخارجية على كل ذلك وهل باستطاعته نفى هذه الحقائق وهم الضعيف من أذهان حضرات القناصل وهو الاقوياء واقناعهم بأن مصالح رعايهم مضمونة؟ أو انه ينسلّ من مجلسهم صامتاً على نحو ما يقولون "سلتة فرنسوية" .

نقول هذا على فرض ان السماء نفخت فى الدول الاجنبيه روح المساوة بين الاجناس والعدل فى معاملة الاخرين فكم بالخيرين والدول لا تطيق ذكر العدل والمساواة فى غير بلدها ونحن ليس لدينا الضمانات الكافية حتى نقنعه بأبطالها . فاذا كانت الحكومة المصرية يهمها راحة الرعايا ورفعهم من هوة الذل التى أهبطهم إليه الاجانب وزادت هى أيضاً فى هبوطهم فعليه أولا اصلاح المصالح المصرية على اختلاف اختصاصها وتغير نسق التعليم فى مدراسها ثم تبدأ هى برفع شأن رعاياها فلا تذلهم ولا تميز الاجنبى عليهم تمييزا يكسر قلوبهم ويميت عواطفهم فأذا فعلت هذا انتعشت نفوس الاهالى وصدقو أنهم بشر كالافرنج لهم نفوس أصلها من السماء ووقتئذ ربما تقتنع الدول بالتنازل عن هذه الامتيازات أو بعضها كما سبق فألغت كل دولة بيت بريدها لما اقتنعت باستقامة سير البوسطة المصرية، والا فلا خلاص من نير الامتيازات الاجنبية إلى الابد .

التعليق ....

حكومة مصر "فى عشرين عاما"

"حكومة مصر فى عشرين عاما" هو عنوان مقال كتبه المؤيد فى ٣ نوفمبر ١٩٠٠ لا يقدم فيه دراسة عن الحكومة المصرية بقدر ما يقدم فيه دراسة عن المالية والادارة والحالة العموميه فى مصر فى عشرين عام (١٨٨٠ – ١٨٩٩)، أى فى مطلع القرن العشرين. والمقال عبارة عن عرض لنشرة اصدرتها الحكومة – باللغة الانجليزية – عن خلاصة احصائياتها الرسمية وهى تشتمل على ثمانية وثلاثين جدولا عدديا فى جميع المصالح الاميرية وأنواع الإيرادات والمصروفات والديون إلى غير ذلك .

ويبدأ المؤيد – مقاله – بوصف الطباعة والتجليد الفخم للنشرة (أو الكتاب) ويذكر فى اسلوب ساخر أن هذا الكتاب يحق له أن يكون تحفة توضع فى البلاد الانجليزية لكى يفتخروا بما فيه من أيات التقدم الذى احرزته مصر فى الاعوام العشرين (١٨٨٠ – ١٨٩٩)، ويعتبر اصدار النشرة باللغة الانجليزية هو الدليل على نجلزة الحكومة والادارة فى مصر –وله الحق فى ذلك – .

لذا فهو يذكر بلغة ساخرة "ولم تعد تتنازل الحكومة لاصدار نسخة عربية منها ولعل ذلك أيضا من آيات التقدم التى يفتخر بها المحتلون على المصريين !! والاهم من ذلك هو أن يقوم المستر جورست Gorst –المستشار المالى– بكتابة مقدمة للنشرة تشتمل على ايضاح الغرض من كل جدول وبعض ملاحظات هامة وضرورية، وهو ما يحمل دلالة هامة وخطيرة عن مدى سيطرة المستشارين البريطانيين على الحكومة المصرية .

وبالنظر إلى النشرة ذاتها نجد أنها غاية فى الاهمية لأنها تحوى معلومات واحصاءات

هامة عن المالية والادارة والحالة العمومية فى مصر خلال عشرين عاما (١٨٨٨ - ١٨٩٩). فالنشرة تتناول عدد سكان مصر، وعدد الاجانب وعدد المدن البنادر، والاحوال الاجتماعية داخل المدن والقرى، وجملة ايرادات الحكومة العادية، والمال الاحتياطى العمومى والخصوصى، والضرائب، ومساحة الاراضى المزروعة، والاموال المقررة، والجمارك، وعوائد الملاحة، وايراد نظارة الحقانية، وايرادات السكك الحديدية، والتلغرافات، وميناء الاسكندريه، والبوستة، ثم تتناول حالة نظارة المعارف وعدد المدارس، والدين العمومى، والدين الباقى على مصلحة الاراضى العمومية، وعلى الدائرة السنية، وأيضا تورد النشرة ذكر المصارف والترع والسكك الزراعية التى تم انشائها خلال الفترة (١٨٨٠ - ١٨٩٩).

أما عن البيانات والاحصاءات التى تقدمها النشرة فنرى أنه من الافضل تقديمها فى جدول لتصبح ايسر واكثر تنظيما والجدول يقارن بين الارقام والاحصاءات فى أعوام ١٨٨٠ ، ١٨٩٩ .

	١٨٨٠	١٨٩٩		ملاحظات
جملة ايرادات الحكومة	٩،٠٠٠،٠٠٠ج	١١،٢٠٠٠٠٠	١١،٤٤٧،٠٠	
مجموع الاموال المقررة	٥،٤٢١،٠٠٠ج	٤،٨٣٥،٠٠٠		لاحظ النقص في الامــوال المقررة وقد بلغ ٥٧٠،٠٠٠ ج م
ضرائب الأطيان	٤،٩٨٩،٠٠٠ج	٤،٥٩٤،٠٠٠		
عدد الفدائن التي كانت تجبى عنها الضرائب	٤،٧٧١٦،٠٠٠ف	٤٩٦،٠٠٠ ،ف		هناك زيادة في زمام الاراضي المزرعة من ١٨٨٠ إلى ١٨٩٩ تبلغ ٩٨٠،٠٠٠ فـــدان أي حوالي ١٦ ٪ من اصل الزمام
عشور النخيل	١١٥،٠٠٠ج	١٠٣٠٠٠ج		
الاموال غير المقررة	١،٤٧٧،٠٠٠ج	٢،٧١٩،٠٠٠ج		زيادة ١،٢٤٢،٠٠٠ج نتيجة لنمو الفان معظمهما من ابراد نظارة الحقانية وبدل القرعة والعسكرية
الضرائب الأخرى التي لا تدخل ضمن الاموال المقررة وغير المقررة	٢٨١،٠٠٠	٨١٢،٠٠٠ج		
نصيب الفرد الواحد من جملة الضرائب	٨١٩مليما	١،١١٥ج		
الجمارك	٧٢٧،٠٠٠ج	٢،٠٩٣،٠٠٠ج		
قيمة ثمن الصادرات	١٢،٩٨٣،٠٠٠ج	١٥،٣٥١،٠٠٠ج	١٦،٧٦٦،٠٠ج	زيادة ٢،٣٦٨،٠٠٠ج وترجع الزيادة لغلو الاثمــــان بين العــــاملين زيادة تبلغ
الواردات	٦،٥٠٠،٠٠٠ج	١١،٤٤٢،٠٠٠ج	١٣،٩١٥،٠٠ج	٤،٨٩٢،٠٠٠ نتيجة لتحكم الاجانب في الســواق وجلب تجارتهم من الخارج
الدخوليات(*)	٢٣٨،٠٠٠ج	٢٠٧،٠٠٠ج		حجز قدره ٣١،٠٠٠ ناشئ من الغاء دخوليات ٢٩ بندرا صغيرا ١٨٨٥ حتى ١٨٩٣
ثمن الملح المباع والوارد لخزينة الحكومة	١٢٢،٠٠٠	١٨١،٠٠٠ج	٢٠٧،٠٠ج	
عوائد الملاحة والمعادي	٨٩،٠٠٠ج	٦٥،٠٠٠ج		والنقص راجع لانتشار السكك الحديدية ومد الخطوط الزراعية التابعة لبعض الشركات ضوعفت ثلاث مرات تقريباً، ومعظم الايرادات من
ايراد نظارة الحقانية	٢٨٢،٠٠٠ج	٦٦١،٠٠٠ج		
ايرادات السكة الحديد	١،٢٠٥،٠٠٠	٢،١١٢،٠٠٠ج	١،١٨٧،٠٠٠	
عدد الركاب بالسكة الحديد	٣،٠٨٦،٠٠٠	١١،٢٨٤،٠٠		

* الدخوليات : مفردها دخولية وهي نوع من الضرائب

	١٨٨٠	١٨٩٩		ملاحظات
مقدار البضائع التي تم نقلها من قبل وابورات السكك الحديدية	١,١٤٣,٠٠٠	٣,٠٥٦,٠٠٠		رسوم التسجيلات بالمحاكم المختلطة والرسوم القضائية المتحصلة بالمحاكم الاهلية نمو حركة التجارة في البلاد والقضاء على وسائط النقل الاخرى
الرسائل التلغرافية	٦٥٩,٠٠رسالة	٢,٩٩٤,٠٠٠		مما يدل على نمو المواصلات التجارية ويلاحظ أن نحو نصف الرسائل خاص بمصلحة السكة الحديد وحدها
ايراد ميناء الاسكندرية		١٣٢,٠٠٠ج		
حمولة السفن التجارية التي دخلت الميناء	٠,٠٩١,٠٠٠ط	٢,٢٦٢,٠٠٠ط		وفي هذه الارقام الهائله دليل على كثرة الواردات الاجنبية
حمولة السفن الشراعية	١٨٥,٠٠٠ط	١٣٠,٠٠٠ط		
عدد الرسائل المتبادلة داخل القطر المصرى	٣,٠٠٠,٠٠	١٣٠٠٠,٠٠٠		
عدد الرسائل المتبادلة خارج القطر المصرى	٨٣٧,٠٠٠	٢,٦٥٩,٠٠٠		
حوالات النقود المرسلة في داخل القطر المصرى	٤٠٠,٠٠٠ج	٢,٠٦٠,٠٠٠ج		
حوالات النقود المرسلة خارج القطر المصرى	٤١,٠٠٠ج	٢٩٤,٠٠٠ج		
جملة مكاتب البوسطة ونقط الطوافة	١٤٤مكتب	٨٨٧ مكتب		
عدد المدارس العليا التابعة لنظارة المعارف العمومية	من ١٠-١١م	٨مدارس		
عدد المدارس الاخرى	١٧مدرسة	٤١مدرسة		
عدد الكتاتيب التابعة لنظارة المعارف		٥٦كتاب		
عدد التلاميذ	٥٠٠٠	١٠٠٠٠		
عدد المعلمين	٢٩٢معلم	٤٢٦		

وبخلاف الاحصاءات التي بالجدول فإنه يحوى الكثير من المعلومات الاخرى الهامة، اهمها زيادة زمام الاراضى المنزرعة بالقطر المصرى من عام ١٨٨٠ إلى ١٨٩٩، نحو ٧٨٠ ألف فدان، هى أكثر من ١٦٪ من أصل الزمام. وأيضا زيادة رسم الدخان فى عام ١٨٩٠ عند الغاء زراعته بالقطر من ١٤ قرشا إلى ٢٠ قرشا عن الكيلو جرام الواحد، وبلغ صافى ايراد هذه المصلحة بعد مصروفاتها فى عام ١٨٩٩ ، ١,٩١٨,٠٠٠ ، هو يعادل ٨٪ من الايراد تقريبا. وتعد مسألة منع زراعة الدخان من أبرز مظاهر سياسة الاحتلال، فى تحويل مصر إلى بلد متخصص فى زراعة القطن لتخدم مصانع انجلترا، ومن ناحية أخرى تستورد البضائع الانجليزية ومن ابرزها المنسوجات والدخان .

تلك كانت احوال البلاد المصرية المالية والادارية فى العشرين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر (١٨٨٠ - ١٨٩٩) أما عن تلك الأحوال فى عام ١٩٠٠ فكانت كالتالى : حسبما يذكر تقرير كرومر لعام ١٩٠٠٠ -

* بلغت الايرادات	١١٤٤٧٠٠٠	ج.م
* ومنح صندوق الدين الحكومة	٢١٦٠٠٠	ج.م
فتصبح الجملة	**١١٦٦٣٠٠٠**	**ج.م**
* فى حين بلغت المصروفات	١١١٠٤٠٠٠	ج.م
* أما المال الاحتياطى العمومى فكان	٣٥٢٢٩٠٠٠	ج.م
* أما المال الاحتياطى الخصوصى	٨٠٩٠٠٠	ج.م
* اما القيمة الاصلية للدين المصرى فكانت	١٠٢٧١٤٠٠٠	ج.م

وبالنظر إلى مصادر الايرادت بالحكومة المصرية نجد أن أبرزها ما يلى :

* ابرادات السكك الحديدية	١٢٤٣٠٠٠	ج.م
* ايرادات مصلحة التلغرافات	٦٥٠٠٠	ج.م

كانت عدد التلغرافات التى دفعت أجرتها فى عام ١٩٠٠ كالتالى

* التلغرافات العربية ٦٧٨٤٩٦

* التلغرافات الافرنجية ٦١١٧٨٤

فيكون المجموع ١٢٩٠٢٨٠

* ايرادات رسوم الفنارات ٨٥٠٠٠ ج.م

* ايراد الملح ٢٠٧٠٠٠ ج.م

بحيث كانت كمية الملح المباع ٤٨٦٩١ طن

* وقد كان صافى ايراد مصلحة البوستة (بعد خصم المصروفات) ٢٦٧٠٧ ج.م

* وقد بلغت قيمة النقود الورقية التى تتدوالها أيدى الناس ١٠٠٠٠٠ ج.م

* أما فيما يخص التجارة فقد بلغت قيمة الورادات ١٤١١٢٠٠ ج.م

فى حين بلغت قيمة الصادرات ١٦٧٦٦٠٠٠ ج.م

وتلك كانت الحالة المالية والادارية فى مصر عام ١٩٠٠ .

حكومة مصر

فـى عـشرين عـامـا (*)

الارقام تبدد جيوش الاوهام، فهى المشكاة التى يستعين بنورها كل عامل للاطلاع على نتائج أعماله فى عام من ربح أو خسارة فيستزيد من الاول ويزيل أسباب الثانى. وحكومات البلاد المتمدنة تصدر الاحصائيات الرسمية عن أعمال مصالحها وما يتعلق بمنافع الامة والبلاد ليقف منها الشعب على الحقيقة حركة التقدم فى سير الحكومة وفى نظام البلاد .

وبين أيدينا الان الطبعة الثانية من نشرة أصدرتها الحكومة حديثاً باللغة الانكليزية عن خلاصة احصائياتها الرسمية وهى تشتمل على ثمانية وثلاثين جدولا عدديا فى جميع المصالح الحكومية الاميرية وأنوا ع الايرادات والمصروفات والديون إلى غير ذلك من الفوائد المهمة .

وقد طبع هذا الكتاب طبعاً متقنا بديعا بمطبعة بولاق الاهلية وجلد تجليدا حسنا حتى يخاله الرائى تحفة لم تصدرها الحكومة الا لتحفظ فى مكاتب أولى الامر فى هذه الديار وفى البلاد الانكليزية لكى يفتخروا بما فيها من آيات التقدم الذى أحرزته مصر فى الأعوام العشرين الماضية ناسبين كل الفضل لهم كما هى عادتهم غير تاركين للمصرى نصيبا من الفخر حتى ولا مجرد الاطلاع على هذا الكتاب الانكليزى الرسمى. ولعمرى لقد تكلنزت الحكومة فى كل شئ حتى أصبحت احصائياتها الرسمية بالانكليزية ولم تعد تتنازل لاصدار نسخة عربية منها وهذا مما يقضى بالعجب العجاب ولعله أيضا من آيات التقدم التى يفتخر بها المحتلون على المصريين.

أما الكتاب فمصدر بمقدمة للمستر غورست المستشار المالى تشتمل على ايضاح الغرض من كل جدول وبعض ملاحظات لابد منها لمن يطلع على مباحث الكتاب .

وقد تصفحنا هذه الجدوال بما تستحقه من الالتفات ورأينا أن نقدم لقرائنا خلاصة

(*) المؤيد ٣ نوفمبر ١٩٠٠

وجيزة منها اذ لو أردنا أن نلاحظ على كل شئ وأن نرجع إلى الوراء عشرين عاما في كل خطوة وفي كل نقطة لاحتجنا إلى مجلدات فنكتفي بأن نقول هنا ما خلاصته .

يتبين من الجدول الاول الخاص بتعداد السكان، أن سكان القطر المصرى كانوا في سنة ١٨٨٢ ستة ملايين ونيفا وثمانمائة ألف نسمة (اخترنا أن نذكر الاعداد كتابة لتكون أكثر أثباتا من الاصفار والارقام) فاصبحوا في سنة ١٨٩٧ التى عمل فيها التعداد الاخير تسعة ملايين وما ينيف على ثلاثة أرباع المليون ومتوسط الزيادة السنوية من عدد السكان على هذا المعدل بلغت ٢,٩ فى المائة وكان الاجانب يقربون من واحد وتسعين ألفا فاصبحوا مائة وثلاثة عشر ألفا أى بزيادة سنوية تبلغ ١,٦ فى المائة .

وكان عدد المدن والبنادر والقرى والكفور والعزب الخ ثلاثة عشر ألفا فاصبح ثمانية عشر ألفا أى بزيادة سنوية تبلغ ٢,٥ فى المائة .

وتوجد الآن بالقطر المصرى احدي عشرة مدينة يزيد سكان كل منها عن ثلاثين الف نسمة. هذا ويظهر أن سكان الوجه القبلي أسرع تكاثرا من سكان الوجه البحرى بدليل أن نسبة الزيادة السنوية فى الأول ٣ فى المائة وفى الثانى ٢,٨ فى المائة على أن الذى لا يأخذ الأمور بظواهرها يتضح له أن معظم هذا الفرق ينسب في الحقيقة لتأثير المدن على الوجه البحرى وعلى الاخص مدينتي القاهرة والاسكندرية (لانها تعتبران منه) فإن متوسط الزيادة السنوية في عموم المدن هى بنسبة ٢,٨ فى المائة سنويا فقط مع ما هو معلوم من كثرة توراد الريفيين للسكن بالمدن وعلى الاخص مدينة القاهرة التى اصبحت اليوم محطاً لرحال كل من ضاق به الحال من فقراء الريف حيث يفد عليها للارتزاق بالمتاجرة في السلع الحقيرة أو الاستخدام والعمل. وكذلك صارت مركزا لكل من أثرى من الناس حيث يأتى ليتخذها مقرا دائما له ولاسرته وبذلك ترى طبقة الاعيان الحقيقية التى تعمر الارياف في نقص دائم كل عام .

وإذا ضفت إلى هذا أن معظم الزيادة فى عدد الاجانب طارئة على المدن عجبت لقلة نمو سكانها بالنسبة لسكان الارياف مع أولئك لا ينسب نموهم لغير سبب التكاثر الطبيعى وهو التناسل .

فلابد اذن من علة جوهرية مستحكمة فى المدن أثرت هذا التأثير السئ فى نمو سكانها ولم تسر هذه العلة في الارياف بعد حتى قلة اقدام شبان المدن على الزواج كما هو حالهم فى

الارياف فإنك ترى الشاب في عموم الارياف المصرية لا يكاد يبلغ سن الحلم حتى يتزوج على اننا نرى من شبان المدن من يتجاوز الثلاثين من عمره وهو أعزب وعلى العموم فانه قل أن يتزوج شاب من شبان المدن قبل الخامسة والعشرين من عمره .

والاعتصام فى الارياف من أهم نتائج هذا المبدأ وعكسه فى القاهرة وبعض المدن فقد بلغ الفساد مبلغا لم يشاهد فى كثير من البلاد الاجنبية حتى لقد عثروا فى يوم واحد علي ثلاثة عشر لقيطاً فى جوانب القاهرة .

وفى هذا فضلا عن الخسارة الاجتماعية التى منشؤها قلة التناسل المؤدى إلى انقراض الأمة شيئاً فشيئاً خسارة مالية كبرى وخسارة ادبية ترجع إلى فقدان الشعور الادبى وقعود الهمة. وفى هذا متسع عظيم للبحث على أن المقام ضيق والارقام الاخرى متكاثرة امامنا .

والجدول الثانى يتضح من تصفحه أن جملة ايرادات الحكومة العادية بلغت فى سنة ١٨٩٩ احد عشر مليوناً ومائتى آلف جنيه وكانت في سنة ١٨٨٠ نحو التسعة ملايين والموجود تحت تصرف الحكومة من المال الاحتياطى العمومي والخصوصي وموراد اخرى (معظمها أثمان ما بيع من آراضى الميرى) بلغ فى السنة الماضية مليونا واربعمائة وخمسة وسبعين ألفا . والايرادات غير الاعتيادية مما أضيف مباشرة على حساب المال الاحتياطي والعمومي والخصوصى بلغت ثلاثمائة وتسعة وثمانين ألفا فجملة ايرادات الحكومة الاعتيادية وغير الاعتيادية بخلاف ما هو تحت تصرفها من الاحتياطى بلغت فى العام المذكور احد عشر مليونا وستمائة ألف جنيه .

وقد كان مجموع الاموال المقررة فى سنة ١٨٨٠ خمسة ملايين وأربعمائة واحدا وعشرين ألف جنيه فبلغت في سنة ١٨٩٩ أربعة ملايين وثمانمائة وخمسة وثلاثين ألفا أى أنها نقصت فى مدى عشرين عاما خمسمائة وسبعين ألف جنيه كلها رفعت عن عاتق الاهالى .

فمن هذه الاموال كانت ضرائب الاطيان في سنة ١٨٨٠ أربعة ملايين وتسعمائة وتسعة وثمانين ألف جنيه تجبى من أربعة ملايين وسبعمائة وستة عشر ألف فبلغت الضرائب فى السنة الماضية أربعة ملايين وخمسمائة وأربعة وتسعين ألف جنيه تجئ من خمسة ملايين وأربعمائة وستة وتسعين ألف فدان .

أى أن زمام الاراضى المزروعة بالقطر المصرى زاد من سنة ٨٠ إلى ٩٩ نحو سبعمائة وثمانين ألف فدان وهى أكثر من ١٦ فى المائة من أصل الزمام ومع ما فرض من الضرائب الجديدة على الاطيان التى لم تكن منزرعة من قبل فان جملة المتحصل من الضرائب فى سنة ٩٩ ينقص عن المتحصل فى سنة ٨٠ بمقدار ثلثمائة وخمسة وتسعين ألف جنيه ولكن الذى انخفض فعلا من الضرائب فى هذه المدة يبلغ نحو خمسمائة وأربعة وستين ألف جنيه رفعتها الحكومة عن عاتق الاهالى فى سنى ٩١ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٨

ومما يحسن ذكره أن الحكومة تجاوزت من سنة ١٨٨٠ إلى سنة ١٨٩٨ عما ينيف عن مليون جنيه وربع من الاموال المتأخرة على الاهالى .

أما أنواع الاموال المقررة الأخرى فعشور النخيل وهى فى نزول يكاد يكون مطرداً من سنة ١٨٨٠ للسنة الماضية حيث كانت مائة وخمسة عشر ألف جنيه فصارت مائة وثلاثة آلاف جنيه . وأما عوائد المبانى فأرقامها كثيرة الاضطراب بين هبوط وصعود ولكن النتيجة النهائية صعود عظيم ولا عجب فى ذلك مع ما هو مشاهد من نمو المبانى وتكاثرها فى المدن لدرجة مدهشة هذا فضلا عن أنه لم تفرض على منازل الافرنج عوائد المبانى الا فى سنة ١٨٨٧ .

وأما الضرائب الاخرى المتفرقة التى تدخل فى نوع الاموال المقررة نتيجتها النهائية سارة فقد توالى فيها الالغاء من سنة ١٨٩٠ إلى الآن حيث ألغيت عوائد الصنائع واستبدلت بالباطنطا ثم الغيت عوائد ضريبة الاطيان المنزرعة دخانا فى سنة ١٨٩١ بسبب ابطال زراعة الدخان وألغيت أيضا عوائد الاغنام ثم ألغيت الباطنطا فى سنة ١٨٩٢ وأخيراً ألغيت عوائد العربات والخيول فى القاهرة فانحسرت موارد الاموال المقررة الآن فى ثلاثة أصول ضرائب الاطيان وعوائد المبانى وقد كان متوسط ما تحصله الحكومة سنويا من هذخ الضرائب المتفرقة التى ألغتها نحو مائتين وعشرة آلاف جنيه .

أما الاموال الغير مقررة بأنواعها فكانت فى سنة ١٨٨٠ مليونا وأربعمائة وسبعة وسبعين ألف جنيه فأصبحت مليونين وسبعمائة وتسعة عشر ألفا أى أنها زادت مليونا ومائتين واثنين وأربعين ألف جنيه وهذه الزيادة نابعة لزيادة نمو السكان وارتقاء المدينة والعمران وازدياد الحاجيات الاساسية والكمالية :

وقد بلغت الضرائب الاخرى التى لا تدخل ضمن الاموال المقررة والغير مقررة ومعظمها

من ايراد نظارة الحقانية وبدل القرعه العسكرية فى العام الماضى ثمانمائة واثنى عشر ألف جنيه وكانت فى سنة ١٨٨٠ مائتين وواحد ثمانين ألفا .

فجملة الاموال التى حصلتها الحكومة في العام الماضي من الضرائب على انواعها ثمانية ملايين وثمانمائة وستة وستين ألف جنيه اذا وزعت على عدد سكان القطر يبلغ ما يصيب كلا منهم فى السنة ثمانمائة وتسعة عشر مليما وكان هذا المتوسط فى سنة ١٨٨٠ جنيها واحدا ومائة وخمسة عشر مليما .

اما تفصيل ما أجملناه عن ايرادات الاموال الغير المقررة فهو كما يأتى :

أهم فروع الاموال الغير مقررة الجمارك فالدخوليات فالملح وعوائد مصائد الاسماك وعوائد المعادى والتمغة وضرائب أخرى متفرقة .

فالجمارك بلغت ايراداتها فى سنة ٩٩ مليونين وثلاثة وتسعين ألف جنيه منها مليون وثمانية وستون ألفا من صنف الدخان وحده والباقى وقدره مليون وخمسة وعشرون ألف جنيه من بقية الاصناف الاخرى. وكانت جملة ايرادات الجمارك فى سنة ١٨٨٠ سبعمائة وسبعة وعشرين ألف جنيه .

وقد زيد رسم الدخان فى سنة ١٨٩٠ عند إلغاء زراعته بالقطر المصرى من ١٤ قرشاً إلى ٢٠ قرشاً عن الكيلو جرام الواحد .

وبلغ صافى ايراد هذه المصلحة بعد مصروفاتها فى العام الماضى مليونا وتسعمائة وثمانية عشر ألف جنيه وعلى هذا فالمصروف يقدر بثمانية فى المائة من الايراد .

ومما هو مشاهد أن جملة الرسوم الجمركية المتحصلة عن الصادرات فى العام الماضى تنقص عما تحصل فى سنة ١٨٨٠ بنحو سبعة عشر ألف جنيه مع أن قيمة ثمن الصادرات فى العام الماضى تزيد زيادة محسوسة عن صادرات عام ١٨٨٠ حيث تبلغ الاولى خمسة عشر مليوناً وثلاثمائة واحد وخمسين ألف جنيه والاخيرة اثنى عشر مليوناً وتسعمائة وثلاثة وثمانين ألفاً فالزيادة الحالية تبلغ مليونين وثلاثمائة وثمانية وستين ألفا .

ولعل معظم هذه الزيادة فى قيمة الصادرات ينسب لغلو أثمانها الآن عما كانت عليه فى سنة ١٨٨٠ أو لكثرة التجارة على أن معظم هذه الصادرات من القطن فان المتصدر منه وحده

يقدر بأحد عشر مليوناً وخمسمائة وثمانية وتسعين ألف جنيه أى أكثر من ثلاثة أرباع عموم الصادرات وكذلك يصدر من السكر مقدار ليس باليسير يقدر ثمنه علي حساب السنة الماضية بستمائة وأربعة وستين ألف جنيه .

أما الورادات فأنها أخذت تزيد زيادة مطردة هائلة من سنة ١٨٨٠ للان حيث كانت فى تلك السنة تقدر بستة ملايين وخمسمائة ألف جنيه فأصبحت فى العام الماضى تقدر بأحد عشر مليونا واربعمائة واثنين واربعين ألف جنيه فالزيادة تبلغ أربعة ملايين وثمانمائة واثنين وتسعين ألف جنيه أى بمعدل مائتين وستة وأربعين ألفا وليس بعد هذا دليل على أن الاجانب أصبحوا قادة أسواق القطر المصرى وبيدهم زمام تجارته يديرون دفتها كيف شاؤا لشدة تنبههم لترويج متاجرهم بهذه الديار بخلاف الوطنيين فإنهم قاعدو الهمم عن نشر متاجرهم بأسواق العالم يقنعون بميسور الرزق وليسوا بذوى العزيمة الشماء التى تذلل الصعاب وبقى للافرنج المجال الواسع فى الشرق والغرب ينشرون متاجرهم فتاتيهم بالربح الوفير على أن ما ينيف على ثلاثة أرباع الصادرات من صنف القطن كما تقدم القول تجارته بيد الاجانب كما هو مشاهد معلوم وتكون النتيجة انه فضلا عن اكتساب الاجانب تجارة الواردات فإن معظم تجارة الصادرات لا تعود بالربح الا عليهم، وهذه حال ما بعدها حال فى التعاسة ضاع بها الوطنى فى طريق هذا السبيل العرم من الاجانب الذين تمكنوا بجهدهم واجتهادهم وخمولنا وكسلنا من الاستئثار بخيرات البلاد .

ويلى الجمارك فى الأهمية الدخوليات وقد بلغ دخلها فى سنة ١٨٩٩ الماضية بعد المصروفات (التى بالثنى عشر فى المائة من أصل الايراد مائتين وسبعة آلاف جنيه وكان هذا الايراد الصافى فى سنة ١٨٨٠ مائتين وثمانية وثلاثين ألف جنيه والعجز وقدره واحد وثلاثون ألف جنيه ناشئ من الغاء دخوليات تسعة وعشرين بندراً صغيراً من سنة ١٨٨٥ لغاية سنة ١٨٩٣ ومن اضافة ايردات دخوليات اسكندريه لحساب مجلسها البلدى وحبذا لو تيسر للحكومة الغاء الدخوليات بالمرة فقد أصبحت عبئا ثقيلا على عاتق سكان المدن لما هو ناشئ عن وجودها من غلو جميع حاجاتهم حتي أصبحوا وهم يغبطون أهل الريف لرخص هذه الحاجيات وتوفرها لديهم وأن لم يكن ذلك فعلى الاقل ينشأ في كل مدينة من مدن القطر المصرى مجلس بلدى وخصوصاً لعاصمة البلاد وتعطى ايرادات دخوليات كل مدينة لمجلسها لما يترتب على ذلك من نظافة البلد والاعتناء

بصحأهلها.

أما الملح فقد بلغ جملة ما بيع منه في العام الماضي خمسين ألف طونيلاته وجملة ما ورد لخزينة الحكومة من ثمنه مائة وثمانين ألف جنيه وكان في سنة ١٨٨٠ مائه واثنين وعشرين ألف جنيه وذلك رغما عن تخفيض اربعين في المائة من ثمنه منذ سنة ١٨٩٢ أما عوائد مصائد الاسماك فأرقامها مضطربة بين الزيادة والنقص وذلك لانها تعطى بالمزايدة والمزايدة تابعة لحالة الموسم المنتظرة .

أما عوائد الملاحة و المعادى فقد نقصت ايراداتها من تسعة وثمانين ألف جنيه في سنة ١٨٨٠ إلى خمسة وستين ألف جنيه في العام الماضي . وهذا النقص تابع لزيادة انتشار سكك حديد الحكومة والشركات التي مدت الخطوط الزراعية الضيقة مع ما فيها من صيانة البضائع وسرعة نقلها إلى درجة لابد وأن تكون القاضية علي الملاحة النيلية. وهذا من جهة وللتجار رأى آخر في ذلك كما أشارت إليه غرفة التجارة الانكليزية باسكندرية في نشرتها هذا العام فإنها ترى أن الحكومة تعاكس الملاحة النيلية وتضع في سبيلها العقبات بكثرة الكبارى وفرض عوائد على مرور المراكب من الهويسات لتزيد في ايراد السكة الحديد مع أن ذلك يعرقل تقدم التجارة لأن البضائع تنقل بواسطة المراكب بقيمة زهيدة تقلل في أثمانها وتساعد على كثرة المبيع منها.

هذا وجملة ما خفضته الحكومة للآن من أنواع الضرائب الغير المقررة يبلغ مائة وخمسين ألف جنيه .

أما ايراد نظارة الحقانية فقد بلغ في سنة ١٨٩٩ ستمائة وواحدا وستين ألف جنيه وكان في سنة ١٨٨٠ مائتين واثنين وثمانين ألف أى أنها ضوعفت ثلاث مرات تقريبا ومعظم هذا الايراد من رسوم التسجيلات بالمحاكم المختلطة التي بلغت في العام الماضي ثلاثمائة وثمانية وسبعين ألف جنية والرسوم القضائية المتحصلة بالمحاكم الاهلية وقد بلغت مائة وتسعة وعشرين ألف جنية مما يدل على كثرة القضايا والمشاكل بين الافراد وازديادها يوما بعد يوم .

وكانت ايرادات السكة الحديد في سنة ١٨٨٠ مليونا ومائتين وخمسة آلاف جنيه فبلغت في سنة ١٨٩٩ مليونين ومائة واثنى عشر ألف جنيه رغما عن تخفيض أجرة السفر في بحر تلك المدة. وقد بلغ صافي الايراد بعد المصروفات والاقساط المسددة من ديون المصلحة مليونا

وخمسة وستين ألف جنيه .

ومما هو حرى بالنظر أن جملة ما كان ممتدا من السكك الحديدية المصرية فى القطر المصرى لغاية سنة ١٨٨٨ تسعماية وأربعة وأربعون ميلا .

فبلغت فى سنة ١٨٩٩ ألفا ومائيتن وستة عشر ميلا أى بزيادة مائتين واثنين وسبعين ميلا. ومن الفكاهة أنه مد فى كل عام ١٨٩٩ ميل واحد فقط. وامتداد السكك الحديدية دليل حسى ظاهر على زيادة حركة العمران والتقدم فى البلاد وأوضح منه دليلا ازدياد عدد الركاب ومقادير البضاعة فان عدد الركاب في سنة ١٨٨٠ كان ثلاثة ملايين وستة وثمانين ألف مسافر .

فبلغ فى سنة ١٨٩٩ أحد عشر مليونا ومائتين وأربعة وثمانين ألفا. وكانت مقادير البضائع التى نقلتها وابوارات السكة الحديدية فى سنة ٨٠ مليونا ومائة وثلاثة وأربعين آلف طونيلاته. فبلغت فى السنة الماضية ثلاثة ملايين وستة وخمسين ألفا وهذا دليل على نمو حركة التجارة فى البلاد والقضاء على وسائط النقل الاخرى مع اختلاف الحالتين بين سرعة وصيانة وأمانة وغلو وبين بطء وخطر ورخص .

وقد كانت الرسائل التلغرافية فى سنة ١٨٨٠ ستمائة وتسعة وخمسين ألف فوصلت فى سنة ١٨٩٩ إلى مليونين وتسعمائة وأربعة وتسعين ألفا وهى زيادة هائلة تثبت ما نحن بصدده من نمو المواصلات التجارية. وليلاحظ أن نحو نصف هذه الرسائل خاص بمصلحة السكة الحديد وحدها . وكان طول الاسلاك البرقية لغاية سنة ١٨٩١ خمسة آلاف وأربعمائة وتسعة وعشرين ميلا فبلغ فى سنة ١٨٩٩ تسعة آلاف وثلاثمائة وأربعة وعشرين ميلا .

وكان الاعتماد فى أجر التلغرافات على المنطقة المرسل فيها التلغراف لغاية سنة ٨٧ فكانت أجرة كل عشر كلمات ما بين اسكندرية والقاهرة خمسين مليما والاسكندرية وأسيوط مائة مليم وهكذا فى الزيادة حتى تصل إلى ثلاثمائة وخمسين مليما عن كل عشر كلمات ما بين اسكندرية والخرطوم فابطل كل هذا وصار الى ما هو عليه مما هو معلوم عند العموم .

وبلغ صافي ايراد ميناء الاسكندرية فى السنة الماضية مائة وثلاثة وثلاثين الف جنيه بعد خصم المصروفات التى بلغت عشرين فى المائة من الايراد الاصلى. وبلغت حمولة السفن التجارية التى دخلت الميناء في السنة الماضية مليونين ومائتين واثنين وستين ألف طونيلاته وكانت فى عام ١٨٨٠ مليونا واحدا وتسعة آلاف طونيلاته وبلغت حمولة السفن الشراعية مائة وثلاثين

ألف طونيلاته وكانت في سنة ٨٠ مائة وخمسة وثمانين الف طونيلاته وفيه تغلب ظاهر للبخار على الشراع. وفي هذه الارقام العظيمة دليل على كثرة الواردات الاجنبية إلى هذه البلاد. وهذا وأن كان من ضروريات احتكاك المصالح التجارية والاجتماعية إلا أن مما يؤسف عليه أن كثيرا من هذه الواردات من أنواع محصولات البلاد الطبيعية وفي الامكان الاستغناء عن وروده من الخارج اذا بذلت العناية في أنمائه بالقطر المصري .

وكان عدد الرسائل المتبادلة في داخلية القطر المصرى فى سنة ١٨٨٠ نحو ثلاثة ملايين فأصبح فى العام الماضى نحو ثلاثة عشر مليونا أى أن معدل الزيادة نحو نصف مليون رسالة سنويا ولكن من سنة ١٨٨٩ لغاية ١٨٩٠ بلغت الزيادة مليونين نظراً لتخفيف أجرة الخطابات إلى نصف ما كان يؤخذ فى ذلك الوقت. وكانت الرسائل المتبادلة للخارج ثمانمائة وسبعة وثلاثين ألفاً فى سنة ١٨٨٠ فبلغت في سنة ٩٩ مليونين وستمائة وتسعة وخمسين ألفا -وبلغت قيمة حوالات النقود المرسلة فى داخلية القطر فى السنة الماضية مليونين وستين ألف جنيه وكانت فى سنة ٨٠ نحو أربعمائه ألف جنيه فقط وبلغت قيمة الحوالات المتبادلة فى الخارج مائتين وأربعة وتسعين ألف جنيه وكانت في سنة ٨٠ واحدا وأربعين ألفاً فقط وبلغت جملة مكاتب البوسطة ونقط الطوافة فى السنة الماضية ثمانمائة وسبعة وثمانين مكتباً ونقطة وكانت مائة وأربعة وأربعين فقط فى عام ١٨٨٠ .

وبلغ عدد المدارس العليا التابعة لنظارة المعارف العمومية في سنة ٩٩ ثمان مدارس فقط وكانت فى سنة ٨٠ تختلف من إحدى عشرة إلي عشرة ما بين سنة ٩٠ و ٩٨ وأما عدد المدارس الاخرى فاحدى وأربعون وكانت فى سنة ٨٠ سبعة عشرة ثم زادت إلى أن وصلت إلى ٥٠ مدرسة فى سنة ٩٥ (السنة التى كان فيها دولتلو رياض باشا ناظراً للمعارف فى المرة الاخيرة) ثم رجعت القهقرى حتى وصلت إلى عددها الحاضر. وكان عدد الكتاتيب التابعة لنظارة المعارف سبعين فى سنة ٩٠ ثم نقص إلى أن وصل إلى ستة وأربعين فى سنة ٩٦ وزاد ثانية إلى ستة وخمسين فى سنة ٩٩. وكان عدد التلامذة فى سنة ٨٠ نحو خمسة آلاف وبلغت أقصى الزيادة فى سنة ٩٤ حيث بلغ هذا العدد أحد عشر ألفا وثلاثمائة ثم هبط تدريجيا إلى عشرة آلاف وأربعمائة فى السنة الماضية. على أن عدد المعلمين فى ازدياد مطرد فقد كانوا فى سنة ٨٠ مائتين واثنين وتسعين فبلغوا فى السنة الماضية سبعمائة وستة وعشرين أى أن لكل أربعة عشر

تلميذاً معلما واحدا، أما المصروفات ففي زيادة تكاد تكون مطردة أيضا الا فى بعض السنين وذلك بعدما يدخل إلى خزينة النظارة من أجور التلامذة وريع الاوقاف إلى غير ذلك مما لم يكن يردها قبل سنة ١٨٩٠ ولا عجب فى زيادة مصاريف هذه النظارة اذا نظرنا إلى البذخ المشاهد فيها وفى كل فروعها والمرتبات الباهظة التى تدفع إلى المدرسين الانكليز الذين ملؤا جوانب المدارس فضلا عن الادوات الانكليزية التى تحسب على النظارة بالشئ الكثير العجيب. ولا تظهر من وراء هذه الارقام ذلك النجاح الباهر الذى كان ينتظر فى المدارس الاميرية مع ما هو مشاهد من ازدياد تنور الاهالى واقدامهم على تربية أبنائهم والظاهر أن المدارس الاهلية الجديدة التى أنشئت حديثا حازت بعض ثقة الاهالى فاكتفوا بها عن مدارس الحكومة ومافيها من ضروب العسف والمضايقة وهذا يظهر من نقص عدد التلامذة من سنة ٩٤ بنسبة تكاد تكون مطردة.

هذا وبلغ الدين الباقى على مصلحة الاراضى الاميرية لغاية أول يناير سنة ٩٩ ثلاثة ملايين ومائتين وأربعة عشر ألف جنيه وجملة الزمام الباقى لها مائتان وخمسة آلاف فدان .

والدين الباقى على الدائرة السنية من أول يناير سنة ٩٩ ستة ملايين وثلاثمائة وسبعة آلاف جنيه ومقدار أطيانها اذ ذاك مائتان وأربعون ألف فدان، وقد استخرج من فاوريقاتها مليون وثلاثمائة وواحد وعشرون ألف قنطار سكر فى العام الماضى .

وحالة الدين العمومى على أنواعه لغاية السنة الماضية تبلغ مائة وثلاثة ملايين وتسعة وأربعين ألف جنيه والمستهلك منه سبعة ملايين واثنان وسبعون الفا فالباقى ٩٥ مليونا و ٩٧٧ ألفا .

وبلغ طول ما أنشئ فى القطر المصرى من المصارف منذ سنة ٨٤ – ٢٩٣٧ كيلو مترا ومن الترع ٣١٥٣ كيلو مترا وما أنشئ من السكك الزراعية وكان البدء فى عملها سنة ٨٩ – ٢٠٨١ كيلو مترا .

هذا ما استخلصناه بعد العناء الشديد من الاحصائيات التى أبرزها المستر غورست وهى ليست الا أرقاما مرصوصة مرصوفة مرتبة فصلناها للقراء تفصيلا دقيقا ولم ننظر اليها كما فعل غيرنا نظرا سطحيا بل أنصفنا الحكومة فى الصالح الطيب منها ولاحظنا اجمالا على ما يلاحظ عليه فيها فنبهنا بذلك القراء إلى معنى الاحصائية وما حوته من الفوائد والمرامى .

التعليق ....

الجلوس السلطانى

سبق القول أن مصر ظلت تابعه للدوله العثمانيه منذ الفتح العثمانى ١٥١٧م وحتى ١٩١٤م وهو تاريخ اعلان الحماية البريطانية على مصر عشية الحرب العالمية الاولى، وبذلك الغيت السيادة الاسمية التى كانت للدولة العثمانية على مصر .

وفى عام ١٩٠٠ كان الاحتفال بعيد الجلوس الفضى للسلطان عبدالحميد الذى تدور حوله الخلافات والاختلافات الشديدة، على كل الاحوال وقبل أن نخوض هذا الموضوع، نعرض لثلاث صحف مصريه تحدثت عن هذا العيد وأخترناها كنماذج للصحف المصرية لتوضيح رؤيتها لهذا الحدث اولها :

- **صحيفة مصر** : وهى صحيفة رأت مشاركة المسلمين فى الاحتفال بهذا الحدث كجزء من رد الجميل للسلطان عبدالحميد الذى قدم خدمات جليله للاقباط سواء فى القدس التى تقع تحت السيطرة المباشرة للدوله العثمانيه أو للاقباط فى بقية الاقطار العثمانيه راجيه استمرار تلك الرعاية، ولكن ما يلفت النظر استخدام مصطلح "الأمة القبطية" وهو مصطلح خطير له دلالته .
- **صحيفة المقطم** : وهى الصحيفه التى اسسها الشوام الذين هاجروا لمصر هربا من الحكم العثمانى، وعرفت بولائها الشديد للانجليز ومعاداة الحركة الوطنيه المصرية، وكذلك العداء للدوله العثمانيه، لذا فقد ترجمت مقاله لجريدة عثمانيه معارضة تهاجم السلطان عبدالحميد وكذلك تهاجم فيه الدولة العثمانيه وما حاق بها من خسائر، وتبين فضل الانجليز كأصحاب الفضل على استمرار الدوله وأنهم بدأو فى دفع ايديهم عن مساعدتها لأنها ترفض الاصلاح. والمقال يتفق تماما مع سياق الجريدة واتجاهها .
- **صحيفة المؤيد** : وهى لسان حال الخديو عباس حلمى والحركة الوطنية المصريه حتى ذلك الوقت ، ولذلك فهى معروفه بولائها للسلطان العثمانى ضد الاحتلال الانجليزى وهى تدعو فى الوقت نفسه للارتباط بين عباس حلمى خديو مصر وبين عبدالحميد سلطان العثمانيين جمعاء .

السلطان عبد الحميد

تولى الحكم بسبب جنون اخيه السلطان مراد، حيث اجتمع الوزراء والعلماء والامراء والذوات والاعيان واستفتوا شيخ الاسلام وكانت صورة الفتوى كالتالى

صورة استفتاء الوزراء في وجوب خلع السلطان مراد خان الخامس .

اذا جن امام المسلمين جنونا مطبقا ففات المقصود من الامامة فهل يصح حل الامامة من عهدته. وكان الجواب يصح والله اعلم

كتبه الفقير حسن خير الله عفي عنه

وكان ذلك في يوم الاربعاء ١٠ شعبان بايعه الناس بالسلطنة، وفي يوم ١٨ شعبان ١٢٩٣هـ ٦ سبتمبر ١٨٧٦م تقلد حسب العادة السيف في جامع ابى أيوب الانصارى، وبعد ذلك استلم ادارة الاعمال بهمه ونشاط واظهر للوزراء رغبته فى اصلاح الامور فى خط همايونى ارسله للباب العالي اشعار بجلوسه مؤرخا ٢١ شعبان ١٢٩٣هـ الموافق ١٠ سبتمبر ١٨٧٦م وهذا جزء مما ورد فيه .

وزير سمير المعالى محمد رشدى باشا

"انه لما اعتزل اخى الاكرم حضرة السلطان مراد الخامس عن مشاغل السلطنة والخلافة وفرغ منها جلسنا بموجب القانون العثماني على تخت اجدادنا العظام .

وقد وجهنا لعهدتكم مسند الصدارة العظمى ورئاسة مجلس الوكلاء ابقاء وتجديدا بناء على ما لذاتكم من الرويه المسلم بها والحميه المجربة وما لكم من الوقوف والاطلاع على مهام امور الدولة وكذلك اقررنا جميع الوكلاء فى مناصبهم .

وانني شديد الاتكال فى جميع الاحوال على تسهيلات جناب موفق الامور وتوفيقاته الصمدانية وقصارى امالى ومقاصدى معطوفة بالحصر لتأييد اساس شوكة دولتنا ومكانتها بحيث تنال صنوف تبعتنا بلا استثناء الحرية ويتنعمون جميعا بنعمة العدالة والرفاهية فأومل فى هذا الاثر ويعاونوننا علية وقد عرف الناس أجمع بان حال البحرات والاغتشاش الملم بدولتنا له جهات وأسباب متنوعه وصور واشكال متعددة فاذا أمعنا النظر فى ذلك من أى جهة كانت تجتمع مبادية واسبابه فى نقطه واحده وهى عدم جريان القوانين والنظامات المؤسسه على الاحكام الجليلة والشرعية التى هى المسند الأساسى فى دولتنا على حقها وتمامها"

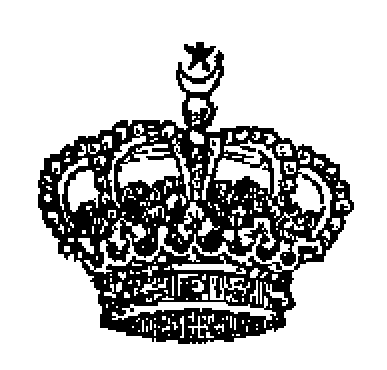
وبذلك نجد أن السلطان عبدالحميد لم يكن ضد الاصلاح وانما كانت الظروف المحيطه به وبالدوله العليه شديدة التعضيد فمن جانب قامت الثورات في بلاد اليونان والبلغار بتشجيع من روسيا التي تريد اجتزاء وتقسيم الدوله العثمانيه لذا قامت العديد من الحروب بينهما . ومن جانب اخر توجد الاطماع الاوربية في ممتلكات رجل اوربا المريض .

كما يذكر د/ محمد حرب عبدالحميد في تقديمه لمذكرات السلطان عبدالحميد قوله : على أن عبدالحميد لم يكن معاديا لاى اصلاح لا يهدد سلطته. وهو لا يريد من الغرب الحضارة لانه كان يرى أن للشرق حضارته الإسلامية الخاصة، إنما كان يريد منها المهم فقط من العلوم الحديثة حسب تعبيره هو. وحتى هذا المهم لم يكن يريده دفعة واحدة إنما بالتدريج فالإسلام في رأيه. لم يكن ضد التقدم، ولكنه كان يعتقد أن الامور القيمة يجب أن تكون طبيعية وأن تأتي من الداخل وحسب الحاجة اليها . ولا يمكن أن يكتب لها النجاح اذا كانت على شكل تطعيم من الخارج .

وبذلك فقد اقام السلطان عبدالحميد العديد من المدارس العليا والكليات واوفد البعثات للخارج للاستفادة مما وصل اليه الغرب الاوربي، كما أنه انشأ مؤسسه حديثه للمياه وغرفا للصناعه والزراعه والتجارة، كما اقام البلديات ومد خطوط البرق وأنشأ ادارة للبريد ومد السكك الحديديه وأدخل الترام واهتم بتعزيز المواقع العسكريه في منطقة الدردنيل .

وبالرغم من كل هذا نجد العديد من الشكوك التي تحيط بالسلطان عبدالحميد واختلاف الاراء حوله ولكنها في مجملها تدور حول اتهامه بالرجعية والتخلف والاستبداد الشديد. وربما يكون مرد ذلك الاتهام المواقف السياسية له حيث رفض وبكل شدة منح اليهود فلسطين ليقيموا عليها دولتهم وقال قولته المشهورة "فتحها عمر بن الخطاب واستعادها صلاح الدين فلا اضيعها انا" .

من هنا فمن الحق اعادة دراسه تاريخ ذلك الرجل وبموضوعيه خصوصا في ظل ما تذكره الدراسات الحديثه أن الاصلاحات العثمانيه التي بدأت من منتصف القرن التاسع عشر استمرت في نهاية عهده ولم تتوقف، وأن تميز هذا العهد بكراهية الغرب وكذلك بالرغبة في المركزية الشديدة حفاظا على الدوله متماسكه .



تذكار الجلوس السلطاني

ثلاثمئة مليون من المسلمين في اقطار المسكونة يحتفلون اليوم بهذا التذكار المجيد التذكار الخامس والعشرين لمبايعة جلالة السلطان عبدالحميد الحالي بالخلافة وجلوسه على تخت آل عثمان ويسميه الافرنج اليوبيل الفضي. واشد الاقوام تظاهراً بالسرور اليوم العثمانيون الساكنون في ممالك الدولة العلية فإنهم يبالغون في تنسيق الزينات وترتيل الدعوات واحياء الصلوات ولا تنظر في ديارهم الا مصابيح موقدة واعلاماً منشورة وازهاراً منثورة وحفلات تجعل الظلمات نوراً وتملأ الاعين بهجة والخواطر بورا وتظهر جرائدهم على اختلاف نزعاتها واعتقاداتها مصدرة بآخر ما تصل اليه قرائح كتابها من المبالغة في المديح والاطراء جامعة المتفرق في قواميس اللغة من كلمات التعظيم والثناء واساليب الشكر والدعاء وعلى الخصوص الجرائد التركية فانها تستعد لمقالات هذا العيد من زمان بعيد. وفي هذا اليوم بل في هذه الساعة يجتمع في سراى يلدز العامرة مقر جلالة السلطان جمهور المهنئين لجلالته من نواب الدول واعظم الموظفين والوزراء والمشيرين ليقدموا اليه واجب الهناء ويبسطوا اكف الدعاء له بطول البقاء وترد التلغرافات على جلالتها من الجناب العالي وكبراء الحكام في الولايات وبقية أمراء الارض وملوكها مهنئة جلالته بهذا العيد السعيد وفي طياته الدعاء له بالعمر المديد. وعلى الجملة فان التظاهر بالمسرات يكون عظيما هنالك وجلالته يعفو عن كثيرين ويحسن إلى كثيرين

(*) جريدة مصر في سبتمبر ١٩٠٠

فتزداد الالسنة انطلاقاً فى دعائها وتعجز اقلام البلغاء عن وصف بهجة تلك الحفلة وحسن رونقها .

ذلك ما يكون هنالك وأما هنا فان المصريين منذ تولى الجناب العالى أعزه الله الاريكه الخديوية عقد قلوبهم على حب جلالة السلطان فما يجئ تذكار جلوسه الا وهم يتسارعون الى اظهار ولائهم واخلاصهم لجلالته رغماً عما لقيه كرامهم فى السنين الاخيرة من معاملة المابين لهم واساءة الظنون بهم ففى الليلة البارحة اجتمع فى فندق كونتيننتال نحو مئة نفس على مائدة جمعت أفخر انواع الطعام والشراب ثم قام بعضهم فخطب معددا مناقب جلالة السلطان وحسناته وفى ظهر اليوم اطلقت مدافعنا من القلعة والاسكندرية ٢١ طلقاً مبشرة بهذا التذكار العظيم ولا تغيب شمس هذا النهار حتى تنوب عنها فى حديقة الازبكية شموس واقمار فان لجنة لاحتفال بهذا العيد لم تهمل شيئاً من حاجات الزينة واسباب الطرب على جارى عادتها فتكون العاب نارية ويكون غناء وتمثيل يسر الخاطر والناظر وتقام فى فندق شبرد حفلة أخرى ومرقص جميل على نفقة آخرين ثم تعد المحافظة زينة ثالثة ويستقبل محافظنا العلماء واعيان الشعب ويغنى فى خلالها الشيخ يوسف المنيلاوى ويطرب جمهور الحاضرين ذلك غير زينات كثيرة يقيمها بعض الاهالى فى منازلهم وفى الجوامع والكنائس ابتهالا الى الله بابد[illegible] وتأييد سلطنته .

هذا فى مصر وفى الاسكندرية يدعو الجناب العالى الوزراء ووكلاء الدول وبعض الموظفين إلى مأدبة فاخرة فى قصره هذ المساء احتفالا بهذا التذكار ويتبادل سموه -اذا سمحت صحته- أو نائبه الزيارة مع مندوب الدولة ومعتمدها فى سراى نمرو ٣ على ضفة المحمودية .

ومحصل القول أن الاحتفالات باليوبيل الفضى لجلالة السلطان ستجئ آية فى رونقها وبهائها . والامة القبطية فى مصر لا ترى مندوحة عن مشاركة هؤلاء المحتفلين فى دعائهم بالنظر إلى حسن الرعاية التي اسبلها جلالته عليهم وعلى جماعة الاقباط القليلة فى القدس الشريف وهى ترجو الله أن يطيل فى بقائه وأن يوفقه إلى ما فيه خير بلاده واسعادها لتزول اسباب الشكوى من بعض الامور وتكون أيامه الاتية واعيادها مضاعفة لاسباب الهناء والسرور .

العيد الفضى السلطانى (*)

يعيد ثلاثون مليوناً من العثمانيين اليوم العيد الفضى الحميدى وهو تذكار مرور خمسة وعشرين عاماً على جلوس جلالة السلطان عبدالحميد على سرير السلطنة العثمانية .

وجميعهم يتضرعون إلى الله عز وتعالى أن يصون السلطنة عزيزة منيعةمن يدى الطامعين ويوفق جلالة السلطان إلى تعزيز شوكتها واعلاء كلمتها ويهدى القابضين على ازمتها إلى ترقية شؤونها واصلاح امورها . على أن العثمانى الصادق لا يسعه فى مثل هذا العيد العظيم الا أن يذكر ماحل بالسلطنة فى خلال الخمس والعشرين سنة التى وقفنا نودعه اليوم علماً منه أن فى ايراد التاريخ عبرة للمعتبر وعظة للمتعظ. وقد نشرت جريدة عثمانلى التركية التى يدير امورها دولتلو محمود باشاداماد صهر جلالة السلطان الاعظم تاريخ ربع القرن الذى جلس فيه جلالته على سرير السلطنة فرأينا تعريبها بعد حذف ما تضمنته من قوارص الكلام وجوارح الملام لعل فى نشرها تذكرة وتبصرة والله نسأل أن يكون هذا اليوم فاتحه عصر جديد تنشر فيه راية الاصلاح وترتع الامة فى بحابح الهناء والصفاء . قالت

جلس جلالة السلطان على سرير السلطنة حين خطت الأمة الخطوة الاولى فى سبيل النجاح. ولما كان جلالته معروفاً بحرية الفكر وحب الاصلاح قبل جلوسه على سرير أجداده سر العثمانيون باستلامه زمام الاحكام على ان معاهدة سان استفانو جاءت فى اولى عهده فخيبت امل الامة وجرت علينا استهزاء بعض الدول وشفقة البعض الآخر .

كانت روسيا تحرض الجبل الاسود على مناوأة الدولة العثمانية وامتشاق الحسام فى وجهها وظهر الاضطراب فى بلغاريا واجبنا روسيا إلى ما طلبته حبا بالمسالمة ولكن الغايات الشخصية اوجبت التظاهر بمعاداة الروس فأعلنت الحرب وبعد ان هلك الالوف من أبناء الوطن

(*) المقطم اول سبتمبر ١٩٠٠

فى ساحات القتال وصل الروس إلى ابوب الاستانة وعقدت معاهدة سان استفانو الموجبة للاسف وكان مراد روسيا قبلا أن توسع نطاق حكم البلغار توسيعاً عظيماً على أن معارضة ساسة الانكليز أوقفتها على حدها وحالت دون مطالبها. الا أن الزمن الذى كان يساعدنا فيه الانكليز مضى وانقضى فإن اللورد سالسبرى انقلب علينا لانه رأى حكومتنا غير قابلة للاصلاح والتمدن.

وكان من نتائج معاهدة سان استفانو اننا اصبحنا والخطر يحيق بنا فى اوروبا. وان رايتنا القيت فى الجانب الآخر من نهر الطونه. ثم جاءت معاهدة برلين فسلبتنا تساليا وهى من اطيب الاقاليم واغزر مورد المعاش للارنؤوط وقربت اليونان إلى ابواب الروم ايلى وافقدتنا البوسنة واعطتها لقمة طيبة للنمسويين كما فقدنا البلغار.

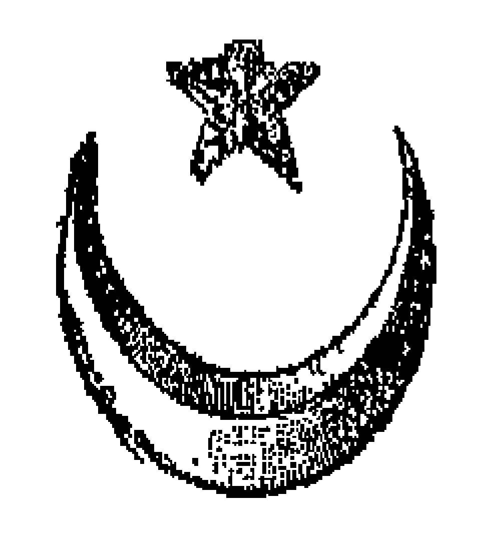
ولما كانت سنة ١٨٨٢ استطار شرر الثورة العرابية فجعلت انكلتر تطلب تسكين الثورة تارة بصورة رسمية وطوراً بصورة غير رسمية ومازالت مذكراتها معلقة فى الباب العالى حتى اليوم عبرة للخلف عن السلف ومن المضحكات المبكيات انه بينما كانت الثورة العرابية متفاقمة متعاظمة كان الباب العالى يخاطب سفيرنا فى لندن ليرسل بعض الكلاب والطيور وغيره إلى الحديقة السلطانية فى الاستانة سدا لما فيها من النقص. وفى سنة ١٨٨٥ سيرت البلغار قوة إلى الروم ايلى وطردت واليها العثمانى والمأمورين العثمانيين فاشار سعيد باشا وعثمان باشا الغازى على جلالة السلطان ان يعمد إلى التنكيل بالبلغاريين وطردهم منه فاخفقا سعيا وبقيت الروم ايلى للبلغار.

ولما لجأ المرحوم مدحت باشا المصلح الشهير إلى الراية الفرنسوية اخذ جلالة السلطان يفاوض الحكومة الفرنسوية فى تسليمه فابت تسليمه الا اذا اخذت تونس عوضا عنه فقيل لها اليك تونس فاخذتها باليمين وسلمت مدحت بالشمال.

على أن العار الذى لحق بالدولة فى الخمس السنوات الاخيرة مما يدمى له قلب العثمانى ويحق للمؤرخ ان يكتبه بالدماء الحمراء بدلا من المداد. فان الاستانة لبثت اسبوعا

كاملا غارقة فى الدماء شبيهة بمجزرة من المجازر والولايات الارمنية بقيت اسابيع لا بل اشهر كذلك حتى اضطر الساسة الاوروبيون الى التداخل فى شؤون دولتنا وسموا سلطاننا اسماء مختلفة تستك لسماعها اذن العثمانى ويتميز منها غيظا ثم كتبوا إلى جلالة السلطان يلحون فى طلب الاصلاح ومنع الفظائع فكتب جلالته الى اللورد سالسبرى كتباً فى هذا الشأن وقرأه اللورد فى نوفمبر سنة١٨٩٥ حين لقى بعض الخطب وهاك بعض ما جاء فيه "وانى اكرر لكم وعدى باجراء الاصلاح المطلوب فى الولايات ألست واخبرهم انى سلمت وكلائى اللوائح المتعلقة بالاصلاح سأراقبها بنفسى ولكى تكونوا فى راحة وطمأنينة اقسم لكم بشرفى" .

ثم قدرت جريدة عثمانلى ان مكدونيا ستستقل فتخسرها الدولة كما خسرت البوسنة والهرسك والبلغار والولايات التى أخذتها روسيا ورومانيا وذكرت ما حل باليمن وعرفه القراء إلى ان قالت وكان من أواخر مصائب العثمانيين تنكيس العلم العثمانى فى جزيرة كريد واعطاؤها اليونان الذين كانوا فى جملة رعايا الدولة العلية وشقوا عصا الطاعة. وحرب اليونان التى هضمت فيه حقوق العثمانيين فانه بعد ان قتل الالوف من ابطال الجيش العثمانى حتى وصل الى الترومويل منعتهم السياسة المابينية عن اجتناء ثمرة الانتصار. وزد على ما تقدم اخذ الروس والألمان وغيرهم الامتيازات العديدة فى بر الاناضول وغيره. واذا اردنا ذكر كل ما لحق بالدولة من المغارم وبالامة من المظالم ضاق نطاق "عثمانلى" عنها وحق لنا ان نسميه "الدور الاسود" ومهما نقبنا عن الاصلاح لا نجد من آثاره سوى بعض المدارس لا يتعلم فيها ابناء العثمانيين شيئا من التربية الصادقة والعلم الصحيح ثم عدة من الابنية الاميرية ومعظمها سجون لايواء الابرياء واذاقتهم ضروب البلاء .



عيد الجلوس السلطاني الفضي

أيد مولانا العباس اعتقاد الامة المصرية في مبادئه الشريفة وسجاياه المنيفة فما وطئت قدمه أرض الثغر الاسكندرى حتى أصدر أمره الكريم بالتوسع فى حفلة عيد الجلوس السعيد التى تقام فى سراى رأس التين العامرة إلى أضعاف ما كانت عليه فضربت معالم الزينات الباهرة ودعى أعظم الذوات إلى حضورها فى هذ المساء .

وقد اتصل بنا أن فخامة الصدر الاعظم بعث الى جنابه الفخيم حيث كان يخت المحروسه فى مياه اليونان تلغرافا مطولا يعرب فيه عن عظيم ارتياح الحضرة الشاهنيه لحضور عيد الجلوس السعيد. فأجاب جنابه الفخيم بأجمل عبارات الشكر واعتذر عن عدم التمكن من عودة اليخت الي مياه الاستانة بالحالة الصحية التى عليه الآن دولة الحرم المصون فكان هذا وذك من أوثق الادلة على تمكن حسن العلائق بين التابع والمتبوع أدام الله اتفاقهما شعار السعادة والعز والسودد للمصريين آمين .

هذا وان عطوفة محسن بك وكيل القوميسيرية العثمانية فى مصر قد دعا لحفلة سراى

(*) المؤيد اول سبتمبر ١٩٠٠

نمرة ٣ جميع أرباب المظاهر والحيثيات فى القاهرة والاسكندرية وسيحضره حضرات النظار الفخام وكبار المأمورين .

أما الزينات العمومية والخصوصية فى جميع المدن والقرى بالقطر ابتهاجا باقبال هذا العيد السعيد فحدث عنها ولا حرج فلا يمر الانسان فى ميدان أو شارع كبير أو حارة صغيرة فى مصر والاسكندرية الا رآها مجللة بأبدع مظاهر الزينات الباهره تخفق عليها الرايات والاعلام وتبرق فيها الكرات الناصعة حول الثريات معلقة ليشرق نورها بعد غروب شمس هذ اليوم حتى كأن كل حى من هذه الاحياء منطقة بروج يسطع نور كواكبها فى الآفاق احياء لعيد ذكرى الجلوس الحميدى المبارك. وستكون زينة حديقة الازبكية للجنة القاهرة الكبرى تحت رئاسة حضرة عزتلو السرى الوجيه حسن بك مدكور أجمل مظهر و أكمل جمالا وجلالا منه كل سنة كما أن عيد الجلوس فى هذه السنة أكبر أمثاله فى السابق ، فحيا الله همم المخلصين .

التعليق ....

سكة حديد الحجاز

كان المسلمون يلاقون صعوبات كثيرة فى طريق ذهابهم إلى الاماكن المقدسة لأ
فريضة الحج وفى طريق عودتهم منها كل عام، كما كانت قوافل الحج تتعرض الاعتداء
قطاع الطرق وغارات البدو، كما كان هناك خطر العشائر البدوية الضارية فى صحراء الشام.

يتبين من ذلك أن انشاء خط حديدى يصل دمشق بالحرمين الشريفين كان عملا ضرو
لخدمة الحجاج المسلمين. وبالفعل تم البدء فى إنشاء خط حديدى يبدأ من قرية المزيريب
منطقة حوران جنوبى دمشق، وينتهى عند الحجاز فيما عرف "بالخط الحديدى الحجازى"
"سكة حديد الحجاز".

وعلى الرغم من انشاء هذا الخط الحديدى لم يبدأ سوى فى سبتمبر ١٩٠٠ فإن فك
انشائه تعود إلى عام ١٨٦٤ عندما اقترح مهندس امريكى على الدولة العثمانية مد خط حديد
بين دمشق وساحل البحر الأحمر، لكن الدولة العثمانية لم تكن قد سيطرت على زمام الامور ف
لواء الكرك. وفى عام ١٨٨٠ قدم وزير الاشغال العثمانى إلى حكومته مشروع أكبر يقضى ب
خط حديدى إلى الاراضى المقدسة لكن حالت الصعوبات المالية والخوف من هجمات البدو دو
تنفيذ المشروع . وبقى هذا المشروع مهملا حتى تحمس له "السلطان عبدالحميد" وذلك لاغراض
عسكريه وسياسية، أهمها رغبته فى تقوية مكانته فى العالم الاسلامى بحيث يبدو كخليف
للمسلمين أو أميرا للمؤمنين، ومن ناحية أخرى تشديد القبضة السلطانية على الولايات العرب
التى يمر عليها الخط الحديدى .

وقبل انشاء الخط كان من الضرورى جمع المال الازم لهذا حيث كان المبلغ المقرر لس

نفقات المشروع ٣٥٠٠٠٠٠ ليرة عثمانية، فعمد السلطان عبدالحميد إلى جمع هذا المبلغ بطرق عدة اهمها :

١ – الاعانات من مختلف دول العالم الاسلامي، وبالفعل افتتح الاكتتاب بـ ٣٢٠ ألف ليرة عثمانية، وكان أول المتبرعين شاه ايران، وخديو مصر الذي ارسل كمية كبيرة من مواد البناء إلى جانب الأموال، وايضا تكونت الجمعيات في سائر بلاد العالم الاسلامي لجمع التبرعات.

٢ – قام السلطان عبدالحميد بنقل مخصصات دائرة الحج البالغة ١٥٠ ألف ليرة عثمانية في السنة إلى ميزانية الخط .

٣ – تم تقديم ٦٠ ألف ليرة من عطايا السلطان إلى ميزانية المشروع .

٤ – تم اصدار طوابع باسم مشروع الخط الحديدي لالصاقها على جميع الطلبات والمعاملات التجارية .

٥ – فرضت ضرائب جديدة منها ضريبة المسقفات، وجعلت شارات واوسمة برسم البيع.

لكن كل ذلك لم يف بتكاليف المشروع فعمدت الحكومة إلى طلب مساعدة موظفيها ، وذلك بالتبرع براتب شهر كامل، ثم قررت خصم عشر رواتبهم، كما قامت ادارة الخط بجمع جلود الاضاحي وبيعها وضم ثمنها إلى ميزانية الخط الجديد بالذكر أن نفقات المشروع بلغت ٨,٥ مليون ليرة عثمانية .

وتم البدء في إنشاء الخط الحديدي الحجازي في شهر سبتمبر ١٩٠٠، وإبتدأ العمل من مزيريب. وجرى افتتاح القسم الأول من الخط (دمشق – درعا) في سبتمبر ١٩٠٣ ، وبعد ذلك بشهر افتتح القسم الثاني (درعا – عمان) وبلغت المسافة بين دمشق وعمان ٢٢٣ كيلو مترا . وفي أول سبتمبر ١٩٠٧ افتتاح القسم الثالث من الخط بين عمان ومعان. وبعد ذلك افتتح القسم الرابع بين معان وتبوك ويبلغ طوله ٣٣١ كيلو مترا . وفي نفس التاريخ تم افتتاح قسم جديد بين تبوك ومدائن صالح التي تبعد ٩٥٥ كيلو مترا عن دمشق ، ثم استمر العمل في الخط لمدة عام آخر.

ووصل أول قطار إلى المدينة المنورة في ٢٣ أغسطس ١٩٠٨، وجرى افتتاحه رسميا في

أول شهر سبتمبر ١٩٠٨، وقد وافق ذلك عيد الجلوس السلطاني. ومما يذكر أن انشاء الخط لم يكن بالأمر السهل فقد كان علي الحكومة العثمانية صد هجمات البدو الذين استمرت اعتداءاتهم على المشروع بهدف احباطه، وأيضا تعرض المشروع للسيول الجارفة فى المنطقة الصحراوية .

وقد صادفت الحكومة العثمانية صعوبات مالية بعد الانتهاء من المشروع اذ كان يعمل بصورة لا تقوم بنفقات صيانته بصورة منتظمة وذلك لأن الخط لم يكن يعمل بصورة منتظمة الا فى موسم الحج (أى حوالى ثلاثة أشهر) ثم يبقى استعمال الخط بعد ذلك للأمور العسكرية، هذا بالاضافة إلى أن التبادل التجارى فى تلك المنطقة لم يكن نشيطا، ذلك أن احتياجات الحجاز من التجارة السورية لم تكن كبيرة، لذلك كان القسم الاعظم من الخط -من معان إلى المدينة المنورة - كان شبه معطل معظم أيام السنة ماعدا أيام موسم الحج، وأما الخط مابين درعا و دمشق فقد كان يعمل بانتظام على مدار السنة، وقدعالجت الحكومة ذلك بأن خصصت للخط نوع من الطوابع ومنحته بعض الامتيازات .

الجدير بالذكر أن ايرادات الخط لم تكن بالقدر الكبير أو المنتظر لكن غاية الدولة العثمانية من الخط لم تكن اقتصادية بقدر ما كانت دينية وسياسية. وبالفعل كان لانشاء هذا الخط الحديدى وقع كبير فى نفوس المسلمين، يؤيد ذلك ماذكره سفير بريطانيا فى الاستانه - فى تقريره لعام ١٩٠٧ لحكومته - "يمكننا أن نقرربأن من بين حوادث السنوات العشر الأخيرة على الاقل يوجد عنصران بارزان فى الموقف السياسى العام ، **اولهما** : هو خطة السلطان الماهرة التى استطاع بها أن يظهر امام ثلاثمائة مليون من المسلمين فى ثوب الخليفة الذى هو الرئيس الروحى فى الدين الاسلامى وأن يقيم لهم البرهان على قوة شعوره الدينى وغيرته الدينية ببناء سكة حديد الحجاز التى ستمهد الطريق فى القريب العاجل أمام كل مسلم للقيام بفريضة الحج وقد ترتب على هذه السياسة أن أصبح حائزا على خضوع رعاياه له بشكل لم يسبق له مثيل .

استعداد الامة المصرية إلى اعانة الدولة العلية فى مشروع سكة حديد الشام إلى البلد الحرام (*)

كلما شرحنا فوائد مشروع سكة حديد الشام إلى البلد الحرام-هذا المشروع الذى نهض جلالة مولانا أمير المؤمنين السلطان عبدالحميد الثانى إلى ابرازه من حيز القوة إلى حيز الفعل - تقوى عند الأمة المصرية استعدادها إلى اعانة الدولة فى هذا المشروع، والله سبحانه وتعالى هو المعين والمستعان. والذى ر... من بوادر هذا الاستعداد كثرة ما يرد علينا الآن من الكتابات والاسئلة المتعلقة بهذا المشروع فمنها ما يختص بنفقاته ومنها ما يتعلق ...سان نتائجه الاقتصادية والسياسية الخ الخ .

فنرى من الواجب علينا أن تزيد القراء ايضاحا فيما يرغبون المزيد فيه فنقول :

هذه السكة بين الشام والبلد الحرام تبلغ مسافتها ١٩٠٠ كيلو مترا ستقوم بتمهيد طريقها بضعة طوابير من العساكر الشاهانية ويجلب لها الخشب الذى تمد عليه الخطوط من الغابات الاميرية الواسعة وسيكون جميع مهندسيها من أركان حرب الجيش الشاهانى ومهندسيه، وهذا شئ كبير من نفقات مشروع السكة الحديد لا تكلف عليه الدولة شيأ جديدا وما بقى بعد ذلك فلا يكلفها على الكيلو متر أكثر من ٥٠ إلى ٦٠ ألف فرنك مما يكون مجموعة من أربعة ملايين إلى أربعة ونصف جنيها انكليزيا يسهل جدا جمع

(*) المؤيد ٢٨ يونيه ١٩٠٠

نصفها من الممالك العثمانية بواسطة التبرع الذى فتح بابه جلالة مولانا الخليفة الاعظم بابه والنصف الآخر تقوم به خزينة الدولة خلال العامين المقدرين لانشاء هذا الخط .

ولكن لو قدر العالم الاسلامى منفعته العظمى من هذا الخط الذى يسهل طريق الحج ويؤمنها ويعمر أرض الحجاز ويغمر أهليهابالنعيم المقيم ويفيد خزينة الدولة ما يفيدها وهى بيت مال الاسلام ومنتجع حماه الذى مادام عامرا فلا يضام .

لو قدر العالم الاسلامى بعض ذلك أوكله لفاضت منه اليدان فى يوم واحد بما يمد هذا الخط ذهبا لاحديداً ويجعل للاسلام منه فتحا جديدا. وأى فتح لخليفة أو سلطان فى عصر من الاعصر يساوى هذا الفتح بل أى نجاح عمرانى يضاهى ما سيعزى لمولانا السلطان عبدالحميد فيه من النجاح أحق بالنهوض لموزارة جلالته فى هذا المشروع الشريف من المصريين فلا عجب أن أذن مؤذنهم حى على الفلاح فبلغت دعوته جميع النواح .

قال قائل . ألا يكون من وراء أنشاء سكة حديد الحجاز حرمان مئات وألوف من الاعراب يرتزقون الآن من ابلهم تحمل الحجاج فى زمن الحج الشريف ومن حراستهم لقوافل الحجاج بين مكة والمدينة وبين هذه وينبع وعلى الخصوص فى الاوقات التى يشتد فيها خوف الحجاج فتعظم الحاجة لاولئك الحراس .

ولعل كل قارئ يسبق المؤيد إلى جواب هذا المعترض المشفق على أعراب الحجاز فهل يريد أن يبقى الخوف لتكون للحراس وظيفة يرتزقون منها. هل يريد أن تبقى وعورة الطرق ليؤدى الحجاج نفقاتها مضاعفة اسألوا كل حاج هل يفضل اذا أنشئت سكة حديديةأن يسافر عليها فيقتصد من نفقته ومن أوقاته فيبدل الايام بالساعات ويقطع المحطات الكثيرة فى اليسير من الدقائق واللحظات أو أنه يركب قافلة يقطع بها الصحارى المخوفة فى الايام العديدة لينفع أصحاب الابل وحراس الامتعة بالمال الكثير . بل أسألوا كل مسافر بين مصر والاسكندريه الآن لماذا يفضل قطار

السكة الحديد على السفن الشراعية فى النهر والابل ونحوها فى البر .
أليس فى هذه نفع لسفينة ونوتيتها والجمل وصاحبه. وعلى فرض أنه يفضل ذلك لأنه يخص بعض المصريين بمثل هذا النفع ألا يحسبه الناس مجنونا بليد وترك القطار السريع فوق السكة من الحديد، أن العمران يتقدم كلما قلت متاعب العمال على الانفس وقضى الناس الاشياء الكثيرة منه بالنفقة القليلة. وما اتسعت فنون الحضارة فى بلد الا بهذه القاعدة الاقتصادية الذهبية .

يقولون أن الوقت من ذهب، ومن الذى يقومه بهذا الذهب، أليس هو الانسان الذى يعرف كيف يتصرف فى هذا الوقت وكيف يعد الوقت ذهبا من يفضل أنه يقطع الفيافى والصحارى باخفاف الابل ليحمل كتابا من صديق لصديق أو من تاجر لصانع بدلا من أن يناجيه بالسلك الكهربائى فيفيد ويستفيد منه ما يشأ فى أسرع من لمح البصر. وهل يليق أن يتخاطب التاجر فى الحجاز مع الصانع فى كل مكان من الارض بالتلغراف ثم لا يصل مطلب كل منهم للآخرين ذلك الا بواسطة قوافل الابل لتى يتلقاها العطب صاعدة من وهد الى نجد ومنحدرة من نجد إلى وهد تتلفت أعين حراسها يمينا وشمالا خوفا من غيلة مغتال أو معتد أثيم أيام وأسابيع.

على أن الملاحظات التى من هذا القبيل أولى بها أن يعرض عنها وإنما ذكرناها حتى لا تبقى فى نفوس بعض عامة الناس ركاكة الواهمين.

وبقيت ملاحظة يتوهمها بعضهم أخرى وهى أنه ربما تبع انشاء الخطوط الحديدية فى بلاد الحرمين الشريفين دخول الاجانب اليه وهى البلاد المقدسة التى حرمت الشريعة الغراء دخول غير المسلمين اليها ولاتزال كذلك حتى الآن. وهى ملاحظة لا يعتد بهاايضا ولا ينبغى أن تكون حجر عثرة فى سبيل أعظم مشروع اصلاحى للدولة والملة كما سنبينه أوضح تبيين فى العدد الآتى أن شاء الله .

الاكتتاب فى سكة حديد الحجاز (*)

أرسل لنا جماعة من أعيان الوجهين القبلى والبحرى حوالات نقود على ذمة الاكتتاب فى سكة الحديد الحجازية. ونحن نشكرهم سلفا ونسألهم الصبر علينا بضعة أيام حتى نرى كيف تشكل لجان الاكتتاب وكيف يسير فى طريقة فتعلن أسماءهم عندئذ ونذكر ما تبرعوا به ونودعه الصندوق الذى يعد لذلك .

وأن مبادرة حضرات هؤلاء السراة الفضلاء بالاكتتاب وسبقهم إلى التبرع فيه مما يؤخذ دليلا قوياً على وجود استعداد كبير فى الامة للاكتتاب فى سبيل عمل نرى من كل واجب تعضيده ومساعدته .

(*) المؤيد فى ٢ يوليو ١٩٠٠ .

مفخرة الاسلام عبد الحميد الثانى

"سكة حديد وتلغراف الحجاز"

كتب الينا أمير من أمراء حيدر أباد الدكن بتاريخ ١٢ محرم الحرام يقول :

"قد تناولنا اليوم جريدة المؤيد فتلونا من بين رسالة مكاتبكم بالاستانة العلية بشرى نهضة جلالة مولانا أمير المؤمنين عبدالحميد الثانى لانشاء السكة الحديد وخطوط التلغراف بين الشام والحجاز. ولقد طافت هذه البشرى على الناس هنا فكان لها أشد الفرح وأعظم الابتهاج فى نفوسهم فابتهلوا بالدعاء إلى الله أن يطيل بقاء هذا الخليفة وأن يوفقه دائما لما يحقق حياة الملة وقوتها. اللهم آمين" اهـ

الامضاء (محفوظ)

"المؤيد" ولا غرو أن قال ذلك الامير الغيور ما قال لانه ممن حج بيت الله الحرام منذ ست سنين وعرج على مصر فرأيناه حزيناً آسفاً على حالة قطر الحجاز وقد بعدت شقته على كل حاج وقل أمنه بمقدار ذلك. وما قاله ذلك الامير الهندى من سنوات يقوله الامير والفقير من أى بلد كان لان صعوبات حج بيت الله الحرام لاتزال تكتنف كل حاج على الدوام مع أن موضع الحج هذا فى قلب ممالك الدولة العلية ووسط الاقاليم الاسيوية المعمورة وعلى القرب من مصر والشام لولا تقاطع المواصلات وبقاء البيت الحرام فى شقة كانه فى مجهل من الارض يسعى اليه الناس فى حلك الظلام .

لا ريب أن بقاء مكة والمدينة على ذلك التقاطع الذى هما فيه من بقية بلاد الدولة العلية وجميع البلاد الاسلامية الأخرى من باب أولى كان يمثل أقبح أدوار التأخر والانحطاط للعالم الاسلامى أجمع عموما وللدولة العلية خصوصاً .

وفضلا عن ذلك فأن حرم الله عند المسلمين كان إلى هذا العهد مهددا حيث لا تنفعه نجده منهم فالاخبار التلغرافية انما تصدر عن المدينة المنورة وعن مطاف الكعبة وعن مواقف عرفات الى جده فالسلك التلغرافى الانكليزى الذى فى استطاعه الدولة الانكليزية لو أرادت أن تمنع المخابرة بواسطته متى شاءت .

ولا حاجة لأن نبين مقدار الخطر العظيم الذى يتهدد كعبة الاسلام لو انقطع خبرها عن دولة الخلافة العظمى التى ترعاها وتحفظها باذن الله ولم يبق سبيل للمواصلات الا تلك الطريق البرية التى يقطعها الراكب فى عشرات من الايام بين الكعبة والشام. ثم يظهر الخطر أعظم اذا مثلنا بين أعيننا عدوا مهدداً الكعبة وبينها وبين نجدة العساكر الشاهانية العثمانية. بينها وبين حماة الاسلام قطع الصحارى والقفار والوهاد والنجود التى بين الشام والحجاز نحو أربعين يوما أو أكثر حيث لا يكون بين مكة وبين من يريدها بسوء سوى ما بين جدة ومكة أى ١٥ ساعة أو ما حواليها .

ثم هناك خطر ملازم على الدوام للحرمين الشريفين - مكة والمدينة - وهو عدم استتباب الامن العام فى طرقهما. ونسميه خطرا لانه سالب راحة الحجاج وطمانينتهم بحيث يعود كل حاج ساخطا على الزمان والمكان اللذين أدى فيهما تلك الفريضة فيسلب الاجر والمثوبة كما سلب الراحة والطمانينة. وخطر أيضا لانه يكون فيما بعد الباب الوحيد لتداخل الاجانب فى أمر الحج الاسلامى من رعايهم . وطلب انكلترا لتعويضات بعض الهنود الذين سلبت أموالهم منذ سنتين بين جدة ومكة أكبر نذير الشر فى ذلك .

فاذا مثل العالم الاسلامى كل هذه الاخطار بين أعين أهلية وقد مضت السنون والزمان الطويلة عليه عالما بها شاعرا بمضارها متمثلا كل أخطارها فزعا هلعا من شر مستقبلها. ورأى الآن جلالة مولانا السلطان عبدالحميد قد نهض نهضة واحدة لانشاء خط التلغراف بين الحرمين الشريفين وبين عاصمة الخلافة الاسلامية ليستطلع كل خبر منهما فى مثل لمح البصر دون أن تستطيع دولة من الدول الحيلولة بينه وبين ذلك ولا المن عليه بهذه النعمة. ونهض أيضا لانشاء خط حديدى بين الشام والحجاز ليجعل الصلة بين بيضة الاسلام وحماتها حاصلة فى كل وقت وليؤمن السابلة ويريح الحاج من عناء المشاق. ليغنيه من أهوال غرق البواخر الانكليزية وعن احتكارها الممنوحة اياه من الحكومة المصرية. ليجعل طريق الحج مفتوحة له كل يوم فلا قافلة ولامزدحم ولا ظمأ ولا حمى ولا وخم ليجعل السعى إلى الحج نزهة صيفية ورحلة شتوية محبوبتين فى الزمنين فيكون السفر قليل الغياب قريب المآب لا قطعة من العذاب كما هو الآن.

اذا تمثل العالم الاسلامى كل ذلك أمام عينى أهله قال مقال ذلك الامير الهندي ودعا دعاء بطول بقاء مولانا أمير المؤمنين وابتهل ابتهاله بدوام عز الاسلام على يديه .

الاتحاد الاسلامي(*)

نشرت جريدة المساجيه دي بروكسل الصادرة في ١٢ أكتوبر رسالة واردة اليها من مكاتبها بالاستانة العلية تحت العنوان المتقدم نقتضب منها الاسطر الآتيه :

استرسلت الجرائد الغربية في تأويل زيارة جلاله الشاة لجلاله السلطان الاعظم فأجمعت على القول بأن الحضرة الشاهانية تبذل ما يستطاع من الجهد الآن للتوفيق بين مذهبي الشيعة والسنية اذ لا يخفى أن الفارسيين لما اعتنقوا الديانة الاسلامية تمسكوا بالمذهب الشيعي بخلاف العرب والترك فقد حافظوا على العقائد الاسلامية السنية .

وقد أفاضت بعض تلك الجرائد في ايراد الاعتبارات المتضمنة بيان الاخطار الجسيمة التي تنشأ من كل حركة قوية يقصد بها الاتحاد الاسلامي ولكن الذين يذهبون هذا المذهب ويعتقدون هذا الاعتقاد لم يدرسوا حقائق الاحوال في الشرق ولم يسبروا رجاله بمسبار الحكمة والتقدير .

لان الذين قاموا بين ظهراني المسلمين بضع سنوات شيعيين كانوا أو سنيين أدركوا وتحققوا أن الدولة الاسلامية لا تقوم لها قائمة بعد الان لفقدان أسباب الاتحاد والوئام وتلاشي الوجهة الدينية التي كان يقصد بها فتح أرجاء المعمورة تحت ظلال العلم النبوي .

نعم أن القرآن لا يزال موجوداً كما كان والمظاهر الدينية قائمة ولكن الايمان الحقيقي قد انطمس من القلوب ولم تعد له آثار ثابته. وقد نسبوا الى الانتصارات السهلة التي فازت بها الدولة العلية على اليونان فضائل في جمع كلمة المسلمين ولكن هذه الانتصارات لم تحدث في خواطر المسلمين إلا تأثيراً وقتياً بدون أن يثير فيها ماعرفوا به في السابق من النشاط الحربي والحمية الملية .

ومن الثابت المؤكد ان مسلمي الهند لا يهتمون بشأن من شؤون اخوانهم في الدين من الاتراك أو الصينيين أو الافريقيين لان الديانة المسيحية تمكنت بما وقع بينهم من الشقاق والانقسام إلى أحزاب عديدة من التأثير عليهم كما تمكنت من ذلك الديانات اليهودية والبوذية والوثنية . فالمسلم كالصيني يعتبر كل حديث في العالم كالاختراعات والاكتشافات أمراً مخالفاً

(*) المؤيد في ٢١ أكتوبر ١٩٠٠

للدين فكانت كراهتهم هذه لكل أمر جديد من الاسباب الباعثة على كسر شكيمتهم واضعاف قوةمقاومتهم والقائهم فى مخالب أهواء النفوذ الاجنبى بعد أن حالت دون تقدمهم من الوجهتين المادية والادبية .

ولايخفى انه اذا كانت الاسباب وحدة فالمسببات تكون مثلها . ولما كانت دولة فارس والدولة العلية وحكومة الصين ضعيفات ولاتستطيع احداهن القيام بعمل خطير فلا يظن ان يتم هذا العمل . لآن تغاليها فى المحافظة على القديم قد جعل من هذه الحكومات الثلاث آلات تلعب به أهواء السياسيين الغربيين .

وإذا كان جلالة السلطان الأعظم قد دعا جلالة الشاه الى زيارته وكان هذا الاخير قد أجاب الدعوة فما ذلك الا لأن مصلحتهما تجاه رعاياهما تقضى بهذه الزيارة ولذا أصبح العلماء يخطبون فى المساجد بأن ملك الملوك شاه فارس قد جاء إلى الأستانة لاعتباره جلاله السلطان الأعظم الرئيس الروحانى ويارح جلالة الشاة الأستانة العلية من جهة أخرى مقتبساً من الاستقبال الذى عمل له بدار السعادة أجل الفوائد الأدبية .

نقول أجل الفوائد لانه منذ توفى آخر ملك من الملوك الصاميين فى عام ١٧٣٦ اغتصب الحكم بعده كثيرون سواء باحداث الفتن أو القتل أو الحروب الاهلية ولا يخفى ان الزعماء فى مثل هذه الأحوال لا يقل عديدهم فزيارة جلالة الشاة لجلالة السلطان تعتبر تثبيتا لحقوق دولة فارس من تلك الوجهة ومقدمة لتبادلهما المعونة ان الآمتين الفارسية والتركية تتحدنا معا تحت ادارة جلاله الشاة أو جلاله السلطان اللازمة وانما لا يخالج خاطر أحد مع ذلك،

إذ العداوة بين الشيعيين جسيمة كما يظهر للقارئ من المثل الفارسي السائر وهو "إذ وجدت فى طريقك كافرا ميتاً فادفنه و اذا وجدت سنيا فالقة للكلاب" فالشيعيون يبغضون السنيين كل البغضاء لأنهم يزعمون ان حق الخلافة يؤل اليهم شرعا ويقولون ان دولة ال عثمان قد أغتصبت هذا الحق من ايديهم ويؤملون ان ينالوه يوما ما (المؤيد) وسواء كان ما يعتقده الكاتب من شدة العدواة بين الفرس والاتراك أو بين الشيعيين والسنيين هو الواقع ونفس الأمر أو هو دون ذلك بمراحل كما هى الحقيقة فإن انتشار العلم الحقيقى الذى هو نصير الاسلام وثمرة تعاليمه بين الشرقيين ونموه يوما فيوما ممايقوى الأمل يوما فيوما بزوال هذه العداوة ومحو تلك الفروق الفرعية . وزد على ذلك اتحاد مصالح الممالك الاسلامية تجاه اغارة الغرب عليها مما يزيد فى تقريبها مهما كانت تلك الفروق كما قربت وجمعت بين الممالك المسيحية على عظم ما يوجد بين أهليها من الفروق المذهبية .

التعليق ....

الشوام فى مصر

فى بدايات القرن العشرين زادت الدعوة للوطنية المصرية، وهو ما أثر كثيرا على اوضاع الشوام الموجودين فى مصر والذين توافدوا عليها بأعداد غفيرة منذ العصر العثمانى حيث كونوا جاليات كبيرة ازدادت عددا فى القرن التاسع عشر حيث هاجر العديد من المثقفين والصحفيين الشوام لمصر هربا من الحكم العثمانى فى الشام .

وتبنى الشوام فى ذلك الوقت ومعظمهم من المسيحيين الدعوة للقومية العربية فحين ظهر فى مصر تيارين مختلفين لها تماما

اولهما : التيار الاسلامى الداعى لاستمرار الارتباط بالدولة العثمانية

على اساس انها الخلافة الاسلامية العظمى وتبنى هذا التيار فريق الحزب الوطنى وعلى رأسه مصطفى كامل .

وثانيهما : التيار الداعى للقومية المصرية

الذى يرى فى مصر وطنا مستقلا فى داخل حدوده الجغرافيه. هذا فى الوقت الذى عانى فيه التيار العروبى الداعى لارتباط مصر بالعرب كان ضعيفا وهامشيا، لذا وجد الشوام الموجودون فى مصر والمدافعون عن القومية العربيه انفسهم على ارض غير صلبة .

وترصد العديد من الدراسات أن وجود الشوام كان مثار السخط الكثيرين من المصريين لعدة اسباب اهمها:

١ – تفوق الشوام فى العديد من المجالات الاقتصادية والثقافية .

٢ – منافستهم للمصريين على الوظائف الحكومية .

٣ – تأييد عدد كبير من الشوام للاحتلال البريطانى .

ويذكر مؤرخوا الصحافة المصرية أنها شهدت نهضة كبيرة على ايدى المهاجرين الشوام الذين كانوا وبحق الساعد القوى الذى ادى لتطور الصحافة العربية، فأنشأوا الصحافة العلمية والادبية والسياسية. ولا يفوتنا ذكر صحيفة الاهرام، والهلال والمقتطف وغيرها العشرات والتى نرفق بها جدول نقلا عن د / أحمد طاهر حسنين فى كتابه دو ر الشامين المهاجرين إلى مصر فى النهضه الأدبية الحديثة – دار الوثبة دمشق ١٩٨٣ .

م	الاسم	سنة الصدور	مكان الصدور	الناشر	ملاحظات
١	الكوكب الشرقى (ج)	١٨٧٣	الاسكندرية	سليم حموى	سياسية أسبوعية ويطلق عليها طرازي : جدة الصحف العربية
٢	الاهرام (ج)	١٨٧٦	الاسكندرية	سليم تقلا	سياسية أسبوعية ثم يومية فى مصر
٣	مصر (ج)	١٨٧٧	القاهرة	اديب إسحق	احتجبت ثم عادت للظهور ١٨٨١
٤	التجارة (ج)	١٨٧٨	الاسكندرية	اديب إسحق	يومية تجارية اوردها قسطاكى ١٨٧٩
٥	مرآة الشرق (ج)	١٨٧٩	القاهرة	سليم عنحوري	سياسية علمية وقد حررها اليازجى منذ ١٨٨٢
٦	المحروسة (ج)	١٨٨٠	الاسكندرية	سليم النقاش	سياسية تجرية انتقلت إلى مصر
٧	المقتطف (م)	١٨٨٥	القاهرة	يعقوب صروف	صدرت أولا ببيروت ١٨٧٦
٨	الفلاح (ج)	١٨٨٥	القاهرة	سليم حموى	يومية سياسية ادبية اوردها عبده وقسطاكى ١٨٨٦
٩	اللطائف (م)	١٨٨٦	القاهرة	شاهين مكاريوس	شهرية علمية أدبية تاريخية
١٠	الراوى (م)	١٨٨٨	الاسكندرية	خليل زينية	ادبية فكاهية شهرية
١١	المقطم (ج)	١٨٨٩	القاهرة	فارس نمر	سياسية تجارية اخبارية
١٢	الحقيقة (ج)	١٨٨٩	الاسكندرية	فرج مزراحى	ادبيه تجاريه اسبوعية
١٣	الهلال (م)	١٨٩٢	القاهرة	جورجى زيدن	علمية ادبية تاريخية
١٤	الفتاة (م)	١٨٩٢	الاسكندرية	هند نوفل	علمية تاريخية، اول مجلة نسائيه فى مصر
١٥	الكمال (ج)	١٨٩٣	القاهرة	توفيق عزوز	ادبية أسبوعية
١٦	النور العباسى (م)	١٨٩٤	الاسكندرية	نجيب ايوب	نصف شهرية حرر فيها نجيب غرغور
١٧	الشمس (م)	١٨٩٤	القاهرة	حسن الطوارنى	علمية ادبية شهرية
١٨	منتخبات الروايات (م)	١٨٩٤	القاهرة	اسكندر كركور	روائية شهرية
١٩	الكنانة (م)	١٨٩٥	القاهرة	شاكر شقير	علمية ادبية انتقادية
٢٠	الفردوس (م)	١٨٩٦	القاهرة	لويزا حبالين	شهريه للسيدت اوردها عبده ١٨٩٧
٢١	مرآة الحسناء (م)	١٨٩٦	القاهرة	سليم سركيس	ادبية نصف شهرية
٢٢	البصير (ج)	١٨٩٧	الاسكندرية	رشيد شميل	يومية سياسية تجارية
٢٣	البيان (م)	١٨٩٧	القاهرة	ابراهيم اليازجى	علمية ادبية صناعية شهرية
٢٤	تسلية الخواطر (م)	١٨٩٨	الاسكندرية	سبع شميل	ادبية تاريخية نصف شهرية
٢٥	الضياء (م)	١٨٩٨	القاهرة	ابراهيم اليازجى	علميه ادبيه صناعيه شهريه

م	الاسم	سنة الصدور	مكان الصدور	الناشر	ملاحظات
٢٦	الفكاهة(م)	١٨٩٨	القاهرة	ديمترى نقولا	ادبية روائية نصف شهرية
٢٧	المنار (ج-م)	١٨٩٨	القاهرة	محمد رشيد رضا	سياسية اسبوعية اولا ثم دينيه شهرية
٢٨	سلسلة الروايات(م)	١٨٩٩	القاهرة	بشير الحلبى	روائية نصف شهرية
٢٩	الاعتدال(م)	١٨٩٩	الاسكندرية	جمعية الاعتدال	ليس هناك تعيين لوقت صدورها
٣٠	الكوثر(م)	١٨٩٩	القاهرة	جورج طنيوس	علمية ادبية نصف شهرية
٣١	المجلة المصرية (م)	١٩٠٠	القاهرة	خليل مطران	ادبية تاريخية توقفت ثم ظهرت ١٩٠٩ نصف شهرية ثم اسبوعية
٣٢	المفتاح (م)	١٩٠٠	القاهرة	توفيق عزوز	ادبية تاريخية مصوره شهرية
٣٣	القول الحق (ج)	١٩٠٢	القاهرة	عزيز طرابلسى	سياسية ادبية اسبوعية
٣٤	عروس النيل (ج)	١٩٠٣	القاهرة	سليم قبعين	اجتماعية ادبية نصف شهرية
٣٥	السيدات والبنات	١٩٠٣	الاسكندرية	روزا انطون	مجلة نسائية ادبية شهرية
٣٦	سركيس(م)	١٩٠٥	القاهرة	سليم سركيس	اداب وفكاهة نصف شهرية
٣٧	الشتاء(م)	١٩٠٦	القاهرة	سليم عنحورى	ادبية تاريخية شهرية
٣٨	فتاة الشرق (م)	١٩٠٦	القاهرة	لبيبة هاشم	ادبية روائية شهرية
٣٩	المقتبس (م)	١٩٠٦	القاهرة	محمد كرد على	علمية ادبية اجتماعية شهرية
٤٠	الفكاهات العصرية (م)	١٩٠٨	القاهرة	غزالة الحلبى	روائية ادبية نصف شهرية
٤١	سلسلة الروايات (م)	١٩٠٩	القاهرة	سليم قبعين	اسبوعية
٤٢	الزهور(م)	١٩١٠	القاهرة	انطون الجميل	علمية ادبية شهرية
٤٣	السمير(م)	١٩١٠	الاسكندرية	قيصر شميل	روائية تاريخية نصف شهرية
٤٤	الراوى(م)	١٩١٠	القاهرة	طانيوس عبده	روائية اسبوعية
٤٥	فتاة النيل (م)	١٩١٣	القاهرة	ساره الميهيه	ادبية نسائية شهرية
٤٦	الطائف المصورة (م)	١٩١٥	القاهرة	إسكندر مكاريوس	ادبية علمية تاريخية اسبوعية
٤٧	الزهرة (م)	١٩١٦	القاهرة	نعوم مغبغب	ادبية شهرية

ولقد زاد الصراع بين المصريين والشوام لدرجة دفعت عبدالله النديم لكتابة مقال فى مجلة الاستاذ فى عدد ١٧ يناير ١٨٩٣ مما جاء فيه "أنا اخوك فلم انكرتنى، ما الشام ومصر إلا توأمان ابوهما واحد، يسوء الاثنين ما ساء احدهما فلما تنافر ابناؤهما وانحاز السوريون فى جانب بعيد عن المصريين وإن ساكنوهم مصر؟ ألم يكن الاجدر بنا أن نصرف علومنا ومعارفنا وقوانا العقلية فى صلاح بلادنا وبث روح العلم والحياة الوطنية فيها؟ ابراتب قدره عشرون جنيها يبيع المرء منا اخاه ووطنه، بل جنسه ودينه؟ ام بكلمة تقدير نصرف حياتنا فى خدمة الاجنبى لنعينه على إخواننا لينتقم بغير ذنب ويجنى على غير جان؟"

كما حذر منهم مصطفى كامل بعد فى عدة خطب مما جاء فيها "إن تحذير الأمة من اعمال الدخلاء صار واجبا على كل مصرى شريف الاحساس، مخلص النية لبلاده، وما نبلاء المصريين بجاهلين طغمة الدخلاء، بل الكل يعرفها، والكل اذا لقبها يشير اليها، فلتحبطوا أيها الوطنيون الفضلاء مساعى هذه الفئة السيئة. ولتردوا رجالها على اعقابهم خاسرين، فالدخيل الدخيل هو العدو الحقيقى، وهو العدو الالد الذى تجب محاربته بالقلم واللسان" خطبة فى الاسكندريه ١٨٩٦م.

كتاب مفتوح

إلى سادة مصر وسكانها الكرام (*)

أتجاسر على نشر هذا الكتاب المفتوح لسادة مصر لانى لا اخشى أن يتهمنى احد بالتزلف والغرض وليس لي حاجة في مصر اسعى اليها فانا قانع بما قسم الله لي في بلدى فاذا قلت فلا قول غير الحق ولا ينسب القراء إلى قولي التمويه ولاسيما بعد أن ناديت بالحقيقية بين اناس لا يحبونها كثيراً .

أن مصر وسوريا بحكم الموقع الجغرفى واللغة والسياسة والاخلاق جارتان أن لم اقل شقيقتان ولكل منهما في اختها مصالح وشؤون توجب تقاربهما وائتلاف سكانهما وصلاتهما التجارية وأن من مطالع تاريخ البلادين منذ عهد الفنيقيين والفراعنة يعلم أن سكانهم كانوا مرتبطين بصلة الاخذ والعطاء حتى أن الكثير منهم كانوا يملكون عقارات واراضى في مصر وفي سوريا على السواء وما قصة عزيز مصر يوسف بن يعقوب الا رمز وكناية عن وجهة السوريين إلى بلاد النيل المبارك لكن مصر منذ القديم اجود من سوريا تربة واعدل احكاماً وهذا ما يفرح له السوريون عملاً بالمثل السائر اذا كان جارك بخير فانت بخير فيقصدون مصر متى قضى عليهم الله او القدر أو الحاجة إلى كسب المعاش أو الجور والظلم. وإذا أمّ السوريون مصر أموا الملجأ العزيز والاراضى الخصيبة الرحبة التى يعهدون فى أخلاق أهلها خيرا كالذى يعهدونه فى تربتها .

وفى التاريخ شواهد على ميل السوريين إلى المصريين واخلاصهم الخدمة لهم لو أردت سردها باسرها لضاق المقام عن ذكرها وطال بى المقال لكنى اكتفى منها بذكر حادثة فمن

(*) المقطم ٦ سبتمبر ١٩٠٠

ذلك ما لقيهُ المرحوم ابرهيم باشا عند فتحه سوريا من تعلق معظم السكان وبعض الحكام حتى انك لتجد اسمهُ إلى الآن محبوباً مكرماً عند كثيرين وربما كان اقرب إلى قلوبهم منهُ إلى قلوب كثيرين من المصريين وقد خدم السوريون أباهُ المرحوم محمد على باشا بما هو مشهور من امانتهم ولم يذكر في التاريخ أنهم عملوا يوماً ما على خيانة جارتهم أو على نكران حسناتها .

ولما حدثت الثورة العرابية وانتشر الوباء في مصر وجاء المصريون سورياً أما رحبنا بهم ووددنا لو يقيمون بين ظهرانينا الدهر كله .

وفي العهد الاخير لما بوشر مد الخطوط الحديدية في سوريا تقاطر الفعلة المصريون اليه زرافات تعد بالالاف فما وجدوا هناك الا الترحيب على فقر السكان واحتياجهم إلى العمل وكان اصحاب الحل والعقد في مصلحة السكك الحديدية من السوريون يقدمون فعلة مصر ويساعدونهم على الوطنيين حتى أن جنباً منهم توطن في سوريا ولا اخال في الجانب الآخر منهم شاكياً واحدا من معاملة السوريين .

وزد على ذلك أن هواء سوريا ومياهها العذبة تحمل المصريين على زيارته فنطرب بقدومهم ونكرم وفادتهم. فما السبب في بغض جماعة من المصريين للسوريين وتحريض قومهم على بعضهم والسخط على من والاهم وثنى عليهم لنشاطهم وعلو هممهم ...

لا يخطر في فكر منصف أن سادة مصر وسكانها ينقمون على السوريين مزاحمتهم لهم في طلب الرزق. وهب أن بغضهم لهذا السبب فأين عدد السوريين من اليونانيين والطليانيين وغيرهم ثم أى بلاد في المعمور لم تؤهل بالمهاجرين ولم ترحب بالقادمين اليها هذه باريس وتلك لندره وفيانا وبرلين وبطرسبرج من عواصم العالم المتمدن الذى فتح الفتوحات وشاد المستعمرات لبنيه قد غصت بالاجانب والمهاجرين من كل جنس وشعب وهذه تونس والجزائر والهند غاصة بالاجانب والمهاجرين من غير الفرنسويين والانكليز وقرى بلاد الله الحقيرة نفسها لا تخلو من الغريب والنازح والتاجر والصانع .

قد قسم الله بين الناس رزقهم   لا يخلق الله من خلق يضيّعهُ

ثم ان السوريين أحق باستيطان مصر من سائر الاجانب للجيرة الشافعة واللغة والجامعة العثمانية وان السوري المسيحي اقرب الى المسلمين من سواه لنهجه منذ القديم منهج المسلمين في كثير من ازيائه وعوائده واخلاقه ولاتباعه في الاحكام المدنية قاعدة الشريعة المحمدية الطاهرة ونطقه بالضاد مما يمكنه من معرفة حسنات القرآن العزيز وتقدير مكانته من النفع والفضل قدرها وهو وأن لم يعترف بوحي الدين المحمدي يفخر بكونه منسوباً إلي الامة المجيدة التي ولدت النبي المعظم عنوان مجد العرب والفحول الذين نشروا هيبته كالصادق أبي بكر والفاروق الحكيم عمر وامام البلاغة الاعظم علي ورب السياسة معاوية والسيف الفاتح خالد بن الوليد وابن الجراح وابن العاص وابن وقاص ومن في مكانتهم الرفيعة من تلك الفئة الشريفة الباذخة الشأن الجليلة القدر التي يرفع بذكرها كل شرقي رأسه ثم أن النبي المعظم اوصى بالمعروف لنصارى العرب واعطتهم الصحابة عهوداً تمكنهم من التمتع بحقوق الرعية وسكان البلاد فاين الوصية والعهود من تحامل بعض المصريين على السوريين وكرههم اخوانهم ابناء العرب دون الافرنج وهم لم يقاسموهم مثل هؤلاء ارباحهم القسمة الضيزى ولم يذنبوا ولم يستوجبوا الغيظ الشديد. نعم أن للسوريين ما لكل قاعدة شواذا ولا أنكر ان بعض الافراد منهم قد شطوا عن سواء السبيل لكن شذوذ النفر القليل لا يقضي بحقد سادة مصر على جميع السوريين وسيئة واحدة لا تضيع حسنات ولا تستوجب السخط سواء على الصالح والطالح والشاكر والناكر . نحن السوريون ولا مخالف منا نحب ونحترم البيت العلوي الشريف ورأسه الحالي صاحب السمو الخديوي المعظم ونحب ونحترم المصريين ونعترف بفضلهم وفضل مصر علينا ونبقى محافظين على هذه الشواعر غير ناظرين إلى شطط المغرورين

ندره مطران

باريس في ٢٥ اغسطس سنة ١٩٠٠٠

التقدم الظاهر

اذا شاء القارئ ان يعلم صحة الذى قلناه غير مرة عن تقدم القطر المصرى فى الاعوام الاخيرة تقدماً واضحا فعليه بمراجعة الكتاب النفيس الذى وضعته نظارة المالية برأى جناب المستر غورست مستشارها وفيه حجة دامغة تدل بالارقام التى لا ترد على أن البلاد خطت خطوات واسعة في ميدان التمدن والارتقاء فى الخمس الأخيرة من هذا القرن أو ما بين عامنا الحالى وعام ١٨٨٠.

والظاهر من جداول هذا الكتاب النفيس أن أهل القطر يزيدون عدداً فى كل سنة ولا تقل الزيادة عن اثنين وتسعة اعشار فى المائة من جملة عدد الساكنين وحالتهم تتحسن من عام إلى عام ذلك مع ان نفقات الحكومة فى ازدياد ايضاً وايرداها فى صعود مستمر ولكن زيادة الايراد واضحة وتقليل مقدار الضرائب امر معروف فان جملة الضرائب سنة ١٨٨٠ كانت ٧١٩٨٤٩٧ جنيها فصارت فى العام الماضى ٨٣٦٥٩١٧ ولكن الضرائب المعدودة فى جملة الاموال المقررة نقصت من ٥٤٢١١٠٧ إلى ٤٨٣٤٨٥٦ أو نحو ١١ فى المائة واما الضرائب الغير المقررة مثل ايراد الجمارك والدخوليات فزاد ٨٣ فى المائة مدة هذه الاعوام المذكورة وهذا دليل لا دليل بعده على تخفيف الاحمال عن عتق اصحاب الملاك والاراضى وزيادة الايراد من اهل الترف والورادات الاجنبية. وواضح منه ان الافدنة التى تزرع الآن زادت عن الافدنة التى كانت تزرع من ٢٠ عاما نحو ٧٨ ألف فدان ولكن ضرائب الاطيان كان معدلها فى العهد الأول ١١٠٥ مليمات عن كل فدان فصار المعدل الآن ٨١٩ مليما مع ان قيمة الاراضى ارتفعت والحاصلات زادت وكثرت

(*) مصر فى ٢٦ اكتوبر ١٩٠٠

وقد كانت معظم الزيادة فى ايرادت الحكومة من الاموال الغير المقررة ورسوم الجمارك والدخان فانها بلغت نحو مليون جنيه. ومثل هذا يقال فى ايراد المصالح التى لها ايراد كالبوسطة والتلغراف والملح ولا سيما هذا النوع الاخير فانه زاد الايراد منه نحو ٤٠ فى المائة مع ان الثمن انزل في سنة ١٨٩٣ اربعين في المئة. وكانت جملة ايرادات الحكومة في العام الاخير ١١٢٠٠٠٠٠ جنيه واما فى عام ١٨٨٠ فكانت نحو تسعة ملايين

هذا وفى الكتاب المذكور شئ كثير من الحقائق والارقام والمعلومات التى يجدر بكل محب للعلم باحوال مصر ان يقف عليها وقد نعود الى اقتطاف شئ منه فى فرصة أخرى ولكننا نكتفى الان بما مر ونثنى اطيب الثناء على جناب المستشار غورست الذى تشهد كل اعماله له بواسع العلم وسمو التربية واصابة الرأى وشريف الغاية .

متى ندركهم (*)

نقول أننا نتقدم إلى الامام ونجرى نحو الكمال وهو قول لا مرية فيه ولا غش ولكننا إذ قلنا هذا يكفي ويوصل للغاية المطلوبة نكون كمن يموه على نفسه ويذر في عينه رماداً ولايدرى لأن سعينا هذا لا يعد سعياً ونشاطاً بل في الحقيقة كسلا وحبوطاًمادام جارنا الاوروبى يسيير ميلا ونحن على أثره نسير ذراعاً والغاية كلها اللحاق به وادراك ما ادركه حتى الآن : وعلى هذا المنوال يظل الشرق شرقاً والغرب غرباً أى هذا فى حيز التأخر والضعف وذاك في ساحة الترقي والقوة يواصل السير بهما وله من ضعفنا كل الأمل والفائدة .

استلفت نظرى إلى هذا الموضوع ركوبى أمس قطار الرمل فكان في المركبة عشرة ركاب أربعة شرقيون وستة أوربيون فكنا نحن الأربعة ننظر إلى بعضنا كمن به مس من الخبل ولا نخجل من أنفسنا والستة مكبون على جرائد بلادهم ومجلاتها وأحدهم يتصفح كتاباً بامعان فقلت لصديق لى كان أمامي يتأمل يا أخى أين هم منا ومتى نصل اليهم مادمنا هكذا نضيع الوقت الثمين بغير عمل لانفكه النفس بما يعدها لمطلبهاويسهل عليها السبيل وبعبارة أخرى لا نغذى العقل بحاجات اليوم ونرشده إلى العلوم العصريه والمخترعات الحديثة والأقوال الجديدة أليس من هذا الكسل والتوانى كل العار والتأخر؟؟ فأجابنى لك من هذا موضوع جليل فلا تبخل به على القراء ففعلت .

المهندس – لا يلتفت الا الى ماتعلمه في المدرسه واشتغل به في عمله حالة أن الرياضات فى تقدم والهندسه في أوج الارتقاء لا تزال تطلب المزيد ولها مجلات حديثة تأتيك كل أسبوع بمخترعات رجال هذا الفن ورسوم أعمالهم على اختلاف أنوعها ولو طالعها مهندسنا الشرقي لكان شريك المتقدمين فيها واستفاد وأفاد .

الطبيب – صحف الطب لا تعد ولا تحصى وتوجد مجلات له تجمع كلما قيل من مباحث الاطباء والجراحين والاختصاصيين بالامراض فكلما شهد عالم مرضً جديدا شرحه بدقه وأبان أنجح العلاجات التى استعملها

(*) المؤيد ١٨ أكتوبر ١٩٠٠

لمقاتلته واذا عملت عملية جراحية من العمليات الحديثة ونجحت بادر إلى اشهارها بفرح ورسم تلك العمليةرسما مقرونا بالعلة وهكذا مما يطول شرحه لو عددناه فاذا لم يطالع أطباؤنا هذه الصحف والمجلات فمن أين لهم التقدم والترقى وكيف يؤتمن طبيبنا على عليله وقد يكون ممن شغلته الحرية الحديثة... عن مطالعة ما تعلمه فى المدرسة وألهته الازبكيه أو المنشية عن التفتيش على هاته الفوائد الجلى المتوقف عليه حياة أولاد جنسه

وهكذا قل عن الصيدلي والقانونى والنجار والحداد وكل محترف فى حرفة فان لحرفته رجالا يلتمسون ترقيتها وتحسين أمرها فى البلاد الاوروبية وأمريكا ونحن على ما اكتسبناه من موضوعات آبائنا وأجدادنا مكتفون بما أدركناه وبعدما نقول اننا نسير إلى الامام ونجهد للوصول الى الكمال والله يعلم ونحن نعلم اننا نغش أنفسنا ونذر الرماد فى اعيننا بأيدينا ولنا منه النصيب الاوفر ولا نستحى .

نعم ان سيرنا بالتعلم والتعليم اصبح اليوم أفضل منه بالامس ولكن هذا لا يكفى فان التلامذة بعد خروجهم من المدرسة يجدون وراء الوظيفة والعمل فمتى، بلغوا ضالتهم اكتفوا وجلسوا بجانب آبائهم واخواتهم مسندى ظهورهم إلى جدران الكسل والخمول قائلين حسبنا ما تعلمنا وهو منتهى غش أنفسهم وضررها هذا والاوروبى يطلب المزيد ويسأل الجديد ويعمل ليكتشف ويتوسع بعلمه ويفيد – فلماذا لا يسير هو ميلا ونحن شبراً ولم لا يقوى ونحن نضعف تالله ان من هذا منتهى الاسف والندم

وبالختام نستلفت أنظار المصرى لا إلى الاوروبى ولا إلى الأمريكانى ولا إلى اليابانى بل إلى أخيه العثمانى التركى فقد ادرك قبل حقيقة العجز وما هو عليه من الضعف فهب الآن من سبته يتعلم ويعمل ويطالع ويستفيد كالاوروبى سواء وقد لا تمضى سنوات قليلة حتى تلحق الاستانة بأوروبا علما وارتقاء ونصبح نحن ذيلا للجميع والعياذ بالله من ذيل الجهل المعقود به الذل والفقر .

التعليق ....

الرتــب والنــياشــين

جاءت سنة ١٩٠٠م ومصر تابعه للدوله العثمانية صاحبة السيادة الاسمية عليها، بينما كانت فعليا السلطة فى يد المندوب السامى البريطانى فى مصر، ،استمر هذا الوضع حتى عام ١٩١٤م عندما اعلنت الحماية البريطانيه على مصر عشية الحرب العالميه الاولى وبذلك انقطعت العلاقة الرسمية بين مصر والدوله العثمانيه التى كانت لها منذ الاحتلال البريطانى لمصر مندوب سامى عثمانى "هو حضرة مختار باشا الغازى" ولكن فى الحقيقيه كان عديم السلطة .

وشمل الاضطراب كافه مناحى الدوله العثمانيه الهرمه بعد أن عاشت فوق الستمائه عام وأصبحت رجل أوربا المريض، وتسلط افراد معينون على السلطان وانتشرت الرشاوى بين الموظفين وبين المقربين من السلطان حتى بيعت "الرتب والنياشين" التى كانت لا تمنح إلا لاصحاب المفاخر والمعالى الذين ادوا خدمات جليله للبلاد. وكانت الفرمانات الممنوحه من الدوله العثمانيه لاسرة محمد على لا تسمح لهم بمنح الرتب والنياشين الا بعد مراجعه وموافقه السلطات العثمانيه فى استانبول -وضجت الصحف المصريه انذاك من الاضطراب الواضح فى صحفها لأناس لا يستحقونها اطلاقا، هاجمت بعض الصحف الشيخ "ابوالهدى الصيادى" احد ابرز المقربين للسلطان على أنه يتناول الرشاوى فى سبيل منح من لا يستحقون هذه الرتب والنياشين لهم ولم يستطع لا أصدقاء "الصيادى" ولا اصدقاء واتباع السلطان

الرد على هذا الهجوم لأنه بالفعل منحت تلك النياشين لمن لا يستحقونها وكان الاقتراح : أن لا تمنح الدولة العثمانية أى من هذه الرتب والنياشين الا بعد مراجعة الاسماء بمعرفة الخديو عباس حلمي، والغازى مختار باشا وهما من اقرب الاتباع وأخلص الناس للسلطان. وللتدليل على سوء توزيع هذه الرتب نقدم مجموعة من الوثائق التى توضح ذلك بلا براء وهى محفوظة فى دار الوثائق القومية - محافظ ابحاث. محفظة رقم ١٤٩ .

طــغــراء

الغازى السلطان عبدالحميد الثانى

ما يقتضيه النشان الشريف العالى الشان السامى المكان والطغراء الغراء العالية الخاقانية، هو انه

تقديرا لخدمات الذين قاموا من الذكور والاناث بتبرعات ماليه ومساعدات ادبية لاعمال السكك الحديدية التى من مقتضى امرنا وارادتنا السنية انشاءها بين الشام الشريف إلى المدينة المنورة ومكة المكرمه، لتسهيل سفر الحجاج الحجاز ذهابا وايابا وتذكيرهم بأعمالهم المشكورة قد انشئ من طرفنا الشاهانى نوط من درجات مختلفة .

وبناء على أن اقضى قضاة المسلمين السيد محمد على الانصارى افندى زيدت فضائله من علماء مصر لما قام به من الخدمات قد استحق للنوط المذكور من النوع المصنوع من النيكل حسب النظام الخاص به .

فقد انعمنا على المومأ اليه بموجب ارادتنا السنية السلطانية بعد الاستئذان به قطعة من النوط المذكور من النوع المصنوع من النيكل واصدرنا براءتنا العالية هذه ايذانا بذلك .

تحريراً فى اليوم الرابع من شهر ذى الحجة الشريفة سنة احدى وعشرين وثلاثماية

بمقام القسطنطينية

المحروسة المحمية

ويتضح لنا من هذه الوثيقة أن السلطان كان يعطى نيشانا لكل من يتبرع بمبلغ معين (وهو ضئيل فى كل الاحوال) لخط سكة حديد الحجاز، أى فى الحقيقه هو بيع مقنع لهذه النياشين وهو ما يتأكد من الوثيقه التاليه التى تمنح النيشان لمن يتبرع بمبلغ معين لرفع شأن البحريه العثمانية .

طغراء

الغازى السلطان محمد رشاد خان

ما يقتضيه النشان الشريف العالي السامي المكان السلطاني والطغراء الغراء العالمية الخاقانية هو أنه .

تقديرا لخدمات الذين يقومون من الرجال والنساء بتبرعات مالية ومساعدات ادبية لجمعية اعانه الاسطول العثماني الوطنية التي انشئت لاعلاء شأن البحرية العثمانيه وترقيتها إلى درجة تتناسب مع السطوة العثمانية وتتفق مع حاجاتنا العصريه كان قد وضع نوط ينعم به على امثال هؤلاء المذكورين .

وحيث أن ديكران بك بهادريان المقيم بالاسكندرية الذى اعرب عن حميته وغيرته بالتبرع بمبلغ خمسمائة قرش اعانة للجمعيه المذكورة، قد استحق بموجب النظام الخاص للنوط المذكور من النوع المصنوع من الشه.

فقد انعمنا على المذكور قطعه من النوط المذكور من النوع المصنوع من الشه، بموجب ارادتنا الشاهانيه الصادره بذلك بعد الاستئذان واصدرنا براءتنا العاليه هذه ايذانا له بذلك .

حرر في اليوم الثالث عشر من شوال المكرم لسنة احدى وثلاثين وثلاثمائة والف

مقام قسطنطينيه

المحروسة المحمية

يتضح لنا من هذه الوثيقة أن السلطان كان يعطي لكل من يتبرع بمبلغ معين لرفع شأن الاسطول العثماني – نيشان – وهو كما قلنا سابقا بيع مقنع لا يعتمد على المقدرة الشخصية للفرد الممنوح له النيشان .

طغراء

السلطان محمد رشاد خان

ما يقتضيه النشان الشريف العالى الشان السامى المكانه، الطغراء الخاقانية هو أنه
بناء على استحقاق وجدارة قدوة الاماجد والاكارم رشدى بك من مهندسى الفرع المصرى بالخط الحديدى للحجاز بتعطفاتنا الشاهانيه علما بما قام به من الخدمات الصادقة فى انشاء هذا الخط .

فقد انعمنا على الموما اليه بالنيشان العثمانى العالى من الطبقه الرابعه بموجب ارادتنا الملوكانية السنية الصادرة بعد الاستئذان بذلك واصدرنا براءتنا العالية متضمنه بذلك .

حرر فى يوم الحادى والعشرين من شهر ذى الحجة الشريفة لسنه ثلاث وثلاثين وثلاثمائة والف

بمقام دار الخلافة العلية

طغراء

الغازى السلطان محمد رشاد خان

ما يقتضيه النشان الشريف العالى الشان السامى المكان والطغراء الغراء العاليه الخاقانيه هو أنه

بناء على انهاء الخديويه المصريه الجليلة من استحقاق وجدارة حسين صدقى افندى الكاتب بقبو كتخدائية مصر لتعطفاتنا الشاهانيه .

فقد منح الموما اليه النشان المجيدى من الطبقة الرابعة بموجب ارادتنا السنية الملكية الصادرة بعد الاستئذان بذلك وصدرت براءتنا العالية هذه متضمنة ذلك .

حرر فى اليوم الثامن والعشرين من شهر المحرم سنة ست وثلاثين وثلاثمائة والف

بمقام دار الخلافة العلية

وبعد مائه عام على هذا النقد اللاذع الموجه لمنح الرتب والنياشين نجد الآن نفس النقد يوجه ولكن بصورة اخرى اشد حده فى منح جوائز الدوله التقديريه والشخصيه وجوائز التفوق. فاين نحن من الامس ،اين نحن من الغد ؟ هذا السؤال ينبغى لنا أن نجيب عليه اذا كنا جادين فى البحث عن صيغه للتعامل مع المستقبل .

محمد على والرتب (*)

عثرنا على كتاب جليل فى بابه بعث به المغفور له محمد على باشا رأس العائلة الخديوية الى المرحوم مظلوم باشا قبو كتخدا الحكومة المصرية فى دار السعادة والكتاب من انشاء المرحوم كامل باشا الصدر الاسبق . وهذه صورته التركية نشفعه بترجمته العربية :

"زيور افزاى ساحة اشتهار او لان سور همايون مناسبتيله بعض بند كان سلطنت سنيه احراز رتبة ايده جكندن حفيدم مصطفى بك وثابت بكه دخى رتبة ثانيه احسانى صوابديدء حضرت صدار تپناهي اوله رق اجرا سنه ذات سعاد تلرى موافقت بيور دقلرنيى شامل اولان فى١٨ ل سنة ٦٣ تاريخلو شقه بهيه لرى مطالعة سيله معلوم خالصانة م او لمشدر"

"انسان بالطبع ترقى وترفهه مائل وطالب اولوب هر صنف بولنديغى طريقدة اسباب ترقى واعتلانه ايدوكنى بيلوب تحصيل امل ايلمك اوزره اعداد اسبابه جبر نفس ايلمسى امور طبيعية دن وانسان على أختلاف الطبايع حب بطائتله مجبول اولوب أملنك امكسز حصولنى مشاهدة ايتد كچه اسبابنك تحصيلنه همت ايتميوب حلية معارف وكمالاتدن عارى ومحروم قالمسى امور عاديه عالمدن أو لديغى ومير مومى اليه ايسه أولا صغير السن اولوب محاسن كمالات انسانية نك دركندن عاجز وثانياً بالطبع متكاسل أولد يغندن سهولتله تحصيل أمل ايتدكچه هيچ چالشميه جغى وسايه سنيه شاهانه ده فامليای بيننده قدر واعتبارى انجق حليه هنرله اوله جغى

(*) مصباح الشرق ١٥مارس ١٩٠٠ .

دركار او لمغله بوبابده كندويه غدرا و لا يغنى بيان يتمكه مجبور او لدم . بناء عليه بوندن بويله تودرلوا بيلكدن صرف تطر بيور لمسنى نياز ايدرم" . انتهى .

"ان بعض عبيد السلطنة السنية يتشرفون باحراز الرتب بمناسبة المهرجان الهمايونى الذى يتجلى فى الآفاق بهاء وسناء ومن اجل هذا استصوب حضرة الصدر الاعظم وجوب الأحسان بالرتبة الثانية الى حفيدى مصطفى بك والى ثابت بك كما علمنا ذلك من مطالعة رسالتكم البهية المؤرخة فى ١٨ لـ {شوال} سنة ٦٣ وقد فهمنا منها موافقة سعادتكم على ذلك الامر .

ولايخفى عليكم ان الانسان ميال الطبع الى طلب الترقى والتنعم كما أنه من الامور الطبيعية ان كل انسان مع علمه بالاسباب والطرق الموصلة الى أوج الرفعة والاعتلاء فانه لا يزال مجبولا على حب التوانى والتباطؤ أن لم يجبر نفسه على اقتناء تلك الاسباب والاخذ بها فاذا بلغ أمله من المعالى عفواً صفواً بلا تعب ولا نصب فانه لا يهتم فى السعى وراء تلك الاسباب وتحصيلها ويبقى بالطبع عارياً من حلية المعارف محروماً من زينه الكمالات .

"أما الامير الموما اليه فهومن جهة صغير السن عاجز عن درك المحاسن والكمالات الانسانية وهومن جهة أخرى اذا حصل أمله بالسهولة كان من البديهى أنه يتكاسل عن الطلب ويتقاعس عن السعى وفضلا عن ذلك فان درجته هى السادسة بين طبقات العائلة فى امتياز الوراثة التى نالته عائلتى المخلصة للدولة المحبه لخيرها فى ظل الحضرة السلطانية وقدره واعتباره بين العائلة لايكون الا بحلية الفضائل فلذلك صرت مضطراً ان أبين ان ذلك الأمر مما يضريه فى هذا الشأن وبناء عليه أرجو أن يصرف النظر بعد الآن عن مثل هذا الاحسان " انتهى .

هذا رأى محمد على فى الرتب علم بأصل وضعها ومزيه "انشائها وشرف مقامها وانها ان حازها غير جدير بها ضاعت المزية التى وضعت الرتب من أجلها

واختلت الدرجات وانقلبت الطبقات واختلط الشريف بالمشروف والسيد بالمسود والفاضل بالمفضول والعالم بالجاهل والعالى بالسافل .

لايصبح الناس فوضى لاسراة لهم ... ولاسراة اذا جهالهم سادوا

وعلم أن الرتب فى الدولة كالمكافأة للتلميذ فى المدرسة أن هو نال المكافأة ولم يتحمل مرارة الدرس ومشقة الاجتهاد ومضاضة الامتحان وثقل المواظبة قعدت به همته عن التحصيل ولم تنصرف نفسه إلى الترقى فى العلم ونام عن الواسطة ببلوغ الغاية فانعدم السعى وانمحى الطلب منه واعتقد فى نفسه الفضل على غيره والمزية على سواه ممن لم يبلغ رتبته ويوفق الى مثل توفيقه فيجهل حقيقة قدره ويتعدى الى غير طوره فى معاملاته ومخالطاته ويلحقه الغرور ويتملكه الكبر فتسوء أخلاقه وتقبح أفعاله بما يبعد قلوب الناس عنه فيتولد فيه النفور والجفاء كما تولد الحسد والبغضاء فيصبح شراً كله على نفسه شراً كله على الناس .

وعلم ذلك الأمير الجليل مقدار ذلك الضرر العظيم والخطب الجسيم وان من اقصى درجات الشفقة ومراتب الحنو أن يحترس منه على بنيه وأهل بيته فلم يرض لحفيده تلك الرتبة على ما كان عليه من التربية الملوكية فى صغره وناهيك بما ترى عليه مثل المغفور له مصطفى فاضل باشا من جليل التأديب وجميل التهذيب .

ومن رأى استعظام محمد على للرتبة الثانية على أحد حفدته وهو صاحب مصر وعزيزها والراقى فيها اقصى درجات العز والسعد والرفعة والمجد يعلم كيف كانت الرتب وكيف كان مكانها واعتبارها ومقدار ماكان لها من الاجلال والصيانة والتنزه عن التبذل والمهانة والضن بها حتى على أبناء الولاة والأمراء .

علم الله أنه لو بعث محمد على من رمسه اليوم ورأى ما وصلت اليه حال الرتب من بعده وأنها أصبحت تتهال على الناس جزافاً وتسع عليهم مدراراً لا

نظر فيها الى أمر أستحقاق ولا التفات الى داعية كفاءة ولا فكرة فى توفر أهلية ولا تساؤل بمن هو الاخلق ومن هو الا جدر –ورآها وقد قامت مقام الصلات والأعطية توزع على الناس كالدراهم وتنثر عليهم كما تنثر الدنانير على العروس ليلة الزفاف فلا يصل اليها وسط الزحام الا كل متكالب عليها متسافل اليها – ورأى الرتب تعطى بالقوائم والجرائد غير ملتفت فيها إلا الى الوسائط والوسائل يتساوى فيها الكبير والصغير والغنى والفقير والجدير وغير الجدير لم تشمل طبقة دون طبقة ولا حرفه دون حرفه ولا مهنة دون مهنة يتلقطها الموظف والتاجر والصانع والزراع والخباز والطحان والزيت والفاخورى والوراق والعطار والحمامى والفراش والنساج والمقاول والحجار نعم لو رأى ذلك محمد على لاستكبر الامر واستنكره واستعظمه واستبشعه ولا يقن بالمعجزة فى قيام بناء وقع الاختلال فى طبقاته وانحلت عرى درجاته وانفرط نظام مقاماته وتشوشت مراقى مراتبه ولم يهو البناء ولم يسقط الجدار – ولحمى أنفه واحتدمت غيرته على تلك المزية العالية التى كان يراهامن أفضل الذرائع لتربية النفوس على الفضائل والكمالات والجد فى طلب المجد واكتساب السؤدد والرفعه فاصبح يراها سلعة ينادى عليها فى الاسواق ويضاعة تعرض على الطلاب والقصاد – ولقضى تعرض الحزن والاسف لولا ما يخفف عنه من ان هذه الرتب اصبحت لتبذلها وعدم صيانتها عن غير الجدير بها خارجة عن حيز تلك المزية الشريفة ولم يبق من حقيقتها الا الرسم ولا من معناها الا الاسم ولا من ماهيتها الا ظاهر هيئتها كما ان سيف التشريفة فى ثيابها لم يبق له من معنى سوى التزين والتحلى به يوم العيد ويوم المهرجان بعد ان كان لا يتقلده متقلدة الا عدة للكفاح يوم الضراب ويوم الطعان .

تلك هى حال الرتب وما نزلت اليه فى هذه الايام نرى التنبيه عليها واجباً لتدارك امره كما ذكر نابه اطلاعنا على ذلك الكتاب لعلنا بها الى صروح الصيانة

وترفعا الى معاقل الكرامة ونضن بها على غير اهلها ومن لايستحقها بعمل نافع أو اثر محمود تعود عائدته بالخير فى خدمة الحكومة والدولة ومصلحة الأمة والملة أما اذا كان الحال قد قضى على الرتب ان تستمر على ما هى عليه الآن ولم يبق من موضع للتنافس فيها والتفاضل بها والجد فى العمل بالفضيلة للوصول اليها وجب ان يقوم مقامها امر آخر يتضمن معنى تلك المزية الشريفة مكافأة لأولى الغيرة على احراز الفضائل وجزاء لذوى الاجتهاد والعمل على حسن سعيهم كل على قدر مجهوده ومبلغ طاقته لآن بقاء الحال خالية من هذا مما يميت النفوس ويخمد العزمات ويقبض صدور العاملين فتنقبض يديهم عن العمل حيث لا يجدون من تفاوت فى المكافأة بينهم وبين أهل الكسل والتقاعد والخمول والتقاعس عن اكتساب الفضائل والكمالات الانسانية التى يشير اليها محمد على فى كتابة .

المصريون ورتب الدولة العلية ونشاناتها (*)

عرضت احدى جرائد العاصمة المشهورة بعدائها للدولة العلية بمستأجر اقلام اصحابها سماحة الشيخ أبى الهدى بدون أن تذكر اسمه واتهمته بالمتاجرة بنشانات الدولة العلية ورتبها. وهو تعريض قبيح وتهمة كنا نحب تكذيبها لولا انه لا يمضى اسبوع الا نسمع به انه انعم على فلان بالنشان الفلانى وعلى فلان بالرتبة الفلانية ومن عشرة ممن انعم عليهم قد لا يكون اكثر من واحد اهلا الانعام والباقون ينالونه عن غير اهلية بواسطة الشيخ أبى الهدى وسماسرته المنتشرين فى القطر. والذين وقفوا اقلامهم للدفاع عن مصلحة الدولة العلية وخلصوا لجلالة السلطان فى السر والجهر صاروا يخجلون مما وصلت اليه هذه الحالة ولم يبق لهم حيلة لدفع شماته الاعدء الذين اطلقوا لالسنتهم واقلامهم عنان التشفى والتطاول مع علمهم ان جلالة السلطان برئ اذ لا يمكنه ان يعلم سرائر جميع الناس فهو اذا انعم على احد فبموجب انهاء يرفع إلى ذاته العلية متضمن شهادة كاذبة بان المطلوب النشان له انما ذو اهلية. فالمسئول اذ هم اولئك الذين رفعوا إلى جلالته على غير الواقع ورووا غير الحقيقة وقد افادت اخبار الاستانه على غير انتظار أن الحضرة العلية

الرائد المصرى ٢٠ ابريل ١٩٠٠

السلطانية انعمت على حضرة الاصولى المتشرع المشهور نقولا افندى توما بالنشيان المجيدى الثالث وعلى حضرة قرينته الفاضله بنشان الشفقة . والذين عرفوا كلا المنعم عليهما ومالهما من مزايا الفضل وكرم الاخلاق قالوا هذا انعام حل محله وصادف اهله بينما عدة انعامات قد أخطأت المرمى والمخلصون لجلالة السلطان وجهو سهم اللوم والانتقاد الى الشيخ ابى الهدى الذى ضحى شرف الدولة ولم يراع حقوق الثقة والاخلاص لاجل مصلحته الخصوصية واما أعداء الدولة فنأنهم استغنموا الفرصة للتحقير والتعبير وهذا الذى احرجنا إلى نشر هذه العجالة لنبرئ جلالة السلطان وتوجه اللوم الى مستحقيه الذين ليسوا سوى اعداء بأثواب اصدقاء بل اشد ضررا على الدولة من الاعداء

وهنا لنا امنية نرفعها الى جلالة السلطان لعلها تبلغ شرف علمه وهى أن لجلالته فى هذا القطر مركزين يعتمد عليهم -احدهما المعية السنية ولا يخيل لنا ان فى العالم من هو اكثر اخلاصا للعرش العثمانى من سمو الخديو المعظم مع كل مادس الداسون وأفسد المفسدون والثانى لكومسيرية فوق العادة وامانة دولة الغازى مختار باشا الى مولاه لاتحتاج الى اثبات .

فاذا طلب بعض المقربين الانعام ببعض علامات الشرف على احد المقيمين في مصر فليسأل عن الشخص المطلوب له احد هذين المركزين او كلاهماوبعد ما تعلم الحقيقة عنه كما هى فلجلالة السلطان الحق المطلق فى ان

بنعم او لا – هذه هى امنيتنا التى نسألها غيرة على شرف مقام الدولة من ان تتطاول عليه الالسنة والاقلام .

وخلاصة القول ان الحالة تستدعى دقة بحث لانه اذا اصاب الانعام اهله وكان جميع المنعم عليهم من نخبة رجل المروءه والحميه كحضرة المفضال نقولا افندى توما الذى جئنا به شاهدا لحداثة عهد الانعام عليه تصمت اذا ذاك السنة الاعداء الشامتين. واذا بقيت الحال على ما هى قصرت يدى المخلصين فى الدفاع عن الدولة ومصلحتها .

الرتب والنياشين (*)

نهجت الحكومة المصرية نهج الحكومات المتمدنة فى مكافأة رجالها الذين يمتازون على الاقران فى خدمة الأمة وترقية الأوطان فجعلت الرتب والنياشين اخص علامات المكافأة لهم على فضلهم والامتياز على سواهم واستفزاز بنى وطنهم إلى الاقتداء بهم فى خدمة بلادهم ومجاراتهم فى ميادين الكمال وبلوغ ذرى المجد والعلى . ولكن قضى على مصر أن تكون رتبها ونياشينها عين رتب الدولة العلية ونياشينها وأن تستمدها من الاستانة لتنعم بها على رجالها فليس فى هذا القطر من يجهل ان كل الرتب والنياشين التى ينعم بها الجناب العالى اعزه الله على قومه المصريين ترسل من الاستانة عاصمة العثمانين .

وقد كان لانعام الدولة العلية بهذه الرتب والنياشين شأن عظيم منذ عهد غير بعيد فكان صاحب الرتب الدنيا يباهى بها الاقران أكثر مما يباهى اصحاب الرتب العليا الآن لان الدولة العلية كانت شديدة الضن بها فى عهد سلاطينها السالفين فلا تكاد تنعم بها الا على الممتازين المستحقين من رجالها ولهذا كان المصريون يباهون بها أيضا ويبذلون النفس في سبيل الحصول عليها ويفتخرون بكون النياشين والرتب العثمانية علامات فخر الامة المصرية ويعتزون ببلوغ شأو رجال الدولة الممتازين عند الحصول عليها

وزد على ذلك ان ما اعترى الدولة فى سوء السياسة وفساد الاحكام تركها فى

(*) المقطم فى ٢٧ ابريل ١٩٠٠

خوف دائم من السنة المعترضين واقلام المنتقدين فبادرت الى اسكات الذين تحت سلطتها امتهم بالعقاب والنفي والسجن والعذاب والذين خارج سلطتها بالمال والمناصب والرتب والنياشين ثم رأى رجالها الذين افسدوا احكامها وظلموا الرعية انهم يحتاجون الى من يدافع عنهم ويكثر من التموية والكذب لاخفاء ظلمهم واثمهم عن عيون اوربا والبلاد الشرقية المجاورة لبلادهم فاغدقوا النعم والخيرات على الذين استحلوا ان يوقفوا اقلامهم على مدحهم وتنبه لذلك قوم لا خلاق لهم ولا طاقة لهم على كسب عيشهم الا بالدنايا فتهافتوا على نشر الرسائل واصدار الجرائد الحقيرة فى أوربا ومصر وتونس وغيرها وجعل بعضهم ينتقد سياسة الدولة ويذمها حتى يسعى المابين في ارضائه ويقلده المناصب السامية وينعم عليه بالرتب العالية وبعضهم يمدحها ويبالغ فى الدفاع عنها والتزلف اليها استدراراً لخيراتها ونعمها .

فجازت حيلتهم على المابين وهاله امرهم فجعل يرسل الرسول تلو الرسول ليترضاهم وقلد كثيرين منهم المناصب العالية حتى جعل مناصب بعض الزعانف منهم مساوية لمنصب دولتلومختار باشا الغازى فى هذا القطر وشمل المادحين والقادحين منهم بفضله وقلدهم الرتب العالية وحلى حللهم الباهية بالنياشين الباهرة فصارت نشانات الدولة التى تقلدها مشاهير رجالها مثل عالى باشا وفؤاد باشا ومدحت باشا وكامل باشا وسعيد باشا وعثمان باشا الغازى ومختار باشا الغازى وغيرهم من الذين بنوا للدولة صروح المجد والفخار تتألق على صدور السفلة المحتالين والكذبة المجرمين الذين خدعوا المابين بافكهم واضروا عباد الله بوشاياتهم فأخفى بذلك فضل أولى الفضل وانحط مقام الرتب والنشانات العثمانية حتى صار قوم يعدونها دليلاً على انحطاط صاحبها فى الكمال عن اقرانه بعد أن كانت دليل فضله وكماله وعلو مقامه وصار الناس يتباهون بعدم احرازهم للرتب والنشانات

العثمانية كما كانوا يتباهون باحرازهم على أننا لا ننكر أن بعض الرتب والنياشين لا يزال يعطى لمستحقيه من موظفى الدولة ولا سيما رجال جيشها ومن اعيان العثمانيين الممتازين ولا ننكر ان بين الذين أنعم عليهم بالرتب والنياشين السامية فى هذا القطر قوما يستحقونها استحقاق أفضل العثمانيين ولكن كل صادق منصف يعترف الآن ان ما ينعم به المابين على المستحقين قليل في جنب ما ينعم به على غير المستحقين **حتى قلل قيمتها واضاع مزيتها واخرجها عن أصل وضعها واضعف رغبه الفضلاء فيها .**

فاسف المصريون من جراء ذلك ويحق لهم ان يأسفوا وشكوا ولاموا ومن لايشكو ولا يلوم إذا كان فى مكانهم فان الرتب والنياشين التى لا ينالونها من أميرهم فى هذه الايام الا بالجد والكد والسعى الدائم فى خدمة الحكومة والأمة ينالونها غيرهم من الاستانة على أهون سبيل إما بالتموية والاحتيال او بدريهمات يقبضها السماسرة الكثيرون ويقتسمونها هم وبعض المقربين . ويود جمهور المصريين الآن أن حكومتهم تسعى فى تدبير حميد به .

أما الآن فقد انقلبت الأمور وتغيرت الأحوال وامست شكوى المصريين ترن فى آذان العثمانيين من مشاركتهم لهم فى الرتب والنياشين ولا لوم على المصريين فى ذلك ولا تثريب **ألا ترى ان رتب الدولة ونياشينها تباع الآن بين ظهرانينا بيع السلع وان السماسرة مبثوثون فى هذا القطر وغيره من الاقطار يعرضونها بابخس الاثمان كانها من سقط المتاع** يظهر التمييز بين الرتب والنياشين التي تعطى من مصر والرتب والنياشين التى تعطى من الاستانة والا فإذا طال الحال على هذا المنوال فتشديد مصر فى اعطاء الرتب وضنها بالنياشين لا يجدى احداً نفعا بل يكون كله ظلما على المصريين من موظفين وغير موظفين .

الرتب والنشانات المصرية (*)

نحن الآن على قدم توديع العام الحالى واستقبال العام الجديد ونظارات الحكومة المصرية كل واحدة منها تستعجل المصالح التابعة لها بارسال أسماء الذين ترى تلك المصلحة صوابية الانعام عليهم برتب ونشانات فلا نلبث أن نرى عارض الانعامات فى تهطال على بعض موظفى الحكومة وغيرهم من العمد والمشايخ والاعيان. لكن من هم أولئك المطلوب لهم وهل هم نوو لياقة واستحقاق؟ ذلك أمر يناط برؤساء المصالح وفى جملتهم المحافظون والمديرون حكام العواصم وبلاد الارياف. وهنا نقطة البحث والتدقيق التى نوجه التفاتا لحكومة اليها .

ينتقد بعض الجرئد المحلية الحكومة العثمانية لأنها تتساهل باعطاء وسامات الشرف الى كثيرين ممن هم غير أكفاء لذلك ونحن لا نعارضها فى الانتقاد بل كثيراً ما شاركناها به غير اننا نعترض على سكوت هذه الجرائد عن انتقاد الحكومة المصرية من هذه الوجهة فان الحكومة أطلقت العنان لرؤساء المصالح فى طلب الانعامات فاصبحت الرتب والنشانات مورد كسب لبعض هؤلاء الرؤساء فقد بلغنا من ثقة أن بعض المديرين كثيراً ما يحرمون بعض نوى اللياقة من العمد والاعيان ويطلبون الانعام لغير المستحقين بخلاقهم ولا بمراكزهم الادبية فى الهيئة الجتماعية. واذا تحرت الحكومة هذا الامر بدقة ثبتت لها هذه الحقيقة فى بعض جهات القطر واتضح لها أن لبعض الاداريين

(*) الرائد المصرى ٧ ديسمبر ١٩٠٠ .

سماسرة مخصوصين يتوسطون بينهم وبين طالبي علامات الشرف وأن لكل رتبة أو نيشان جعلا معلوماً وسعراً مقرراً .

وفي بقاء هذه الحالة على مثل ما هي من الاطلاق عيب يعود على حكومة البلاد فاحر بها أن تتلافى الامر بما يصلح فساده ولا نرى لملافاته فضل من تعيين لجنة عالية في المعية السنية ترفع اليها الطلبات قبل عرضها على المرجع الاعلى واللجنة تفحص كل طلب من هذا النوع وتستقصي حالة المطلوب له الانعام فترسل الى كل نظارة نتيجة فحصها وبعدئذ يأخذ كل طلب مجراه القانوني العادل وتصان الانعامات من ابتذالها فعلا يعطي الوسام أو الرتبة الا للمستحق لا بيعاً ومساومة كما يجرى في بعض جهات القطر.

والحكومة لم تكتف بانها اطلقت العنان لرؤساء المصالح ليطلبوا ما ارادوا من الرتب والنياشين بل زادت بان نظارة الداخلية لا تسجل كل رتبة و نيشان ينعم بهما سمو الجناب العالى الفخيم في سجل خص كما تفعل جميع الحكومات المنظمة ولا تنشر خبر كل انعام يصدر في الجريدة الرسمية كما هوالواجب مع ان الانعام برتبة او نشيان عمل رسمي يصدر به أمر رسمي من لدن الجناب العالى مثل جميع الاوامر التي تصدر عن ذاته الفخيمة. أو الانعامات التي تصدر عن جلالة السلطان سواء كانت كلها اصابت اكفاء لها أو بعضها حل في غير محله فأنها لا تختلف بشئ عن الانعامات التي يكون مصدرها مصر ونظارة الداخلية لا تسجل أيضا ولا تنشر أخبارها في الجريدة مع انها تنشر احياناً اخبار الانعامات على البعض ممن لهم مراكز عالية في دوائر الحكومة .

الرتب والنياشين (*)

اشتغلت الجرائد هذه الايام بمسئلة يقال لها مسئلة الرتب والنياشين أعرضنا عنها كل الاعراض لأسباب كثيرة. ولكن لدينا مسئلة رتب ونياشين أخرى وهى عدم تسجيل كل رتبة ونشان يقلده الجناب العالى الخديوى فى سجل خاص يحفظ بنظارة الداخلية غير سجل التشريفات من هذا القبيل. ثم عدم نشر كل الانعامات فى الجرنى الرسميةمع انها من قبيل الأوامر العلية والارادت السنية وليس من الائق ان تخلو الجريدة الرسمية لحكومة الجناب الخديوى من نشرها.

كانت الانعامات تنشر جمعاء فى الجرنى الرسمية الى عهد المغفور له الخديوى السابق وكانت تصدر بعد ذلك أيضاً فى مجموعة الأوامر والمنشورات فيمكن الرجوع اليها كلما أريد تحقيق رتبة أو نشان لأحد من الناس. ثم أهملت بعد ذلك وعلى الخصوص منذ الغى قلم ادارة الجرائد الرسمية من نظارة الداخلية وقد تنشر فيها انعامات مخصوصة لبعض كبار الموظفين فى الدواوين أو رجال المعية السنية مع ان الواجب نشر جميع الانعامات الخديوية والانعامات الشاهانيه التى تأتى من طريق المعية السنية أو تسجل براآتها فيها لانها أوامر عالية وأكثر.

وفى كل الممالك والحكومات تنشر الانعمامات فى القسم الرسمى من جرنىها الرسمية فلماذا تهمل حكومة مصر هذا الواجب.

واننا لو اغتفرنا الى نظارة الداخلية اهمالها تسجيل الانعامات فى سجل خاص التعرف به ذوى الالقاب الرسمية من اهالى القطر فاننا لا نغتفر اهمال نشره فى الجرائد الرسمية وجمعها بعد فى مجموعات الاوامر والمنشورات.

(*) المؤيد ديسمبر ١٩٠٠.

الاســـــلام

(بقلم السياسى الشهير مسيو هانوتو)

(وزير خارجية فرنسا سابقا) (*)

(١)

نشرت جريدة الجورنال الباريسية مقالة افتتاحية تحت هذا العنوان بامضاء المسيو جابرييل هانوتو وزير خارجية فرنسا السابق فآثرنا تعريبها كما يأتى :

قد أصبحنا اليوم ازاء الاسلام والمسئلة الاسلامية .

اخترق المسلمون أبناء آسيا شمال القارة الافريقية بسرعة لا تجارى حاملين فى حقائبهم بعض بقاياتمدن البيزنطيين "يونان الشرق" ثم ترامـوا بها على أوروبا ولكنهم وجدوا فى نهاية انبعاثهم هذا مدنية يرجع أصلها إلى آسيا بل أقرب فى الوصلة إلى المدنية البيزنطية مما حملوه معهم ألا وهى المدنية العارية المسيحية ولذلك اضطروا إلى

(*) المؤيد فى ٢ ابريل ١٩٠٠ .

الوقوف عند الحد الذى اليه وصلوا. وأكرهوا على الرجوع إلي أفريقية حيث ثبتت فيها أقدامهم احقاباً متعاقبة ولكن كان لا يزال الهلال ينتهي طرفاه من جهة بمدينة القسطنطينية ومن أخرى ببلدة فاس فى المغرب الاقصى معانقا بذلك الغرب كله .

فى تلك البقعة الافريقية التى أصبحت مقر ملك الاسلام جاءت الدولة الفرنسوية لمباغتته. جاء القديس لويس الذى ينتمى إلى اسبانيا بوالدته ليضرم نيران القتال فى مصر وتونس وتلاه لويس الرابع عشر فى تهديده بالايالات الافريقية الاسلامية وعاود هذا الخاطر نابليون الاول فلم يوفق إلى تحقيقه الفرنسويون الا فى القرن التاسع عشر حيث أخذوا على دولة الاسلام التى كانت لا تنى عن متابعة الغارات ضد القارة الاوروبية فأصبحت الجزائر فى أيديهم منذ ٧٠ عاماً وكذلك القطر التونسى منذ ٢٠ عاما .

قد وصلت طلائع قوانا الآن إلى اصقاع من الصحراء تنتهى اليها كثبانها الرملية فعظم اندهاش الباقين من خصومنا وتزايد ذهولهم لانهم بعد اندفاعهم شيأ فشيأ فى الفيافى وبطن الخبوت وظنهم أنهم صاروا فى أمنع موئل شعروا بأنفسهم وقد حلق عليهم الاوربيين من جميع الجهات وكانت القبائل الواردة اليهم من السنغال أخبرتهم بأن الاوربيين امتلكوها وتقدموا منها إلى باقل وباماكو وسيجوسيكورو وتوغلوا فى جهات أخري حتى وصلوا إلى النيجر وبحيرة شادوأن مدينة تمبكتو المقدسة قد سقطت فى أيديهم منذ أعوام. وأكد لهم هذه الاخبار أيضاً رسلهم الذين يخترقون افريقية الوسطى ويجوبون نواحيها بما ذكروه لهم من أن جهات صانغا وتجاوندره قد وطأتها اقدام الحاملين للعلم المثلث الألوان الذين يصعدون الانهار لتنظيم البلاد وترقية شؤنها وأن وابوارتهم (فى الاصل بابور على التحريف الشائع عن الامم الشرقية من تسمية البواخر النهرية والبحرية بالبابورات بدلا عن البواخر) تشق عباب نهرى الكونغو والشارى وتنعكس

على سطحها صورة الدخان الاسود المسترسل خلفهما . عندئذ كان يطرق الآذان صوت البائسين وقد جلسوا أمام دورهم واضعين رؤسهم بين أفخاذهم لكثرة الغم والكدر وهم يدعون إلى الله ويكررون قولهم عن فرنسا يشبهونها بسرداق كبير اذا حاول الانسان خلعه فلا يزال له السمو عليه ويختمون كلامهم بقولهم "قد كان هذا قدرا مقدورا" .

اذن فقد صارت فرنسا بكل مكان فى صلة مع الاسلام بل صارت فى صدر الاسلام وكبده حيث فتحت أراضية وأخضعت لسطوتها شعوبه وقامت تجاهه مقام رؤسائه الاولين وهى تدير اليوم شؤنه وتجبى ضرائبه وتحشد شبانه لخدمة الجندية وتتخذ منهم عساكر يذبون عنها فى مواقف الطعان ومواطن القتال. تلك المملكة الفسيحة الارجاء التى أنشاتها فى باطن القارة الافريقية هى الوارثة لما أبقته الدول السالفة والامم البائدة من قرطاجيين ورومانيين وعرب من آثار المدينة التى كانت القارة الافريقية منبتا لثمارها اليانعة

أن شعبا جمهورى المبادئ يبلغ عدد نفوسه أربعين مليونا لامر شدله الا نفسه لا عائلات ملوكية فيه يتنازعن الحكم ولا رؤساء يتناولون الرئاسة بطريق الوراثة هو الذى تقلد زمام ادارة شعب آخر لا يلبث أن ينمو حتى يساويه فى العدو وهو ذلك الشعب المنتشر فى الارجاء الفسيحه والاصقاع المجهولة والمتبع لتقاليد وعادات غير التى نعنولها ونحترمها هو الشعب الاسلامى السامى الاصل الذى يحمل اليه الشعب العارى المسيحى الجمهورى الآن ملح وروح المدنية نعم أن ظروف وشروط هذه المعضلة نادرة ولكن ليس على الشعب الغالب أن يحاول جهده لمعرفتها والا طلاع عليها .

ليس الاسلام فينا فقط بل هو خارج عنا أيضا قريب منا فى مراكش تلك البلاد الخفية الاسرار التى يشبه وجودها الحاضر مقدور الأبد فى الغموض والاشتباه .

قريب منا فى طرابلس الغرب التى تتم بها المواصلات الاخيرة بين مركز الاسلام في البحر الابيض المتوسط وبين الطوائف الاسلامية فى باطن القارة الافريقية . قريب منا فى مصر حيث تصادمه الدولة البريطانية مصادمتها اياه فى الاقطار الهندية وهو موجود وشائع في آسيا حيث لا يزال قائما في بيت المقدس وناشرا اعلامه على مهد الانسانية ويحسب أنصاره وأشياعه في قارات الارض القديمة بالملايين وقد انبعثت شعبة منه في بلاد الصين فانتشر فيه انتشارا قاتلا حتى ذهب البعض إلي القول بأن العشرين مليونا مسلما الموجودين في الصين لا يلبثون أن يصيروا مائة مليون فيقوم الدعاء لله مقام الدعاء لساكيامونى وليس هذا بالامر الغريب فانه لا يوجد مكان على سطح المعمورة الا واجتاز الاسلام فيه حدوده منتشرا فى الآفاق فهو الدين الوحيد الذى أمكن اعتناق الناس له زمرا وأفواجا وهو الدين الوحيد الذى تفوق شدة الميل إلى التدين به كل ميل إلى اعتناق دين سواه ففي البقاع الافريقية ترى المرابطين وقد أفرغوا على أبدانهم الحلل البيضاء يحملون إلي الوثنيين من العبيد العارية أجسامهم من كل شعار قواعد الحياة ومبادئ السلوك فى هذه الدنيا كما أن أمثالهم فى القارة الاسيوية ينشرو ن بين الشعوب الصفر الالوان قواعد الدين الاسلامي. ثم هو أى هذا الدين قائم الدعائم ثابت الاركان في أوروبا عينها أعنى في الاستانة العلية حيث عجزت الشعوب المسيحية عن استئصال جرثومته من هذا الركن المنيع الذى يحكم منه على البحار الشرقية ويفصل الدول الغربية عن بعضها شطرين .

في باحات قصر يلدز ترى العلماء والدراويش وقد تدثروا بثياب الصوف وتعمموا بالعمائم الكبيرة جالسين على الأرائك بجانب سفراء الدول. هم هناك يمثلون فى الخاطر أشخاص ألف ليلة وليلة لا يتحركون من مقاعدهم ينبسون بكلمات تطابق تحريك أيديهم

حيات السبح منتظرين مجئ دورهم فى المقابلات لعرض طلب أو توجيه لوم. وكل المسلمين من مقيم في الاستانة أو فى مراكش فى أرجاء آسيا أو اصقاع افريقية من بدو كانوا أو حضر واقفين فى أماكنهم أو سارين مع القوافل يركعون مع الراكعين اذا أزفت الصلاة يتوضؤن أو يتيممون بالتراب مولين وجوهم جميعاً شطر الكعبة وسواء منهم الذين يلبسون الثياب الواسعة أو يتزيون بالسترة الاسلامبولية والذين يلبسون الطربوش أو العمائم على رؤسهم والذين يضعون السيف واليطقان فى نطاقهم أو يتلقون العلوم فى مدرسة برلين الجامعة أو يدرسون في علوم السياسة فى باريس فإنهم ييممون وجوههم شطر مكان واحد هى الارض المقدسة هى الارض التى تكتنفها الصحراء هى الأرض التى عاش فيها محمد هى الأرض التى تتضمن جسمه المبارك فى قبر لا يجسر أحد للوصول اليه الا مغطى الوجه حياء وهيبة هى الأرض التى جاء منها الآباء ويعود اليها الابناء بحركة مستمرة هى الحج الابدى إلى بيت الله الحرام. وجميع المسلمين عن بكرة أبيهم يولون بطرفهم إلى هذا المكان المقدس ويمدون اليه أعناقهم ولا يجدون أفكارهم إلى الوجهة التى يتبعونها وهذه الرابطة تشبه السبب المتين الذى تتصل به أشياء تتحرك بحركته وتسكن بسكونه بل هى القطب الذى تنتهى اليه قوة المغناطيسية. ،متى اقتربوا من الكعبة. من البيت الحرام. من بئر زمزم الذى ينبع منه الماء المقدس من الحجر الاسود المحاط بإطار من فضه . من الركن الذى يقولون عنه أنه سرة العالم وحققوا بانفسهم امنيتهم العزيزة التى استحثم على مبارحة بلادهم فى أقصى مدى من العالم للفوز بجوار الخالق فى بيته الحرام اشتعلت جذوة الحمية الدينية فى أفئدتهم فتهافتوا على أداء الصلاة صفوفا وتقدمهم الامام مستفتحاً العبادة بقوله "باسم الله" فيعم السكون والسكوت وينشران أجنحتهما على عشرات الالوف من المصلين فى تلك الصفوف ويملأ الخشوع قلوبهم ثم يقولون بصوت واحد "الله أكبر" ثم تعنو جباههم بعد ذلك قائلين "الله

أكبر" بصوت خاشع يمثل معنى العبادة .

ولا تظنون أن هذا الاسلام الخارجي الذى تجمعه جامعة فكر واحد غريب عن اسلامنا ولا علاقة له به لانه وأن كانت البلاد التي تحكمها شعوب مسيحية ليست فى االحقيقة "بدار السلام" وإنما هى "دار حرب" فإنها لا تزال عزيزة وموقرة فى قلب كل مسلم صحيح الايمان. والغضب لا يزال يحوم حول قلوبهم كما تحوم الاسد حول قفص حبست فيه صغارها وربما كانت قضبان هذا القفص تمنعها عن الدخول اليهم من بينها .

ترى فى قرانا وبلداتنا درويشا فقيرا شاحب اللون متدثرا بأرديته البيضاء المعلمة بخطوط سوداء يلهج لسانه بذكر الله والصلاة على نبيه لا يلويه عن ذلك شئ هذا الدرويش الذى ينتقل من خيمة إلى خيمة ومن قرية إلى قرية روايا حواداث الاقطاب والاولياء من مشايخ الاسلام إنما يذر فى القلوب حيثما حل وأينما توجه بذور الحقد والضغنية علينا. أن العالم الاسلامى منقسم إلى طوائف وطرائق لاعداد لها ينخرط فى سلكها الالوف من رعايانا المسلمين ولكن ليس لها فى الغالب مراكز ولا زوايا بالاراضى الداخلة فى دائرة نفوذنا وغاية الامر أن العاملين فى هذه الطوائف والمذاهب الكثيرة يخترقون بلا انقطاع ولا توان مستعمراتنا الافريقية فيستقبلهم أهلوها بالترحاب ويحسنون وفادتهم ويكرمون مثواهم حتي أن الفقير منهم لا يرى فى اكرامه له أقل من أن ينحر له شاة هذا عداما يجمعه له أو من المرتبات المالية السنوية التي يبلغ ما يدفعه أهالي الجزائر وحدهم منها ثمانية ملايين من الفرنكات كل عام وهذا مما يستوجب العجب والدهشة لان مقدار ما نجبيه من الضرائب كل سنة من أهالي الجزائر لا يتجاوز ضعف هذا المبلغ .

من بين تلك الطرائق والطوائف ما يخلد أعضاؤه إلى السكون وربما كانت علاقتهم

مع رجال حكومتنا في الجزائر وتونس على أحسن مايرام. وما ذلك الا لان الرابطة التى ترتبطهم ببعضهم قد اعتراها الوهن ولأن الفوضى التى أصابت الاسلام الافريقى قد أخذت نصيبها منهم ولكن توجد طوائف غيرها بلغت شدة العصبية منها مبلغا عظيما لانها مؤسسة على مبدأ كفاح غير المؤمنين وعلى كراهة المدنية الحاضرة. وقد أسس الشيخ السنوسى فى جهة ليست بعيدة من الاصقاع التى تلى أملاكنا فى الجزائر مذهبا خطيرا له أشياع وأنصار ومقر هذا الشيخ بلدة جغبوب الواقعة على مسيرة يومين من الواحة التى كان قائما بها هيكل البرجيس آمون وقد هاجر أولاده إلى (كوفرة) ومن مذهبهم التشديد فى رعاية القواعد الدينية وقد لبثوا زمنا مديدا لا يرتبطون بعلاقة ما مع الدولة العلية أخيرا بسبب ما بينها من العلاقات وبين الدول المسيحية ولكن يظهر أن أخلاقهم الشديدة قد تلطفت فتقربوا من الدولة العلية غير أن هذا لم يمنعهم من طرح حبائل الدسائس التى أوقفت رجال بعثاتنا عن كل عمل مفيد لصالحها فى أفريقية الجنوبية ولم يكن الامر قاصراً علي وسط القارة الافريقية فإنه توجد بالاستانة نفسها والشام وبلاد العرب ومراكش عصابة خفية ومؤمراة سرية تحيط بنا أصرافها وتضغط علينا من قرب ويخشى أنها تفترس بنا اذا أغمضنا الطرف .

كنا نرى من زمن حديث رعايانا الوطنيين فى الجزائر ينصاعون لاوامر سرية تناقلوها بالافواه وكانت تقضى عليهم بتأليف الزمر والافواج منهم لمهاجرة أوطانهم والذهاب إلى آسيا الصغرى حيث يجدون الأ من المرجوّ .

يؤخذ مما تقدم أن جراثيم الخطر لا تزال موجودة فى ثنيات الفتوح وطيّ أفكار المقهورين الذين أتعبتهم النكبات التى حاقت بهم ولكن لم تثبط هممهم. نعم ليس لمقاومتهم رؤساء يديرون هذه المقاومة ولكن رابطة الاخاء الجامعة لافراد العالم الاسلامي بأسره

كافلة بالرئاسة ففى مسئلة علائقنا مع الاسلام تجد المسئلة الاسلامية والمسئلة الدينية والمسائل الداخلية والخارجية شديدة الاتصال والارتباط ببعضها وهذا ما يجعل حلها صعباً ومتعذراً كما سنبينه .

جبرائيل هانوتو

(المؤيد) هذا ما يقول أشهر رجال السياسة في فرنسا عن الاسلام والمسلمين وهو وأن يكن كلامه فى مظاهرة لطيف العبارة محشوا بالفاظ المجاملة والاحترام الا أنه في مجموعه كلام سياسي عدو كله السم في الدسم يحرض من طرف خفى بمغامزه السياسية عالم النصرانية أسوأ تحريض على المسلمين ليقطعوا كل وريد صلة لهم وليستأصلوا كل روابط الجامعة بينهم وفى دخائل كلامه عن الاستانة العلية وفي مرامى أقواله عن البيت الحرام الذى هو كعبة الاسلام ما يدلي إلى غرضه الحقيقى الذى لا يخفى على متدبر .

الاســــلام

(بقلم السياسى الشهير مسيو هانوتو)

(وزير خارجية فرنسا سابقا) (*)

وافتنا جريدة "الجرنال" الباريسية وفيها مقالة ثانية تحت عنوان (الاسلام) من قلم مسيو هانوتو تتمة لبحثه السابق فى هذا الموضوع. وهذه ترجمتها

(٢)

المسائل الأساسية فى كل دين هى التى ترتبط بالقدر والمغفرة والحساب. وهى كلمات ثلاث مصبوغة بصبغة دينية تلقى فى النفس الاعتقاد بوعورة المسلك فى تفهمها مع أنها من الامور التى ينبغى الوقوف عليها والعلم بها مهما صعب منالها وتعذر مرامها. أن الدين هو الوسيلة التى تمهد للانسان طريق الوصول إلى الحضرة الالهية أو هو بعبارة أخرى الواسطة فى وقوف المخلوق بين يدى الخالق. اذا تقرر ذلك فهل الخالق بقدرته المطلقة يودع فى نفس المخلوق استعداد للعمل بمقتضى ارادته السرمدية بحيث لا يحيد عما تأمره به هذه الارادة أو هل للانسان متى تم خلقه ارادة خاصة يعمل بحسبها واختيار مستقل لا يستمد من اختيار أسمى منه وهل للانسان الذى خلقه الله وسواه ارادة مطلقة من نفسه وتصرف مطلق فى ذاته أو ترجع جميع أعماله من خير وشر الى القدرة الربانية القابضة على زمام الكون والمسببة الوجود فيه .

فى دائرة هذا البحث تنحصر الخلافات الدينية والفلسفية التى لم يوفق دين من الاديان ولا مذهب فلسفى إلى حسمها بكيفية يقتنع بها الادراك ويرضاها العقل مع أن البحث فيها لاصابة هذا الغرض السامى لم يكن بالامر الحديث اذا طالما بحث فيها فلاسفة الاقدمين فلم

(*) المؤيد ١٥ ابريل ١٩٠٠ .

يجدوا لها حلا وكان حظهم منها كحظ فلاسفة وعلماء المتأخرين

وغاية ماعرف منذ الاعصر السالفة إلى الآن أنه وجد مذهبان تشاطرا فيما بينهما العقائد البشرية من تلك الوجهة المهمة الأول منهما يقول بتناهى الربوبية فى العظمة والعلو وجعل الانسان فى حضيض الضعف ودرك الوهن ويذهب الثانى إلى رفع الذات الالهية بما فطر عليه من ايمان وارادة وبما أتاه من أعمال طيبات وحسنات .

والنتيجة الطبيعية للاعتقاد بمذهب الفريق الاول هى تحريض الانسان على اغفال شؤن نفسه وبث القنوط فى فؤاده وتثبيط همته وايهان عزيمته بينا تسوقه نتيجة الاعتقاد بمذهب الفريق الثانى إلى ميدان الجلاد والعمل وتلقى به فى غمرات التنافس الحيوى. ومن الامثال على الفريقين البوذية الذين يدينون بدين يقضى عليهم بالتجرد من قواعده أن الانسان والكون يفتيان فى الذات الالهية وقدماء اليونان الذين يدينون بدين من قواعد تشبيه الاله بالانسان فى أوصافه المادية يقضى عليهم هذا الدين بالعمل والحياة لاعتقادهم بأن الانسان أو "البطل" يمكنه أن يصير فى عداد الآلهة بحسناته وخيراته .

وقد ظهرت لى اطلال العالم القديم بعد خمسمائة عام من انقضائه ديانتان احداهما ربانية والثانية بشرية تمثلان ذينك المذهبين المتناقضين وانما بتلطيف فى التناقض. أما الاولى فهى الديانة المسيحية الوارثة بلا واسطة لآثار العاريين والمقطوعة الصلات بالمرة مع مذهب السامية وأن كانت مشتقة منه وغصنا من دوحته ومن خصائص هذه الديانة ترقية شأن الانسان بتقريبه من الحضرة الالهية فى حين أن الديانة الثانية وهى الاسلام المشوبة بتأثير مذهب السامية تحط بالانسان إلى أسفل الدرك وترفع الاله عنه فى علاء لا نهاية له .

هذا الميلان المختلفان يظهران ظهوراً واضحاً فى الاتقاد الاساسى لكلتا الديانتين وهو أصل الالوهية أما المسيحى فيذهب فى هذا الاصل إلى الثالوث أى أن الاله الاب أوجد الاله الابن واتصل الاثنان بصلة هى روح القدس وعليه فيكون يسوع المسيح الها وبشرا هذا الثالوث السرى المشتقة أصوله من ضرورة وجود اله بشرى يمحو ذنب الجنس البشرى ويفديه من الخطيئة التى اقترفها يرفضه المسلم الذى يعتقد بوحدانية الرب وتمسكا شديداً حيث يقول "لا اله الا الله"

غير أن ادراك المسيحيين من هذا القبيل و أخف وأحلى وأجلب للثقة اذ هو يحملهم على اتيان الاعمال التى تقربهم من الله حيث الوسائط بينهم بين

ذاته العلية موصولة فى حين أن المسلمين تجعلهم ديانتهم كمن يهوى فى الفضاء بحسب ناموس لا يتحول ولا يتبدل ولا حيلة فيه سوى متابعة الصلوات والدعوات والاستغاثة بالله الاحد الذى هو مستودع الآمال ولفظة الاسلام إنما تعنى "الاستسلام المطلق لارادة الله" .

نرى الديانتين أوبعبارة أخرى المدنيتين المسيحية والاسلامية احداهما بازاء الاخرى وتتصل الاثنتان ببعضهما من حيث المنشأ العام لما لهما اذ هما مشتقان من الاصول اليونانية والسامية ومنهما استمدنا جانبا من العقائد والمذاهب والآداب فهما اذا متداخلتان فى بعضهما من وجوه عدة ولكن مسافة الخلف بينهما شاسعة في الحقيقة من حيث البحث فى القدرة الالهية والحرية البشرية .

وقد كانت هذه المناقضات وتلك الاشباه نقطة تفرع الطريقتين المختلفتين للذين اتبعناهما فيما يربطنا من العلائق بالاسلام والمسلمين قصر فريق منا بحثه وحكما على ماشهده من المناقضات والخلافات بين الدينين المسيحى والاسلامى فرأى فى الاسلام العدو الالد والخصم الاشد . قال المسيوكيمون فى كتابه (باثولوجيا الاسلام) أن الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس وأخذ يفتك فيهم فتكا ذريعاً بل هى مرض مريع وشلل تام وجنون ذهولى يبعث الانسان على الخمول والكسل ولا يوقظه منما الا ليسفك الدماء ويدمن على معاقرة الخمور ويجمح فى القبائح وما قبر محمد فى مكة الا عمود كهربائى يبث الجنون فى رؤوس السلمين ويلجئهم على الاتيان بمظاهر الهستيريا (الصرع) العامة والذهول العقلى وتكرار لفظة الله إلى مالا نهاية والتعود على عادات تنقلب إلى طباع أصلية ككراهة لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى والجنون الروحانى والليمابيا أو الماليخوليا وترتيب ما يستنبط من أفكار القسوة والفجور فى اللذات الخ الخ .

أمثال هذا الكاتب يعتقدون أن المسلمين وحوش ضارية وحيوانات مفترسة (كالفهد والضبع كما يقول المسيو كيمون) وأن الواجب ابادة خمسهم (كما يقول أيضاً) والحكم على الباقين بالاشغال الشاقة) وتدمير الكعبة ووضع ضريح محمد فى متحف اللوفر (وهذا أيضاً قوله) .. وهو حل بسيط وفيه مصلحة للجنس البشرى .. أليس كذلك .. ولكن قد برح عن خاطر الكاتب أنه يوجد نحو ١٣٠ مليونا مسلما وأن من الجائز أن يهب هؤلاء "المجانين" للدفاع عن

أنفسهم والذود عن بيضة دينهم .

ويذهب غير أصحاب هذا الرأى إلى أن الاسلام دين ومدنية يتصلان مع ديننا ومدينتنا بعروة الاخاء والتصاحب وتطرف البعض منهم فاعتبر الاسلام أرقى مبدأ وأسمى كعباً من الدين المسيحى قال المسيو لوزان (القس ياسنت سابقا) معترفا ومقرا بأن الاسلام هو الدين المسيحى محسناً ومحوراً ونصح للفرنسويين الذين يتلمسون دينهم المفقود أن يستعينوا بالاسلام للعثور على ضالتهم المنشودة ويذهب قوم غير الذين سبقت الاشارة اليهم إلى وجوب احترام الاسلام وتبجيله مستندين فى ذلك على ما دونه أحد مؤرخى الكنيسة الذى صار فيما بعد كردينالا حيث قال أن الاسلام قنطرة للامم الافريقية ينتقلون بواسطتها من ضفة الوثنية إلي ضفة المسيحية فليس الواجب والحالة هذه قاصراً على معاملة الاسلام بالتساهل والتسامح بل لابد من رعايته وتعضيده بأن نسعى فى توسيع نطاقه وترتيب الارازق على المساجد والمدارس وجعله رائدا لمدنية فرنسا وآلة تستعين به على فتوح البلاد .

هذان هما الرأيان السائدان بما بينهما من درجات الاعتدال والتلطف والمسالمة ولكنهما وأن افترقا متصلان ببعضهما وموجودن فى حيز واحد وقد لوحظ كثيراً أن كل فرد من أفراد موظفينا أو وكلائنا أو أبنائنا المستعمرين قد تخير بين المبدئين وسلك الخطة التى رسمها لنفسه تجاه المسلمين طبقا لامياله نحو قطب من القطبين المناقضين اللذين يوجد بأحدهم المتطرفون وبالاخر المتعصبون ولاوسط بينهما .

وتلك الاميال المتعاكسة التى برزت من مكامن الاعتقاد إلى مجالى الفعل والتنفيذ هى التى أحدثت التنقاص فى أعمالنا الاجتماعية والسياسية والادارية وأدت إلي الشكوك والريب ونقض ما تقرر وتقرير ما نقض إلى غير ذلك مما جرت عليه حكومتنا ولاسيما فى البلاد الافريقية من عدم السير على وتيرة واحدة. وهذا الخلل ينمو شيئاً فشيئاً ويتضاعف خطرة كل يوم اذا فكر الانسان فى أنه لا يصيب بسوئه بلاد الجزائر مع سكانها الوطنيين الذين يبلغ عددهم الاربعة أو الخمسة ملايين فقط بل يسرى على نصف قارة بأكملها عديدة السكان وسيزداد ويتضاعف عددها بامتداد رواق الأمان على الأهالى وابطال التجارة فى الرقيق .

فالمسئلة اذاً خطيرة جداً ولابد من الاعتماد على أمر واحد فى حلها اذ لا يكفى للوصول إلى هذا الحل تنميق عبارات وتسطير كلمات ولذلك خيرت أن أعرضها على محك الرأى العام مبيناً أحكم الوسائل وأكثرها انطباقاً على العقل والصواب للوصول إلى نتيجة فعلية

وموراداً شيئاً واحداً هو من الزم الاشياء لموضوع تلك المسئلة وأشدها ارتباطاً به .

قد سبق لى وقتما تم تشكيل مملكتنا الافريقية تشكيلا تاماً أن سألت ولازلت أكرر هذا السؤال من الحكومة أن تبحث بحثا علنياً فى علاقاتنا مع الاسلام والمسلمين بمعرفة أناس خبيرين وعلماء عارفين لينجلى هذا البحث عن الخطة التى يتحتم على العموم اتباعها من حاكم منا ومحكوم .

أن الراغب فى الاستعمار من أبناء بلادنا يصل إلى الجزائر أو تونس أو السنغال فيجد نفسه فى اتصال مع العربى أو بعبارة أعم مع المسلم اذ منه يشترى الارض التى يريد استنباتها ومنه يطلب اليد العاملة ومعه يدبر شؤنه المعيشية فبالرغم عن هذا الاتصال عن هذا الجوار والتلاصق تراهما يجهلان بعضهما وتنفرج مسافة هذا الجهل وتكون عواقبه أكثر خطرا اذا كانت العلاقة بين الاهالى وبين الموظف أو الحاكم أو القاضى أو الضابط أو غيرهم ممن هو منوط بالفعل فى خصوماتهم والقيام على شؤنهم وتنفيذ قوانين بينهم وما أسوأ مغبة ذلك الجهل اذا كانت العلاقة بينهم وزارة مستعمراتنا أو رجال حكومتنا المركزية التى يديرها أحد عشر وزيراً ربما لايوجد من بينهم سوى واحد أو أثنين أمعنا النظر فى خريطة الانحاء الواسعة والاصقاع القصية التى عهد بهم أمر ادراتها وتنظيمها .

مع أن الواجب متى رضينا باحتمال هذه المسؤلية على عواهنا ونلنا هذه السلطة أن نطيل البحث وتمعن النظر فى طرق استخدام هذه السلطة وأن نسأل الخبيرين والعارفين ونستفيد ممن شاهدوا واختبروا ونستمد من معلوماتهم ما نستعين به على تحرير متن سياسى وجيز يتضمن أصول ومبادئ علاقاتنا مع العالم الاسلامى. أن فريقا كبيراً من العلماء النظريين والعمليين من موظفين وضباط وأساتذة ومهندسين ومزراعين ومستعمرين قد كانوا ولا يزالون فى اتصال بالمسلم وجعلوا أحوال معيشته وطرق أعماله موضوع بحثهم ودراستهم. ولكن المسلمين أنفسهم قد ينبؤننا بما نجهله من يقين أخبارهم فهم اذا سئلوا اجابوا واذا أجابوا أفاضوا وقد كثرت الابحاث فى كل موضوع حتى فى الموضوعات الصريحة الواضحة بصدده وهو من أكثرها غموضا والتباسا فلماذا لا نستعين بالوسيلة التى تفيض علينا أنوار الحقيقة ونطرح من هذه الانوار شعاعا على من يريدون أتباع الصراط المستقيم حتى اذا ماتم التحقيق والبحث حررنا بما ينبعث عنهما من الحقائق رسالة تذاع على الالسنة وتتداولها أيدى الموظفين

والمستعمرين وتنشر بين الطلاب في المدارس فتنمحي بها آثار الاضاليل والترهات الكثيرة وتزول العقبات القائمة وتقال الاقدام من العثرات وتكون تلك الرسالة بمثابة قانون ثابت لفرنسا الاستعمارية يجرى على نهجها العموم فيعم نفعه وتجتنى ثماره وربما كان سببا فى أن نعيش مدة نصف جيل على أساس اخبار الفرنسويين المستعمرين الذين انتشروا فى عرض البلاد وطولها لا رابطة بينهم ولا صلة يواصلون الصباح بالمساء فى الندم والحسرة من عواقب هفوة هفوها أو زلة سقطوا فيها وكانت كلمة واحدة كافية لا قالتهم من عثرتهم واصلاح هفوتهم .

ولست أظن أحد يرتاب فى نتائج ذلك التحقيق. وإنما قبل ختام هذا الفصل أورد بعض اعتبارات اخالها ضرورية للوصول إلى الغاية المقصودة من أقوم طرقها . أشرت سابقاً إلى الصلة الاكيدة بين السياسة والدين فى العالم الاسلامى والمسلمون فى الاحوال الراهنة شاعرون شعوراً قويا بايمانهم العام غير أن ادراكهم ميهم من حيث الجامعة السياسية وما كان يسميه القدماء بالرابطة المدنية أو الوطنية اذ ينحصر الوطن عندهم فى الاسلام. وهم يقولون أن السلطة مستمدة من الالوهية فلا يجوز أن يتولاها الا من كان من عقيدتهم ولم تدخل فى رؤسهم حتى الآن فكرة سوى هذه التى تمكنت من أفئدتهم وأخذت من قلوبهم أمتن أخذ فكان ذلك سبباً فى حدوث سوء التفاهم بين الحاكمين والمحكومين فى البلاد الاسلامية الخاضعة لحكومات مسيحية .

على أنه بالرغم من ذلك قد حصل انقلاب عظيم فى بلد من هذه البلاد فصلت فيه السلطة الدينية عن السلطة السياسية بدون جلبة ولا ضوضاء نريد به القطر التونسى الذى وضعت عليه الحماية التى مؤداها احترام النظام السابق على الفتح بصيانة القوانين والعادات من المساس والمحافظة على مركز الباي وقد بالغنا فى ذلك بحيث تمكنا بواسطة ما أدخلناه من التعديلات الطفيفة شيأ فشيأ وأجريناه من المراقبة على الامور الادارية والسياسية من التداخل فى شؤن البلاد والقبض على أزمتها بدون شعور من أهلها .

تم هذا الانقلاب بسرعة ولين فلم يتألم منه الاهلون ولم تتخدش له احساساتهم اذ لبثت المساجد مغلقة فى اوجه المسيحيين والاملاك الموقوفة محبوسة على السبل التى خصصت لها وتركت أزمة الاحكام بأيدى القواد والقضاة ولم يغير شئ من القوانين الاهلية الا برضى وتصديق من الاهالى

وربما كان بطلب منهم وقام بأعماله هذا التغيير والتبديل وهذا النسخ والتحويل عدد قليل من الموظفين اكثرهم من التونسيين وجملة القول أن انقلابا عظيما حصل بدون أن يجر وراءه ألما أو توجعا أو شكوى بحيث وطدت الآن دعائم السلطة المدنية من غير أن يلحق بالدين مساس وتسربت الافكار الاوروبية بين السكان بدون أن يتألم منها الايمان المحمدى واقترنت السلطة الفرنسوية بالسلطة الوطنية اقترانا لم تغشه سحابة كدر .

اذاً يوجد الآن بلد من بلاد الاسلام قد ارتخى بل انفصم الحبل بينه وبين البلاد الاسلامية الاخرى الشديدة الاتصال ببعضها اذاً توجد أرض تنقلت شيأ فشيأ من مكة ومن الماضى الاسيوى، أرض نشأت فيها نشأة جديدة انبثت فى قضائها وادراتها وعاداتها وأخلاقها. أرض يصح أن تتخذ مثالا يقاس عليه ونموذجا ينسج على منواله. ألا وهى البلاد التونسية .

كانت هذه البلاد ميدان التنافس والجلاد اذ حكمت فيها قرطاجة وروميه وبيزنطة والعرب وسان لويس وشارلكان فأصبحت الآن مهبط المسالمة ومعهد التصالح والوئام ففيها الديانتان بل المدينتان متلاصقتان بل متداخلتان حتى تأكدت نقط التشابه بينهما وانحسرت فرجة الخلاف وارتفعت الاحقاد من الصدور ورغبة من الفريقين فى التمتع بمزايا الاراضى الخصبة والسماء الصافية الاديم التى ينزل منها على القلوب برد وسلام يلطفانها ولعل الاطلال العديدة الشاهدة على ما تعاقب فى الاقطار التونسية من المدنيات القديمة لم تندثر تماما ولم ينمح أثرها كى تهتز لاستقبالنا وتوصل ببعضها ما انقطع من حلقات سلسلة الدهر الماضى والزمن الغابر .

أن مسجد القيروان الجامع شيدت عقوده على الاعمدة القديمة وبنيت كنيسة الكردينال لافيجرى الكاتدرائية تجاه أكمة (بيرسا) التى عبدت فيها تانيت. وخلاصة القول أن مزيجا من التاريخ يركب فى هذه الارض تحت رعاية فرنسا وانسانيتها ومن المحتمل أن تنبعث تلك الآثار من قبور الماضى فتعيش فى خلال الجيل الذى نطرق الآن أبوابه للرتوع فى واسع رحابه .أ هـ

التعليق ....

محمد عبده والرد على هانوتو

كان محمد عبده شديد الدفاع عن الاسلام وعما يوجه اليه من شبهات ، وكان أشهر اعماله فى هذا المجال رده على هانوتو ، الذى كتب مقالا عن الاسلام فى حديثة عن سياسة فرنسا فى المستعمرات الاسلامية ، قارن فيه بين الإسلام والنصرانية ، ونشرت المؤيد ترجمة مقالة فى المؤيد سنة ١٩٠٠ ، فرد عليه محمد عبده فى ثلاثة مقالات ردا طويلا مسهبا ، كان حديث الناس .

وفى مقاله تكلم هانوتو عن تاريخ النزاع بين الاسلام والمسيحية ، وقال ان فرنسا قد صارت على صلة بالاسلام فى كل مكان ، بل صارت صدر الاسلام وكبده ، فالاسلام يحيط بها فى افريقيا ، ويمتد فى آسيا الى الصين ، وهو قائم بأوربا فى الآستانة ، بل انه متأصل هناك – بدرجة أثارته وجعلته يقول – "حيث عجزت الشعوب المسيحية عن استئصال جرثومته من هذا الركن المنيع الذى يحكم منه على البحار الشرقية ، ويفصل الدول الغربية بعضها عن بعض .." . وهو يلمح إلى قوة المسلمين فيقول أن المسلمين فى سائر أقطار الأرض يتجهون الى الكعبة ، وتجمعهم رابطة واحدة ، وانهم يكرهون الدول المسيحية التى تحتلهم .. بل يصل تخوفه من المسلمين إلى حد قوله "توجد بالاستانة نفسها والشام وبلاد العرب ومراكش عصابة خفية ومؤامرة سرية تحيط بنا أطرافها وتضغط علينا من قرب . ويخشى أن تفترسنا اذا أغمضنا الطرف ..".

وفى مقال آخر لمسيو هانوتو (نشر ترجمته المؤيد فى ١٥ أبريل ١٩٠٠) نجده يتناول مسألة الفرق بين الدينين ، فيقول ان المسائل الأساسية فى كل دين هى التى ترتبط بالقدر والمغفرة والحساب وهى كلمات ثلاثة مصبوعة بصبغة دينية ، وهو يرى ان الدين هو الوسيلة التى تمهد للانسان طريق الوصول إلى الحضرة الإلهية ، كما يذكر أن هناك مذهبان بخصوص

العقائد البشرية - الأول منها : يقول بتناهي الربوبية في العظمة والعلو وجعل الانسان في حضيض الضعف والوهن . أما المذهب الثاني يرفع مرتبه الانسان ويخوله حق القربى عن الذات الالهية بما فطر عليه من ايمان وإرادة وبما أتاه من أعمال طيبات وحسنات .

ويرى هانوتو ان نتيجة الاعتقادبالمذهب الأول هي تحريض الانسان على اغفال شئون نفسه وتثبيط همته وعزيمته ، بينما تكون الاعتقاد في المذهب الثاني الى بذل الجهد والعمل والدخول في مجال المنافسات . وقد قتل للاتجاه الأول بالديانة البوذية ، والاتجاة الثاني بالثقافة اليونانية .

وفي مقارنة صريحة بين المسيحية والاسلام يذكر ان المسيحية ديانة "ربانية" وانها الوارثة لآثار العاريين في حين أنها منقطعة الصلة بالمذاهب السامية . في حين أن الاسلام ديانة "بشرية" مشوبة بتأثير مذهب السامية تحط بالانسان الى أسفل الدرك وترفع الاله عنه في علاء لا نهاية لها .

كما أنه يرى أن أصل "الثالوث" هو ضرورة وجود اله بشرى "المسيح" تمحو ذنب الجنس البشرى . وهذا اجلب للثقة فهو يدفع المسيحى على الاتيان بالاعمال التى تقربة الى الله . أما المسلم فهو يعتقد بمبدا وحدانيه الرب ، ويتمسك بذلك تمسكا شديدا، ومن هنا فلا حيلة له سوى الصلوات والدعوات ، ولفظ الاسلام - كما يرى هانوتو - يعنى الاستسلام المطلق لارادة الرب .

وبعد ذلك تناول هانوتو - في مقالة - رأى بعض الباحثين والساسة في الاسلام والمسلمين الفرنسيين :

أولاً : المسيوكيمون الذى ذكر - في كتابة (باثولوجيا الاسلام) ..

"ان الديانة المحمدية جام فشا بين الناس واخذ يفتك بهم فتكا ذريعا بل هى مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الانسان على الخمول والكسل ولا يوقظة منه الا ليفك الدماء ... وهو يعتقد ان المسلمين وحوش حقارية وحيونات مفترسة ، وان من الواجب ابادة خمسهم ، والحكم على الباقين بالاشغال الشاقة وتدمير الكعبة ووضع ضريح محمد - كما يرى كيمون - في متحف اللوفر" .

ثانياً : (المسيو لوزان والقس باسنت سابقا) ..

فانه يعترف ويصر بأن الاسلام هو الدين المسيحى محسنا ، بل وينصح الفرنسيين الذين يتلمسوادينهم المفقود بان يستعينوا بالاسلام للعثور على ضالتهم المنشودة .

ثالثاً : هناك فريق من الباحثين - اعتماد على احد مؤرخى الكنيسة - قال أن الاسلام قنطرة الامم الافريقية يتنقلون بواسطتها من الوثنية الى المسيحية ، ومن هنا فيجب تعضيد الاسلام والسعى فى توسيع نطاقة .

ثم عاد هانوتو ليذكر ان تلك الميول المتناقضة هى التى احدثت التناقض فى اعمال الفرنسيين الاجتماعية والسياسية والادارية .

وهو يرى ان هذ الأمر خطير وينصح بالاعتماد على امر واحد ، كما يجب أن تقوم السياسة الاستعمارية على اطالة البحث وامعان النظر فى طرق استخدام السلطة بين الشعوب الاسلامية ، ومن ثم فانه من الضرورى سؤال الخبراء والعارفين بالمسلم واحوال معيشته ، حتى يصبح هناك قانون ثابت لفرنسا الاستعمارية .

ثم اشار إلى ان هناك صلات اكيدة بين الدين والسياسة فى العالم الاسلامى . وان شعور المسلمين تجاة الرابطة المدنية أو الوطنية وتجاة الجامعة السياسية مبهم وغير واضح، فالوطن عندهم فى الاسلام . ولان فى الوطن عند المسلمين هو الاسلام ، فهم يرون أن السلطة مستمدة من الالوهية ، فلا يجوز أن يتولاها الا المسلمون ثم أضاف هانوتو ان فرنسا قد نجحت فى فصل السلطة الدينية عن السياسية فى تونس بدون شعور من أهاها بل تسريت الأفكار الاوربية بين السكان دون أن يتألم منها الايمان المحمدى . وبذلك انفصل حبل الاتصال بين تونس وبين البلاد الاسلامية الأخرى . ثم دعا ان تتخذ تونس مثالا ونموذجا يحتذى به .

ورد الشيخ الأمام محمد عبده على هانوتو فى ثلاث مقالات طويلة .

وفى مقاله الأول : اتهم هانوتو بأن غايته من البحث تحريك نيران العداوة فى قلوب الفرنسيين وتحريضهم على حرب المسلمين فأخذ ينبه الشباب المصريين الذين يهتمون باللغة والآداب الفرنسية ويعجبون بالمدنية الفرنسية الى تطاول وطعن هانوتو - الفرنسى - فى الاسلام ثم بدأ محمد عبده يفند ادعاءاته ، فقال ان مهد التمدن الآرى هى الهند التى كانت لا تزال تحتفظ بالوثنية وأضاف أن العلم والمدنية لم يدخلا اوربا إلا بمخالطة الأمم السامية ، وان أول شراره الهبت نفوس الغربيين و أوصلتهم إلى المدنية الحاضرة جاءتهم من بلاد الاندلس ، تلك الشعلة الموقدة التى طالما حاول رجال الدين المسيحى على اطفائها عدة قرون . ثم تساءل

عما قصد هانوتو من المقارنة بين المدينة السامية والمدينة الآرابة ، فليس هنك علاقة بين الدين المسيحى والمدنية الحاضرة ، حيث أوحى المسيح بأن يترك مالقيصر لقيصر وما لله لله ، وهذه دعوة للزهد فى الدنيا ، لكن الحضارة والمدنية الاوربية لا تقوم على هذا الاساس ، بل تقوم على الذهب والفضه والتبهرج ؟! .

ثم أضاف محمد عبده ان الفنيقيين - الساميين - كانوا أساتذه العالم فى الصناعة والتجارة ، والقراءة والكتابة ، وكانت لهم مدنية لا تنكر ايام الرومان ، ولا زالت الأمم تأخذ بعضها من بعض فى المدنية . يوجه محمد عبده حديثة لهانوتو قائلا أن دين التوحيد ليس دينا ساميا بل هو دين عبرانى فقد عرف به ابراهيم عليه السلام وبنوه ومنهم عيسى . أما بقية الساميين من عرب وفينقيين وآرميين وغيرهم من الأمم المذكورة فى الكتاب المقدس فقد كانوا وثنيين .

وفى المقال الثانى : اتهم محمد عبده هانوتو بأنه تحرش بأمرين من أهم امور الدين والقدر وانه وصف المسيحية بأنها ديانه ربانية ترقى بالانسان الى المقام الالهى وان الاسلام ديانه بشرية أخذت ماترك الساميون ، نزل بالانسان إلى اسفل درك حيوانى ، وقال محمد عبده - ان الآرية والاسلام لا دخل له فى هذه المشكلة ، فقد عظم الخلاف بين المسيحيين أنفسهم فى هذا الأمر . ومثل محمد عبده على ذلك بأنه لا يوجد يهوديا ترك العمل اتكالا على القدر ، ولكن ذلك يوجد فى الأديرة وبين الرهبان . كما انه يوجد بين المذاهب اليونانية من يقول بأن الاشياء توجد بالمصادفة ، وذلك الاعتقاد أدخل فى باب الجبرية من اسناد كل أمر الى خالق الكون .

ثم وضح الأمام - محمد عبده - ان النبى (صلعم) واصحابة لم يعتمدوا على القضاء والقدر ويسلموا له تسليما كاملا يدعوهم إلى الكسل والتواكل ، وانماهم جهدوا كثيرا فى سبيل نشر الدعوة ، ولم يعتمدوا على مبدأ ان الذى كفل لهم النصر يكفيهم الجهاد ومشقة الكفاح . واضاف أن الذين دخلوا الاسلام من الآريين - من فرس ورومان - هم الذين افسدوا العقائد الاسلامية فيه ، فادخلوا فيها ماليس فيها ، حيث أن هولاء المتصوفة والدراويش الذين بثوا أوهامهم فى الدين الاسلامى اللذين يغشون أطراف الجزائر وتونس فان لهم اصول فارسية وهندية .

وفى المقال الثالث : تناول الأمام مسألة "التوحيد والتنزية" وما يقابلها "تجسيد

الألوهية والتشبية" ، فقال أن الوثنية وتوهم السلطان الألهى ظاهرا فى بعض الموجودات المادية، كـان عقيدة الواقفين على ابواب الانسـانية ، بل هو دليل على انحطاط عقـول أهلهـا . فكلمـا ارتقى الانسـان فى العلم تمزقت من امـامـه حـجب المادة وانجلى له الوجـود الأعلى حـتى يتـأكـد الاعتقـاد بوجود واحـد واجب يسـتحيل عليه أن يلبس لباس المادة على النحو الذى اشـار اليه هانوتو . وقـد كان هـذا شـان اليـونانيين نشـأو ا وثنيين حـتى جاء سـقراط وافلاطون وارسطوا وجاهـدوا فى كشف الغمة عن عيون شعوبهم ، بل حـاربوا لتخليص النفوس من الآثار الوثنيـة . وكذلك كان المصـريون ، لم يقف بهم العلم دون التوحـيد .غـير أن رؤسـاء دينـهم لم ينشـروا تلك العقيدة بين عامتهم ، واستبقوا صور العبادات الأولى . ثم بين أن أهل التشبيه قسمـان : قسـم يعتـقد بألوهيـة بعض الموجودات المشـهورة ، وقسـم آخر يعتـقد بأن بارئ الكون يظهر فيهـا . وبين هذا وذاك يظهر قسم ثالث يعتقدون بالوسـائط ، فيتخذون بعض من يظنون بهم الغرب من الله شفعاء .

الاســــلام

(رد على مسيو هانوتو)

"وزير خارجية فرنسا سابقاً (*)"

بقلم عظيم من عظماء الاسلام وامام من أئمة الاعلام

حضرة الفاضل صاحب جريدة المؤيد الغراء

قرأت الساعة مقال مسيو هانوتو المترجم فى جريدتكم نقلا عن جريدة "الجورنال" الباريسية تتميما لبحثه السابق .

بحثه السابق وشئ من تتمته إنما هو دافق من غيرته على شؤون دولته يريد أن يدعو قومه إلى التبصر فى وضع قاعدة لمعاملة المسلمين الذين يدخلون تحت ولايتهم أو يجاورونهم فى ممالكهم وذلك لا يتم على مذهبه الا بالبحث فى طبيعة الأمر الذى صار به المسلمون غيرمسيحين وبه يفضل المسلمون سلطة اسلامية على سلطة فرنساوية. فإن أمكن تلقيح ما عليه المسلمون بالولاء الفرنساوى وسهل الجمع بين ما وقر فى نفوسهم وبين الخضوع الأعمى لسلطان فرنسا وطاب الجوار فى الجوار فى قلوب الملة الاسلامية لعقيدة الاسلام والطاعة لكل أمر يصدر من آخر فرنساوى فى طبقته صح للدولة الفرنساوية أن تمن علي المسلمين بالبقاء فى الارض. والاوجب عليها أن تحمل عليهم فتبيدهم من البسيطة أو تجليهم إلى قارة أخرى .

ولهذا جره البحث إلي النظر فى أصول دين المسلمين والمضاهاة بينه وبين الدين بل بينه وبين أديان كثيرة اشار اليها فى كلامه، ثم الحكم فى تفضيل أحد الدينين على الآخر بآثار كل

(*) المؤيد ١٧ ابريل ١٩٠٠ .

منهما فى أنفس معتقديه .

أما غايته من البحث وتناوله بيده محضاءً يحرك به نيران العدواة فى قلوب الفرنساويين لتثير عزائمهم إلى حرب المسلمين وليكون مسيو هانوتو للامة الفرنساوية اليوم مثل ذلك الراهب الذى أثار تلك الحروب المعروفة فذلك أمر نكل فائدته اليه وإلى علمه بمكان دولته من القوة ومنزلة مدنه من المرحمة والانسانية ونستلفت اليه ذكاء بعض شباننا من المسلمين الذين يعرفون اللغة الفرنساوية ويطربون اذا ذكرت المدنية الفرنساوية .

ولو لم يتعرض مسيو هانوتو إلى الطعن فى أصل من أصول الدين ما حركت قلمى لذكر اسمه وكان حظى من النظر فى مقاله هو العظة والاعتبار. حظ الناظر فى أحوال الامم وأعمال رجالها. حظ المؤرخ الذى يقرأ ليفهم ليعلم ويحكم. ولا يهمه أخطأ القائل أو أصاب .

أما ما جاء به فى التحكك بأصول الدين فهو الذى أغمزه بما اكتب اليوم .

يرى الناظر كلام مسيو هانوتو لاول وهلة أنه مقلد فى التاريخ كما هو مقلد فى التقليد وأنه جمع خليطاً من الصور وحشرها إلى ذهنه ثم هو سلط عليها قلمه ينثرهما كما يشاء القدر ليدهش بهامن لا يعرف الاسلام من الفرنساويين وهو جمهورهم .

أكثر من ذكر التمدن الآرى والتمدن السامى والتفريق بينهما وأن أحدهما قهر الآخر وأن التمدن الآرى هو الذى ظفر بقرنه التمدن السامى وما يشبه ذلك .

أن مهد التمدن الآرى ومنبت غراسه (الهند) لا يزال إلى اليوم على الوثنية التى يحبها مسيو هانوتو فى أغلب انحائه. ولكن أهله هم الذين قضوا على الآخذين بعقائدهم أن يقسموا إلى أقسام لا يمكن الخلط بينها بل يدوم تباينها مادامت الارض أرضاً .

ومن طبقاتهم من قضى عليه دينا بالانحطاط فى العقل والخلق والصناعة ولا يباح له أن يرتقى إلى طبقة ما فوقه إلى انقضاء العالم وهو الجمهور الأغلب منهم. وفيهم من حكم عليه بالنجاسة حتى لا يباح لاهل طبقة أخرى أن تمسه. والاعتقاد بفناء العالم وأنه لا يليق بالانسان أن يهتم بشؤون العيش فيما هو مبنى عقائدهم .

فهل جاء للآخذين بدين البراهمة من التمدن السامى وهو لم يعرفهم الا فى آخر الزمان. ولم يخالط الا قلوب القليل منهم كما لا يخفى على من له إلمام بجغرافية البلاد الهندية .

ثم هل يظن مسيو هانوتو أن التمدن الذى وصل اليه الاوروبيون حمل إلى أوروبا مع المهاجرين الاولين الذين رحلوا من البلاد الشرقية الآرية إلى الاقطار الغربية .

ألم يخطر بباله تلك العظائم التى انتفخ بها بطن التاريخ وماكانت عليه أوربا الآرية من الهمجية وأن العلم والمدنية لم ينبعا من معينها وإنما جاآها بمخالطة الامم السامية كما يعلمه المطلع على تاريخ اليونان الاقدمين وهم أساتذة الاوربيين الآخرين كما يزعم مسيو هانوتو .

ما هذا التمدن الآرى الذى كانت عليه أووبا عندما انتقص أطرافها المسلمون .

هل كانت تلك المدنية هى التسامك فى الدماء واشهار الحرب بين الدين والعلم وبين عبادة الله والاعتراف بالعقل. نعم هذا هو الذى كان معروفا عند الغربيين وقت ما ظهر الاسلام .

ماذا حمل الاسلام إلى أوروبا وما هى المدنية التى زحف عليهم بها فربوها . زحف عليهم بما استفاد من صنائع الفرس وسكان آسيا من الآريين. زحف عليهم بعلوم أهل فارس والمصريين والرومانيين واليونانين. نظف جميع ذلك ونقاه من الأدران والاوساخ التى تراكمت عليه بأيدى الرؤساء فى الامم الغربية لذلك التاريخ وذهب به أبلج ناصعاً يبهر به أعين أولئك الغافلين المتسكعين الذين كانوا فى ظلمات الجهالة لا يدرون أين يذهبون .

أنى أكيل لمسيو هانوتو اجمالا باجمال والتفصيل لا يجهله قومه وكثير من منصفيهم لم يستطيع الا الاعتراف به .

أن أول شرارة ألهبت نفوس الغربيين فطارت بها إلى المدنية الحاضرة كانت من تلك الشعلة الموقدة التى كان يسطع ضوءها من بلاد الاندلس على ما جاورها وعمل رجال الدين المسيحى على اطفائها مدة قرون فما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً . واليوم يرعى أهل أوروبا ما نبت فى أرضهم بعدما سقيت بدماء أسلافهم المسفوكة بأيدى أهل دنيهم فى سبيل مطاردة العلم والحرية وطوالع المدنية الحاضرة .

يحار القارئ لكلام مسيو هانوتو فى معنى المدنية السامية التى جاء بها الاسلام وتصادم بها مع المدنية الآرية .

ولعل عنايته بالالفاظ التاريخية مع قصوره عن النفوذ إلى حقائق ما أودعته هو الذى قصر به عن النجاح فى أعماله فى السياسة الخارجين بين أمة مثل الامة الفرنساوية التى تنقاد بذكائها إلى الاذكياء. والعارف بطباع الامم لا يعسر عليه أن يقودها إلى ما يضمن لها الفوز

على جيرانها وانم العسر كل العسر أن يوجد فيها ذلك العارف اليوم.

أن الناظر فى التاريخ تحمر عيناه من مناظر الدماء المتجسدة على جليد الازمان. ذلك مما سفكه أهل ذلك الدين المتحد بالمدينة الآرية ليقاوموا دعاة تلك المدنية ويخمدوا نارها .

أن صح الحكم على الاديان بما يشاهد فى أحوال أهلها وقت الحكم جاز لنا أن نحكم بأن لا علاقة بين الدين المسيحى والمدنية الحاضرة فان الانجيل بين أيدينا نقرؤه نفهمه ولا يغيب عناشى من دقائق معناه .

يأمر الانجيل أهله بالانسلاخ عن الدنيا والزهادة فيها ويوجب عليهم اذا سلبهم السالب قميصاً أن يعطوه الرداء أيضاً واذا ضربهم الضارب على خدهم الايمن أداروا خدهم الايسر وأن يفنوا بكليتهم فى الاب ويقص عليهم أن دخول الجمل فى سم الخياط أيسر من دخول الغنى ملكوت السموات وماشابه ذلك من الوصايا الملكوتية التى تليق برسول الهى ربانى يدعو الناس إلى الانقطاع عن هذا العالم الفانى ليليقوا بالانتظام فى أهل ذلك العالم الباقى .

هل خطر ببال مسيو هانوتو أن يجعل ماالله لله وما لقيصر لقيصر كما أوصى الانجيل وهل رأى مثال لذلك فى المدنية الآرية إلى تآخت مع الدين المسيحى. العيان يدلنا على أن شيأ من ذلك لم يكن. فأن هذه المدنية إنما هى مدنية الملك والسلطان. مدنية الذهب والفضة مدنية الفخفخة والبهرج. مدنية الختر والنفاق. وحاكمها الاعلى هو الجنيه عند قوم والليرا عند قوم آخر ولا دخل للانجيل فى شئ من ذلك .

أوصى المسيح بأن يترك ماالقيصر لقيصر حتى لا يشغب المسيحيون على ملوكهم من غيرهم فانقلبت الحال بهم وأصبحوا لا يحتملون أن يروا لهم رعايا من غير دينهم فضلا عن ملوك .

نعم يوجد قوم الآن يقيمون أوامر الانجيل وهم جماعة من الاميركان تركوا بلادهم وخرجوا من ديارهم وأموالهم وجاؤا إلى القدس الشريف ينظرون نزول المسيح ليستقبلوه لاول هبوطه على المنارة المشهورة وليكونوا أول من يقبل قدميه ويديه. وهم من طهارة القلب وسلامة النفس ونزاهتها عن الطمع بحيث أنقطعوا عن كل عمل سوى النظر فى الكتب المقدسة فان كانت هذه هى المدنية الآرية التى صارعها الدين الاسلامى فانا أول من يسلم لحججه ويقتنع بأدلته .

من الساميين الفينقيون وهم أساتذة القوم في الصناعة والتجارة بل والقراءة والكتابة ومنهم الآراميون وقد كانت لهم مدنيه لا تنكر أيام الرومانيين وماكان الغربيون لينكروا أفضالهم في ذلك. ومبادئ الصناعة والعمل عند جميع الاقوام المرتقبة في سلم الانسانية واحدة وإنما يختلف قوم عن قوم بما تحدثه في نفوسهم ضرورات المعيشة وما تجلبه عليهم عاصفات الحوداث وما تطبعه فيهم طبائع الاقاليم. ولا زالت الامم يأخذ بعضها عن بعض في المدنية لافرق عندهم بين آري وسامي متى مست الحاجة إلى تناول عمل أو مادة أو ضربه من ضروب العرفان لدفع ضرورة من ضرورات الحياة أو استكمال شأن من شؤونها. وقد أخذ الغرب الآرى عن الشرق السامي اكثر مما يأخذ الآن الشرق المضمحل عن الغرب المستقل. فلم يبق من معنى للمدنية يريده حضرة الكاتب الا الدين وقد ظهر في كلامه أن الدين السامي يراد منه التوحيد والدين الآرى يعني به مايقابله.

وإني أقرر لهذا الوزير الشهير حقيقة بديهية يعرفها صبيان المكاتب وهي أن دين التوحيد ليس دينا ساميا بل هو دين عبراني فقط عرف به إبراهيم عليه السلام وبنوه ومنهم عيسى من جهة أمه وأصحابه وأنصاره الاولون. أما بقية الساميين من عرب وفينقيين وآراميين وغيرهم من الامم المذكوره في الكتاب المقدس وهو يعرفها فقد كانوا وثنيين مشبهين ولم يخالفوا في ذلك بن عمهم أو أعدائهم الاريين وقد خاض الكاتب في تفضيل التشبيه والتجسيم على التوحيد وذكر لذلك عللا وأسبابا أدته اليها سعة اطلاعه في الفلسفة وأحوال الاجتماع الانساني وستأتي على الكلام فيها وهي المقصد من مقالنا غدا أن شاء الله تعالى.

وقبل القاء القلم أذكر الذين يتفانون في اجلال مثل هذا الوزير كما يتفاني المسلم في الله على رأيه أني أن صغرت شأن هانوتو في معارفه التاريخية فذلك لانه صغير فيها حقيقة وكثير من قومه يعرف ذلك منه ولانه لا أمير في العلم إلا العلم والسلام اهـ.

الاســــلام

(رد على مسيو هانوتو)

"وزير خارجية فرنسا سابقاً" (*)

بقلم عظيم من عظماء الاسلام وامام من أئمة الاعلام

(٢)

تحرش مسيو هانوتو بمسئلتين من أمهات مسائل الدين. القدر. والتوحيد أو التنزيه. وبعد أن خلط في بيان وجه الاشكال في المسئله الاولى واختلاف الناس فيها قديما وأنهم انقسموا إلى فريقين . قائل بأن العبد مسير بقدر الله لا عمل لارادته في فعله. وذاهب إلى أن خالقه وهبه اختياراً يتصرف به فله ما كسب وعليه ما اكتسب. قال أن الرأى الاول يحط الانسان إلى حضيض الضعف والثاني يرفعه إلى ذروة القوة. ثم وصل الاول بمذهب البوذيين القائلين بفناء الموجودات في الوجود الازلي. والثاني بمذاهب اليونانيين القدماد الذين يدينون بتشبيه الاهل بالانسان في أوصافه المادية. وأن الأول قعد بأهله والثاني ارتفع بمعتقديه إلى مراتب الكمالات الانسانية. وهو خلط وخبط لم يعهد لهما مثيل ثم انصب على الديانتين المسيحية والاسلامية وقال انهما تمثلان ذينك المذهبين أى مذهبى الناس في القدر وأن الاولى ربانية ورثت ما ترك الآريون والثانية بشرية أخذت ما ترك الساميون. وأن الاولى ترقى بالانسان إلي المقام الالهى والاخرى تنزل به

(*) المؤيد ١٨ ابريل ١٩٠٠ .

إلى أسفل درك حيواني. ويظهر ميل كل من الدينين ظهوراً بينا في الاصل الذى بنى عليه كل منهما فاصل الاولى هو ايجاد الاله الاب للاله الابن حتى كان الها بشرا واتصال الالهين بروح القدس، وأصل الثانية تنزيه الاله عن البشرية وتقديسه إلي حد تنقطع فيه النسبة بينه وبين الانسان. ثم رجع بعد هذا إلى الخلط بين الدينين وردهما إلى أصول واحدة وعقد التشابه بينهما إلى آخر ما أطال به على غير جدوى .

هل عهد بين الكتاب وأهل النظر تشويش فى الفكر وخلل فى المقال يشبه ما جاء به هذا الكاتب. أدع الحكم فى ذلك لمن له أدنى المام بمذاهب الامم وآرائهم .

لم يختص الكلام فى القدر بملة من الملل مشبهين أو منزهين. ولا دخل للتشبيه والتنزيه فى شئ من ذلك. بل كان منشأ الكلام فى ذلك الاعتقاد باحاطة علم الله بكل شئ وشمول قدرته لكل ممكن .

وقد عظم الخلاف فى المسئلة بين المسيحيين أنفسهم وهم مشبهة فى رأى مسيو هانوتو وبدأ النزاع بينهم قبل الاسلام واستمر إلى هذه الايام ولعل هانوتو اطلع على مذاهب التوميين – اتباع القديس توما – أو الدومينيكيين وهم جبرية وأشياع (لوايولا) وهم قدرية اختيارية. ولكل من المذهبين شيعة بين أهل الملة المسيحية. وليس هذا بمذهب سامي كما يزعم بل لم تنبت أصوله ولم تتشعب فروعه الا بين الآريين ثم انتقلت عدواه إلى غيرهم .

هل سمعت يهودى استلقى على قفاه وترك العلم اتكالا على القدر. هل سمعت بأحد من الفينقيين (وقد وصلوا بزوارقهم ذات المجاديف إلى جزائر بريطانيا) أنه كان ينام ويتلذذ بالاحلام اعتماداً على ما يسوقه اليه الغيب. لكن سمعنا بذلك فى الاديرة وبين الرهبان وعرفنا أخبار ذلك فى ذلك الجيش العرمرم من المتكدين الذين كانوا يعيشون عالة فى الناس حتى ضجت منهم أوربا فى زمن من الازمان وطلبت الخلاص منهم بالصارم البتار .

وقد اشتهر مذهب أهل البخت والاتفاق بين اليونانيين ولم يخف أمره على صغار المتعلمين لمبادئ الفلسفة. ذلك المذهب الذى يبتدئون كتب الفلسفة بابطاله وهو مذهب القائلين أن الاشياء توجد بالاتفاق أو بالصدفة ولا يحتاج الممكن فى وجوده إلي سبب . أليس هذا أدخل فى باب الجبرية من اسناد كل أمر إلى خالق الكون. وهل يرتفع هذا المذهب بمعتقده الآرى إلى منازل الرفعة ومكانات الشرف ؟

جاء القرآن الشريف وهو الكتاب المنزل بالسلام يعيب على أهل الجبر رأيهم وينكر عليهم قولهم "لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم الخ" الآية وأثبت الكسب والاختيار في نحو اربع وستين آية. وما جاء به مما يتوهم الناظر فيه ما يخالف ذلك فانما جاء في تقرير السنن الالهية العامة المعروفة بنواميس الكون كما في آية "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة الخ" ونحوها .

والعاقل يرى الفرق الجلي بين مسئلة اختيار العبد في افعاله وبين أثر القدرة الالهية في أخلاق الامم أو تغريز الغرائز مثلا. فاختيار العبد في أفعاله مما يقرّ به الوجدان ولا ينكره الا من جهل نفسه. ولكن ما عليه الامم من الاختلاف في الطبائع والغرائز والسجايا ليس لاحد من خلق الله فيه اختيار بل خلقه كخلق السموات والارض وما بينهما .

وجاء النبي صلى الله عليه وسلم في عمله وقوله بما يؤيد ذلك فكان العامل الذي لا يكل والدائب الذي لا يمل والساهر الذي لا ينام والجاد الذي لم يبلغ شأوه أحد من الانام. هل نقل عنه أنه اتكأ يوما على وسادته واكتفى بالتسليم للقدر في أتمام دعوته قائلا الذي كفل لي النصر يكفيني التعب وضمانة الله لاعلاء كلمة دينه تغنيني عن النصب. كلا بل لم تكن تزيده الوعود الصادقة الا نشاطا ولا تجد العصمة الالهية من نفسه الأحزما واحتياطاً .

جاء أصحابه على أثره وتبعهم من جاء بعدهم من السلف الاولين وكانوا أكمل الناس ايمانا باحاطة علم الله وشمول قدرته واعرف الناس بقدرما اتاهم الله من قوتي العقل والاختيار وكانوا أسوة في السعي ومثلا في الدأب والكسب حتى كان من آثارهم في نشر الاسلام ما يتألم منه اليوم هانوتو وأمثاله .

هذه هي العقيدة السامية أو الدعوة المحمدية أو المدنية الاسلامية ارتقت باربابها وهم من اهل البداوة في قاصية من الارض لم يتلمظوا بشئ من نعيم الحضر ولم يتذوقوا طعم العلم والصنعة حتى بلغت بهم ما بلغت واستوت بهم على عروش العزة والسلطان ثم بلغوا بها من رقة الوجدان وصفاء العقل مبلغاً مكنهم من التطلف بالامم حتى وقفوا على ما كان خفيا لديها وكشفوا ما كان مستوراً عندها واستخرجوا من كنوز معارفها ما ظهر فضله على الاوربيين بعد عدة قرون من البعثة النبوية .

ولكن وأسفاه نتأت رؤس بين المسلمين كأنها رؤس الشياطين واحتملت غثاء من قمش

الآريين وقذفت به في الارض الطاهرة فتدنس به أديمها وانتشر قذره وعظم ضرره

جاء الموالي من عجم الفرس والرومان ولبسوا لباس الاسلام وحملوا اليه ما كان ندهم من شقاق ونفاق وأحدثوا في الدين بدعة الجدل في العقائد وخلفوا الله ورسوله في النهي عن الخوض في القدر وخدعوا المسلمين ببهرج القول وزور الكلام حتى كان ما كان من تفرقهم شيعا والله يقول لنبيه "ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء" .

وجد بين المسلمين طائفة تعرف بالجبرية ولكنها كانت ضعيفة ضئيلة يقذفها الحق ويطردها العقل وينبذها الدين حتى انقرضت بعد ظهورها بقليل ولم تبق بينهم بقاء التوميين بين النصارى. وغلب على المسلمين مذهب الجد والعمل وصدق الايمان وأخذه عن المسلمين في أخريات الايام أهل النظر من النصرانية مثل "بوسويه" ومن مال ميله وتبعهم الجمهور الاعظم منهم .

ولكن لا أنكر أن الزمان تجهم للمسلمين كما كان قد تنكر لغيرهم وابتلاهم بمن فسد من المتصوفة من عدة قرون فبثوا فيهم أوهاما لا نسبة بينها وبين اصول دينهم فلصقت باذهانهم لاعلى أنها عقائد ولكنهاوساوس قد تملك الجاهل وتريك العاقل اذا لم يغالبها بعوامل الدين الصحيح فنشأ الكسل بين المسلمين بفشو الجهل بأصول دينهم وعاون على ذلك ميل الاعلياء منهم إلى توريطهم فيماهم فيه كما هو شأنهم في كل أمة .

وهذا الضرب من المتصوفة أيضا من حسنات الآريين فإنه جاءنا من الفرس والهنود بما بقي فيهم من عقائدهم الاولى .

ما أضل هانوتو وأمثاله من قصار النظر الا أولئك الدراويش الخبثاء أو البله الذين يغشون أطراف الجزائر وتونس ولا يخلو منهم اليوم قطر من أقطار الاسلام ممن اتخذ دينه متجرا يكسب به الحطام وجعل من ذكر الله آلة لسلب الاموال من الطغام .

أما لو رجع المسلمون إلى الحقيقة من دينهم لأدوا فرضهم واستنبتوا أرضهم واستغزروا من الثروة وأعدوا لفرنسا ما استطاعوا من قوة واعتمدوا في نجاح أعمالهم على معونة القدر وأيقنوا في صولتهم علما أن ليس من الموت مفر ثم صال صائلهم على مكان العزة منها ونال ما ينال القوي من الضعيف والعزيز من الذليل ولانقلب جنونهم لدى هانوتو عقلا وتحول هذيانهم حكمة وعلما .

هذا ما يتعلق برأيه الضئيل في مسئلة القدر عند المسلمين. أما التنزيه والتشبيه فانا نوفيه حقه في تتمة لهذا المقال ونشفق على القارئ اليوم من الاملال . والسلام" .

الإسلام

(رد على مسيو هانوتو)

"وزير خارجية فرنسا سابقاً" (*)

بقلم عظيم من عظماء الإسلام وإمام من أئمة الأعلام

(٣)

اليوم آتى على آخر القول لكسر شرة هانوتو فى توثبه على الاسلام. وما نعنى بالكلام فيه اليوم هو التوحيد والتنزيه وخصمه التشبيه والتجسيد (الاعتقاد بتجسد الالوهية) ونبدأ بالكلام فى الثانى ونختم بالحديث عن الاول .

أن كان مسيو هانوتو قرأ شيئا فى أحوال الامم ونشأة العقائد وعقله يعلم أن الوثنية وتوهم السلطان الالهى ظاهرا فى بعض الموجودت المادية كانت عقيدة الواقفين على أبواب الانسانية لم يدخلوها ولم يتوسطوا منازلها، وكانت لوا تزال دليلا على انحطاط عقول أهلها مع تفاوت فى درجات ذلك الانحطاط تتبدئ من وثنى أفريقيا وتنتهى إلي بوذى الصين وبرهمن الهند.

كلما ارتقى الانسان فى العلم ولطف وجدانه بالفهم ونفذ عقله فى اسرار الكون تمزقت دون روحه حجب المادة وانجلى له الوجود الأعلى على تفاوت كذلك فى درجات الظهور والانجلاء تنتهي إلى الاعتقاد بوجود واحد واجب يستحيل عليه أن يلبس لباس المادة على النحو الذى يظنه مسيو هانوتو وأمثاله لان مالاحد له محال أن تحيط وجود الحدود.

وقد كان هذا شأن اليونانيين الذين يفتخر هانوتو بمدنيتهم. نشئوا وثنيين ولا زالت

(*) المؤيد ١٩ ابريل ١٩٠٠ .

الوثنية ترق وتدق وترثُ بارتقائهم في العلوم وبحث فلاسفتهم في طبائع الكائنات حتى انتهوا وهم في ذرى مدنيتهم إلى التوحيد وتنزيه واجب الوجود عن مخالطة المادة. وقف فيثاغورس على عتبة التقديس وجاء بعده سقراط وافلاطون وارسطو مجاهدين في كشف الغمة عن عيون شعوبهم باذلين الوسع في محو ما غشي نفوسهم من ظلمات الوثنية الاولى. ومن قرأ جمهورية أفلاطون التى نقلت إلى العربية أيام المأمون تحت إسم المدينة الفاضلة علم كيف كان يقارع أفلاطون ما بقي من آثار الوثنيه من الآراء السخيفة والعادات الرديئة التى كانت تحول بين الامة اليونانية وما يبتغى لها من الفضائل التي كان يطمع الفيلسوف أن تكون عليها .

وبعد أن أوصلهم العلم إلى التوحيد لم يرتد بهم التنزيه إلى الجهل بل بقيت شمس مدنيتهم تشرق فى العالم قرونا متعددة وكانت أشد صفاء وأبهر سطوعا .

كذلك قدماء المصريين لم يقف بهم العلم دون التوحيد غير أن روساء دينهم لم ينشروا تلك العقيدة بين عامتهم واستبقوا صور العبادات الاولى وألبسوا التنزيه ثوب التشبيه استئثاراً منهم بشرف العقيدة على من دونهم .

فترى ضعف العقل وقلة العلم ونقص الادراك تقف بصاحبها عند الوسائط. وقوة العقل ونفوذ البصيرة وسعة العلم تصعد بأهلها إلي مشهد الوجود الأعلى وتشرق بهم من هناك على العالم بأسره فيرونه عظيمه وحقيره سواء فى النسبة إلى تلك القدرة الشاملة والعظمة الغالبة. الفاضل والمفضول والفروع والاصول وما ظهر للابصار وما نفذت اليه العقول. كل ذلك تستمد وجوده من مشرق الوجود على مراتب قدرتها الحكمة وتمت بها النعمة. فأى مقام أعلى من مقام صاحب هذه العقيدة حيث قام شاهداً على الكون بجملته ما فصل منه في فهمه وما أجمل فى كليات علمه. يحكم عليه بأنه مربوب لرب واحد هو رب العالمين. وأن لا سلطان لشئ من هذا جميعه على نفسه لا فى الايجادولا فى الامداد بل هو وحده يمكنه بما سن له الشرع الالهى أن يصل بنفسه إلي تلك الحضرة وأن يستمد منها المعونة فى كل شؤنه .

ينقسم أهل التشبيه إلى قسمين أحدهما من يعتقد الالوهية فى بعض الموجودات المشهودة ويقف عند ما يعتقد منها والآخر يعتقد بأن بارئ الكون يظهر في بعضها .

أما الاولون فهم الذين ضعف الادرك فيهم عن الاحاطة بحقائق الاكوان فاذا ظهرت عليهم آثار قوة من القوى أو سلطة حيوان من الحيوانات ظنوه المنفرد بالقدرة عليهم وأنهم اليه يرجعون فى جميع أمورهم فهؤلاء يسلطون على أنفسهم ما شاؤا وشاء لهم الجهل من جماد

وحيوان وانسان ولا يزالون حيارى فى شؤن حياتهم حيرتهم بين معبوداتهم. ثم هم يقيسون معبوداتهم بأنفسهم لانها ليست بأبعد منهم فى النوع أو الجنس ويقدرون لها رغائب وشهوات تفوق رغائبهم وشهواتهم يسارعون فى إرضائها يمايعن لهم وكما تشرعه لهم أهواؤهم. ومن ذلك كانت ترتكب القبائح فى هياكل الآلهة وتنتهك حرمات الفضائل فى محاربيها وتقدم الذبائح الانسانية بين يدى التماثيل الحجرية وأى درك ينحط اليه الانسان أنزل من هذا وأمر ذلك معروف فى التاريخ ولاتزال مشاهده إلى اليوم معروفة .

أما الآخرون فهم أرقى درجة من أولئك فى الادراك ولكن ماذا أصابهم ويصيبهم من ذلك الاعتقاد. كانوا اذا فاقهم انسان فى عقل أو شجاعة أو صدر منه مالا يألفون من الاعمال أو ظهر بما لا يعرفون من الاحوال ظنوه مظهرا للوجود الالهى فدانوا لسلطانه واستكانوا لقهره وأخذوا أنفسهم بالخضوع لاراداته فسلبهم كل ما كانوا يملكون من عقل وارادة وعزم وحق عليهم الصغار ما داموا على تلك العقيدة .

وقد سهل هذا الوهم على كثير من أهل الدهاء أن ينزلوا من الناس منازل الآلهة طمعاً فى استعبادهم. وكم قاست الامم من الرزايا التى جلبتها عليهم هذه العقائد الضالة .

ويقرب من هؤلاء قسم ثالث ليس بخير من القسمين الآخرين وهم المعتقدون بالوسائط. ما قدروا الله حق قدره فقاسوه على الكبراء وأهل السمو منهم فظنوا أنه فى ملكوته كملك فى جبروته يصطفى لنفسه مدبرين من خلقه ويستصنع عملا للتصرف فى شؤون عباده. فاذا امتاز احدهم بما يعتقدونه زلفى إلى الله أو صدر منه مايظنونه دليلا على أنه من المقربين اليه رفعوه إلى تلك المنزلة منزلة الاصطفاء للتصرف فى الكون فاتخذوه شفيعاً لديه يلجئون اليه فى مهمات أعمالهم ويشهدون منه المعونة بما له من الدالة على ربه. واذا سئلوا عما يفعلون وما به يدينون قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا اليه زلفى .

ماذا أصاب هؤلاء من شر ما اعتقدوا استعبدوا للسادن والكاهن والزعماء وورثتهم واستسلموا لهم فى جميع شؤونهم فكانت علومهم من أوهامهم وافهامهم واقفة عند خيالاتهم ينكرون الاوليات من المعلومات اذا توهموا أنها تخالف تلك الموهومات التى تلقوها عن زعمائهم. ثم كانوا يتركون وسائل العمل اتكالا على ما يستمدونه منهم ولا يزال التاريخ يشهد على ما قاسته الانسانية من بلايا هذه العقائد والعيان يؤيده فى كثير من الامم فى الشرق والغرب إلى اليوم .

هذه مفاسد الوثنية وما جاورها لا ينكرها مطلع على مبادئ العلوم الصحيحة بل يعرفها كثيرون من العامة الذين لم ينشؤا فى جوها الفاسد .

أما زعم هانوتو أن وثنية اليونانين كانت ترتقى بالافراد فى سلم الفضائل طمعاً فى نيل مرتبة الالوهية فهو زعم لم يقل به من المسيحيين سواه فيما اعلم. ولم يقل أحد من اليونانيين أنفسهم أنهم كانوا يسعون فى كسب الفضائل من طريق التوصل إلي مقام الالوهية ولا أن الالوهية البشرية تركت فيهم أثرا صالحا بل لم تورثهم الا تلك الرذائل التى قام سقراط وأفلاطون لمحاربتها . أما السعى إلى الفضائل فكان للتقرب لاربابها كما هو معلوم .

أما حكمه على المسيحية بأنها من ناحية الديانة اليونانية فذلك أدع الكلام فيه إلى المسيحيين أنفسهم. ولكنى أقول أن المسيحية بذلت وسعها فى بداية أمرها لتطهير الارض من الوثنية التى كان الناس عليها فى عهدها وجاهدت من تلوث من عقائدها من اليهود والرومانيين وانبث رجالها بين الوثنيين يدعونهم إلى الاله الواحد وكان التنزيه توام دعوتهم كما يعلمه المدقق فى فهم كلامهم ولم تظهر آثار التشبيه فيها الا بعد قرون من نشأتها. وتاريخ الامبراطوار قسطنطين معروف عن أهل العلم وغيرهم لا حاجة الى تفصيل ما كان منه .

ثم لما امتد الغلو فى التشبيه ظهرت المظالم وعظمت المغارم واختفى العلم وخسئ العقل وتهدمت أركان النظام واستشرى الفساد فى الامم النصرانية حتى الاصلاح وقضى على ما سبقه واستقامت أوروبا فى طريقها المعروفة اليوم وقد أشرنا إلى شئ من أسباب ذلك .

لم نسمع أن أحداً من المسيحيين يعبد الله لينال رتبة المسيح فيكون إلها بشرا كما يؤخذ من عبارته. ولم نر أثراً لاحدهم يدل على أنه عقل عقيدة التثليث على هذا النحو الذى ذكره. ولكنهم يصرحون بأنها عقيدة لا مجال للعقل فيها فلا مكنة له فى أن يحتذيها. وقد قامت طوائف منهم فى أزمان مختلفة تصرح بأن فرقا بين مالا يصل اليه العقل وما يناقض حكم العقل وذهبت إلى أن المسيح لم يكن الا نبياً مختاراً بعثه الله لخلاص البشر من سلطان الشيطان وحملوا الابن على المصطفى (المختار) والأب على الرب الرحيم. وأعرف بعض طوائف البروتستانت اليوم وأن كانت قليلة العدد يذهب إلى تأويل الكلمة بالعلم وروح القدس بالحياة وقد لاقيت بعضهم فى بعض أسفارى وأكد لى أن لهم شيعة تدين بذلك .

وهل كانت المسيحية فى سالف الازمان تجاهد من حولها من الوثنيين لتخرجهم من وثنية إلى وثنية. نعوذ بالله من هذا الخبط الصادر من محب غير عالم .

إني أرفع أدبا من أن أطعن في عقائد المسيحيين في جريدة وقد أمرت أن أجادل بالتي هي أحسن. ولكن أرجع إلى الكلام في الآثار التي عني هانوتو باتخاذها دليلا .

جاء الاسلام يدعو العالم بأسره إلى التوحيد وصرح بأن دين التنزيه هو دين الله من لدن آدم ونوح وإبراهيم إلى موسى. ثم هو دين الانبياء بعد موسى ودين خاتم رسل اسرائيل عيسى عليه السلام. ولم ينكر أن في اليهود وفي المسيحيين خصوصاً أهل تنزيه وذكر أن منهم من مال إلى التشبيه ودعاه إلى الرجعة إلى أصل دينه يقوم بالعبادة لله وحده ويعتق من سلطة الرؤساء والزعماء الذين اغتصبوا عقله وملكوا هواه وهمه .

هبت الوثنية واليهودية والنصرانية لمناوأة الاسلام وكانت أكثر عدداً وأوفر عدداً وأعظم قوة وأشد بأساً فلم يكن الا قليل من الزمن ثم ظهر الحق ونفذ شعاعه إلى القلوب فدخل الناس فيه أفواجاً من كل ملة من هذه الملل فأعتقت الهمم وافتكت العزائم من أسرها وأخذ كل يطلب من الكمال ما يعده له استعداده الممنوح له من واجب الوجود وأخذ المعتقدون بالتوحيد والتنزيه يشرفون من شرفات الايمان على أسرار الوجود ومزقوا تلك الحجب والاوهام واتصلوا بمنابع العلم من الفكر والنظر والدين. ولم يكد أهل الملة يستريحون من الشغب الذي هبت ريحه بينهم حتي سطعت أنوار العلم فيهم ولم يبق باب من أبوابه الا دخلوه ولامر تقي من مراقيه الا علوه ولم يبق متروك من مخلفات اليونان والفرس والرومان الا استخرجوه من زوايا النسيان وجلو صداه وأبرزوه للانظار .

هذا أثر الاسلام وهو دين التنزيه ولم يكد ينتهي القرن الثاني من ظهوره حتى جال المسلمون في علوم السموات والارض وصححوا الاغاليط ونقحوا القواعد وحرروا الاصول. وفي مفتتح القرن الثالث أقاموا المراصد ومسحوا الارض وأتوا في ذلك بما هو معهود لاهل العلم في ديارنا وديار مسيو هانوتو .

إني اكتفي فيما يقابل هذا بقول جماعة من أهل النظر في الامم الغربية اليوم .

"أقامت النصرانية في الارض ستة عشر قرنا ولم تأتي بفلكي واحد وأخذ المسلمون يبحثون في هذه العلوم بعد وفاة نبيهم ببضع سنين" اهـ .

ومع هذا لا يعد ذلك طعنا في أصول الديانة المسيحية وإنما هو طعن في تصرف القائمين عليها والمحرفين لها عما جاءت له .

يظن هانوتو أن الاسلام قطع الصلة بين العبد وربه ولكنه وهم في ذلك فان الاسلام أفضى بالعبد إلى ربه وجعل له الحق أن يقوم بين يديه وحده بلا واسطة تبيعه رضاءه. قضى الاسلام بأن لا يكون للكون الا قاهر واحد يدين له بالعبودية كل مخلوق وحظر على الناس مقامين لا يمكن الرقى اليهما مقام الالوهية التى تفرد بها ومقام النبوة التى اختص بمنحها من شاء ثم أغلق بابها. وماعدا ذلك من مراتب الكمال فهي بين يدى الانسان ويناله استعداده لا يحول دونها حجاب الا ما كان من تقصيره فى عمله أو قصوره فى نظر

اذا اعتقدت بقصور فضل الله عنك وقفت نفسك حيث وضعتها ولن تستطيع إلى التقدم سبيلا. هكذا يرفع الاسلام الصحيح نفس صاحبه. وهذا هو معنى الاسلام والاستسلام الذى أخطأ فى فهمه مسيو هانوتو. فهل بقى الانسان مع هذا المعنى من الاسلام في درك من الحيوانية وفي هجرة عن التوسل بالاسباب الي مسبباتها فى كسب الفضائل والكمالات .

يجب على الباحث فى الاسلام أن يطلبه في كتابه كما يجب عليه أن يطلب آثاره والاسلام والمسلمون مسلمون ولو استشم مسيو (كميون) الذى استشهد هانوتو بكلامه ريح العلم لما استفرغ ذلك القذر من فيه. ولا حاجة إلى الكلام فيه فسخافة رأيه وقلة أدبه تكفيه .

من أين أتى المسلمون وكيف دخل عليهم فى عقائدهم بالتشبيه وفى عوائدهم بالتمويه. وممن تعلموا الافتراس وعمن أخذوا الضراء بالشهوات. أنا أعلم ذلك وأهل العلم يعلمون والله من ورائهم محيط .

تبع المسلمون سنن من قبلهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى سقطوا فى مساقطهم وطارحوهم الاوهام حتى انجروا إلى مطارحهم وباؤا بما كان لهم وما عليهم .

حدثت فى الدين بدع أكلت الفضائل وحصدت العقائل وترامت بالناس إلي حيث يصب عليهم ما استفرغه (كميون) .

أما لو رجع المسلمون إلي كتابهم واسترجعوا باتباعه ما فقدوه من آدابهم لسلمت نفوسهم من العيب وطلبوا من أسباب السادة ما هداهم الله اليه فى تنزيله وعلى لسان نبيه ومهده لهم سلفهم وخطه لهم أهل الصلاح منهم واستجمعت لهم القوة ودبت فيهم روح الفتوة وكان ما يلقاه هانوتو وكميون من دين صحيح شراً عليهما مما يخشونه من دين شوهته البدع .

يرى كميون أن يخلي وجه الارض من الاسلام والمسلمين ويستحسن رأيه هانوتو لولا ما يقف في طريق ذلك من كثرة عدد المسلمين وبئسما اختارا لسياسة بلادهما أن يظهرا ضغنهما ويعلنا خطل رأيهما وضعف حلمهما .

أما فليعلما وليعلم كل من يخدع نفسه بمثل حلمهما أن الاسلام أن طالت به غيبة، فله أو به، وأن صدعته النوائب فله نوبه، وقد يقول فيه المنصفون اليوم من الانكليز مثل اسحق طيلر وهو قس شهير ورئيس في كنيسة .

"أنه يمتد في أفريقيا ومعه تسير الفضائل حيث سار فالكرم والعفاف والنجدة من اثاره والشجاعة والاقدام من أنصاره" .

ويأسف أشد الاسف من أن السكر والفحش والقمار تنشر بين السكان بانتشار دعوة المبشرين بينهم، وقال "أنه يختار اسلاماً لا سكر فيه على مسيحية فيها سكر ".

ثم هو لا يزال ينتشر في الصين وغيره من أطراف آسيا وسترشده الحوادث إلى طريق الرجوع إلى طهارته وتثني به الملمات إلى ما كان عليه لاول نشأته وتدرك عند ذلك الامم منه خير ما ترجو أن شاء الله .

لو أسلمت الامة الفرنساوية بأسرها وفي مقدمتها مسيو هانوتو وكانت معاملتها لغير الفرنساويين على ما نعده في الجزائر ومداغشكر هل ترجو من سكان مستعمراتها أن يميلوا لها وأن لا ينتهزوا الفرص للثورة عليها . كلا. فما ظنك بالمسلمين وهم يسمعون قصف هذا الرعد ولا يرون من المتغلبين عليهم الا الجد في اهلاكهم والدأب في افنائهم .

أن العدل ورعاية الحقوق واحترام المعتقدات بعد معرفة أصولها هي التي تخفف على المغلوب سلطة الغالب وتدنو به منه وتهون عليه الرضاء عنه، ولكن هانوتو وأضرابه من ساسة الفرنساويين لا يعرفون شيئاً من هذه الأركان الثلاثة ولا يزالون يهرفون بما لا يعرفون حتى يصلوا الي ما كانوا يحسبون فلينتظروا انا معهم من المنتظرين اهـ .

التعليق ....

(محمد فريد وجدى)

والرد على هانوتو

اثار المقال الذى كتبه المسيو هانوتو - وزير خارجية فرنسا الأسبق - عن الاسلام والمسلمين ضجة كبيرة، وموجة عارمة من الغضب من المسلمين نى مصر، وقد شاركت معظم الصحف المصرية فى الرد على هانوتو، وكانت جريدة المؤيد من أبرز الصحف التى تبنت حملة الرد على هانوتو وتحامله على الاسلام والمسلمين .

وإذا كان الامام محمد عبده من أوائل، ومن أبرز هؤلاء الذين شاركوا فى الرد على هانوتو وادعاءاته ضد الاسلام والمسلمين، فإن محمد فريد وجدى "أفندى"، قد شارك بقدر كبير، وبجهد لا يقل بحاله من الأحوال عن جهد الامام فى الرد علي هانوتو وادعاءاته .

وقبل أن نستعرض "أبرز" - وليس كل - مقالات محمد فريد وجدى فى الرد على هانوتو، يجدر أن نلقى الضوء على بعض جوانب شخصيته.

كانت الاسكندرية هى مسقط رأس (محمد فريد وجدى)، وتنقل بينها وبين دمياط، ثم استقر فى السويس، مع والده الذى كان يلي منصب وكيل المحافظة بها .. وقد تكونت ثقافته الأولى بمكتبة والده متفوقا فى اللغة الفرنسية ... وقارئا بها، ومع هذا فقد كان يمتلك ثقافة عربية اسلامية أصيلة قوامها دراسات الأدب والعلوم الشرعية (الفقه والسنة والشرائع والقرآن) والتاريخ .

وقد قضى (محمد فريد وجدى) حياته فى أربعة مراحل وهى :

أولا : المرحلة الاولى : مرحلة بناء الشخصية، وفيها أخذ يكتب رسائله التى تتناول

الكون واثبات وجود الله، وتطبيق الديانة الاسلامية على النواميس الحديثة، وفى هذه المرحلة أصدر عددا من المؤلفات، كما أصدر مجلة الحياة. وفى نهاية هذه المرحلة أنتج عملين موسوعيين، هما ...

كتاب "**كنز العلوم واللغة**"، وحشد فيه فنونا من عصارات الاداب والعلوم والفنون والفلسفات التى تضمنتها الموسوعات الأخرى .

كتاب "**صفوة العرفان فى تفسير القرآن**" .

ثانيا : المرحلة الثانية : فى هذه المرحلة أنتقل الى العمل الصحفى الوطنى وذلك بانشائه جريدة الدستور فى عام ١٩٠٧، التى توقفت فى عام ١٩١٠، ولكنه قدم من خلالها كتابا عديدين أبرزهم الأستاذ العقاد .

ثالثا : المرحلة الثالثة : وفى هذه المرحلة استطاع أن يتم مشروعه الضخم "دائرة معارف القرن الرابع عشر الهجرى والعشرين الميلادى" فى عام ١٩١٨، وكان يواصل اصدارها على أجزاء صغيرة باشتراكات زهيدة، ثم أعاد طبعها مرة أخرى بعد ذلك فى عام ١٩٢٣. كما أنه فى تلك المرحلة كتب فى مختلف الصحف اليومية والاسبوعية والشهرية، وفى مقدمتها الأهرام والمقتطف والهلال، وفيهما كان خط فكره فى مختلف كتاباته تغليب العلم والعقل على ما سواهما .

رابعا : المرحلة الرابعة : فى تلك المرحلة – التى بدأت فى عام ١٩٣٣ – أشرف على تحرير مجلة الازهر. وقد امتدت هذه المرحلة حتى عام ١٩٥٢، قدم خلالها ما يقرب من خمسمائة بحث، فقد كان يكتب أحيانا مقالين أو ثلاثة فى العدد الواحد، وأبرز ما تتمثل به هذه المرحله هى اهتمامه بموالاة كل ما يكتب عن الثقافه العربية والاسلام والشرق .

وهكذا امتدت الحياة الفكريه العقليه من حياة (حمد فريد وجدى) ما يقرب من سبعة وخمسين عاما (١٨٩٦ – ١٩٥٢) لم يتوقف خلالها عن أداء رسالته فى بناء الفكر العربى الاسلامى المعاصر .

وقد أصدر ما يزيد على ٢٠ كتابا يحمل اسم (محمد فريد وجدى) ، هذا الى جانب مئات المقالات التى تملأ الصحف والمجلات المختلفة .

أما مقالاته في الرد على (هانوتو) فقد بدأت على أثر ما نشر فى جريدة "المؤيد" فى

بريل ١٩٠٠ من ترجمة حديث وزير خارجية فرنسا السابق، نشر في جريدة الجورنال باريسية، ذلك الحديث الذي يحمل الطعن للاسلام والمسلمين هذا مما أثار نفوس المسلمين جميعا، فقام الامام محمد عبده بالرد عليه – من خلال مقالات عديدة – في جريدة المؤيد بتوقيع امام من ائمة الاسلام". وقد غطى في مقالاته هذه كافة جوانب مقال هانوتو، حتى أن (محمد فريد وجدى) عندما بدأ يشارك في الرد أشار الى ما كتبه الامام محمد عبده، وقال عنه "لقد في المقام حقه، ولم يبق أمامنا الا نقطه واحده هي" ما ذكره هانوتو من ان الاسلام يجب حترامه كقنطرة تمر عليها الشعوب من الوثنية الى المسيحية .

وهنا نجد أن محمد فريد وجدى قد ركز في رده على هانوتو على قضية واحدة هي "أن لاسلام ليس قنطره تمر عليها الشعوب من الوثنية الى المسيحية". حيث يقول "نحن نريد أن برهن له (هانوتو) ولأمثاله الواهمين في الاسلام بأنه ليس بدين تمهيدى بل هو غاية ما سيصل ليه النبوغ الانساني في مستقبل القرون، ثم عرض لصراع العلم والدين وكشف عن اتجاه العلم لحديث الى الروحية ثم وصل الى ان الاسلام هو دين الفطرة المنشود .

وذلك أنه رأى – في مقاله في المؤيد بتاريخ ٢١ ابريل ١٩٠٠ – أن التدين فطرة في لانسان، بمعنى أن لدى الانسان ميلا طبيعيا يجعله رغما عنه يتشبث بعقيدة يعتصم بها فؤاده لضعيف هروبا من هذا الضعف النفسي. كما أنه ذكر أنه خلال القرون المختلفة كان الله تعالى يرسل للناس رسله لتنزيل الظلام من قلوب عبادة، لكن تعاليمهم (الرسل) لم تكن تستمر الا قليلا نتيجة لغلظ الانسان الذى كان يطلب ما يلمسه بيده ومايراه بعنيه. ولكن كان لابد للعقل الانسانى أن يتيقظ عندما جاءت صحيحة مدوية، دوت لها أرجاء الكرة ، ألا وهي الدعوة للاسلام .

وفي مقال ثان – المؤيد بتاريخ ٢٢ ابريل ١٩٠٠ – يكمل آرائه بأنه عندما ظهر نورالعلم كانت المدارك قد كلت عن تحمل أعباء العقائد، وسئمت العقول، حبسها داخل سجون الظلمات والغياهب. حتى اذا جاء رجال العلم الحديث وأخذ يحاكم مبانى الأديان امام العلوم الصحيحية المستمدة من الحس والتجربة، ولم يمضى جيلين حتى أصبحت قاعدة تحكيم العلوم التجريبية على العقائد الدينية من القواعد التى لا يجهلها أحد. عاد ليذكر أن النوع الانسانى عاد يتلمس العقيدة المبرأة من كل الشوائب الوهمية والفروض الظنية خلال القرن التاسع عشر .

وفي مقال ثالث – المؤيد بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩٠٠ – يكمل حديثه ليؤكد فكرة مؤداها

أن "الاسـلام هو دين الفطرة المنشـود" وفيـه يؤكـد أن الاسـلام دين كل الازمـان، وأنه هـو دين الفطرة، ويستعين – في رأيه هنا – بالآيات القرآنية فهو يذكر قول الله تعالى : " فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون" ثم يواصل الرد على بعض مزاعم هانوتو، فيقول أن زعم هانوتو بأن الاسلام يجعل بين الانسان وخالقه حدا فاصلا هذا قولا باطلا لأن اكبر ما يتميز به الدين الاسلامى هو محو الوسطاء بين الانسان وخالقه. ويؤيد كلامه قول الله تعالى "وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان" ثم يضيف ان الاسلام هو دين طهاره العقيدة وملاءمتها لحاجات النفوس وانطباقه على نواميس الخليقه .

ومن هذا العرض نرى أن محمد فريد وجدى دافع عن الدين كدين، وكشف عن حاجة الانسانية اليه، وأن الطبيعة البشرية تندفع وراء تلمس العقيدة النقية من الشوائب والفروض. واكد على أن العلم لم يستطيع أن يتغلب على الغريزة الدينيه – ذلك أن العلم لابد أن يكون بجانب الدين – وشهد باستمرار تلك الغريزة وشيوعها فى كل أدوار ومراحل التاريخ، ذلك ان الانسان مفطور على اعتقاد وجود الله .. وقد قدم فى التأكيد على رأيه عدد من آراء علماء اوربا أنفسهم، واستعان بالعديد من الآيات القرآنية، والاقوال المأثورة عن أوائل المسلمين أمثال أبوبكر الصديق. وفى النهاية وصل إلى غايته بأن "الاسلام هو دين الفطرة المنشود" وأن الناس بمختلف أجناسهم ودياناتهم يقتنعون به شيئا فشيئا، ويتقربون منه يوما بعد يوم، وهو فى ذلك يقول :

"أن النوع البشرى يقترب من عقائدنا يوما بعد يوم، ثم رأينا من شهادة علماء الفرنجة أنفسهم أن ديننا دين مدنى عجيب التأثير. ثم انا نرى أنه آخذ فى الانتشار بطريقة مدهشة رغما عن كل ما يقام دونه من العوائير" .

نظرة على مقال مسيو هانوتو (*)

لحضرة الفاضل الاديب صاحب الامضاء (١)

لولا ما في مقال المسيو هانوتو من ألفاظ اصطلاحية تاريخية وعمرانية لخالها الانسان مكتوبة بقلم متبتل في صومعة بعيدة عن مثار الحركة العلمية في هذا العصر الحاضر اذ قد اشتملت تلك الجملة على أغلاط هائلة في كل منحي من مناحي المباحث الفلسفية لا يمكن أن تغتفر لكاتب من كتاب أخريات القرن التاسع عشر .

تصدى الباحث عن أصول العقائد المختلفة وذهب إلي حيث لا يتفق مع حقيقة الواقع ثم شخص امامه اسس الاديان المختلفة على قدر ما يعلمه منها وأخذ يقارنها ببعضها ثم استخلص منها هذه النتائج التي لم يرتب كل تلك المقدمات الا لأجلها التى لم يرتب كل تلك المقدمات الا لأجلها وهى أن الدين الاسلامي دين بشرى وأنه يجعل المعتقد له كمن يهوى في القضاء بحسب ناموس لا يتحول .. الخ..الخ ويبنى على هذه النتائج من القصور والعلالى ما شاءت السياسة وأساليب الاستعمار .

أما بحثه في أصول العقائد وزعمه افضلية التشبيه على التنزيه فقد كفانا مؤونة الرد عليه ما كتبه ذلك العظيم والعلامة الفيلسوف المؤيد عقب صدور تلك المقالة وقد وفى المقام لدرجة أصبحت الزيادة عليه من باب تحصيل الحاصل ولم يبق أمامنا الا نقطة واحدة وهى ما نقله من أن الاسلام يجب احترامه لانه كقنطرة تمر عليها الشعوب من الوثنية إلي المسيحية . أما نحن فنريد الآن أن نبرهن له ولامثاله الواهمين في الاسلام بأنه ليس بدين تمهيدى بل هو غاية ما سيصل اليه النوع الانساني في مستقبل القرون ونهاية ما ترمي اليه قواه الكامنة في طي مواهبه الطبيعية التى أعدت لتوصله إلى ادراك معنى الحياة الدنيوية والاخروية على حقيقتها. ولاجل أن نصل إلى هذه النتيجة بغاية الوضوح رأينا أن نذهب اليها من مقدمة إلى مقدمة نأتى في أطوارها على لمحة من الفلسفة الدينية بحيث لا ينتهى القارئ إلى نتيجتها حتى يصبح معنا قائلا (أن الدين عند الله الاسلام) فنقول والله المستعان .

(*) المؤيد في ٢١ أبريل ١٩٠٠.

(١) محمد فريد وجدى مجلة الحياة .

التدين فطرة فى الانسان

لا نريد بلفظة تدين هنا اعتقاد الانسان بدين خاص من الاديان ولكن نريد بها ذلك الميل الذى يبعثه رغم أنفه يتشبث بعقيدة يعتصم بها فؤاده الضعيف هربا من أعاصير احساساته الروحانية التى توزع وجدانه وتتقاسم أمياله. الانسان ولو اشترك مع الحيوانات فى تركيبه الظاهرى وتكوينه الطينى حتى صح أن يقال أنه حيوان ناطق الا أنه اختلف عنه من جهة معناه وقواه الكامنة فيه بحيث لا تستطيع أن تسرى على كليهما حكماً واحداً. الحيوان قاصر القوى محدود المواهب لا تتطوح استعداداته لأبعد من البحث على راحة جثمانه حتى أن أرقى أنواعه لم يترك عما خلق عليه قيد فتر. والانسان بخلاف ذلك قرارة أسرار روحانية ومستودع فيوضات علوية بحيث لا يقنعه مطلب فيقف عنده ولا يرضيه مدى فيلتزم حده. فى فؤاده قوة تنظر إلى عوالم الشهادة بنظر المحتقر المستهين وتحاول النفوذ منها إلى عوالم الغيوم بكسر السدد المضروبة أمامها وفتق الحجب المسدولة دونها هذه القوة التى تترامى فى مضارب هذه اللانهاية بباعث فطرى لا دافع له كثيرا ما ترتطم بعوائق ترتكس بها مرتدة على عقبها وتصطدم بعواثير تعكسها على نفسها فتئن أنين الهائم وراء مطلوب أعوزه الدليل وتحن حنين الغريب خانته الراحلة بعد طول الزميل .

ماذا تريد النفس من هذه المحاولات الهائلة وعلى ماذا تبحث فى هذه الرحل الشاسعة؟ هذه الطبيعة أمامها تؤتيها حاجة جثماها وتقيم أود بنيانها فماذا ترجى بعد ذلك من هذا الهم الناصب والكد الواصب؟ تريد أن تطمئن على نفسها وتهتدى إلى سرها. تريد أن تقف على ما قدر لها وحتم عليها. بل تريد أن تصل إلى رغيبة تشعر بها فى ذاتها وتحرق على فقدانها في وحدانها. رغيبة ترى دون فواتها فوات لذتها وفناء حياتها. رغبة تحس أنها خلقت لاجلها وسيقت للبحث عليها. هذا الشعور فى الانسان فى أشكاله وصوره الغير محددة هو الذى يستثير ملكاته الكامنة ويستخرج مواهبه الدفينة فى أطوار طبيعته. هذا الشعور هو الذى يعلو به عن مداحض الحيوانية ومزالق الوحشية إلى قمة المدنية ويبعثه إلى اجلاء كثافات الطبيعة الطينية عن قواه الملكية ولقد يظل هذا الشعورملازما للانسان حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

جرى الانسان وراء هذا الشعور واندفاعه فى اعقاب امياله الروحانية ومحاولة النفوذ إلي ماوراء عوالم الحسن ثم ارتطامه فى العقبات التى يصادفها امامه فى كل خطرة من خطراته تلقى به إلي مهواه الحيرة والدهشة تجبرانه على تنسم المخلص من اليأس الذى وقع فيه. فلا يرى امامه محيطا غير القاء نفسه بين يدى تلك القوة إلتى أخرجته من العدم وقضت عليه بكل

هذا الكد الهائل. فتلمسه الخلاص من ورطاته بمناجاة تلك القوة السامية واهتداؤه إلى الاخبات لها والاقرار بالعجز امامها هو التدين بأعمم معانيه ومنه نشأ الدين على اختلاف معانيه .

الدين فى خلال القرون

لما آب الانسان من حيرته الاولى واهتدى إلى سبيل الخلاص بالاخبات لفاطر السموات والارضين أخذت فكرته تبحث عن الوسائل التى تتحبب بواسطتها إلى تلك القوة السامية لتستدر من واسع عطائها ما يبل أوامها ويروى غلتها. ولكن كيف السبيل إلى تلك الوسائل وهى جاهلة بطبيعة تلك القوة السامية غير عارفة من أحوالها الا ما تهديه اليها المشاعر من آثارها؟ هذه الجهالة بعثتها إلى استقصاء البحث عنها واستنفاد الوسع فى تحديدها لتصل إلى معرفة الذرائع لاسترضائها واستجلاب رحمتها فأخذت تشخصها بأرفع ما يصل اليه ادراكها وأسمى ما يحوم حوله تصورها فوقعت فى التشبيه والتجسيم ووهبت لها من العواطف والاميال مثل ما تحس به فى ذاتها وبنت على ذلك من العلالى الدينية ما يستطيع أحدنا أن يري مثله عند الشعوب الوحشية .

فى أثناء هذه الحيرة الانسانية كان الله تعالى يرسل للناس رسله تترى وهم ليسوا الا أفراداً يمتعهم الله بكشف الغلف عن أفئدتهم فيلهمون بما يجب أن يعلمه الانسان من صفات الخالق ولكن كانت تعاليمهم لا تلبث الا قليلا لغلبة اندفاع الانسان وراء خيالاته عليها وعدم استعداده للوقوف عند حدود احساساته الفطرية. وأن شئت فقل بغلظ انسانيته التى كانت تطالبه بأن تلمسه بيدها وتنظره بعينها .

استمر الانسان فى هذا التدافع الدينى ألوفا من السنين كان فى أثنائها لا شغل له الا الدين. فباسمه رصد الكواكب واقتحم المصاعب وبنى الاهرام وأرهف الحسام وباسمه اختبر العقاقير وقطر بالانبيق حتى يخيل للانسان أنه لولا اندفاعه بالدين لانجلى عن سطح البسيطة من زمان مديد

يقظة العقل

حصل كل ما مر بك والعقل تحت طى كثافات الطبيعة محجوب وسلطانه فى التحكم على العقائد مسلوب فما كانت السلطة الا فى يد الخيال يتصرف فيها كيف شاءت الاميال واقتضت الاحوال. ولكن قوارع الحوادث ونوازل الكوارث كانت دائبة وراء الانسان تصليه من وقائعها ناراً وتسقيه من مصاعبها حميما وغساقا لتخرجه من ظلمات الحيوانية إلى باحات النور

الاقدس فانفجرت صخور المدارك عن ينابيع القوة المميزة وظهر في الامم افراد اقتحموا غمرات الخيالات العامة بمصابيح القوة العاقلة ووقفوا حياتهم لاجلاء تلك الغياهب التى كانت رانئة على المواهب الانسانية فرمتهم الشعوب عن قوس وأوسعوا فيهم قتلا وسما وتحريقاً. ولكن هيهات. فإن غاشيات الخنادس كانت قد انقشعت عن مرايا المواهب وسدف الاوهام كانت قد انجلت عن سماء المدارك فلم تقو كتائب الخيالات على جيوش العقليات فظهرت العلوم الفلسفية تخطر في قشيب الجلال والعظمة واتسعت للملكات ميادين المنافسة والمباراة وأخذت من حقائق الكون على قدر ما أتيح لها ونال الناس من اللاهوت على مقدار ما وصلت اليه عقولهم وحامت حوله تصوراتهم. ولكن كيف الوفاق والعقول تتفاوت فى مجالاتها والافكار تتخالف في بعد مراميها؟ فلم يطل العهد على هذه الخطوة الا قليلا حتى انتقل الخلاف من الخيالات إلي العقليات واشتد اللجاج بين الاحزاب لدرجة كادت تهوى برؤساء الأديان فلم يجد هؤلاء محيطا غير اعلانهم بأن أصول العقائد لا تنال بمسابير العقول وانها تتعالى عن أن تناولها يد الافكار البعيدة المرامى. فزجوا بالناس إلي أبعد مما كانوا عليه ووجدوا لهم من الجهالة أنصاراً لتأييد مزاعمهم وهبوا ينضلون الحكماء ويصاولون العلماء ويعادون كل ما تشم فيه رائحة العلوم العقلية.

بينما الناس فى هذه الحالة من التدافع والتجلد واذا بصاخة عظمى دوت لها أرجاء الكرة الارضية فشخص الناس اليها من كل مكان واذا بها أمة صغيرة لا عهد لها بكتاب سماوى ولا دين نظامي ولا حكومة متسقة ولا رابطة عامة قامت تحمل للشعوب على يدها درياق الهدوء والسكينة واكسير الراحة والطمانينة. ترد المتخالفين إلى أصل مشترك بينهم وترفع عن القلوب تلك الحجب التى أسدلها لها رؤساؤهم. فدعت هذه الأمة إلى الحقيقة بكل وسيلة وصاحت فى الامم أن هلموا عباد الله إلى النور قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبينا فأما الذين أمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه ويهديهم اليه صراطاً مستقيما" فاصغى اليها من سبقت له السعادة ولوى عنها من غلبت عليه الشقاوة واستنام الرؤساء لها حتى أدت المطلوب منها وأقامت علما يهتدى اليه من أراد أن يستقيم على تمادى القرون. ثم رجعوا إلى ضوضائهم وعملوا على تشهير ذلك النور الهادى بكل ما يتصوره العقل من المطاعن كفاً للناس عن الاهتداء اليه حتى جاء عصر العلم وهو العصر الذى عليه المعول فشرع يأخذ بثأر العقل الذى دفنوه ويقيم من بيت الحقائق ما هدموه . البقية غداً

(محمد فريد وجدى محرر مجلة الحياة)

نظرة على مقال مسيو هانوتو (*)

لحضرة الفاضل الاديب صاحب الامضاء

(تابع ما قبله)

تصارع العلم والدين

ظهر نور العلم فى عصر كلت فيه ذرائع المدارك عن تحمل اعباء العقائد وسئمت العقول شدة العقال فى سجون تلك الغياهب فقام رجال لا يخشون فى الحق لومة لائم وأخذوا يحاكمون مبانى الاديان امام العلوم الصحيحة المستمدة من الحس والتجربة فعلت ضوضاء الرؤساء وضبخت اصوات المنتصرين لهم ولكن كانت الطبيعة البشرية قد قوى عصبها واشتد عضلها فلم تضطرب اضطرابها السابق ولم يمض غير جيلين حتى أصبحت قاعدة تحكيم العلوم التجريبية على العقائد الدينية من القواعد التى لا يجهلها صبيان المكاتب وظهرت فى خلال هذا القرن كتب لو خط سطرا منها أعظم عظيم فى القرون الوسطى لا سقطوا السماء عليه كسفا أو لتسفوا البلد التى هو فيها نسفا . ولكن هيهات . تلك أيام خلت ولم يبق من آثارها الا المحاربة بالاقلام والمنافجة بشقاشق الكلام وشتان بين أقاويل تعززها أدلة العيان وتحوطها قوة البرهان وبين كلمات لا تكاد ترن فى أذن قائلها من شدة ما يحيط بها من صفير المستهزئين. قال الاستاذ الطائر الصيت (كاميل فلامريون) اسكاتا للذين يريدون القهقرى بالناس إلى الحالة الماضية "آن هؤلاء يتوهمون أنهم سيتوصلون إلى تشخيص الماضى على مراسح الدمار والبوار. كلا فلن يستطيعوا أن يوقفوا تقدمنا إلى دين سام لم نتوصل اليه بعد ولكنا سائرون اليه سعياً حثيثاً. وهذا الدين هو الاعتقاد بالله إلى الحق بواسطة العلوم الصحيحة وسمونا إلى معرفة

(*) المؤيد فى ٢٢ ابريل ١٩٠٠.

الحقيقة سنه الله نواميس الخلقيقة" ولكن قضت سنة الله في الكون أن يظهر بازاء كل خير شراً وحيال كل مزية رزية وعلى جانبي كل اعتدال افراطاً وتفريصاً وهو سر أسرار الابداع الذى نحن مظهر من مظاهره الغير متناهية فكان من آثار هذه الروح الجديدة أن نفثت في روع أصحاب الشهوات سموم الاتحاد وأوجدت لشياطين النزعات مسرحا من القلوب فضلت عن سبيل الرشاد فأخذت الاميال البهيمية حظها من الانطلاق وراء مقتضياتها الطينية وكان لها من سيادة لحرية أكبر ظهير لها على ألايغال في تهورها وسرت تلك الروح القاتلة إلي العامة من باب التقليد الاعمى فهمدت جذوة الحرارة الدينية من صدورها وأطفئت مصابيح الايمان من ألبابها ولم يعقبها دور الاباحة المطلقة الابنود القانون الذى لم يزل له في تلك البلاد بعض السلطة. ولكن ما قولك في أن الالحاد الاعمى قد لعب ببعض العقول الضعيفة دوراً أضاع منها رشادها فقامت فئة ليست بقليلة العدد تتلتل بالناس إلي خلع نير الحكومات وكسر مقاصر السلطات وتريهم أن أقدس شريعة في العالم هي شريعة الاباحة والانطلاق من سائر القيود القانونية .

قالوا مابالنا أحط رتبة من الحيوانات في نظاماتنا الاجتماعية وأقل تمتعاً منهم بمزايا الحرية الطبيعية؟ ماهي تلك القوانين المسطورة في بطون الاوراق وما هي تلك الفئات التى تدعى لنفسها حق الاشراف والسيطرة على أميال الشعوب؟ ما معنى رجل يتبختر في الاستبرق والحرير ويتهادى بين الحياض والازاهير. وامامه رجل ليس له من حق الوجود غير استنشاق الهواء وتوقع الفناء تحت كلا كل الضراعة والضراء؟ كلا، أن العدالة كل العدالة هي ترك الانسان وشأنه تحت رحمة قانون التغالب حتى لا يفوز براحة الوجود الا من وهبته الطبيعية قوة الغلبة في هذا المعترك المشهود. وعلى هذا فمن الواجب تضحية كل مرتخص وغال في سبيل الوصول الي هذه الرغيبة السنية بكل الوسائل الامكانية، بالحيل والمخاتل، بالقنا والقنابل، بالمدى والمعابل، حتى يخلو الجو من هؤلاء المسيطرين وينجلي عن الوجود هذا الظلم المبين .

هذه فرقة من فرق كثيرة يعد افرادها بالملايين نشؤا تحت سماء تلك التعاليم الالحادية وازاد عددهم بمؤثرات تلك المدنية المادية حتى خشي على بناء المجتمعات المتمدنة أن يتصدع أن لم يتداركه الله بروح من عنده كل هذه الزعازع ألفتت عقلاء الامم الي تشخيص هذا الداء وتلمس الدواء فرأوا والبرهان أمامهم أم ميكروب هذا المرض هو فقدان الدين وخلو الفطر من أنوار اليقين فهبوا يستردون ذلك المفقود الغالي ويسترجعون ذلك الاكسير الشافي ولكن بأى

الوسائل؟ أخذت تعاليم الفلسفة الحسية من العقول مأخذها ولم يعد من الممكن ادهاشها بخيال ولا الهاؤها بزخرف مقال. أشعرت النفوس أن رضوخها لمحض الدليل العقلى تطوع بذاتها إلى مثل ما كانت عليه في الماضى واتضح بطلانه فى الحاضر وعلمت أن ارتكانها على معقول لا يسنده من جانب الحس دعامة قوية لا يسلم من شوب المسائل الوهمية فهبت تسترد أصول العقائد ولكن بنور العرفان وتسترجع مفقود اليقين ولكن بأسنة البرهان .

رجوع النوع الانسانى للفطرة الاولى

هذا الاندفاع من الطبيعة البشرية وراء تلمس العقيدة المبرأة من كل الشوائب الوهمية والفروض الظنية تعد من أكبر مميزات القرن التاسع عشر فقد أصبحت الشغل الشاغل لاساطين العلماء في البلاد المتمدنة لارتباطها بمستقبل الشعوب تمام الارتباط قال (هنرى بيرنجيه) فى مجلة المجلات مجلد ٢٤ : "أن هذه المسئلة هى أهم ما يشغل العالم المتمدن لان مستقبل الامم المتمدنة يتعلق بحلها"

ولكن من أى الطرق توجه العقل الحاضر إلى حل هذه المسئلة السامية ومن أى المنافذ تسرى إليها أشعة الافكار المبرأة من خطرات الوساوس وعلى أى دعامة يرتكز التصور للصعود اليها؟ لم يجد الانسان الحالى محيطاً أمامه للرجوع إلى أصل الفطرة التى فطر الله الناس عليها خصوصاً بعدما أصبح من المقرر الثابت أن نزعات تلاعبت بأصول الاديان فأخرجتها عن أصولها ونزوات تورعت مبانيها فزحزحتها عند مراكزها اللهم الا تلك الفطرة الاولى التى لم تزل فى كل دور من أدوار الانسان تبرهن على استقلالها وثباتها قال (هنرى بيرنجيه) المتقدم ذكره فى المجلة نفسها: "اذا كان الانتقاد التاريخى قد هدم كل الاشكال الثابتة الغير قابلة للتغير فى الاديان فإنه لم يستطع أن يعدو على تلك الغريزة الدينية، بل قد شهد باستمرارها وشيوعها فى كل دور من أدوار التاريخ وأن كل تلك الابهة المختلفة والمتعاقبة تشهد بأن الانسان مفطور على الاعتقاد بالله رغم أنفه. ففى كل جهة وكل زمان وكل مكان قد شوهد احتياج الانسان إلي الدعاء والعبادة والتضحية فى أخس الاديان الوثنية كما فى أرقى العبادات الروحانية هذه هى الشرارة البسيلولوجية (النفسية) التى استخلصها من رماد الاديان فمن المستحيل عليها أن يطفئها ولكنه سينقلها الي المستقبل وحيث أن الاديان ليست الا مظاهر خيالية لهذه الغريزة الدينية فستتلاشى آجلا أو عاجلا كل الآثار الانسانية ولكن تلك الغريزة نفسها لن تتلاشى أبداً الا مع الانسان نفسه" .

هذا رجوع من الطبيعة البشرية إلى دينها الفطرى ليس ببعيد العهد عنا قال الكاتب نفسه. نؤمل فى ذلك (أى الوصول إلى حل المسألة الدينية) لاسيما وانه منذ مائة عام كونت الديانة الباطنية ودرست بواسطة بعض كبار الفلاسفة الفرنساويين (فجان جاك روسو) و (لمرتين) و (لمنيه) و (ميشليه) و (كينيه) كانوا من كبار المبشرين بهذه الديانة الجديدة. وقريب منا (ارنست رينان) و (جيو) و (شوريه) و (سبتيبه) قد أعطوها قوة جديدة ودقة عظمى" فما هى يا ترى أصول هذه الديانة الجديدة التى يؤكدون أنها غاية ما ترمي اليه مواهب الانسان من العقيدة؟ يحسن بنا أن نلقى هذا السؤال على أساطين الفلسفة فى أوروبا. قال الفيلسوف (كارو) فى كتابه (الابحاث الاخلاقية على الزمان الحاضر): "قواعد الديانة الطبيعية هى الاعتقاد بوجود اله مختار خلق الكائنات واعتنى بها وهو متميز عن العوالم الكونية وعن النوع الانسانى (وهذا غاية التنزيه) ووجود روح فى جسم الانسان متصفة بالذكاء والحرية ومحبوسة فى هذا الجسم المادى أمدا لتبتلى فيه. وهذه الروح يمكنها بارادتها أن تطهر هذا الجسم وتنقيه اذا عرجت به نحو السماء كما يمكنها أن تشغله باستئناسها بالمادة الصماء. والاعتقاد المطلق برفعة العقل على الاحساس. ووضع الحرية الاخلاقية التى هى ينبوع وأصل كل الحريات تحت سيطرة الاعتدال. واعطاء الاخلاق الفاضلة اسمها الحقيقى وهو الامتحان والابتلاء وتحديد غرضها الحقيقى وهو التخليص التدريجى للنفس من علائق الجسم والتهيؤ لساعة الموت بالزهادة. وأخيرا الاعتراف بقانون الترقى ولكن بدون فضل رقى الانسان فى مدارج السعادة المادية من العواطف الفاضلة التى هى وحدها تبرر تلك السعادة" وقال الفيلسوف الطائر الصيت (جول سيمون) فى كتابه الديانة الطبيعية : "كل أصول مذهبنا هذا واضحة لا رموز فيها . أما أصوله فهى الاعتقاد بوجود اله قادر على كل شئ ولا يغيره شئ خلق العوالم وحكمها بقوانين ونواميس عامة. ووجود حياة أخرى تؤدى لنا كل وعود هذا الحياة الدنيا وتكافئ المظالم بالجزاء الأوفى" .

البقية تأتى ...

محمد فريد وجدى

محرر مجلة الحياة

نظرة على مقال مسيو هانوتو (*)

لحضرة الفاضل الاديب صاحب الامضاء

تابع ما قبله

الاسلام هو دين الفطرة المنشود

قال الله تعالى "فأقم وجهك الدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" هذا نص صريح على أن الدين الحق هو الوقوف عند حد ما فطر عليه الانسان فى صميم طبيعته وأن كثرة اللجاج واعطاء الخيالات حق التلاعب فى أصول العقائد ليس من الدين النقى فى شئ بل من شطحات الظنون ونزعات الاهواء التي لم ينزل الله بها من سلطان قال الله تعالى (أن يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) .

علم الله أن النفوس تتوق إلي ما سترته عنها يد الغيوب وتتشوف إلى كشف الغطاء عن كل محجوب وأن ذلك الميل قد يطرحها إلى محاولة البحث فى كنه ذاته وهو البحث الذى فصم روابط الملل بعد استحكامها ونكث فتل الوحدة من بينها فسد على متبعى شريعته الفطرية هذا الينبوع من الشر سدا محكما فقال (ليس كمثله شئ. لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) فكان هذا اكبر رادع لشهوات العقول عن التطاول إلي مقامه الرفيع بما لديها من وسائل واهية ومعلومات نسبية ضئيلة .

علوم الانسان على اختلاف أنواعها وقواه العقليه على كبر سلطانها ليست الا نتائج تدافع القوة الادراكية مع هذا العالم الاراضى المتلاشى. اذا كان الامر كذك أليس من الجنون المحض محاولة الوصول بهذا العلم المحدود وذلك العقل القاصر إلى تحديد صفات سر الاسرار

(*) المؤيد فى ٢٤ ابريل ١٩٠٠.

الكونيـة التى لا نهـاية لها وادراك كنه ذاته العليـة التي لا حد لهـا أي عاقل يثلج صـدره علـي ما وصل اليه عقله من صفات الله تعالي وهو يرى بعينيه أن لم اللاهوت عند سائر الامم منبع خطة التدرج فى الترقى على حسب ارتقاء العقل البشرى. قال (فلامريون) فى كتابه المسمى (الله فى الطبيعة) "أن فكرة أسلافنا فى الله كانت فى كل زمان مناسبة لدرجات العلم التى حصلها النوع الانسانى على المتعاقب" اذا كان الامر كذلك وثبت أن كل وصف يستطيع العقل أن يصف الله به احط من مقامه القدسى بمراحل بل من المؤكد أنه لا يلبث الاقليلا ثم يصير لدى العقل المستقبل فى أخس درجات الخشونة بالنسبة لما يكون قد وصل اليه علمه من عظم قدر الله تعالى فكيف لا يرعوى الانسـان بعد ذلك كله ويعتقد أن كمـال الله فوق كل كمال وأن التهجم على فتق الحجب التى تحجبنا من ذاته بمسـابير هذا العقل الاعتيادى القاصر جريمة لا تغتفر وان الواجب على ذى فطرة سليمـة أن يكتفى مـنه فى وجدانه من الاحسـاس بوجوده مقرا بالعـجز عن تناول علم ذاته؟ هذا هو التنزيه بالعجز فى الاسلام الذى آب اليه اصحاب الديانة الفطرية الطبيعية بعد ما أرتهم علومـهم التـجريبيه أن أدعاء الاحـاطة بسر هذه المادة المحسوسـة جهل فـاضح فمـا بالك بسر الاسـرار ومشـرق الارواح والانوار قال الفيلسـوف (فلامريون) مندهشا من عظمة الله تعالى ومستهجنا عقل من يتجارى علي تحديده "أللهم ما أكبرك" ! من ذا الذى تجاسر وسماك لاول مرة ومن ذلك المتكبر المجنون الذى حاول لأول مـرة أن يعرفك بتـعريف ! يا الله ! الله ! يا قـوة غـير متناهية ! يا رحمة غير محدودة ! يا لا نهاية سامية ! يا من لاتدرك ذاته العقول !" الخ أليس هذا التنزيه الذى يفخر به علماء العصر الحاضر ويعدونه علامة لرقى العقل الانسـانى وخطوة جديدة للفلسـفـة الدينيـة ليس هـو الا ترديداً لقـول أبى بكر الصـديق رضـى الله عنـه "العـجـز عن درك الادراك ادراك" وقول على كرم الله وجهه "هو القادر الذى اذا انمت الاوهام لتدرك مـنقطع قدرته وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوساوس أن يقع عليه فى عميقات غيوب ملكوته وتولهت القلوب اليه لتجرى فى كيفية صفاته وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته دعها وهى تجوب فى مهاوى سدف الغيوب متخلصة اليه سبحانه فرجعت اذ جهت معترفة أنه لا ينال بالاعتساف كنه معرفته ولا تخطر ببال أولى الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته" .

هذه هى عقيدة المسلمين فى تنزيه خالقهم عن مشـاكلة المخلوقين وقد رأيت أنها النقطة التى آب اليها النوع الانسانى بعد مـا طاف علـى كل دور خيالى وارتطم بكل عقبـة فى سـبيل العودة اليها .

عجباً من المسيو هانوتو كيف يذهب إلي مدح التشبيه ولم نعرف نقطة دينية حصل عليها اجماع الفلاسفة وعقلاء الامم فى كل زمان ومكان وخصوصاً فى هذا القرن مثل تنزيه الخالق جل شأنه عن سائر الصفات البشرية بل أن هذه النقطة عدت اجتيازاً من الانسان لحدود الاديان الخيالية وحداً فاصلا بين خرافات الماضى وحقائق الحاضر والمسقبل. ولولا ان العلامة الذى كتب قبلى قد تنزل حفظه الله فرد عليه من هذه الحيثية لقلت أن الاعتناء بمناقشته فيها تنزيل من مقام الحكمة وحط من كرامة الفلسفة .

هذا وأنا نعتبر زعمه بأن الدين الاسلامى يجعل بين الانسان وخالقه حداً فاصلا من أكبر المطاعن التى وجهت إلى الاسلام بعداً عن الحقيقة فإن أكبر مميز لهذا الدين الحنيف الذى يشهد به العدو قبل الصديق هو محو الوسطاء بين الانسان وخالقه وتخليه السبيل لهمته تعرج به إلى حيث تشرئب اليه من مكانات الزلفى لديه بدون احتياج إلي وسيلة غير أعماله الشخصية. قال تعالى "واذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان" . "وهو معكم أينما كنتم" .

هذا شأن الاسلام من حيث طهارة العقيدة وملاءمتها لما يعده أساطين فلسفة العصر دينا فطرياً طبيعياً لملاءمته لحاجات النفوس وانطباقه على نواميس الخليقة. أما آثار هذا الدين على همم معتقديه من حيث الترقيات المادية فمما لم يروا لنا تاريخ الاديان مثلها لاى دين من الاديان. جاء هذا الدين إلى تلك الامة الصغيرة وهى من معاداة المدنية بمكان ظنت معه حالة البداوة هى أرقى أحوال الانسانية وغالت فى ذلك فعدت سكنى القصور والاعتصام بالحصون من بعض مسببات الفرس والروم فلم يمض عليها غير بضع وعشرين سنة حتى دبت فيها روح جديدة وسرت في عروقها حياة غير التى كانت لديها من قبل ولم يدر عليها قرن بعد تلك الحركة حتى استولت على صولجان العظمة والسلطة ووطئت بلاداً لم تكن تعرف اسمها وارتقت فى الوجود مكانا لو أراد أن يتجاهله المسيو هانوتو فإن مؤرخى بلاده قد أقروا به. قال العلامة (دروى) أحد وزراء المعارف السابقين فى فرنسا فى تاريخه " "بينما أهل أوروبا تائهون فى دجا الجهالة لا يرون الضوء الا من سم الخياط اذا سطع نور قوى من جانب الامة الاسلامية من علوم أدب وفلسفة وصناعات وأعمال يد وغير ذلك حيث كانت مدائن بغداد والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان ومصر وفاس وغرناطة وقرطبة مراكز عظيمة لدائرة المعارف ومنها انتشرت فى الامم واغتنم منها أهل أوروبا فى القرون المتوسطة مكتشفات وصناعات وفنونا علمية يأتى بيانها" .

وقال في سبقهم في كافة المحاولات الانسانية :

"وأما التجارة فقد كان للعرب حسن رغبة فيها بسائر الاوقات ثم لما امتدت سلطنتهم من البرينيه وهي جبال بين فرنسا واسبانيا إلى جبال هماليا التي باقصى شمال الهند صاروا أكبر تجار الأرض. وأما الفلاحه فلا يعلم لهم نظير فيها اذا ليس لغيرهم مالهم من الاقتدار على جلب المياه وتوزيعها بلطف في مزراعهم الواسعة تحت شمسهم المحرقة فسيرتهم في ذلك العامل بها إلى الآن أهل روضة اسبانيا صالحة أن نجعلها اسوة تقتدي بها في فلاحتنا الفرنساوية. وأما الصناعات فإن العرب تعلموا جميعاً لما دخلوا بلدان الرومانيين العظيمة حتى صاروا من أحذق أربابها". وقال في سعة سلطانهم : "قد امتد ملكهم في ظرف مائة سنة من ظهور الاسلام مثل ما يمتد عظيم الخلقة فاتحاً ذراعيه لالتقاط شئ فبلغ من أقصى الهند إلي جبال (بيرينيه) الكائنه بين فرنسا واسبانيا وقدر امتداد هذا الملك من ألف وسبعمائة إلى ألف وثمانمائة فرسخ ولم تبلغ هذا المبلغ دولة من الدول الماضية". وقال الأستاذ (سديو) أحد أعضاء جمعية العلماء الفرنساوية في تاريخه: "وبعد ظهور النبي (صلسلم) الذي جمع قبائل العرب أمة واحدة تقصد مقصداً واحداً ظهرت للعيان أمة كبيرة مدت جناح ملكها من نهر تاج في اسبانيا إلى نهر الجانج في الهند ورفعت على منار الاشادة أعلام التمدين في أقطار الارض أيام كانت أوروبا مظلمة بجهالات أهلها في القرون المتوسطة" ثم قال "انهم كانوا في القرون المتوسطة مختصين بالعلوم من بين سائر الامم وانقشعت بسببهم سحائب البربرية التي امتدت على أوروبا حين اختل نظامها بفتوحات المتوحشين ورجعوا إلي الفحص عن ينابيع العلوم القديمة ولم يكفيهم الاحتفاظ على كنوزها التي عثروا عليها بل اجتهدوا في توسيع دوائرها وفتحوا طرقا جديدة لتأمل العقول في عجائبها ثم استشهد بقول (اسكندر همبولد) أن العرب خلقهم الله ليكونوا واسطة بين الامم المنتشرة من شواطئ نهر الفرات إلى الوادي الكبير باسبانيا وبين العلوم وأسباب التمدن فتناولتها تلك الأمم على أيديهم لان لهم بمقتضى طبيعتهم حركة تخصهم أثرت في الدنيا تأثيراً لا يشتبه بغيره فكانوا في طبيعتهم مخالفين لبني إسرائيل الذين لا يطيقون خلطة أحد من الناس فإنهم خالطوا غيرهم من غير أن يختلطوا به ولا يتبدل طبعهم بكثرة

المخالطة ولا ينسون أصلهم الذى خرجوا منه وما أخذت أمة المانيا من التمدن الا بعد مدة طويلة فتوحاتهم بخلاف العرب فإنهم كانوا يحملون التمدن معهم فحيثما حلوا حل معهم فيبثون فى الناس دينهم وعلومهم ولغتهم الشريفة وتهذيباتهم وأشعارهم الشهيرة التى هى أساس بنى عليه (المنسيفر والتربرور) أشعارهم. ثم قال بعد ذلك ونعود الآن فنقول أنه ثبت عندنا بما صنفه العرب واخترعوه رجحان عقولهم الغريب فى ذلك الوقت الذى وصل صيته إلى أوروبا النصرانية وهذا حجة على أنهم كما قاله غيرنا ونحن نعترف به أساتذتنا ومعلمونا" .

هذا شأن الاسلام من حيث الامور المعنوية والصورية. فماذا نريد بعد هذا؟ رأينا بأعيننا أن النوع البشرى يتقرب من عقائدنا يوما بعد يوما كما أثبتنا ذلك بالبرهان فى هذا الفصل ثم رأينا من شهادة علماء الفرنجة أنفسهم أن ديننا دين مدنى عجيب التأثير ثم أنا نرى أنه آخذ فى الانتشار بطريقة مدهشة كما أقر به المسيو هانوتو نفسه رغما عن كل ما يقام دونه من العواثير. اذن فلم يبق علينا إلا أن نبرهن أنا حقيقة اخلاف أولئك الافيال الذين يقول عنهم (سيديو ودروى) أنهم كانوا أساتذة العالم ومهذبيه فهل يأتى على المسلمين زمان يلتفتون فيه إلى ما بين ايديهم من نواميس الحياة فيدهشون الامم بسرعة نهوضهم من كبوتهم كما ادهش العالم آباؤهم من قبل؟ وهل يأتى عليهم حين لا يجد فيه امثال هانوتو محلا للطعن عليهم ولا على ما هم متمسكون به من الدين. نعم "ولتعلمن نبأه بعد حين"

محمد فريد

محرر مجلة الحياة

التعليق ....

الأهرام والمؤيد
والرد على هانوتو

قلنا سابقا أنه قد قامت حملات صحفية كثيرة للرد على (هانوتو) واتهاماته للاسلام وطعنه فى المسلمين .. وأن المؤيد قد تبنى الحملات فأفسح صفحاته لكل من يريد الرد على هانوتو، ولسنا هنا فى حاجة للحديث عن تفاصيل تلك الحملات التى طالما تحدثنا عنها تفصيلا واجمالا فى مواضع سابقة، ولكن ما نحن فى حاجة للحديث عنه هو أمر هام، ألا وهو انه إلى جانب تلك المعارك الحفية ضد (هانوتو) وتعديه على الاسلام، دارت هناك معارك جانبيه بين الاهرام والمؤيد حول نفس الموضوع، تدخلت فى تلك المعركة بعض الصحف الأخرى سواء بالقبول أو بالرفض لموقف هذه الجريدة أو تلك .

فبعدما بدأت المؤيد حملتها، وجدت الأهرام تطلع عليها بعدة مقالات – كانت تبدو غريبة للجميع وقتها – ذكرت فيها أن المؤيد قد اندفع بكل تلك الحملات والردود على هانوتو ومقاله عن الاسلام والمسلمين، بناء على ترجمة خاطئة، أخطأ فيها مترجم جريدة المؤيد فى ترجمة المقال. وأتهم المؤيد اتهامات عديدة أهمها أنه بتسرعه فى نشر المقال والردود عليه قد أثار مشاعر العداء من المصريين تجاه الفرنسيين، وهم اللذين طالما مدوا يد المساعدة لنا فى كفاحنا ضد الانجليز، فى حين أن المسيو (هانوتو) وزير خارجية سابق، بمعنى أن كلامه ليس رسميا ولا يمثل رأى الأمة الفرنسية .

وأضافت الأهرام أن لهانوتو أن يقول لقومه ما يراه مفيدا، ولنا أن نقول لقومنا ما يفيد فلا عتب عليه ولا لوم علينا، والخطأ علينا نحن نستضعف أنفسنا، ولا نحاول أن نقويها ونبحث عن أسباب تقدمها وتحررها، فنترك أنفسنا اكله لمن يريد أن يأكلنا وجرعة ماء سهلة لمن يريد أن

يشـرب. الخطأ لدينا عندمـا نتـرك أنفسـنا سلعـة في يد حكامنا يعرضـونها للبيع في السـوق الرائجة، لمن وقر عطائه. وهو هنا يلمح إلى علاقة الخديو عباس حلمي بفرنسا في فترة كفاح مصطفى كامل بها وامله أن تكون فرنسا يد المساعدة لنا، وعندما تخلت فرنسا عنا في أول موقف تعرضنا له في حادث فاشودة ١٨٩٧، فافرغ الخديو يده منها، وعلم أنها لن تكون بجانبه، وعاد مصطفى كامل بعدها من فرنسا ١٨٩٩. ومن هنا فهو (الأهرام) يلمح الى تغير موقف الخديو عباس من فرنسا. كما يلمح الى علاقة المؤيد بالخديو عباس حلمي حين يقول "وأن تكون سلعة في اكف حكامنا يعرضونها للبيع في سوق الرواج". وهو بهذا يريد أن يقول أن المؤيد انما شن حملته هذه ضد هانوتو ارضاء للخديو عباس حلمي الثاني، وهو في ذلك يقول "واذا رأوا النفع من الحملة على شئ وانكار بعضه لا تحجم لهم رجل ولا تقف كفا ولا يخرس قلم ولا يصمت لسان".

ويعود الأهرام فيتهم المؤيد بأنه سوف يسبب الفرقة والنزاعات بين طوائف الشعب المختلطة – المسلمين والمسيحيين – كما أنه يؤكد على ضرورة وجود رابطة الوطن – فكرة القوميه المصـرية – لا رابطة الدين بين أفراد البلد الواحد، وهو في ذلك يذكر"فان كانت الأديان قد تفرقت لحكمة فليحتفظ كل بدينه وليحتفظ الجميع بوطنهم ولا وطن واحدا لدين واحدا، فإذا كان هانوتو يعلم آمته كيفية التولي علينا فليتعلم منه حكامنا الغيرة على وطنهم والا يجعلوه سلعة الأسواق بل ريشة الأهواء".

وتابعت الأهرام حديثها في عدة مقالات لاحقة تحدثت فيه حال عن الشرق وحال الاوربيين، فيما مضي والأن –وقتئذ – فذكرت أن الشرق كان قويا فضعف وكان الغرب ضعيفا فقوى، وقال أن سبب قوة الغرب هي وطنية وعصبية أممة، وان الوطنية لا تقوم إلا باتحاد الوطنيين على نصرة وطنهم – ونلاحظ هنا أن الأهرام يتجنب تماما الحديث عن رابطة الدين، وانما يركز على رابطة الوطنية، ومن المعروف أن أصحاب الأهرام هم شوام مسيحيين، هربوا من الشام الى مصر من شدة قبضة الدوله العثمانية على الشام – واذا كان الوطن هو منحة الهمة والعمل والوطنيون كلهم يدا واحدة، قوي الوطن وعز فيستطيع بذلك أن يعتمد على نفسه، بل وأن يضارع الغرب في قوته.

واستمر الأهرام على رأيه وموقفه، حتى ذكر في أحد أعداده، أن هانوتو عندما اطلع على ما جاء في النسخة الفرنسية من الاهرام كتب مقالا نشر المؤيد ترجمته حاول فيه الاعتذار

عما رمي به من اغراء دولته بالمسلمين وقال انه لم يحاول فيما قال إلا الاصلاح واقامة السلام.
ثم نشر الأهرام بعد ذلك حديثا لصاحبه مع هانوتو قال فيه انه روى آراء كميون ليعرف المسلمون ما يقال عنهم، وهو لا يعتقدها، وقال أن اوربا لم تتقدم الا بفصل السلطة المدنية عن السلطه الدينية ، ونصح الشرق بأن يحذو حذوا اوربا، ورد بعض مفاسد الشرق إلى اسلوب الحكم العثماني، كما رد الى ما يتوهمون من أنهم يستطيعون تحقيق النجاح باستقلال ما بين الدول الاوروبية من تنافس ومن خصومة، وبإقامة البراهين على عدالة قضيتهم، والواقع أن الدول الاوروبيه لا تهمها العدالة، ولكن تهمها مصالحها الاستعمارية، ونصح الامم الشرقية بأن تنتهج نهج اوروبا كما فعلت اليابان، وعلى ازاله سوء التفاهم الواقع بين الشرق والغرب .

وردت المؤيد على الأهرام – على لسان أحد مراسليها فى مقال بتاريخ ١٠ مايو ١٩٠٠ – أن من الجهة الدينية لا ينبغى أن ينظر الى كلام المسيو هانوتو لأنه داع الى سياسة لا إلى الديانة، وهو قد حط من ديانة قومه أكثر مما حط من قدر الاسلام، بل لقد وقر الاسلام كثيرا من حقه بان نسبه الى زيادة التنزيه والتقديس للألوهية وهذا فى الحقيقة فخر للاسلام وأهله وأن كانت نتيجة المبالغة فى هذا التنزيه غير ما زعم .

ثم تدخل الرائد المصري – فى عدد ١١ مايو ١٩٠٠ – قائلا بأنه سواء كانت الترجمة صحيحة كما يقول المويد أو محرفة عن الأصل كما تقول الاهرام، وأن كان هانوتو قد قصد شراً أو خيراً، فانه من الثابت انه إذا كان المسيو هانوتو قد تحامل على الاسلام فانه ليس أول (افرنجى) ظهر منه ذلك، واذا كان هانوتو فرنسيا فقد قام العديد من مشاهير الفرنسيينس بالدفاع عن الاسلام دفاعا جليلا، والمسيو هانوتو ليس صاحب مركز رسمى ومن هنا فليس لكلامه صفة رسمية، ومن يعلم فربما تكون له مصلحة شخصية فى هذا المقال – لعلاقة سابقة بينه وبين جلال سلطان الدولة العلية – وليس لمصلحة بلاده كما يدعى، والذى يؤكد وجهة النظر هذه ان مفاد كتابات هانوتو أن ينفر المسلمين – الذين كرهوا انجلترا ومالوا الى فرنسا من قبل – من الفرنسيين، ويستحيل على أحد من الفرنسيين يريد خدمة بلاده يقدم تلك الكتابات التى تثير خواطر المسلمين عليها .

وتتدخل جريدة اللواء دفاعا عن موقف المؤيد بمقال – تنشره المؤيد فى ١٦ مايو ١٩٠٠ – تذكر فيه أنه كان الاجدر بجريدة الأهرام أن تحمل على المسيو هانوتو نفسه بدلا من أن تحمل على المؤيد، وتنبهه أنه بهذا يكون قد قضى على البقية الباقية لنفوذ فرنسا فى مصر بما

كتب عن الاسلام والمسلمين، وتفهمه أن أصدقاء فرنسا فى مصر - يقصد نفسه، وهو مصطفى كامل صاحب جريدة اللواء، وذلك لما كان له من صداقات وعلاقات حميمة فى فرنسا - أسفون على ما صدر منه .

ويستمر فى دفاعه عن المؤيد موكدا أن ترجمة المؤيد لمقال هانوتو صحيح لا عيب فيها - وهنا يقول ان مترجمى الاهرام لا ينكروان معرفته (مصطفى كامل) باللغة الفرنسية كما يعرفونها هم - كما يؤكد اللواء أن المؤيد لم تدعو أبدا إلى التعصب الدينى وأنما دعت الى نشر الحقيقة لكى يعرف أبناء الإسلام ما يقوله عنهم كبار السياسة فى أوربا .

ويذكر فى نهاية المقال رداً على زعم الأهرام أن الوطنيين المصريين كانوا يستغيثون بفرنسا فيما سبق ضد الاحتلال الانجليزى والآن اصبحوا يحاربونها بأقلامهم - أن الوطنيين المصريين طالما انتقدوا السياسة الفرنسية، فلولا هذه السياسة العوجاء لما كانت انجلترا فى مصر .

ويجدر بنا هنا أن نذكر ملاحظة هامة ألا وهى أن دفاع اللواء عن جريدة المؤيد يدل على حسن العلاقة بينهما فى تلك الفترة (١٩٠٠) وربما كان هذا قبل أن يميل الخديو عباس حلمى الى احداهما (المؤيد) دون الأخرى (اللواء) فتنشأ العداوة بينهما التى بلغت ذروتها ١٩٠٦، عندما هاجم اللواء صاحب المؤيد - الشيخ على يوسف - فى قضية زواجه الشهيرة .

هانـوتـو والاسـلام (*)

نشرت جريدة "الجورنال" الباريزية فصلاً بعنوان "الاسلام" للمسيو هانوتو من وزراء فرنسا المعتزلين فنشر تعريبه رصيفنا المؤيد الاغر ثم شفعه برد "بقلم عظيم من عظماء الاسلام وامام من ائمته الاعلام" فطالعه المطالعون وتناقل عباراته المتناقلون لا لانه فصل فى الاسلام فقط بل لانه من رجل ذى مكانه فى كونه وعالمه قبض على ازمة مملكة واسعة الجاه والملك فساس اعمالها الخارجية فكانت كما يقول وسارت على ما يريد فهو امير فى منصبه كان كلامه امير الكلام ولما كان الرد عليه من امام من ائمة الاسلام الاعلام اوسعنا فصل هانوتو نقداً وبحثاً ورد الامام امعاناً وفحصاً حتى اذا ما محصنا القولين تمحصياً بدا لنا فرق فى المبنى وتباين فى المراد كأن الاثنين اتفقا على العنوان وتباينا فى الحجة والبرهان أو كأن هانوتو متهم والامام متجد فكان "لا تلاقيا" وكلاهما مجد فى شوطه هذا بذلاقة لسانه وذاك فى قضاء لبانته فحق علينا أن نبين التباين لا تحيزاً إلى هذا ولا ميلاً على ذاك بل هما قولان البرهان فيهما ايرادهما والحجة معهما ذكرهما وقبل ايراد القولين ننظر إلى التعريب لان المسيو هانوتو كتب فى الأفرنسية فرد على قوله الذى عرب بالعربية .

التـعـريـب

من طالع الاصل والرد وعرف أن المعرب ليس من ادارة تحرير المؤيد الاغر الذى تعرفه اميناً على النقل يحتفظ كل الاحتفاظ بالاصل بل غريب عنه تلقى الفرونساوية لغة بمفردات لا ملكة عنده منها ولا معرفة تامة باسرار عباراتها كأنه تلقاها سائحاً أو زائراً اهليها أو شيخاً لم يوسع له العمر ولم يفسح له الوقت لاجادتها فجاء هزل العبارة جداً وصريحها معمى وقويمها ملتوياً بل ربما اراد هانوتو المدح من طرف خفى بانشاء بليغ فغاب عن المعرب مغمز اللفظ واختلط عليه قصد الكاتب وهو خطأ جر إلى خطا واساس واه تضعضع ما بنى عليه

(*) الأهرام ٢٥ ابريل ١٩٠٠ .

وركن واهن لم يثبت ما شيد فوقه فهوى ما استند اليه .

فهانوتو استهل فصله بكلمة تاريخية بصبغة بليغة لم يكن فيها داوياً بل منشأ فاستعار وكنى وجال قلمه جولة من ذل له عاصي البليغ وعتي الفصيح فكان تعريب قوله على غير مراده فهو لم يقل عن تمدن الاسلام الا أنه بدأ فى آسيا ثم انتشر فى افريقيا حتى كاد يتدفق على اوروبا حيث لاقى تمدناً آخر وهو مثله اسيوى أى التمدن المسيحى ثم تكلم عن غزوتى لويس التاسع وبونابرت لبلاد اسلامية فاراد من الاشارة اليهما لم تنجحا ولكن الجمهورية نجحت بأن امتلكت الجزائر وبسطت حمايتها على تونس ثم طافت حملاتها جهات الصحراء وغربى السودان وهى تحتل كل يوم بقعة وتقاتل قبيلة فلا القبائل تنتصر ولا فرنسا تنكسر لأنها اقوى والقبائل لا تخضع لها عن رضى بل مكرهة اذا ما تم لفرنسا فى جهة النصر خضعت القبائل للقوة مسلمة لحكم القدر .

فهى اذاً قد بسطت على جزء من افريقيا الاسلامية سلطتها وورثت "ثلاثة اطوار من التمدن وهذه الأطوار هى الطور القرطنجي والطور الروماني والطور العربي" ففى قوله الطور العربى اعتراف للاسلام بالمدينة وهو مدح خفى على المعرب فتحولت عبارته إلى الابهام بل إلى التحامل وقال هانوتو .

بما أن فرنسا قد امتلكت بلاداً اسلامية وتولت امرها واخذت من ابناء تلك البلاد حماة لها يدافعون عنها مع اختلاف عاداتهم واخلاقهم وكثرة عددهم لانهم يعدلون عدد الفرنسويين وجب على هؤلاء أن يحملوا إليهم تحفة الحضارة والعيشة الرضية وأن يعرفوا اخلاقهم وطباعهم ثم افاض فى الكلام على ارض الاسلام والدلالة عليها إلي أن قال أن فى علائقنا مع الاسلام المسألة الدينية والمسألة السياسية أى المسألة الداخلية والمسألة الخارجية وعلى معرفة هذه المسائل تتوقف كل الاهمية .

ثم تكلم عن الدين المسيحى والدين الاسلامى حسب معتقدة الفلسفى فجعل كلامه مقدمات لغرض ينتحيه فكان كلامه عن الدين المسيحى ككلامه عن الدين الاسلامى بمخالفة معتقد شيوخه واركانه وهو لا يريد ديناً بل سياسة ويخالفه فى الاسلام علماؤه كما يخالفه فى النصرانية علماؤها واستنتج من مقدماته أن الدينين يتماسان اصلاً على أن ما بينهما من الفرق حمل فريقاً على المغالاة فى العداء واستشهد على هذه المغالاة بالمسيو كيمون الذى ذم الاسلام ذماً ارتعد له قلم هانوتو فقال بعد ايراده

تعزيزاً لقوله أن منا من يغالون بالعداء اليس هذا خروجاً عن حد الاعتدال والانسانية وفوق الطاقة فوضع كلامه على صيغة الاستفهام الانكارى فكان صاعقة على القول الذى استشهد به اطارته هباء وانكرته بتاتاً وطرحته قصياً ولكن التعريب مثله يخطإه قولاً لهانوتو ورأياً لغيره يوافق عليه فانقلبت حسنته سيئة وعرفه نكراً "وصادف قلباً خالياً فتمكنا" .

وبعد استشهاده بالمغالين اورد كلام المعجبين بالاسلام وبعضهم يقول أنه احسن الاديان وافضل من الدين المسيحى وبعضهم أنه هو والدين المسيحى اخوان توأمان اذا تقابلا اتحدا واذا اصطحبا تصادقا .

وما كان ايراده لهذه الشواهد إلا ليستنتج استنتاجاً حسياً يمثل به لقومه أن الذين يختلطون بالمسلمين فريق مغال بالمعاداة كالمسيو كيمون أو مندفع بالولاء كياسنت لوازون وعن هذا ينتج اختلاط الامر على العمال والمستعمرين مع أن هناك واسطة يجب العمل لها وطريقة توفق بين الفرنساويين والمسلمين يجدر بفرنسا الوقوف عليها واتخاذها قاعدة وهذه الطريقة هى النتيجة التى مهد لها بكل أقواله ومقدماته وهى ليست ما تصوره المعرب خطأ فعزا اليه رأيا هو براء منه وهذا الرأى المخطئ هو أن هانوتو يرى احد امرين اما اخضاع المسلمين لفرنسا قهراً واما طردهم من بلادهم .

أما رأيه فهو أن "نترك القوم عوائدهم وتقاليدهم وأن يكون عمالنا مع بعض رجالهم متعاونين يداً واحدة كما كان فى تونس فلا يبقى من نفور اذ لا تمس عوائد القوم فيعرفون أن فائدتهم ممتزجة بفائدتنا وأننا نحترم ما يجلون فيكونون بذلك مسلمين رابطتهم السياسية مع فرنسا لا مع الدين"

الرد على هانوتو

اذا لم يكن من تفاهم فى خطاب بطل ما ينتظر من اقناع فى جواب واذا لم يكن الرد على خطاب كان الجواب على توهم وهذا ما نراه بين فصل هانوتو ورد "الامام" .

"فالامام" بنى رده على جملة لم يقلها هانوتو فاتخذها قاعدة وأنشأها ركناً بنى عليه ما شيد من تخطئة وتفنيد فكأنه نصب لرمي سهامه الغرض بيده ليصيب ولم يكن قول هانوتو غرضاً لنقده منصوباً أما الغرض الذى نصبه فهو قوله أن هانوتو قال "أن امكن تقليح ما عليه

المسلمون بالولاء الفرنساوى وسهل الجمع بين ما وقر في نفوسهم وبين الخضوع الاعمى اسلطان فرنسا وطاب الجوار في قلوب الملة الاسلامية لعقيدة الاسلام والصاعة لكل أمر يصدر من اخر فرنساوى فى طبقته صح للدولة الفرنساوية أن تمن على المسلمين بالبقاء في الارض وإلا وجب عليها أن تحمل عليهم فتبيدهم من البسيطة أو تجليهم إلي قارة أخرى"

(بحروفه نقلاً عن مقالة الامام)

فمن قلب سطور مقالة هانوتو ومضغ ألفاظها وجسم اصغر نقطها وكبر احقر فواصلها واستشف حبرها وقرطاسها بل من قرأ نيات هذا الوزير الكاتب لا يجد لمثل هذا القول اثراً لا في نفثات قلمه ولا في طيات صدره فهو يقول "أن وطن المسلم فى دينه والسلطة عليه يجب أن تكون بيد مسلم مثله فلندع له ذلك ولنحترم عوائده ونحن نجد للاتفاق معه سبيلاً رحباً كما لقينا في تونس اذ ظل الباى حاكماً والاوقاف محبوسة على ما أوقفت عليه والقضاة يتولون الحكم والشريعة لم تمس ولم يعدل من مجراها الا ما طلبه المسلمون وارادوه وهكذا لم يتذمر مسلم ولم يشك من حكمنا تونسي والجامع والكنيسة قائمان احدهما قبالة الآخر. اذن للاتفاق وسيلة نتعلمها في حكومة تونس ونقرأها في تاريخ ١٥ سنة قضيناها في حماية تلك الايالة"

ثم قال الامام " ولهذا (أي لتلقيح المسلمين بولاء الفرنساويين وإلا فلابادتهم أو لاجلائهم إلى قارة أخرى) جره – أى جر هانوتو – البحث إلى النظر في أصول دين المسلمين والمضاهاة بينه وبين الدين المسيحى بل بينه وبين اديان كثيرة اشار اليها فى كلامه ثم الحكم فى تفضيل أحد الدينين على الآخر بآثار كل منهما في نفس معتقديه" .

وهنا عكس "الامام" على الكاتب أيته اذا جعل المنكر عرفاً والاتفاق من باب الدين مطلباً للجور والاعتساف فالمسيو هانوتو الرجل السياسي ما طرق باب الدين إلا ليتخذ من أصوله مقدمات يبين منها كيفية الاتفاق مع المسلمين فكلامه على الدين كان باباً للوصول إلى هذا الاتفاق لا "ليتناوله بيده محضاء يحرك به نيران العداوة فى قلوب الفرنساويين ليثير عزائمهم إلي حرب المسلمين" بل لعكس ذلك كتب ولضد ما قال الامام سعى فهانوتو رجل سياسة لا دين "وبحثه داقق من غيرته على شؤون دولته يريد أن يدعو قومه إلي التبصر فى وضع قاعدة لمعاملة المسلمين" وسياسته وغيرته تقضيان عليه بالاحتفاظ بهؤلاء لان منهم حماة لوطنه ومضاعفة لعدد أمته – كما قال – فهل من عاقل يتمثل فى نافوخ هانوتو ذرة من العقل وفى صدره ظلاً للادراك فيثق بان هذا الرجل يدعو قومه لطرد المسلمين أو ابادتهم. ايرضى اذا أجلوا أن

يتركوا له الارض قاعاً يباباً وهو القائل في مقالته "اذا حط مستعمر منا ركابه في الجزائر أو في تونس لا يجد من غير المسلم معاوناً على الحرث ومساعداً على الارتزاق ورفيقاً للعمر" .

هانوتو والاديان

اتخذ هانوتو البحث في الاديان وسيلة للخوض في السياسة واتخذ "الامام" كلمة هانوتو في السياسة للانتقال إلي البحث في الدين فالاول سياسي رمى إلي غرضه السياسي والثاني ديني تحول إلى وجهته الدينية فافترقا حيث تلاقيا واختلفا حيث اتفقا وهانوتو تكلم على الدين بما يعتقده مكتفياً به والامام تكلم عليه بما تعلمه منه وكما لاقى هانوتو من الامام المسلم منتقدا يلاقي من القسيس المسيحي مخطئاً فهم لم يكن في الدين المسيحي ارجح منه في الدين الاسلامي وحسبنا من مسائل الدين هذه الاشارة فالرجل السياسي -وهو هانوتو- نظر إلي الامم المسيحية فوجد ملكها واسعاً وحضارتها زاهرة وإلى بعض الامم الوثنية فرأى ملكها عظيماً ضخماً نامياً وإلى الامم الاسلامية فرأى غيرها يمد يده إلى بلادها فقال نحن في الجزائر وتونس وانكلترا في مصر وغيرنا في غيرها وترأى له "أن وطن المسلم في الاسلام" فاستنتج ما اتخذه عقيدة وهو ليس بالرجل الديني ولو عدل حكامنا وصلح امرهم واقاموا العدل وعمروا به كوننا وكياننا لما رأينا فرنساوياً في تونس ولا انكليزياً في مصر ولا روسياً في سمرقند فاذاً نحن إلي قوام الحالة السياسية بحاجة قصوى وإلى اقامة العدل عطاش كاد الضمأ يحرق افئدتنا فلو عرفنا اننا كلنا من مسيحيين ومسلمين مصريون في مصر وسوريون في سوريا لما سمعنا انكليزياً يدبر اقلاماً لامالتنا واشراكاً لاصطيادنا ولا فرنساوياً طريقة لحكمنا ووسيلة لتوليه اكتافنا فاذا عملنا بغير جامعتنا الصحيحة صح أن يقال عن سياستنا "ما اسخفها سياسة من الحمقى بل ما اقبحها حمقاً من السياسيين" أما أن هانوتو يلام لانه ليس على معتقد الامام الآن فشئ آخر لا يدخل في بحث سياسي وليس من شأننا الخوض فيه كما اننا لا نتصدى للخوض في أصل سامي أو تمدن آري .

هانوتو الكاتب وهانوتو السياسي

يود "الامام" دون شك أن نعتقد بما عزاه إلي هانوتو من قول لم يقله ليصحح كل رد ضفر غدائره وفتل في ذروته فنحن نوافقه على هذا الافتراض البعيد في قول هانوتو ثم نرجع

معه إلي تاريخ سياسة هذا الرجل فهل عرفنا اصدق منه سياسة معنا وهل سمعنا منه – يوم نادى غلادستون بالجملة على المسلمين وقام عليهم كتاب الانكليز واعتذر سالسبورى عن مناهضتهم ومناهدتهم بعجز مراكبه عن الصعود إلى طورس –كلمة تدل على "حمقه" و"جهله" و"بغضه" و"عدوانه" و"طيشه" و"خطله" ألم يلقبه الكتاب بهانوتو باشا (انظر المؤيد) فاذا كان هانوتو الكاتب غير هانوتو السياسى فما ضرنا أن يكتب ويفيدنا أن يسوس ولكن هانوتو فى قلمه على قرطاسه وفى غرفته بسياسته واحد فلم نعرفه فى فصله هذا غيره كما عرفنا سواه وربما جرى "إمامنا" على سنة عرفت فيقول غداً ما ينقض قوله اليوم كما قال اليوم ما ينقض قوله بالامس ويا عجباً للامام كيف استشهد بقس انكليزي على مديح الاسلام واهمل ما نقله هانوتو فى فصله عن قس فرنساوى (هو ياسنت لوازون) عن الاعجاب بالاسلام بقوله "هو الدين التام المذهب الذى تجد معه فرنسا دينها المضيع" فناقل قول كيمون هو ناقل قول لوازون وقد نفى قول كيمون ولم ينف قول لوازون .

ولو انتدب بسمرك للكلام بصدق على ما عزاه الامام لهانوتو لقال ما قاله عن نفسه في مذكراته "الرجل رجلان رجل سياسة وهو يطلب المفيد ورجل بيت وهو يطلب المفيد مقروناً بالعادل" فلهانوتو وللامام من شهادة بسمارك نصيب .

الحجة البالغة

المؤيد وهانوتو

عرف المؤيد الاغر هانوتو صديقاً للدولة العليَّة وكبيراً من ساسة فرنسا فقال أنه كان لكلامه تأثير فى نفوس الامة أما لانه كان صديقاً أو لانه كان وزيراً ويرشح للوزارة أو لان قوله اتخذ دليلاً على ما تكنهُ صدور الاوروبيين ثم اعاد حديثاً له مع مكاتب جريدة الاكسبريس الانكليزية (وهى حديثة النشأة غايتها السياسية التأليف بين المانيا وانكلترا) "وملخص هذا الحديث أنه لم يبق على الانكليز في الشرق من كفاح كبير لاستمالة قلوب المسلمين اليهم وتنفيرها من الفرنساويين اذا يكفى ان يكتب مثل هانوتو عشر مقالات على نحو ما يكتب الآن فى جريدة الجورنال الفرنساوية فإنها كفيلة باقصى ما يؤمل ابناءُ التاميز من الاسلام والمسلمين" فكأن رصيفنا قد نسى خطبة غلادستون وعد احتلال مصر واخذ السودان شيئاً

طفيفاً قرابة كلمة لهانوتو وحسب ما كان في اثناء الحوادث الارمنيةً وما سمعناه من صحف الانكليز ورجال سياستهم ونوابهم شيئاً لا يذكر او امراً لا يجدر بمسلم ان يتذكره فهب ان ما عزي الى هانوتو صحيح فهذه اقواله فاين افعاله امس واليوم ولكن هذه افعال الانكليز وهذه اقوالهم امس واليوم وغداً فاذا كان هانوتو مخطئاً بالكلام عن الدين والامام مصيباً فبورك به من امام عارف بدينه واصوله وتاريخه ولا عيب على هانوتو اذا جهل ديناً لا يدين به وهب ان هانوتو متحامل على المسلمين باقواله فان هذا التحامل لم يكن فعلاً يسوءهم وينسيهم اساءة الانكليز .

الخلاصة

لهانوتو ان يقول لقومه ما يراه مفيداً ولنا ان نقول لقومنا ما يفيد فلا عتب عليه ولا لوم علينا والخطأ ان ندع انفسنا أكلة لكل آكل وجرعة مساغة لكل شارب وان نكون سلعة في اكف حكامنا يعرضونها للبيع في سوق الرواج لمن وفر عطوه وسنى نواله فهم اذا جاءتهم من دولة سيئة او اقلت دولة المهر كفرونا بها وبغضونا واذا اجزلت حببوها الينا وزوقوا ودها وزخرفوا صداقتها واذا رأوا النفع من امر قاموا لنصرته ارضاءً للعامة واستمالة لقلوبها واذا رأوا النفع من الحملة على شئ وانكار بعضه لا تحجم لهم رجل ولا تقف كف ولا يخرس قلم ولا يصمت لسان فهذه الامم الشرقية يفيدها ان تعرف حياتها السياسية فمن صدق في خدمتها فليقل لها كيف تحيى ويضرها ان يشغلوها بالدين فقط لتصبح في الدين مغالية بلا وطن فان كانت الاديان قد تفرقت لحكمة فليحتفظ كل بدينه وليحتفظ الجميع بوطنهم ولا وطن واحد الدين واحد فاذا كان هانوتو يعلم امته كيفية التولى علينا فليتعلم منه حكامنا الغيرة على وطنهم وألا يجعلوه سلعة الاسواق بل ريشة الاهواء .

من هانوتو الى الاهرام(*)

اتاني من المسيو هانوتو الكتاب الآتى وهذا نصه

باريس فى ١٨ مايو سنة ١٩٠٠

حضرة الفاضل

"لا شك عندى فى ان العدد الاخير من جريدة الجورنال قد اتاك قبل رسالتى هذه وفي صدره مقالة عنوانها "عود الى الاسلام" عدت فيها الى التأويل الغريب الذى أول به المؤيد الفصلين اللذين كتبتهما بعنوان الاسلام وقد ثبت لدى ثبوتاً تاماً انه من الصعب كل الصعب أن يفعل الانسان امراً حسناً. فقد أرادوا من تأويلهم هذا أن يوجدوا فى أذهان الناس سوء الفهم ويبعدوا عن نفوسهم ادراك الحقيقة لغنموا بعدئذ من هذا التضليل وهذه هى الطريقة التى اتبعت في كل زمان ومكان لايلان اشأم الازمات التي وقع شرها علي كثيرين من الابرياء .

ولم يبق لي ايها الفاضل إلا أن أشكرك على عملك اذ بادرت الى اصلاح الخطا الذى ارتكبوه وبينت الغرض الذى يرمى أليه .

وانك تعلم ما هو شعورى وميلى تمام المعرفة فانى كما : علم أتوخ ولم أرد فى زمن من الازمنة أو مكان أو فرصة ما يفرق ويقسم بل أردت وتوخيت دائماً ما يؤلف ويوفق فلهذا أشكرك على كلامك وجدالك المزوج بالحكمة والتدبر والصواب فهل يرى الذين انتقدونى انهم مخطئون بتوجيههم الي لوماً لم استحقه فيعترفوا بخطئهم وفي الختام آقدم لحضرتكم فائق الاحترام

ج. هانوتو

فهذه الرسالة دعتنا الى كتابة مقالة اليوم لان الوزير هانوتو يذكرنا فى كتابه بمفاوضات ومحادثات دارت بيننا مراراً كما يفهم من عبارته رقوله تعرفون شعوري وقد عرفناه من أصدق

(*) الأهرام ٢٦ مايو ١٩٠٠ .

وأخلص وزراء اوروبا لشرقنا عموماً والدولة العلية خصوصا حتى لقبه خصومه ومناظروه بهانوتو باشا ونعرف كل المعرفة أن لهذا الرجل وحده الفضل فى منع اتحاد الروسية وانكلترا أيام المسألة الارمنية يوم سيرت انكلترا عمارتها القوية الى المياه العثمانية وهذه الحقيقة وتلك الخدمة قابلهما رجال السلطنة بالشكر لان الجناب السلطاني أيده الله لا هم له الا منع اتحاد الدولتين روسيا وانكلترا لما ينتج عن اتحادهما من الاضرار بنا فالمسيو هانوتو اذاً خدم المسلمين أشرف خدمة وأعظمها وهى ظاهرة كالشمس فى رابعة النهار ولو انكرها غلمان السسياسة وصبية الصحف الذين لا يسمح لهم باشمام رائحتها وتقصر أنوفهم وأعناقهم عن الوصول اليها فما أحرى هذا الوزير صديق الشرق والشرقيين بل العثمانيين أن يقول

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى فلا زال غضباناً علىّ لئامها

وقداثبت الوزير المسيو هانوتو فى كتاباته البليغة أن الاسلام لا يحول دون انتشار المدنية والعلوم لانه اعترف بمدينة عصر العرب اعترافه بمدنية الرومان وسلافهم أيضاً وهى حقيقة طالما جهرنا بها لا فى جرائدنا فقط بل مفاوضاتنا وأحاديثنا مع وزراء أوروبا والوزير هانوتو من جملتهم وكانت خلاصة كلامى فى كل مجلس ومفاوضة انه "وثبت ان الاسلام تقدم تقدماً عجيباً على عهد خلفاء بغداد والاندلس ومصر وسورية وآثار اولئك العظام تؤيد فضلهم وما نراه من امتّزاج عناصر الدولة العلية (والمسلمون فى مقدمتهم) مع الاجانب فى التجارة والاعمال والعلوم وما عرفناه من الاصلاحات العصرية سواء فى بلاد الدولة العلية أو في مصر هو برهان سديد وحجة دامغة على أن الاسلام ليس صديق الاصلاح والمدنية فقط بل هو عضدها ونصيرها وهذا ما يفنده أقوال خصومه واختلافات أعدائه وانه من مصلحة فرنسا خصوصاً لما لها من حسن التقاليد الشريفة مع السلاطين المسلمين وكونها ذات منفعة كبيرة فى أفريقيا أن تضع يدها بيد الدولة العلية العثمانية،، ولم نقصد من هذه الخطة الا خدمة شرقنا بابقاء مصر

لاننا نعتقد ان ضياعها مقدمه لخسائر كثيرة لأن اوروبا اذا ارتضت بان تمتلك انكلترا مصر يكون رضاؤها بان تعطى كل واحدة تعويضاً ولم نخف في كتاباتنا وأحاديثنا لومة لائم لان نيتنا شريفة طاهرة ومما نذكره من أقوال هانوتو لنا قوله "اننا لو لم تعرفك مسيحياً لقلنا انك مسلم فاننا لم نعرف مسلماً دافع اكثر منك عن المسلمين مما يبرهن لنا على ان المصلحة السياسية القومية هى ضالتك وصيانة حقوق الشرق بغيتك" .

وإن ذلك المسيحى هو الذى قال فى سنة ٩٣ لمولانا جلالة السلطان أمام سيادة العلامة ابى الهدى "مولاى ان افريقية موضوع اهتمام اوروبا وهى عامله على اقتسامها ولكم فيها نحو ثلاثين مليوناً من المسلمين فضلاً عن أن اكثر أراضيها المخصبة ملك لجلالتكم فهى اذا أحق بعنايتكم واهتمامكم من البوسنة والهرسك وكريت واكثر أملاكنا الاوروبية فاما أن تتفقوا مع انكلترا أو مع الدول الاخرى لتبسطوا يديكم على تلك الاراضي الشاسعة فان لكم من أهلها جيشاً جرراً لخدمة مصلحة الامة والوطن وأن الفرصة ضيقة والوقت ثمين" .

ونحن لانقصد بذكر ذلك فخراً وشرفاً فاننا نعتقد اننا لم نقض بتلك الاقوال الا فرضاً واجباً بيننا كان غيرنا لا يهمه الا قضاء لبانته ونيل منفاعه الخصوصية بل نقصد من ذكر هذه الحوادث اننا لم نسمع الا الى غاية واحدة أي حفظ شرقنا وصيانة مصالحة السياسية والقومية وهكذا نقول الحقيقة لاربابها ولو جرحتهم ونفند أقوال خصومنا ولو تمزقوا غيظاً وحنقاً .

بشارة تقلا

الاسلام والتمدن (*)

جهل بعض الاوروبيين الاسلام فرموه بالقارص من الكلام واللاذع من الهجر وعدُّوا عدوا التمدن وهم يجهلونه كما عدُّوا النصرانيَّة من قبلة عدُّوة لكل تقدُّم وهم من ابنائها فلم يكن كلامهم على الدينين سوى معتقد شخصي غرس وتأصل في قلوب هؤلاءِ وقد كنا والاهرام طفلة فشابة نخطئُ هؤلاءِ المغالين وندفع مزاعمهم بالبرهان الابلج والحجة الدامغة الى أن رأينا اليوم نهضة من رصيفاتنا لهذا الدفاع فسرنا مثلاً ان نقرأ في اللواءِ الاغر طلباً الى كتاب المسلمين ان يكتبوا في الافرنجية ما يدحضون به كلام كيمون وهو كاتب نعد كلامه صادرا عن الوهم وناتجاً عن معاداة الدين المحمدى لانه يجهله كما يسرنا ان نقرأ لمراسل المؤيد الاغر في الاستانة فصولاً حوت الخواطر الحسان والاراء الصائبة .

ولقد كبر خطأ جرُّ كثيرين الى التوهم بأن مثل هذه الاقوال اقوال بعض الاوروبيين حملة من اوروبا جمعاءَ على الدين المحمدى فقد وجد من الاوروبيين من كتب في الدفاع عن الاسلام مما يكتبه علماؤه فللدوق دي كاسترو تأليف في فضائل الاسلام دوت له ارجاء اوروبا وليساسنت لوزاون فصول وخطب سارت في البلاد مسير الشمس في الافلاك فمن الاوروبيين اذاً من يجهل فيقدح ومن يعرف فيمدح وليس القدح دليلا على شيءٍ سوى ما في نفس الكاتب من لبانة ولو قوبل ما قاله بعض الاوروبيين انفسهم ابناء الدين النصراني في النصرانيَّة بما قاله بعضهم في الدين المحمدي وهم غرباء عنه لتعادلا قدحاً ومدحاً ان لم يرجح طعنهم في الاول على قدحهم في الثاني على اننا لا نري رأي الذين يهزون بهذه المسائل هزيز القانت خشية ان في بلذ نفوس العامة تصوراً العداء البحت بل قد لا يسلم الخاصة من هذا الوهم فتصرف عنا عند القوم من حسنه نلتقطها حيلةٍ الى سيئة نتأفف منها ويؤلمنا ذكرها وغد انتشر في ذلك مقاله ضافية نستلفت اليها انظار القراء .

(*) الاهرام أول مايو ١٩٠٠ .

هانوتو والاسلام(*)

لسعادة الكاتب المفضال صاحب الامضاء (١)

قامت القيامة على المسيو هانوتو. وود بعض من اتصل بهم خبره لو أنزلت عليه صواعق محرقة بما جاء في كتابه من سوء النية في حق الاسلام والسعي في فصم عرى اخوته ونقض ما هو مشروع من ذلك البنيان المرصوص ولا شك أن الحكومة الفرنساوية لا ترتاح الى عمل أثار الخواطر الى هذا الحد ولا تصوب رأي الرجل في هذه الكتابة التي أضرت جداً بسياستها الاسلامية خصوصاً لصدورها عن رجل استلم زمام فرنسا الخارجية مدة من الزمن فكأنه كشف بكلامه هذا نية قومه وفضح للمسلمين سر مقاصدهم في شأنهم ولو علم المسيو هانوتو مصير كتابته هذه وما رنّ لها من الصدى في وادي النيل وكل واد انتجعه المسلمون لا بقي جميع تلك الخوالج في صدره .

وأنا لا ألوم مسيو هانوتو من وجه لانه رجل يتدفق غيرة على وطنه وهو انما يريد ليسهل لامته الفرنساوية طرق الاستيلاء الثابت على ما حازته من أعمال المسلمين ويضع أساساً متيناً لسياسة تلك الامة في أفريقية التي دان أكثر قسمها الشمالي وهي تطمع في الاستئثار بالباقي أساسا يكفل بقاء هيكل سلطانها هناك قائما ما مكن الله لها في تلك الارض .

وقد ورد ذلك المقام من طريق فلسفي فاراد أن يبني كلامه على أصل ويرد الحوادث الي علة وقبل وصف الدواء ذهب الي تشخيص الداء. ولاجل حسن تمثيل الداء أحب أن يبين أسبابه فكان الذي جادت به قريحته وأوحت اليه علومه في هذا الموضوع أن سبب قعود المسلمين وتنافرهم مع مناهج المدنية انما هو دينهم المبني علي زيادة تقديس الالوهية والمبالغة في تنزيل درجة البشرية. وبهذا قعد المسلم عن الجد في العلاء وصار نظره دائماً الي الارض بدلا من أن يكون الي السماء وان المسلمين اخذوا هذا من الافكار السامية لكون وطن بعثه الاسلام في أولاد سام وان سبب نشاط الاوروبيين وعروجهم في مراقي العمران هو نشؤهم على قواعد النصرانية

(*) المؤيد ١٠ مايو ١٩٠٠ .

(١) رمز الكاتب لنفسه بحرف (ش) .

والمبادى الآرية وأخذهم عن منازع اليونان فى عقل الالوهية وفى ذلك كله من التشبيه ما يحفز الآدمى على الاقتداء بالاخلاق الالهية فيظن فى نفسه الكفاءة لبلوغ ماشا متي شاء وعليه فهانوتو رأى لهذا التقدم وذاك التأخر عللا أصلية ناشئة مع العقائد مندمجة فى الضمائر فأشار بما أشار به مما تضمنته رسالته التى لا حاجة الى اعادة محصلها .

أقول فهانوتو لم يخطئ فى مقصده المنبعث عن محض الحمية على بلاده والمحبة لبنى أبيه وانما كان خطؤه في رأيه العلميّ الذى دلّ على عدم رسوخه فى التاريخ ووقوفه فى الالهيات وفهمه كنه ما يكتب فيه فكأنى بهانوتو وهو يكتب هذه المدة في جريدة (الجورنال) الغالب عليها البحث في الادبيات قد نظم قصيدة راعي فيها التنظير والمقابلة ومال الي بعض أنواع البديع فراقه ان يجعل ضعف الاسلام وكل المسلمين ناشئين عن شدة انقطاع ما بين الالوهية والبشرية والتمحض في التنزيه وان تكون علة تقدم الاوروبيين شدة الاتصال بين ذينك المقامين والميل الى التجسيم وزعم ان الاول منزع سامي وان الثاني مشرب آريّ. وهذا يجوز في الشعر ولا يجوز في تقرير الحقائق التاريخية وتشريح القواعد الفلسفية حتى اذا حمل عليه امام من أئمة الاسلام مثل حضرة صاحبه الرد بيّن له أنه لا يعلم شيأ من ديانات الهند وأصول الآريين وافسد عليه تلك المقابلة ولوى عليه المقصود وعرفه أن عدم التقدم في الطبقات هو من أوضاع من زعموا الفناء فى الالوهية وانه مما انحصر فيهم فكيف يكونون هم مصدر النشاط الاوروبى .

ومع كون هانوتو تكلم بصفة هانوتو ولم ينطق بلسان قومه جميعاً فان على موقفه الحاضر من آثار مقعده بنظارة الخارجية . ما يوجب هذا الشأن السياسى الذى نالته مقالته ولا لوم على المسلمين فى ايزعاجهم لها واستشفافهم من ورائها مستقبل الفناء في فرنسا كما يفى البوزي فى الذات الالهية .

ولعل في أقوال جميع الاوروبيين التى تأتي من هذا القبيل خصوصاً الفرنسيس والانكليز والروس فائدة للمسلمين الذين أصبحت مسافة الانقطاع بينهم وبين القوة الاوروبية تقارب ما يقرره هانوتو من مسافة الانقطاع عندهم بين الربوبية والعبودية ولهذا وجب عليهم شكر كل من يتكرم بهذه الحقائق التى تفيدهم عبرة وتوقفهم على ما هو مخزون لهم من الطاف الافرنجية في الزمن القريب .

وأما من الجهة الدينية فلا ينبغى ان ينظر الى كلام المسيو هانوتو لانه داع الي سياسة

لا الى الديانة ولم يقصد التحامل على الدين الاسلامي ولا الازراء به وانما انتحى بما قرره وجهة سياسية وراد جهة عمران وهو اذا تأملنا في كلامه قد حط من ديانة قومه أكثر مما حط من قدر الاسلام بل أراه وقر الاسلام كثيراً من حقه بأن نسبه الى زيادة التنزيه والتقديس للالوهية وهذا في الحقيقة فخر للاسلام وأهله وأن كانت نتيجة المبالغة في هذا التنزيه غير مازعم .

وكما كان كلام هانوتو هذا بعيداً عن علو التصور بمدنية الاسلام وانطباق دينهم مع التقدم في الاجتماع كذلك قام في الفرنسيس وفي سائر الاوربيين من ناضلوا عن مدنية الاسلام ونضحوا نها بسهام وقرروا في تصانيف طويلة علوها على سواها وذابوا عن حوضها بحرارة الافئدة التي لا تتقد الا في صدور المسلمين أنفسهم وربما أفادونا في العالم الاوربي من هذه الحيثية أكثر مما أفدنا أنفسنا والانصاف الذى أمرنا به ديناً وهو واجب علما يندبنا أن نعرف ذلك لهم وننوه به ونعلم انه كما كانت لهم سيآت فلهم بجانبها حسنات .

وعندى انه قد صار الاولى اقفال هذه المباحثة لئلا يجر الجدل والاستظهار بما لا يستغنى عنه المناظر تقوية لحجته الى مس وجدانات لا يتعمد الكاتبون مسها خصوصاً وقد أفاض مولانا الاستاذ الاكبر بما لا يبق معه مجال لقائل ولا موطن لصائل وهنا يخطر لنا ان نشكر هانوتو أيضاً على انه كان السبب في استثارة عزائم ذلك القلم القاهر واستخراج درر معان كانت في اصدافها وقواطع حجج كانت في غلافها وتقرير حقائق أثبتت ان فذ الشرق لا كفء له في الغرب أزكي الله زرع هاتيك الحقائق في رؤوس المسلمين حتى تنقلب الهيئة التي يراهم بها الاجانب ولا لبثوا موضعاً لتلك الآراء الرؤفة من قريحة هانوتو وأمثاله .

(ش)

هانوتو والاسلام(*)

نشر المؤيد الاغر ترجمة مقاله للمسيو هانوتو السياسي الفرنسوى الشهير تضمنت بحثا مستفيضاً عن علاقة أوربا عموما وفرنسا خصوصا بالمسلمين والكيفية التى تجب معاملتهم بها حتى لا يتمكنوا يوما ما من جمع كلمتهم المتفرقة لدفع الدول الاوربية عما تطمع به من السياده على ما بقى لهم من الممالك المستقلة أو بالأحرى من انشاء مملكة أو ممالك اسلامية تقف بوجه السيل الاوربى الذى طمى على الشرق حتى كاد يجرف استقلال ممالكه ويجعله مستعمرات لهذه الدول الاوربية .

هذه خلاصة ما يرمي اليه المسيو هانوتو كما جاء في الترجمة التي نشرها المؤيد ثم أردفها برد مطول لعظيم من أيمة المسلمين دافع بها عن دينه وشعبه دفاع الحكيم المعتدل لانه لم يخرج فى جميع ما قاله عن دوائر الادلة العقلية والعلمية والشواهد التاريخية والدينية فقد أنصف الدين المسيحى من حيث تنزهه عن السعي وراء السلطة الزمنية وأثبت بنصوصه الصريحة ان مساعى هذه الدول الاوربية مخالفة للغاية التي حث السيد المسيح على ابتغائها وفرض على ذويه الا يخرجوا عنها. ثم دافع حضرة الامام عن دينه بما يعززه ولا يمس الدين بشئ على الاطلاق ولكنه زعزع أركان حجة المسيو هانوتو أي زعزعة. كل ذلك بكل أدب وطلاوة.

وقد كان لكتابته رنة تأثير في القلوب وكنا نحن ممن قرأها تكراراً لما جمعته من اللذة والفائدة. وقد أشرنا على حضرة صديقنا الاستاذ صاحب المؤيد ان ينشر الرسالة والرد عليها فى كتيب فيرضى عن عمله المسيحيين والمسلمين على السواء. ولكن ما لبثنا ان رأينا في الاهرام البهية انكاراً لبعض ما جاء فى الرد والترجمة التى نشرها المؤيد لم ينقص من قدر كتابة الامام العظيم بل جعلها مقالة أنشئت للدفاع عن الاسلام ضد المطالع الاوروبية عموماً سواء قال المسيو هانوتو شيئاً عن الاسلام أو لم يقل. ثم جرت مناظرة بين الاهرام والمؤيد هذه تؤكد انطباق الترجمة على الاصل وتلك تنكر بعض الفقرات الجارحة وقد عينتها بذاتها حتى لا تبقى محلا للريبة والاشتباه .

(*) الرائد المصرى ١١ مايو ١٩٠٠ .

وسواء كانت الترجمة صحيحة كما يقول المؤيد أو محرفة عن الاصل كما تقول الاهرام او كان هانوتو يقصد خيراً أو شراً فان النقطة التي يجب ان توجه اليها الافكار لا هذه ولا تلك لانه يوجد أهم منها. فاذا كان المسيو هانوتو قد تحامل على الاسلام فليس هو باول افرنجي ظهرمنه ذلك واذا كان هانوتو فرنسوياً فقد قام من الفرنسويين عدة مشاهير من الكتاب دافعوا عن الاسلام دفاعاً جليلا. والمسيو هانوتو الآن ليس صاحب مركز رسمي حتى تكون لكلامه صفة رسمية. ومن يعلم ما اذا كان ينشر هذا الكتابات لفائدة دولته كما يدعي او لاجل مصلحته الخصوصية لعلاقة سابقة بينه وبين جلاله السلطان ... وكنا نحب ان جريدة الاهرام البهية تنشر الترجمة كلها طبق الاصل كما اقترح عليها أحد أفاضل الكتاب لكي يكون الجمهور على بينة. على اننا نترك المسيو هانوتو ونفرض أنه لم يقل شيئاً ثم نحذف من كتابة الامام جميع ما وجه اليه من الكلام وما بقي ففيه الكفاية لاثبات ان هذه الدول الاوربية خرجت بافعالها السيئة عن الحد الذي فرضه لها صاحب شريعتها .

ويتوهم بعض الكتاب المسلمين (ونجل عن ذلك قدر الامام) ان السياسة الاوربية تميز في مجراها المسيحي عن المسلم وتفرق بينهما وهو وهم باطل لا أصل له بل غلط فاحش واذا ظل الشرقيون يعتقدونه بقوا في تأخرهم وانحطاطهم الى ما شاء الله. فاوربا الطماعة لا تميز بين مذهب وآخر أو طائفة واخرى وأقرب دليل على ذلك الحرب الحاضرة في جنوب افريقيا فان الانكليز والبوير من دين واحد هو النصرانية ومن طائفة واحدة هي البروتستانية ومع هذا نرى القوي يبتلع الضعيف ظلما وعدواناً . وهذه الدول المسيحية بل هذه الدول البرتستانية هي أقدر دول الارض ملازمة للحياد .

لما اشتد الخلاف بين انكلترا وأميركا بسبب حدود فنزويلا وخيف شبوب الحرب بين الدولتين قام خدمة الدين في المملكتين ينادون برفع الخلاف الى التحكيم ويحثون عليه لانه لا يليق بدولتين من مذهب واحد ان تقعا في حرب هائلة (وهذا أيضاً مخالف لتعاليم السيد المسيح لانه فرض السلام بين الجميع وأمر بعمل الخير مع المؤمن وغير المؤمن على السواء ونهي عن التعدي وسفك الدماء في كل الظروف بلا استثناء) ومع هذا فاننا نقول ان خدمة الدين في انكلترا قاموا بالواجب المسيحي لانهم منعوا الحرب من حيث هي حرب بين دولتين من ملة واحدة والحرب ممنوعة على الاطلاق ولو كانت احدى الدولتين قوية والثانية ضعيفة لما كان لكلامهم أقل تأثير. فرجال السياسة في المملكتين قبلوا بالنصيحة ليس احتراماً للدين وأوامره بل لان كل دولة كانت

تخاف الاخرى. أما الآن والفوز النهائي مضمون لانكلترا لضخامة ملكها وضعف محاربيها فان كروجر وقومه قد بحث حلوقهم وهم ينادون بالتوراة والانجيل والاخاء والانصاف وليس من يسمع ولا من يجيب. وخدمة الدين كانوا بالامس يصلون لاجل حقن الدماء صاروا يقرعون اجراس الكنائس ويجتمعون فيها للشكر كلما انتصر الانكليز مرة على خصومهم الضعفاء ولكن الحقيقة لا تتغير صورتها مهما تفنن المتفننون وعمل العاملون. والدين الصحيح لا وجود له في هذه الازمانا الا بقلوب الافراد الذين لا ناقة في السياسة ولا جمل.

وهذه البلاد الشرقية لابد لاوربا من سيادتها من أدناها الى أقصاها. والشرقيون عموماً سيكونون خداماً واماء للافرنج مادام الشرق في خمول وسبات. واذا قالت الدول الاوربية هذا مسيحي شرقي وذاك مسلم أو مجوسي شرقي فانها تقول ذلك خدعة ورياء اذ لا فرق عندها بين هذا وذاك بل بالاحرى تتخذ أحدهما آلة للايقاع بالآخر كما تتخذ المسلم الجزائري لضرب المراكشي الهندي لضرب المصري والسوداني .

فعلي الشرقيين أن ينظروا في كل مسألة الى ان هذا شرقي وهذا غربي بقطع النظر عن المذاهب والاديان. واذا كان هانوتو قد طلب في كتابته امحاق المسلمين واذلالهم فالواجب علينا أن نعتبره انه يتكلم بلسان أوروبا كلها لا بلسان الفرنسويين وانه يطلب اذلال أو امحاق الشرقيين عموماً من مسلمين ومسيحيين على السواء .

والذي يرجح لنا ان الموسيو هانوتو لم يقصد بمقالته الخير لمصلحة بلاده بل لمصلحة نفسه هو ان مفاد كتابته هذه ينفر المسلمين الذين جفوا انكلترا ومالوا الى فرنسا في ما مضى. ويستحيل ان أحد الفرنساويين يخدم مصلحة بلاده بمثل هذه الكتابة بل بالحري يضرها ويثير خواطر المسلمين عليها

مـــراوغــة المــؤيــد (*)

اذا عدّ قراء المؤيد لحكومة فرنسا ذنباً وجناية جنتها عليهم كان ذنبها انها منعت المؤيد من دخول الجزائر حتى حملته ثورة الغضب على ان يختلق لهم عن الفرنساويين كلّ ما يجرح المسلمين ويولمهم ويولد فى صدورهم البغض والشحناء ولو علمنا ان المؤيد تجرحه الحقيقة ويؤلمه الصدق ويغضبه تصحيح خطائه اغضاباً لا يبقي في صدره وعياً ولا في رأسه رشداً لضربنا صفحاً عن اختلاق إمامه وفلسفة دمياطيه وتزوير ترجمته وحسبنا له كل هذا في عداد ما تقدمه ولكننا ظننا المؤيد مخدوعاً بخطإ الترجمة لجهله لغة الافرنج فقلنا له ان هانوتو ما قال بابادة المسلمين ولا استحسن اقوال المتطرف كيمون عدو المسلمين بل عدو الانسانية كما قال له ذلك عقلاء الامة واركانها فسكت الى ان شهد له الدمياطي فسألناه ان يدلنا على تلك العبارة بالافرنسية بعد ان بينا له الاصل والتعريب فروا غ وخاتل واختبأ وراء سور الدين والغيرة على المسلمين فقلنا له انك تخدم المسلمين بان نقول لهم الحق لا بأن تختلق لهم الكذب وخدمة المسلمين بان يرشدوا الى خير وطنهم وتتحول هممهم الى هذا الشرق الذي ينتظر اقالته من عثرته بايديهم لا بان يعادوا من يريد المؤيد معاداته ولا بان تقول لهم زوراً وبهتاناً ان فرنسا تضهد دينهم (لانها منعت المؤيد من دخول الجزائر) ففر من وجه الحقيقة الى خبر رويناه عن بروجرام التدريس فى الازهر فجئناه بالحجة الدامغة وبأقوال من يطأطئ له المؤيد وزمرته الرؤوس فكابر مكابرة من تقول له وأنت في رابعة النهار الشمس مشرقة فينكر ذلك عليك بل جاءنا برواية قديمة العهد للاختباء وراء الدين وروينا خبر تحريم مجلس الازهر على طلبته قراءة الرد على هانوتو وعدم قبول الرسالة فى مكتبة الازهر فكابر وعاند وتخرص على الاهرام بما يعد السكوت عنه والازدراء به خير جواب وهؤلاء علماء الازهر الشريف وطلبته من اصغرهم الى اكبرهم يشهدون

(*) الأهرام ١٤ مايو ١٩٠٠ .

+ تلقيناها من أعاظمهم ومن اغترّ باقوال المؤيد فليهد الازهر نسخه١٨٩بصحة روايتنا التى ليعرف انه لا يقبلها فليكابر المؤيد وليقتل الصدق والحق بمرواغته وعناد وليتحف قراءه بما شاء من الاختلاق فان الحق يجرحه ومن قدر ان يختلق على كاتب عبارة ما وردت فى أقواله المعروضة على انظار الالوف من القراء لا يكبر عليه ان يظل معانداً في التكذيب ومصراً على الخصاء طلباً للخلاص من اختلاق هيج الأمة واثار ثائرها .

ثم زعم المؤيد "ان الاهرام لا تعنى بالشؤون الخاصة بالمسلمين الا اذا عرضت لها في الاشغال بهم شهوة مال أو جاه أو فتح لها طريق للاضرار بهم والحط من شؤونهم" وهو زعم نرده الى المؤيد عنواناً على صفحته فالاهرام وجميع عقلاء المسلمين يشهدون لها وأقوالها تكذب كل مفتر عليها تفتخر بجاه كوفئت به على خدمة صادقة وثقة نالتها عن اخلاص واذا عدّ الصدق الذي تريده اضراراً بالمسلمين وكذب المؤيد نفعاً لهم فانها تبرأ الى الله من خدمة كاذبة ونفع هو لواحد وضرره عائد على أمة ولا يكفى المؤيد ان يكون مسلماً ليعد لنفسه مفيداً فان المسلمين يعرفون انه ما أضر بهم مثل آحادهم .

وكأن المؤيد قد تعلم فن المحاماة فهو يرفع ما يسميه المحامون قضايا فرعية فيخرج من موضوع الى سواه وهذا ما تؤجل الرد عليه حتى يسترسح المؤيد اليوم من مكافحة ظله وتمزيق الغشاء عن أباطيله وسنريه بعد هذا ما كنا نستره له اعتقاداً بارعوائه بتفضيله منفعة أمته على درهمين يضعهما فى جيبه .

المسلمون وتقدم الشرق(*)

على الأمة الاسلامية الكريمة تقدم الشرق ورفع شأنه بل اقالته من عثرته واعلاء مناره لانها الأمة التى تحكمه والأمة المنتشرة فى أقطاره الكبيرة بين أممه فاذا تقدمت تقدم الشرق واذا تأخرت تأخر فلهذا ينتظر الترقى بيدها والمنعة بقوتها والعزة بمجدها وما بقى من الطوائف والعناصر يعدّ نصيراً ومساعداً بل أخاً مؤازراً لان جميع الأمم الشرقية عيلة واحدة فى الوطن كالاسرة الواحدة في المنزل فاذا لم يكن تآلف أضر الصغير وأن حقر واذا لم يكن تآزر تعب الكبير وأن قدر والوطنيون للوطن بنيان مرصوص يضرُّ به انفلات الحصاة من الركن كما يضرُّ به ويهدمه تفطر الصخر الداعم والأس المتين الحامل .

فاذا انتظرنا تقدماً ونجاحاً فمن الامة الاسلامية تؤازرها الامم الاخرى واذا انتظرنا قوة ومنعة فمن تآلف جميع الأمم والطوائف واتحادها بالرابطة الكريمة التي ما خانت عاملاً بها ولا وهت بيد متمسك باسبابها وهي الرابطة الوطنية والوحدة القومية ولقد تتمثل لنا أوروبا عدوة لطمعها فينا ونزوعها متسابقة من كل صوب وحدب الى امتلاك بلادنا وما أوروبا بعدوة للشرقي لانه يدين بغير دينها بل لأن أمره عندها هون ولانه عاجز عن صدها بل هي ليست عدوة لنا بل حبيبة الى خيرها ونفعها فهي تريد الغنم لابنائها وهم من كل دين وتناهضنا بالسياسة دون الدين لانها تعرف الآن ان الناس عيلة على الله وكلهم اخوة بالانسانية حتى ذهب فريق عظيم من الاوروبيين الى ان الامم كلها اخوات فلا حدود ولا فواصل ولا حوائل ولا موانع والقائلون هذا القول ترتجف لزيادة انتشارهم حكومات أوروبا وعددهم يزيد يوماً فيوماً بينا نرى ابناء الشرق يمزق بعضهم بعضاً ويتطاحنون مناوأة وتباعداً وينزع كل الى منزع حتى زاد الضعف والوهن وما مثلنا إلا كطفل الحكاية اذ تاه من أمه فلقيه الذئب يريد اختطافه فجاء الغول وخلصه من الذئب ثم اكله وذهب الى الأم يبشرها بخلاص ابنها فسألته عن مصيره بعد ذاك فقال اكلته فاذا أردنا الخلاص من عدو كالذئب لنرمي بانفسنا بين يدي عدو كالغول لا كان خلاص ولا كانت نجاة .

(*) الاهرام ١٥ مايو ١٩٠٠ .

على انا بحاجة الى اوروبا يسندنا منها الصديق لا صديقنا عفواً بل صديقنا من رأى انه اذا تركنا تملكنا سواه فيقوى بنا فاذا ظهرنا أمامها أعداء للجميع على السواء احتج السابق الينا والقريب منا بعدواة كل أوروبي وبروح التعصب ضدهم وهذا ما نقتنا مرارته ونريد تلافيه لا بأن يترك صاحب الدين دينه بل بان يعرف الشرقيون كلهم انهم اخوة لهم وطن واحد وهذا الوطن لا يمكن أن يكون لقوم دون أخرين .

واذا كان الفقير يعد نفسه بالغنى فالشرق الضعيف يعد نفسه بالقوة وهذه القوة تكون من اتحاد ابنائه وأغلبية الشرقيين من المسلمين فعليهم النظر الى هذه الوحدة والجامعة نعم أن الاخاء بالدين فرض لانقول ببطلانه ولكن للاخاء الوطني رابطة غير روابطه وحسبنا شاهداً وقوف المسيحي المصري والمسلم المصري في السودان لقتال الدراويش وفى الجيش لقتال الاحباش فالأثنان كانا واحداً فى الدفاع عن الوطن ضد عدوين أحدهما يدين بدين هذا والآخر بدين ذاك ولقد نكثر من الشكوى والتذمر من الاوروبيين لأنهم ينزعون الى امتلاك بلادنا وكان الجدير بنا أن نتذمر ونشكو من انفسنا لاننا ضعفاء عن صونها وكل شاك منا يذكر مجد اجداده وفتحهم بلاد الفرنجة ففي هذه الذكرى له عبرة لان الحق الذى سوغ لاجدادنا وهم أقوياء الوصول الى ابواب فينا وافتتاح الاندلس وما وراءها يسوغ اليوم للاوروبيين وهم اقوياء أن يكروا علينا بخيلهم ورجلهم فاذاً لابد لنا من القوة وهذه القوة ننتظرها من الاغلبية فاذا كانت بحماسة الدين افضت الى غير المراد لان أهالى الوطن ليسوا كلهم على دين واحد ولن يكونوا واذا كانت بحماسة الوطن والتآزر لرفع شأنه والتعاضد لعزته ومنعته صفت لنا الحياة من شوائب التفريق وراقت دواعي الالفة واشتدت أسباب القوة .

هانوتو والاسلام

والمؤيد والاهرام

عن جريدة اللواء الغراء

ظهرت جريدة (اللواء) الغراء في الحجم الكبير المعتاد للجرائد المصرية أمس ملآى بالمباحث المفيدة التى تعودها منها قرآؤها الكرام. وان التدرج فى النمو والارتقاء الذى درجت عليه جريدة اللواء الغراء منذ ظهرت حتى الآن لما يكفل تحقيق الامل فى أنها هلال ظهر ليكون يوما ما بدرا كاملا .

هذا وقد كتبت هذه الجريدة الغراء امس شذرة تحت عنوان (هانوتو والاسلام والمؤيد والاهرام) قالت فيه ما نصه بالحرف الواحد .

"اشتد الخلاف بين جريدتى المؤيد والاهرام فقامت الثانية تطعن على الاولى بمطاعن لم نعدها فى آدابها وتتهمها بتحريك التعصب الدينى واشعال نيران البغضاء فى قلوب المسلمين ضد المسيحيين لانها نشرت ترجمة مقالة للمسيو هانوتو وزير خارجية فرنسا سابقاً .

على انه كان الأجدر بجريدة الاهرام الغراء ان تحمل على المسيو هانوتو نفسه وتنبهه الى انه قضى على البقية الباقية لنفوذ فرنسا فى مصر بما كتب عن الاسلام والمسلمين وتفهمه أن أصدقاء فرنسا فى مصر آسفون على ما صدر منه وما صارت اليه دولته من نتائج هذه السياسة الخرقاء التى أبعدت عن فرنسا الكثيرين من أشد الناس ميلا لها وأكثرهم اعجابا بتاريخها وأدابها .

وقد سألنا الفضلاء العديدون رأينا فيما ادعته جريدة الاهرام الغراء من أن ترجمة المؤيد

(*) المؤيد ١٦ مايو ١٩٠٠ .

الاغر لمقالة هانوتو ترجمة فاسدة فطالعنا الاصل الفرنساوى وقرأنا الترجمة بأمعان لنحكم ان كانت دعوي الاهرام صحيحة أو باطلة فوجدنا الترجمة صحيحة لاعيب فيها. ونظن ان مترجمى الاهرام لاينكرون علينا معرفة اللغة الفرنساوية كما هم يعرفونها وادراك معانيها كما هم يدركونها .

بقى علينا أن ننصح لرصيفتنا الاهرام الغراء أن لا تتهم جريدة يعرف العالم كله مبدأها كجريدة المؤيد الغراء بانها تدعو للتعصب الديني وهى ما دعت الا الي الحقيقة وما نشرت ترجمة مقالة هانوتو الا ليقف أبناء الاسلام علي آراء كبار السياسيين فى أوروبا عليهم وعلي دينهم ليدفعوا عنه وينشر افضائله .

وانه ليدهشنا جداً أن نسمع بعض الناس – ومنهم كتاب الاهرام يقولون ان الوطنيين المصريين الذين كانوا يستغيثون بفرنسا ضد الاحتلال الانكليزي اصبحوا يحاربونها بأقلامهم وينتقدون سياستها وساستها فاننا انتقدنا دائما السياسة الفرنساوية وقلنا غير مرة انها لا تليق بحكومة الجمهورية. ولولا هذه السياسة العوجاء لما كانت انكلترا فى مصر ولما كنا فيما نحن فيه. وسنبين غداً بكل ايضاح رأينا فى سياسة فرنسا فى مصر وخطتها نحو البلاد الاسلامية التابعة لها .

فلعل الاهرام تراجع العقل النافع من كتابها وترجع بعد كتابة حضرة مترجم مقال هانوتو وبعد كتابة اللواء الأغر الى الرشد في هذا المقام والا فحبلها على غاربها والسلام .

ترجمة مقال هانوتو(*)

نشرنا فى صدر الجريدة اليوم مقالة بهذا العنوان لحضرة الفاضل محمد افندى مسعود أحد محررى جريدتنا ومترجمها الاول من الفرنساوية الى العربية وهوالذى ترجم مقالتى هانوتو فهو الذى أصابه طعن الاهرام واتهامه بالخيانة فى الترجمة والاختلاف مباشرة. واليوم أراد حضرته أن يرد هذه الفرية الى صاحبها ولولا ذلك ما عدنا الى ذكر الاهرام وتوجيه الخطاب اليه بشئ لان الذى لا يطلب الحقيقة لوجهها يضيع معه طلب الحقيقة عبثا .

لسنا الآن فى مقام بيان العلة التى أوجبت غليان الاهرام وانفجار قدره بالضغائن وأقذار الكلام الهجر الذي ملئت به أعمدة هذه الجريدة بالعربية تارة والفرنساوية أخرى فذلك كل الذين يشعرون بسقوط الاهرام وكساد سوقه فى العهد الأخير. ولكن لم يكن أحد يعرف أن الحمق يستهوى بصاحب الاهرام الى الحد الذى لا يفرق معه بين الضار والنافع له ولجريدته فيقوم فى وجه المؤيد مدافعا عن هانوتو فى الوقت الذى كل الناس يقرؤن فيه المؤيد اخطأ فى ترجمة سطر من كلام هانوتو وهو يعلم أن هانوتو كتب عشرة نهر فى جريدة (الجرنال) الفرنساوية فى كل نهر نحو ١٠٠ سطر وأكثر فى كل سطر منها روح شريرة من هانوتو ضد الاسلام والمسلمين. تارة يقول أن الاسلام دين يحط بأصحابه الى أسفل الدرك وأخرى يقول ان أولى السياسات بالمسلمين أن تقطع أوصالهم من بعضهم ويحال بينهم وبين مكة وبينهم وبين ماضيهم الاسيوى وتارات فيما هو أشد وأنكى وأنكر الخ . كل

(*) المؤيد ١٦ مايو ١٩٠٠ .

ذلك يضرب عنه الاهرام صفحا ويقول ان المؤيد أخطأ فى الترجمة وان هانوتو خير صديق للمسلمين فليس بعجيب بعد ذلك أن يقول ان المؤيد عدو للمسلمين وان الاهرام خير نصير عنهم ومحام لهم ويتهور فى هذا الزعم فيقول ان الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر شاهده الحق على ذلك. وهو الضلال الذي ليس بعده غرور ولا ضلال مبين .

على أن سعادة رصيفنا صاحب الاهرام الذى دفعته الوساوس والاوهام الى كل هذا التهور لا يحتاج اذا أراد الرجوع للحق والحقيقة الا الى عقد هدنة بين رويته ووساوسه فاذا تغلبت الاولى عليه رأى عن يمينه وعن شماله وأمامه وخلفه كل الناس يقولون له انك أخطأت الخطأ الكبير فى هذا الانفجار الذى لم يكن له عند أحد انتظار. ثم رأى الذين يردون له جريدته من جميع أكناف القطر أصدق شاهد على أنه أساء لنفسه وما أحسن. وأنه فى حركته الاخيرة جاء على مثال قول الشاعر

كناطح صخرة يوما ليوهنها ... فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

كنا فكانوا

ثم صرنا فكيف نكون

كان الشرق قوياً فضعف وكان الغرب ضيعفاً فقوى واستباحت القوة جانب الضعف وهان الضعيف حتى صغر وذل فعدت القوة فضيلة والصغار شيناً وتولى هذا الشرق مهد المدنية والحضارة سبات عميق كأن لا يقظة بعده الى ان تفاقم جشع الغرب ونهمه واعمل براثنه وحدد مخالبه فألم الشرق في اعز شعوره وحركته في مكمن سكونه فعادت اليه روح الانبعاث حياً نشيطا فرأى جانبه مهضوما وفضله ضائعاً وحقه مستباحاً فتململ تململ الطفل شاكياً ولا متن عضيد يعتمل به ولا ساعد مفتول يدفع عنه ولا يد قويةٌ يصول بها ويذود فراح ينظر الى الغرب ليرى مكامن قوته ومبعث سطوته فعلم ان سياج كل أمة وطنها وان كل وطن يعز باهله فكان به بالوطنيةٌ ضالة ينشدها فشام بارقها وقوة يستمدها فتتور متألقها فدوت ارجاؤه لصوت على خفوته تردد فى صدره فاستبشرنا خيراً وانتظرنا غنماً وقلنا يقظة بعد سبات وهبة بعد سكنة وحياة بعد رقاد .

اي نعم رأى الشرق وطنيةٌ الغرب وعصبيةٌ أممه سبباً لنفاذ قوته فاراد هذه الوطنية وتلك العصبيةٌ وأتلع اليهما عنقه فكانت منه نشأة تسر محبيه وبنيه ولكنها في طور الحداثة لم تبلغ اشدها وما هى الا نفوس معدة لقبول الصحيح من التعليم وصدور منبسطة لتلقى القويم من الارشاد ووعى المفيد من التربية فاذا رزقت المعلم الحكيم والمرشد الهادى سارت فى سواء السبيل وبلغت الغاية وادركت الامانى فعلى هذا يتوقف الآن نجاح الشرق وتدريب بينه ولمثل هذا فليعمل العاملون اى لاحياء الوطنيةٌ الحقة وتعهدها بالفضيلة البحتة .

والوطنيةٌ لا تقوم ولن تكون الا باتحاد الوطنيين على نصرة وطنهم ولا اتحاد اذا تباينت الاهواءُ واختلفت الاميال وتنافرت القلوب وتفرقت الايدى ولا رابطة تربط امة تعد بالملايين مثل رابطة الوطن لانه اى الوطن لا يمكن ان يكون اثنين بل هو واحد للجميع على السواءِ فسماءُ هذا الوطن تظل الجميع وارضه تقلهم وماوءه يرويهم وزرعه يقوتهم وضرعه يغذوهم فاذا اختلفنا في

(*) الاهرام فى ٢ مايو ١٩٠٠ .

مذهب او معتقد وتباينا في دين او محتد فلا يمكن ان يكون بيننا تباين او اختلاف على اننا كلنا ابناءُ وطن واحداً وهو لكل واحدٍ ويقوم بكل واحدٍ ويعز بتآزرنا اللغة ليدركوا خطأهم وخطلهم وبهذا يكون الدفاع اعضم فعلاً واشد وقعاً في اوروبا واصدق فائدة اما ان تكون جميع الصحف حاملة العامة على كرة الغربيين فأمر لا نراه موافقاً لان الاوروبي في حضارته الزاهرة ومدنيته الزاهية وعلومه الباسقة وصناعته الباهرة نتعلم منه حسناته لنتخذها مشكاة ومصباحاً ينيرنا في دياجي الاعمال فاذا اردنا استقلالاً حذونا حذوه واذا اردنا نجاحاً درجنا ادراجه فمتى كرهته الامة وغرس في صدرها بغضه وعدوانه ابت ان تقتبس عنه غيرها يزيدها كرهاً له وهذا مضرٌ بنا اولاً لاننا نترك حسناته وثانياً لاننا نؤيد حجته علينا بأننا اعداؤه واعداءُ مدنيته فلابد من اخذنا قسراً وقهراً وهو القوي ونحن الضعفاءُ دون مشاحة ولا جدال فاذا لجأنا من شره كان منه الى خيره واذا طلبنا النجاة من افتراس غربي كان باحتمائنا بظل غربي فلو امسى جميع الغربيين اعداءنا ضعفنا عن مقاومتهم ونحن عاجزون عن مقاومة واحد منهم وهب اننا اتحدنا من اقاصي اسيا الى اطراف افريقيا فيكون اتحادنا وسيلة لحملتهم علينا وهذا اتحاد العنصر السكسوني الذي تمناه تشامبرلن اصدق شاهد .

ولكل امة شعوران احدهما داخلي والاخر خارجي فالشعور الداخلي يحمل الامة على الاهتمام بأمورها وشؤونها فتقف عليه كل عمل وهمة والشعور الخارجي ما يحملها على تأييد العدل في شؤون غيرها او نصرة اخوانها في الدين او اللغة او المحتد وهذا ما تصرف له ما زاد عندها عن شؤونها الداخليةُ فنحن الشرقيين ليس لنا من القوة ما يقوم بحاجاتنا الداخلية فكيف نستطيع تعدي حدودنا الى ما بعد عنا فاذا مال المسيحي المصري الى المسيحي الاوسترالي كان بميله هذا اخذ قسم من قوة شعوره الوطني فينقسم القليل الذي عنده شطرين فلا ينفعه هنا ولا يفيد اخاه هناك وهكذا ميل المصري الى الهندي فاذا كان ما عندنا من قوة غير كافٍ لبلادنا فلنحرص عليه حرص البخيل على درهمه ولنصرفه في وطننا الى ان نقوى ونعز ونصبح قادرين على نصرة من نميل اليه ممن بعد عنا .

فاذا كان الوطن هو متجه الهمة والعمل والوطنيون كلهم واحداً لهذا الوطن قوينا به وعزَّ بنا وضارعنا الغرب وامكننا ان نربأ على ظلعنا ونعتمد على انفسنا فنشأتنا ليست اليوم بحاجة الى الارادة بل الى المعرفة فعلموها كيف تحيى وكيف تعز بالوطن وكيف يعزُّ بها .

التعليق ....

الازهـــر

الازهر - حامى حمى الاسلام - ورافع لواء الدعوه الاسلاميه - ومآل العلوم الاسلاميه - اليه يرجع المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها فى أمور دينهم .

ولكن هناك العديد من الهالات المقدسه التى وضعت حول دور الازهر ودور الازهرين الذين اصبحوا اشخاص مقدسين مجرد الاقتراب منهم تعدى على الاسلام. ووصل الامر فى القرن التاسع عشر للانهيار الشامل فى الازهر الذى كان جزء مهم من مشروع محمد عبده الاصلاحى. ولكن واجهته العديد من المشكلات التى وقفت حجر عثرة امامه .

وبعد ظهور مقالات هانوتو والرد عليه ظهرت المقالات التى تطالب بأصلاح الازهر وادخال العلوم الحديثه اليه حيث أنه لا يوجد تعارض بين الدين الاسلامى وبين العلم -كذلك فالرد على الافترا أن على الاسلام تحتاج للعلوم الحديثه كالتاريخ والجغرافيا والحساب وغيرها .

ولعله يكون من المفيد أن نبين ما آل إليه الازهر من خلال وصف الشيخ محمد رشيد رضا فى تاريخ الاستاذ الامام جـ١ ص ٤٨٠ - ٤٨١ .

"كانت امكنه الجامع الازهر من صحنه إلى مقاصير اروقته إلى ميضاته وكنفه مجتمع اوساخ، ومهب روائح عفنه، ومنبع وخامة، وبؤرة امراض معدية، فإذا دخل إلى الصحن وجد فيه بقايا الكرات والفجل وقشور البصل وفضلات الخبز العفنه وجلود الفسيخ وقمامات الكش من مواضع النوم اكواما وإلى جوانبها ما يراق من مياه الشرب المأخوذة من الصهاريج وما تحمله النعال من وحل الطريق، حيث يتأبط المجاور مداسه بلا نفض ولا تنظيف - وبين هذا وذاك كثير من البصاق والنخامة و النخاعة - ثم اذهب إلى جهة الميضاة وجدحو اليها امثال ذلك" ...

وص٤٩٥ – ٤٩٧ – يقول:

" ولقد كان محمد عبده، على شدة عنايته بالازهر واهله والدفاع عنهم ومبالغته فى تكريمهم شديد الاحتقار لهم فى نفسه. إلا افرادا منه، وكان للازهر عنده ثلاثه القاب يطلقهما عليه المره بعد المره امام بعض الخواص، عند شدة تألمه من فساد حالهم وهى : الاصطبل – والمارستان – والمخروب .

لاجل ذلك كان محمد عبده يرى ان اصلاح الازهر اعظم خدمه للاسلام فإصلاحه إصلاح لجميع المسلمين، وفساده فساد لهم، لانه عنوان الدين فالناس لا يعرفون من امر الاسلام الا ما يقوله رجل الازهر، لذا حاول اصلاح الازهر وادخال العلوم الحديثه اليه مثل الحساب والجبر والهندسه والجغرافيا وتاريخ الاسلام، والتمرين على الانشاء، ولكنه لقى معارضه شديدة من رجال الازهر الذين كانوا يعتقدون أن تغيير هذا القديم تغيير للاسلام نفسه، وظهر اثر ذلك فى قوله "ما رأيت بلدا جعل فيه الدين دكانا مثل هذا البلد". وعندما حاربوه فيما يقصده من اصلاح قال "هذه رؤس ما خلقت إلا لتفكر لا لوضع العمائم ينافس بعضها بعضا فى تضييع الزمن وفى هذا خسران الدنيا والاخرة". وعندما بلغ به اليأس من الازهر مبلغه قال "اشد التعب أن ترى من حولك مرضى وانت لا تستطيع علاجهم". هذا هو حال الازهر فى نهايات القرن التاسع عشر وتحديد عام ١٩٠٠ .

وبدون تعليق نقول ما اشبه اليوم بالبارحه فمن اين لنا محمد عبده جديد لاصلاح الازهر حاليا .

موعظة الاسلام الحقة

لاحد فضلاء الشرقية (*)

يسوق الله للمسلمين في كل مطلع شمس مواعظه الباهرة ويؤيد الحق بالعبر الظاهرة ليبرهن لهم أن دينه لا يقف بصاحبه عند حد من المعلومات ورسم من التصوارات بل جعل نهاية العلم والكمالات غايته المقصودة ومنتهى الفضائل ضالته المنشودة ومن الاتفاقات النادرة ما نقصه من حديث الموعظة الآتية .

يذكر القوم أنه دارت منذ أسابيع مناقشة بين علماء الازهر في ضرورة تدريس الحساب وعلم تقويم البلدان والتاريخ بالجامع المعمور وقد سطرت تلك المناقشة على صفحات المؤيد وهى مجادلة طالما خجلت لها وجوه وودت قلوب لو أنها لم تكن والحق فيها أوضح من أن يشير اليه بنان أو يلفظ به لسان .

ولم تكن الا أيام قليلة مضت بعد ذلك الجدال لا تكاد تكفى لتحرير مقالة أخرى في موضوع تلك المناقشة حتى وافا المؤيد بترجمة مقالة لمسيو هانوتو في قذف الاسلام والطعن فى أهله لا يبني مقاله على البحث في أصول الاديان القديمة وكيف تفرعت منها الاديان الحديثة وجمع فيه من الحوادث التاريخية والاعتبارات الفلسفية اثباتا لمزاعمه وتأييداً لمذاهبه حسب ما أملاه عليه خياله وأوصاه اليه اعتقاده وقد انتصر لكلام المسيو (كيمون) القائل (ان الاسلام جذام فشا بين الناس ومرض مريع وجنون ذهولي وان المسلمين هم وحوش ضارية يجب إبادتها الي أخر قال وما قبر محمد الا عمود كهربائي يبث الجنون في رؤوس المسلمين فيجب تدمير الكعبة ووضع ضريح محمد في متحف اللوفر) اهـ .

(*) المؤيد فى ٢٤ ابريل ١٩٠٠ .

وقد كادت قلوب أهل الغيرة على الدين تذوب أسى وحزنا من حملة المسيو هانوتو على الاسلام بهذا القذع المريع وتمنت لو أن حضرات العلماء يثيرون بأقلامهم حربا عواناً على هانوتو وأنصاره ويصولون عليه ليردوه الي عقله ويوقفوه عند حده محافظة على الدين وكرامته وصيانة لاهله مما يرمون به ظلما وعدوانا .

والحمد لله قام عظيم من عظماء العلماء ورفع الوزر عن الجميع جزاه الله عن دينه وايمانه خيراً فحمل على هانوتو فى الرد عليه حملة الاسد الحامي عرينه وقد ساق اليه من العلم والحكم وكال له الكيل كيلين وجال فى ميدان العقائد وتاريخ سلسلتها والمقابلة بين قديمها وحديثها جولة الواقف على دقائق التاريخ وطريقة الاستنباط منه وبحث فى أصول العقائد والارض التى نبتت فيها بحث العارف بمواضع الامصار المحيط بعلم تقويم البلدان وطبق مبادئ الاديان المختلفة على قواعد العقل والمدنية بنبراس من الحكمة وأبرز الاسلام فى حلته البيضاء الصافية أسطع ضوء في تلك الغاسقة ولا ريب ان الوزير قد صغر فى عينى من كان يكبره فى مقاله بعد ما قرأ مما كتب فى اضعاف حججه .

ولكن بم أفحم هذا العظيم ذاك الوزير وبم فندت أقوال ذاك الكبير. فالمطلع على الرد منه ينبوعين يتدفقان لولاهما لما نقض قول القائل ولا أبطلت حجة الطاعن هما ينبوع التاريخ والجغرافيا. وفي التاريخ بيان أديان الامم وعقائدهم ومدنيتهم ولولا سعة الاطلاع فى علم التاريخ والقدرة على الاستنتاج منه لوقف الراد وقفة والحائر ولغلب الحق الباطل .

ولو كان صاحب الرد غير عالم بالفنين أو لم يكن متناهيا فى دقائقهما وكان متناهيا فى غيرهما وعهد اليه بالرد لمكث يبحث فى تلك الحقائق لاستباط ما يريد شهوراً طويلة وضاعت مزية الاقناع فى سرعة الرد والجدال هذا اذا وصل الي شئ .

مقال المسيو هانوتو هو بعض ما ينشر عن الاسلام وجزء صغير من

المطاعن التي توجه اليه وكلما تقدم الزمن كان الطاعنون أقوى قلبا وأقدر على اختراع الحجج فى ميدان الجدل ونحن نري ان كل يوم تتقدم فيه علوم الطاعنين وترتقى افكارهم وتقوى خيالاتهم على انهم اليوم غير معوزين من علم ولا ناقصين فى دهاء ولجاج. وقد أرانا مقال المسيو هانوتو أنهم يلبسون الخيال الواهى لباس الحق الوافى فبماذا ندفع جدل أولئك الباحثين وبماذا نبطل مطاعنهم في الاسلام. هل بمنع تدريس التاريخ وعلم تقويم البلدان بالجامع المعمور أم بابطال العلوم العقلية والفلسفة فيه أم بالاغضاء عن فن الكتابة لو لم يكن قلم ذلك العظيم من أعلى المقامات فى ميدان الكتابة هل كان لرده قيمة أمام وزير خطير اذا تفوه بكلمة فى دولة قامت له وقعدت أو خط قلمه قالوا الحكمة نبعت اذا لم يكن ذلك العظيم واقفا على أحوال الامم الحاضرة ودارسا لاحوالها الغابرة وآخذا من العلوم الحديثة حظا وافرا وبصيرا في دينه هل كان يحسب له قول أو تقنع منه حجة امام ذلك الكاتب الرفيع

تلك هى الموعظة التى نهديها لحضرات العلماء ورجاؤنا في علمهم والغيرة على دينهم أن يقنعوا من غشوا أنفسهم وأهله فيما كتبوا لبيان الاستغناء عن علمى التاريخ والجغرافيا ويوصوهم بأن لا يتعرضوا لبث الاصلاح فى موطن الدين وليتقوا الله فى دينهم وليعتبروا بهذه المواعظ الساطعة بل الكرامات الواضحة المؤيدة لاهل الحق واليقين وليفقهوا اننا فى زمن نحتاج فيه للاصلاح وان الحالة التى يرمون اليها انما هى المضحكة المبكية فكفى الزمن الماضى قعودا بالهمم عن النظر فى شؤننا ونوما على حاجاتنا الضرورية لقوام حياتنا ورحم الله امرءً ناداه الحق فأجابه والحق يهدى للمهتدى ثوابه والسلام .

(الامضاء)

لماذا يتعلمون (*)

وصلنا هذا الخطاب ونحن ننشره بحروفه

مصر في ٩ مارث سنة ١٩٠٠

سعادة الفاضل صاحب جريدة مصباح الشرق الغراء

نشرت جريدة المؤيد الصادقة رد ذلك المسلم العظيم والامام الكبير على مقال موسيو هانوتو في الاسلام ولا حاجة لان أصف ذلك الرد من حيث الادلة القاطعة والبراهين الساطعة ولا أن أشرح ما كان له في الصدور من الانشراح وفي القلوب من الابتهاج ولا أن أبين الآثار الشريفة التي اجتذبت جماعات من الادباء أن يقتدوا بالمؤيد الاغر في نشر هذه الخدمة العظمى بين المسلمين في كراسة مخصوصة حرصاً على آثار العلم والعمل وتخليداً لذكر العلماء العاملين كل ذلك لست في حاجة له فان صحف المؤيد ملأى بتقريره وبيانه ولكن الذي أنقله اليوم للقراء الكرام والاسف ملء فؤادي ان طلبة لازهر حرم عليهم أن يتناولوا هذه الرسالة وان بعض العلماء الاعلام أبوا أن يتنازلوا بالتفاتهم حتى لعنوانها (الاسلام) وان كتبخانة الازهر لم تقبلها هدية ولم ترض أن تضعها بين جملة من المؤلفات لا تستحق الذكر ولا تقتضي الالتفات ولماذا كل ذلك. ايا أجل هؤلاء العلماء أن يكون الشخصيات أثر في قلوبهم ينسيهم ان العبرة ليست بمن قال ولكن بما قال ويذهلهم عن ذلك الاثر الشريف (الحكمة ضالة المؤمن يطلبها انى وجدها) وغاية الامر ومبلغ العذر ان الرسالة رسالة الرد لم يوضع لها شرح ولم تؤلف لها حاشية ولذلك رأى بعض الذين يحبون تعمم الفائدة من نشر هذه الآثار أن يحققوا لهؤلاء الافاضل أمنيتهم فلينتظر ساداتنا هذا العمل الجديد وليتقوا الله في الدين ولا يكونوا مع النوائب عوناً على المسلمين انتهى م.م .

(*)مصباح الشرق ١١ مايو ١٩٠٠ .

فان صح هذا الخطاب كان من العجب العجاب .

وكان المأمول من رجال العلم فى الازهر الشريف الذين يصرفون أعمارهم في تحصيل علوم الدين الاسلامى ويضعون أنفسهم موضع الاركان لبنيانه أن يكونوا أول المبادرين إلى الرد على الذين جعلوا همهم فى هذه الايام الطعن عليه والحط منه والازدراء به وكنا لا نزال ننتظر من حضرة الاستاذ الفاضل شيخ الجامع الازهر أن يدفع بنفسه مثل أقوال هانوتو وغيره من كبراء الغربيين الذين تصدوا للبحث فى أصول الدين الاسلامى أو يولف لجنة من جهابذة العلماء تقصر أعمالها على مثل هذا الفعل الجليل الواجب عليهم أن يقوموا به على مقتضى ما يكلفهم به هذا الدين الذى يتفقهون فيه ولم يكن يجول فى التصور أن رسالة العالم الفاضل المنشورة في جريدة المؤيد ردا على المسيو هانوتو يكون نصيبها من الجامع الازهر الرفض وسوء الرد على ما قرأته في خطاب هذا الاديب. على أننا لا نظن هذا الرفض الا صادراً من بعض المقصرين أو بعض ذوي الاغراض على غير علم من كبار العلماء وحضرة الاستاذ شيخ الجامع الازهر وكيف يكون ذلك منهم وهم أعلم الناس بأن مثل هذه الرسالة كان من اللائق بها أن تعلق على جدران الازهر لا أن تحرم من الدخول فيه .

علة الضعف واساس الاستقواء (*)

اكثرت بعض جرائد هذا القطر الخوض فى موضوع ضعفنا نحن الشرقيين واسهبت في بيان علله وبسط اسبابه وبحثت عن وسائل الاستقواء. وهي لعمر الحق قد فعلت عن غيرة وطنية ونزعة جنسية وسواء أصابت أو أخطأت فانما العبرة بالنية لا بالنتيجة وعليه فلا تبخس حقها من الاطراء اذا كانت تداوى بالداء . وها نحن باسطون فى هذه المقالة الوجيزة علة ضعفنا ووسيلة استقوائنا هدانا الله سواء السبيل .

لا جدال على ان القوة على قدر الشيء القائم بها ففي الاشياء الطبيعية والميكانيكية يعبر علماء الطبيعة عن وحدة القوة بقوة الحصان فيقولون عن قوة آلة بخارية انها تساوى قوة كذا حصنة مثلا ويعبرون عن قوة اندفاع نهر انها تساوي قوة كذا حصنة أى ان مجموع القوة المؤلفة من قوة الاحصنة تساوى قوة تلك الآله او اندفاع ذلك النهر الخ . وهذا يدلك على ان القوة يمكن ان تجمع وتؤلف كسائر الاشياء . وكل مرء يعلم من نفسه انه اذا رفع بيد واحدة عشر اقات استطاع ان يرفع بيده الاثنين عشرين أقة (بقطع النظر عن اعتبارات اخرى) . ومعلوم ايضاً ان ما يفعله رجل في عشرة ايام يمكن ان يفعله عشرة بيوم واحد .

لذلك ترى انه في الاعمال العظيمة التي تقتضي قوة كبيرة دفعة واحدة يضطر الناس الى التعاون للقيام بها . مثال ذلك اقتضى الامر ان ترفع روافد حديدية ليسقف بها بيت ومعلوم ان الرجل يقدر ان يرفع اكثر من خمسين أقة مثلا ولكن ثقل الرافدة الواحدة خمسة آلاف أقة فماذا يفعل الناس لرفعها كما هى ؟ فلو امكن تجزئتها الى مئة جزء لاستطاع رجل واحد ان يرفعها كلها جزءاً بعد آخر اما وهى لا تتجزأ فلابد من تعاون مئة رجل على رفعها لا تقوم الا بقوة عظيمة والقوة العظيمة لا توجد الا بتألف مصادر القوات وبالبداهة يعلم ان القوة المجموعة

(*) الرائد المصرى ٤ مايو ١٩٠٠ .

تساوى مجموع مصادرها .

ذلك فى الطبيعيات ومثله فى الادبيات وغيرها بلا اختلاف ففى الاعمال الاقتصادية لا تقوم الاعمام العظيمة الا باشتراك المتمولين كما هو معلوم . وعلى هذا المبداء ألفت الشركات المالية وقامت باعظم الاعمال.

وعلى هذا المبدأ نظمت الجندية انه باجتماع الجنود تحت لوا واحد تنضم قواهم وتتحد فتكون قوية جداً. وتوحد قوى الجنود هو سر غلبتها على أضعافها من الرجال غير المنظمين نظاماً عسكرياً .

وقد تبسطنا جيداً في ايضاح الاتحاد وتأثيره ومفاعيله لكى نثبت أنه ناموس عام يطلق علي كل حركة في هذا الكون سواء كانت طبيعية اودبية بلا استثناء . وبناء على ثبوت هذه الحقيقة لزم ان تكون قوة الامة مساوية لمجموع قوى افرادها اذا كانوا متحدين معاً لتأليف هذه القوة. واذا لم يأتلفوا معاً ليتعاونوا ويتعاضدوا كانت الامة بلا قوة على الاطلاق لان قوى الافراد ينفي بعضها بعضاً اذ ذاك لتضاربها وتقاطعها وتعارضها

فاذاً لا وسيلة لان تكون الامة ذات قوة عظمى الاّ اتحاد افرادها وتألفهم وخضوعهم لنظام واحد بحيث تتفق قواهم على غاية واحدة وتتجه الى جهة واحدة وتسير على خطوط متوازية كتفاً الى كتف اجتناباً لتعارضها المشار اليه. فاذا كانت الامة متحدة هذا الاتحاد كانت ذات "وطنية" او "جنسية" والا كانت ميتة لان حياة الامة بوطنيتها .

فاذاً يكون تعريف الوطنية حسبما تقدم "اتحاد افراد الامة كلهم على غاية واحدة آئلة لخير الامة وسلوكهم كلهم سبيلا واحداً أو سبلا متوازية تتجه كلها الى هذه الغاية بحيث لا تعترض خطة الواحد خطة الآخر فيعيق بعضها بعضاً"

اذا كان الامر كذلك فهل ترى تعد الامة العثمانية او بالاخص الامة المصرية ذات وطنية حقيقية او لا ؟ – ولتحقيق ذلك نبحث عن اعمال الامة الاجتماعية فان كانت كلها ترمي الى غاية واحدة في سبيل واحد او سبل متوازية كانت قوة الامة كاملة وكانت الامة نفسها ذات وطنية والا فلا .

فكرنا ملياً وبحثنا طويلا فلم نجد للامة اعمالا اجتماعية ذات أهمية عظمى وجل ما يذكر من اعمالها الاجتماعية الاعمال الخيرية وهى قليلة جداً بالنسبة لاعمال سائر الامم المتمدنة . اما هذه الاعمال فهي نتائج جمعيات خيرية طائفية متعددة وكل واحدة منها ترمي الى غاية خاصة وتسير في سبيل خاص اى ان كل طائفة من طوائف الامة تؤلف لنفسها جمعية خيرية لمساعدة فقرائها ليس الا. فعندك الجمعية الخيرية الاسلامية الشهيرة وهى مؤلفة من سراة المسلمين لاعانة فقراء الملة لا سواهم ومثلها الجمعية الارثوذكسية والجمعية الكاثوليكية والجمعية القبطية الخ واما جمعية مصرية او جمعية عثمانية فلا تجد ولكن اذا استسميت جمعيات الافرنج في هذا القطر رأيتها تنسب كلها الى جنسياتهم لا الى اديانهم وتضم كل مللهم ونحلهم بلا تمييز ولا اعتبار فترى جمعية فرنساوية وجمعية تليانيه وجمعيه يونانية وجمعية انكليزية الخ .

وقد استنتج مما تقدم آنفاً ان تعدد هذه الجمعيات الطائفية أو بالحرى ان الاقتصار عليها وحدها يوهن قوة الامة يضعفها لتجزؤ قواها وعدم اتجاه هذه القوي الى وجهة واحدة. وهذا علة ضعفنا بلا مشاحة .

ولكى نستقوى استقواء تاماً يجب أن تتحد قوانا كلها في سبيل واحد للقيام باعمال اجتماعية كثيرة وكبيرة وجديرة بالاعتبار وآئلة الى خير الامة كلها بلا تمييز. فقبل كل شيء يجب ان يكون لنا عمل اجتماعى عمومى عظيم فيه على الاقل خاصة الامة من كل ملة فيكون هذا الاشتراك مظهراً من مظاهر الوطنية الحقيقية ودليلا من أدلة الحياة .

وما دامت أعمالنا الاجتماعية مصبوغة بالصبغة الدينية لا الجنسية فلا وطنية لنا ولا حياة وبالتالى لا قوة . فيجب ان نعمل عملا عمومياً مصبوغاً بصبغة وطنية محضة لكي يزيل من الإذهان تاثير الجامعات الدينية الذي اقله التعصب الطائفي وهو من اعظم العوامل المضعفة لنا لا محالة . والامل ان ينتبه دعاة الوطنية الى هذه الحقيقة الراهنة لكيلا يداووا علل الامة بادوائها.

يجب ان تترك الامور الدينية للضمائر فهى التى تناجى العزة الالهية وتستمد منها النور الديني. وثم يجب ان تنصرف النزعات كلها الى الجامعة الجنسية لاننا بها وحدها نستقوى

ويتعدد الجامعات الدينية تضعف هممنا وتحل عزائمنا وهي عدو لنا من انفسنا . يجب ان نتشبه بالاجانب فى أمر الاتحاد الجنسى الوطني لانه وحده كان علة نجاحهم واستقوائهم ولا ريب ان يكون وحده علة نجاحنا واستقوائنا . الجامعة الوطنية اقدس الجامعات لانها اعظمها واشملها اذا كانت الغاية التقدم فى مضمار الحياة الدنيا لان الجامعة الجنسية تدور على ما في هذا الكون والجامعات الدينية تختص بما هو وراء الحياة فهى دون تلك أهمية ومقاماً في موضوع التقدم المدني . فاذا كانت لنا الجامعة الاولى انتفعنا من الجامعات الاخرى والا كانت هذه الجامعات علة ضعفنا لا محالة .

هذا ولا نقصد نحن ان يغفل امر الاديان بل بالحرى نتمنى ان تكون المبادئ الدينية مهما كان نوعها معزّزة ومؤيدة لان الدين هو الشريعة الفعالة الحاكمة على الضمائر وليس شريعة تؤيد الفضيلة وتنهى عن الرذيلة نهياً باتاً بلا مداجاة مثل الدين . ولما كانت اشهر الاديان ترمي الى غاية واحدة وهى تعزيز الفضيلة وتاليف القلوب فالمنتظر من رؤساء الاديان ان يسعوا معاً الى هذه الغاية وينبذوا التعصب المذهبى لانه ينافى مبادئ كل دين . فاذا كان رجال الدين يسعون هذا السعى يقل الفساد ويعم السلام ويسهل اتحاد افراد الامة والا كانت اعمالهم تهدم ما يبنيه دعاة الوطنية.

ويسرنا انه فى الاعوام الاخيرة انبلج صبح الميل الى الجامعة الوطنية اذا اشترك سراة الامة من كل الملل بلا تمييز بعمليين أحدهما جنسى والآخر وطنى وهما الاحتفال بعيد الجلوس السلطاني والاحتفال بعيد الجلوس الخديوى فكانا بشرى بانتباه الامة من غفلتها وبانضمامها في جامعة الوطنية .

غير ان هذين الاحتفالين لا يكفيان ان يكون ثمرة من ثمرات الجامعة الوطنية بل يجب ان نترقى منهما الى عمل اعظم ذى فائدة كبرى للامة يكون خير ثمرة من أثمار وطنيتنا – والله الموفق الى الصواب .

قـــراء الـعــربـيــة (*)

لا نقدر أن نلقي كل اللوم في كساد بضاعة الادب وخساسة سلعه على الكتبة وحدهم فالقراء شركاء أيضاً بتحمل هذا اللوم لان البضاعة تكون حسب رغبة الشارى لا حسب رغبة البائع ، فالكتبة يحترفون الكتابة ليرتزقوا منها أولا وليخلدوا لهم ذكراً حسناً ثانياً وليفيدوا عامة الشعب أخيراً. فاذا كان الشعب لا يطلب ما يفيده ولا يرغب في القراءة فماذا يفعل الكتبة ؟

والامر الطبيعي ان الكتبة يلاحظون ميل الشعب وأهواءه ومبلغ علمه ودرجة فهمه وثم يصيغون أفكارهم وآراءهم في قالب لغة يفهمها الشعب ويكسونها ثوب أسلوب يستحسنه القراء والا فلا أحد يلتفت الى ما يكتبون ولا أحد يصيخ إلى ما يقولون ولذلك يقضى على صناعتهم وتموت حرفتهم ويبقى الشعب هائماً في جهالته .

وبناء على ما تقدم ترى أن موقف الكتبة في هذه البلاد حرج جداً وصناعاتهم لا تحيا الا بهمة فائقة وبضائعهم لا تروج الا بالحيلة وذلك لاسباب :-

أولا ان عامة الشعب قلال العلم فالسواد الاعظم منهم أميون لا يعرفون كيف يمسكون الكتاب ولا فرق عندهم بين سواده وبياضه . وليس الذين يحسنون القراءة والكتابة الا نفر قليل تخرجوا في المدارس العالية ودرسوا العلوم في اللغات الاجنبية ولهذا يؤثرون أن يطالعوا كتابات الافرنج فيجتزئون بالكتب الافرنجية والصحف الاوربية عن الكتب والصحف العربية لزعمهم انه ليس في العربية كتبة يستحقون أن تقرأ كتاباتهم وان العربية لغة قديمة عقيمة لا يستقيم التعبير فيها عن الافكار المستطرقة والمعاني المستجدة . واذا تقصيت نياتهم رأيت ان هذا الزعم مجرد دعوى يسترون بها تنطسهم عن جنسيتهم ووطنيتهم ويصرفون الظن به عن اغراقهم في التفرنج المطلق الذي يعد عندهم حقيقة التمدن .

(*) الرائد المصرى ٢٠ أبريل ١٩٠٠ .

فهؤلاء الاخصاء أعداء لغتهم وبالتالى أعداء وطنيتهم لان اللغة صورة الوطنية وجسم أقنومها . وباعراضهم عن قراءة لغتهم كأنهم يميتون اللغة التى رضعوها مع اللبن لانه اذا لم يكن للكتبة قراء مثل هؤلاء المتخرجين فلا يكتبون ما ينافسون به الكتبة الافرنج ولا يجيدون .

ولا مشاحة فى أن اللغة العربية تعد من أفصح اللغات الحية وأبلغها وأغناها ألفاظاً وأفسحها مجالا للتعبير فاذا نشط الكتبة الى الكتابة فيها حسب النسق العصري أعادوا لها رونقها القديم وشادوا بناءها الدارس وأعادوا مجدها الغابر وبطل فخر اللغات الاوروبية عليها . فعلي هذه الطبقة من القراء اللوم الأول فى كساد بضاعة الادب والتهاء بعض الكتبة بسفاسف الامور .

ثانياً ان الجانب الاكبر من قراء العربية الباقين القليلى الالمام بالعلوم أو العديمي الالمام بها كسلون عن الطاعة متقاعدون عن الدرس وربما لا يفتح الواحد منهم كتاباً بعد خرجه من الكتاب فى بقية حياته حاسباً ان ما تلقنه في المدرسة الصغرى من أصول القراءة البسيطة والكتابه كاف له فى عمله بحيث انه يقدر أن يقرأ تحريراً يرد اليه ويكتب جواباً على التحرير وهو ليس في حاجة الي أكثر من ذلك .

ومن هذا الاعتبار ترى مبلغ جهل هذه الفئة ودرجة غباوتها . فيجهل هؤلاء الناس ان هذا العصر عصر المدنية والارتقاء وتنازع الناس البقاء . وان الارتقاء والتنازع لا يتسنيان لاحد بلا احراز العلوم وأميالهم وآرائهم وان احراز المعرفة لا يتيسر الا بدرس المؤلفات الجديدة ومطالعة الصحف السيارة

فهؤلاء الذين يكتفون بما عرفوه منذ الصغر من القراءة والكتابة البسيطتين ليس بينهم وبين الاميين الا فرق زهيد جداً وهو أمر القراءة والكتابة فقط وأما من حيث المدراك والمعارف فالاميّ وهذ القاريء الكاتب سيان. وحاصل القول ان هذه الفئة كفئة المتخرجين لا تتخذ من بضاعة الادب شيئاً وليس للكتبة سبيل لايصال نصائحهم اليها وحثها على المطالعة والدرس والتحبيب بما فيهما من اللذة. ذلك هو الذي يحدوا أرباب الصحف أن يطرحوا صحفهم بين أيدي هؤلاء البسطاء طرحاً ويعرضون عليهم بضائعهم عرضاً ويتحيلون الحيل الدنيئة أحياناً

لحملهم على قراءة ما في هذه الصحف لكي يتعودوا القراءة .

وسبب هذا العيب في الاصل انما هو المدارس الصغرى التي جعلت تعليم الصغار في كتب مخصوصة ضيقة المجال بل المعلمون الذين لا يهمهم الا أن يعرف تلميذهم الحروف العربية وقراءتها البسيطة فقط . فلو كان هؤلاء المعلمون يفقهون عقل التلميذ بتدريس بعض الكتب العصرية ويطلبون منه تفهُّم معانيها لكان التلامذة يميلون الى القراءة للاطلاع على المعاني الجديدة والاستفادة منها ومن ثم يرغبون في مطالعة التاليف الجديدة والقديمة والصحف السيارة .

ثالثاً بقيت فئة قليلة من قراء العربية ترغب في المطالعة وهي فئة الذين قلما يلمون بالعلوم والمعارف العصرية ولسوء الحظ أن هؤلاء قلما يبتغون الاستفادة مما يقراون. وبما ان معارفهم قليلة فلا تلذ لهم الكتابات العصرية الجديدة المشتملة على الافكار الحديثة المسبوكة في قوالب مزخرفة ومنمقة وفي لغة بليغة وانما تلذ لهم الكتابات المبتذلة القريبة من اللغة العامية والخالية من الافكار السامية والمعانى العليا .

ولهذا ترى هؤلاء القراء يتهافتون على القصص الخرافية والملح الهزلية والنكات الساقطة ولكن اذا كتبت لهم رواية أدبية مفعمة بالمعانى السامية والمقاصد الصالحة مثلا فقلما تجد منهم من يطلبها لانها لا تلذ لهم .

فلا عجب اذاً ان ترى الكتابات البليغة السامية كاسدة والاقوال السافلة ذات المعاني التافهة رائجة وليس لك أن تعجب من أن صناعة الكتابة يحترفها كثير من غير أهلها وان كثيراً من أهلها يعرضون عنها. ولا تلم الكتبة اذا لم يجيدوا فى كتاباتهم أو اذا أعرضوا عن المواضيع الادبيه المهذبة للامة لانهم انما ينسجون ما تلبسه عقول الامة

فافضل الوسائل لاصلاح هذا الخلل : -

أولا/ ان يجتهد الكتّاب بنشر المبادئ القويمة والآداب الصحيحة ويتدرجوا شيئاً فشيئاً الى المواضيع السامية والى الطرز الحسن والاسلوب العصرى لكى يتعود القراء (وان كانوا قلالا) رغبة البضاعة

الحسنة والتمييز بين الغث السمين ويكونوا قدوة لغيرهم ومرغبين لهم في ما يستحسنونه هم والا فما دام الكتبة يبعدون عن السبيل القويم ويقودون القراء بل كل الشعب الى الضلال فيستحيل اصلاح الامر . فأول خطوة من خطوات الاصلاح يجب أن يخطوها الكتبة لانهم في مقدمة المشاة .. وهم قد قُدِّر عليهم أن يقاسوا مشقات الارتقاء واتعاب قيادة العامة الى مواطن الهدى والرشاد .

ثانياً/ أن يميل الافراد المتخرجون الى مطالعة الكتابات العربية لثلاثة أغراض فأولا لتنشيط الكتبة الى الكتابة الجيدة واختيار المواضيع الحسنة ونشر الافكار السامية والآراء الصائبة حتى اذا وجدوا من يطالع كتاباتهم نشطوا من عقالهم وأنبروا الى مضمار هذه الصناعة الشريفة وظهر أذ ذاك من الزوايا خبايا . ثانياً لاحياء معالم العربية ورد مجدها السالف لانها عنوان الوطنية ورسم الجنسية فاذا ماتت اللغة زال أعظم رابط من روابط الجامعة وبالتالى ضاعت الجنسية لانهم سيجدون فى العربية ما يفيدهم ويلذ لهم ولو بعد عهد قصير كما يجدون في الافرنسية وغيرها

ثالثاً/ ان ينتبه القراء المعول عليهم من غفلتهم ويعلموا ان اقتصارهم على قراءة سفاسف الاقوال وتوافهها يضيع وقتهم بلا فائدة وان يعودوا أنفسهم قراءة الكتابات المفيدة السامية وتفهمها وفي عهد قصير يصرون يرغبون فيها ويطلبونها بشوق لما يجدونه من اللذة فيها .

رابعاً/ أن تعد الكتاتيب الصغرى التلامذة الذين يكتفون بما يتلقون فيها الى فهم ما يقروان وتحبيبهم بالدرس والمطالعة. فاذا تسنى كل ذلك ففي عهد قصير نرى نهضة أدبية عجيبة ونرى سوق الادب رائجة وآداب البلاد مترقية ترقياً ظاهراً

العلم في الاسلام(*)

العلم أنار الله بصائرنا به هو الحد الفاصل بين الانسان الناطق والحيوان الاعجم ولو كان فضل الانسان بالنطق بغير علم لكان هو والببغاء على السواء "خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان".

والعلم أرشدنا الله بارشاده لا ينتهي عند حد ولا يقف عند نهاية وربما تنتهي مطالب الانسان في أطماعه بين أدوار حياته ولكنه لا ينتهي له في طلب العلم طمع ولا تنقطع له رغبة فهو اللج بغير ساحل والفضاء بغير آخر والخط لا يتناهى الى غاية. وليس شئ من أشياء هذا العالم يتوق الانسان اليه وتشتد رغبته في الحصول عليه الا ويكون مصحوباً بالملل والسأم عند تمكن الانسان من تحصيله وانقضاء حاجته منه الا العلم فانه ما دخل امرؤ بابه وسلك سبيله الا اشتعل صدره ولوعاً بالتوسع فيه والتهبت نفسه شغفاً بالاستزادة منه وكلما وصل الى دائرة منه اتسعت أمامه دوائر واتسعت معه دوائر فكره كالماء يلقى فيه الحجر. والفكر كأعضاء الجسم تزداد قوةً واستعداداً كلما زدتها تربية واستعمالا.

وقد كان العلم في جاهلية الامم كنزاً يبالغ في كتمانه من اهتدى اليه ونوراً يستره عن الاعين من بصر به يجعله لنفسه مزية يمتاز بها عن سواه ومرتبة يتفرد بها دون غيره ليكون بها بين الناس رئيساً يمتلك اغراضهم ويستبعد اهواءهم ويجعلهم مقيدين بسلاسل الجهل واغلال الضلال يتحكم فيهم بغوامض علمه ويملك قيادهم بأسرار معرفته. وعلى هذا قامت الرئاسات في الملك والدين مدة العهد القديم وكان الناس لا يزالون على هذا والعلم بينهم على تقلب الازمان يتبلج تارة ثم يخبو ويرسب طوراً ثم يطفو حتى جاء الدين المسيحي والاستبداد في الدولة الرومانية بالغ مبلغه وحب الرئاسات والمناصب متسلط على القلوب متغلب على النفوس ناشب في الصدور فقام الدين عند الرؤساء ونبذوا ما وراء ذلك مما وصل اليه الفكر البشري قبل عصرهم وحسبوه ضلالة وعدُّوه بطلاناً فحالوا بينه وبين الناس بطمس آثاره واعفاء معالمه فاختفت كتبه من يونانية ورومانية وضربت عليها الارصاد والطلاسم فكان اذا قام قائم من الناس يدل على كنز من كنوز العلم ويرشد الى سر من أسراره قام في وجهه من الرؤساء ومتابعيهم من العامة

(*) مصباح الشرق ٦ أبريل ١٩٠٠.

من يفسقه ويضلله ويرميه بالزندقه والكفر ويعاقبه أشد العقاب بالضرب والقتل والتعذيب والتحريق فكم تلوثت صفحات التاريخ بدماء الشهداء من العلماء واحداً بعد واحد وكم عاش من عاش منهم مشرداً طريداً أو مكبلا أسيراً . ولا زال الحال على ذلك من تقييد الافكار وحبس النفوس وسجن العلوم الى ان قامت الفتن والحروب وانبسط الاختلاط بين الشعوب وانتشرت المواصلات بين الاقطار وتطلعت النفوس الى اقتداء بعضها ببعض وتشبه فريق منها بفريق في حل القيود ونزع الاغلال والخروج من ظلمة الاستبداد الى نور الحرية ومن حصر الفكر الى اطلاقه فأخذ العلم يظهر بين عامة أهل المغرب ويضيء سناه فيهم وتنكشف أسراره لهم وترسخ قواعده عندهم وتقوم حجته بينهم وهم يزدادون فيه رغبة ما ازداد لهم تبلجاً ويتمادون فيه تولعاً ما تمادى الرؤساء لهم فيه تعنتاً فقويت بذلك حجة العلم وانتصر لواؤه وأذعن فريق من الرؤساء الى قوة سلطانه وأشرقت عقولهم بنور برهانه وجاهروا بان الدين لا يناقض العلم لوا ينهى عن كشف أسرار الوجود وبقي فريق منهم متمسكين بمزاعم الرئاسة مستمرين على أوهام التحكم والتسلط فناصبوا أهل العلم ونقموا عليهم اشتغالهم به فلم يزدهم ذلك الا أخذاً بنواصيه وتوسعاً فيه فتم لهم النصر وأمكن لهم الظفر وأصبحت القاعة التى أقسم فيها "غاليلى" مقهوراً مجبراً تحت تخت البابا هى القاعة التى يشرحون فيها اليوم كيفية دوران الارض وتنوع حركاتها

ولقد جاء الدين الاسلامى الحنيف وسط بساط البداوة وحرية الفطرة داعياً للناس الى المساواة في الحقوق البشرية مؤسساً للاجتماع على قواعد الحرية والاخاء مطلقاً للافكار من عقالها منادياً الى التأمل فى أنواع المحسوسات والمعقولات آمراً بالتعليم والتعلم ناهياً عن كتمان العلم متوعداً بأشد العقاب من عرف علما وأخفاه على الناس فأخذ أهله منذ صدره الأول يتوجهون وجهة العلوم وتولد فيهم حب استطلاعهم فشرعوا ينقبون عن آثارها ويتتبعون مظانها ويستوضحون طرقها فيقضى الرجل منهم عمره في الاسفار لاستقصائها والسعى وراءها فكم جابوا القفار وقطعوا الاودية وركبوا أخطار البحار لتحقيق لفظ وتدقيق معنى وكشف أثر فأزاحوا عن كتب العلم الارصاد وفكوا عنها الطلاسم وعمدوا الى تلك الكتب اليونانية والرومانية التي أقامت دهوراً فى محابسها لا ينتفع منها أهل لغتها فترجموها الى العربية يتساوى فى العناية بذلك الرئيس والمرؤوس فتجلى لهم العلم من خلال سطورها وسطعت عليهم أنوار الحكمة من ثنايا حروفها فاتسعت بذلك دوائر أفكارهم وسمت مراتب مداركهم فبرعوا فى الرياضيات

والطبيعيات واستنبطوا القواعد وقروا الاحكام فى العلوم والفنون واكتشفوا أسرار الطبيعة فى معدنها ونباتها وحيوانها فأزهرت فى دولتهم دولة العلم وعز سلطان المعرفة ودام فيهم مرتفع المنار معزز الجانب أحقاباً كثيرة حدث فيها ما حدث من حروب الدين وتألب الغرب على الشرق فاختلط أهل الغرب بأهل الاسلام وعلموا منهم الطريق الى العلوم فسلكوها وعادوا الى تلك الكتب وقد عرفوا فضلها فتداولوها ونظروا فيها ونشروها فيما بينهم دراسة واحاطة فنمت فيهم جذور العلم وتشعبت أصوله واشتعلت جذوته واشتدت الرغبة فيه والانكباب عليه الى ان بلغوا فيه المبلغ الذي نراهم عليه الآن. ومن ذلك العهد أخذ قدر العلم عندنا ينحط ودرجته تتنازل بتلك العلة علة حب التسلط والترأس من طريق الدين واختلط بالدين ما ليس منه من تأويلات المضلين وأباطيل مما يثبط الهمة عن طلب العلم ويقعد بالنفوس عن مشاق السعي فأصبحنا نعد الفلسفة كفراً والمنطق زندقة والرياضيات ضلالة والطبيعيات بدعة والكيمياء فرية ونحن مع ذلك نفاخر بابن رشد ونباهي بابن سينا ونغالي بابن حيان ونعجب بالرازى ونتبجح بأن العرب هم المستنبطون لعلم الجبر المخترعون لبيت الابرة الواقفون على خوافى الكائنات وحقائق الموجودات فوقعنا في التناقض قولاً وفعلاً وخيل للناس من شدة البهتان على الدين أنه ينفر من العلم وينفر عنه

ومن غرائب الحدثان وأعاجيب الزمان أن جامعنا الازهر الذى تأسس ليكون منبعاً للعلوم ومستودعاً لأساليب المنطوق والمفهوم ومنهلاً لطلاب المعقول والمنقول قد انتهت به االحالة اليوم الى المناقشة والمجادلة بين أهله في أن علم الحساب وعلم تقويم البلدان مثلاً من العلوم الضارة أو النافعة وقام من قام منهم يظهرون التأذى والتضرر من ادخال مثل هذين العلمين بين قومهم وأخذوا ينشرون على الملأ أن الاشتغال بهما في الجامع الازهر مضر بالدين مُله عن التضلع في علوم شريعته معطل لاسبابٌ التحصيل والاستفادة عناداً منهم وتعنتاً وخلافاً لما لا يجهلونه من ارتباط الدين بالعلم وهروباً بالناس من اتساع الفكر وارتقاء الذهن وتنوير الفهم فعرضوا الدين بذلك الى سوء الظن فيه وتحقيق فرية الغير عليه فى وقت يحاول فيه المسلمون الآن أن يتعاونوا على اظهار دينهم فى مظهره الحق والعود به الى محجته البيضاء وطريقته السمحاء واقناع الغربيين بوجوب الاقلاع عن الارتياب فيه وسوء الافتراء عليه. وأى اساءة للدين أبلغ من ان يسطر طلاب علومه فى سيارات الصحف أن علم الحساب معطل لعلم الدين مضر بمعرفة شريعته . وأى غربي يسمع مثل هذا القول من بعض علماء المسلمين ولا يذهب فكره الى التأمل فى تلك الكلمة التى كان يكررها غلادستون على لسانه أيام حياته فى الافتراء على الدين

الاسلامى بأنه مخالف لا يتفق مع علوم المدنية الحاضرة والترقى بأهله الى مماثلة الغربيين في تمدنهم .

وأى النوادب لا تندب وأى النوائح لا تنوح على هذا الحال من الانحطاط فى العلم وقد كان ينبغى على مقتضى القياس ان يكون الجامع الازهر مبنعاً للمعقول والمنقول جامعاً لعلوم الموجودات ومعرفة دقائق المخلوقات لما فى ذلك من الحجج الدامغة والبراهين القاطعة على وحدانية خالق الوجود جل شأنه المتلاصقة بعلم التوحيد المتلازمة معه لا أن يصبح وقد كاد يتجدد فيه ما اندثر فى تلك الازمنة من نكران العلم وجبر الناس على نبذة واتقاء العمل به والاقتصار على معرفة فرائض الدين وسننه ومسائل الفقه وقواعد النحو يدورون في دائرتها طول عمرهم وأيام حياتهم

وأى تعطيل زعموه يحدث لعلم الآداب الدينية ولم يتقدم لطلب المكافأة فيه من هذا الخميس العرمرم سوى ثلاثة أشخاص نجح منهم فرد واحد .

وأى تعطيل زعموه يحدث لفن الانشاء فى اللغة العربية ولم ينبغ فيه من هذه الكتيبة الخرساء سوى شخص واحد

وأى تعطيل زعموه لعلوم تعطلوا فيها كل هذا التعطيل وتأخروا فيها كل هذا التأخير . اللهم أن هذا التعطيل لم يحدثه الا ضيق الذهن باهمال الممارسة للعلوم العقلية على طريقة الترقى الحديثة وخمود الفكر عن مزوالة المعارف العصرية المفيدة وحبس النفس على تلك الطرق القديمة والأساليب المشوشة والمناهج العقيمة فى التدريس والتعليم والتلقين والتفهيم .

فيا علماء الازهر الكرام ويا رجال الدين القويم نداء ينبعث من أعماق قلوب المسلمين في سائر الارض أن تأخذوا بأسباب التعاضد والتآزر والتضافر والتناصر على ابراز الدين الاسلامى فى حلة فطرته الطاهرة فطرة اللّه التى فطر الناس عليها وأن تلجموا بحقيقة الدين لسان كل من يحدث بقوله سوء الظن فيه نفع اللّه بكم المسلمين وأعلى بكم شأن الدين وأحسن لكم الجزاء فى خدمته يوم يقوم الناس لرب العالمين

ويا أيها الشيخ الجليل والاستاذ الكبير شيخ الجامع الازهر نسألك بحق العلم عليك وحرمته منك وكرامته لديك الا ما حسمت بصائب نظرك هذا الجدال وضربت بعظيم حزمك على أفواه من يفرقون بين العلم والدين ويحصرون العلم بجملته ضمن دائرة محددة معينة ذاهلين عن قوله أحكم الحاكمين وأعلم العالمين "وقل رب زدنى علما" والله يجزيك على ذلك جزاء المجتهدين انه ولى الصالحين .

خطاء مصر (*)

جاءتنا اليوم رسالة مطبوعة عنوانها "أيهما المسيح ام محمد" ولم يذكر عليها اسم مؤلفها فتصفحناها فاذا هى مقابلة بينهما فى الولادة والصفات والمعجزات والموت مبنيةٌ على آيات من التوراة والانجيل والقرآن وقد قصد صاحبها منها حض قارئها على الالتجاء الى السيد المسيح وهو قصد يستحسنهُ المسيحيون ويعدونهُ واجباً على كل مسيحي ولكنهم يختلفون في استصواب الطريقة التي اتبعها الكاتب لبلوغ قصده هذا ونحن من جملة الذين لا يستصوبونها لانها طريقة تؤدي الى ضد الغاية المقصودة منها فتؤلم عواطف قارئها من السادة المسلمين وتثير سخطهم وتوسع الخرق بينهم وبين المسيحيين جيرانهم وتكرّه اليهم. ويشهد تاريخ الاديان في كل زمان ومكان ان المجادلات التى تبنى على تفضيل دين على دين ومقابلة شخصٍ بشخص مجادلات اثارت الحروب والفتن وولدت العداوات والضغائن بين الامم وزادت الناس تشبثاً بآرائهم ومذاهبهم واصراراً على الخطأ والمكابرة للثبات في ميدان العناد والمجادلة.فهي تضيع الفائدة المقصودة وتزيد الشر والضرر وهذا لا يرضي الله ولا ينفع بني البشر

ولذا كنا نود لو ان صاحب الرسالة ايًّا كان اجتنب هذه الطريقة المضرة في السعي الى بلوغ قصدهِ واتبع الطرق التى ثبت فوائدها بعد الامتحان وطول الاختبار كالتعليم والارشاد والوعظ والحث على التقوى والقدوة الصالحة والاعمال الحسنة ونحوها مما يشهد بفضل الدين بلا مقابلات مؤلمة ولا مجادلات مثيرة للضغائن والاحقاد

ولما كانت تلك الرسالة قد اغضبت السادة المسلمين كثيراً على ما اتصل بنا وكنا نعلم علم اليقين ان منهج صاحبها لا يروق عقلاء المسيحيين وفضلاءهم وانما يروقهم ما يحمل الناس على

(*) المقطم ٢٥ أبريل ١٩٠٠ .

الاهتمام بالصلاح سيرتهم وسريرتهم وخلاص نفوسهم بلا منازعات وعداوات فنحن نؤمل ان السادة المسلمين لا يرون في هذه الرسالة غير ما يراهُ جيرانهم المسيحيون من الخطأ في المنهج الذي نهجهُ صاحبها وانهم يعتقدون ان المسيحيين عموماً يأبون كل ما من شأنه تكدير الصفاءِ بينهم وبين جيرانهم ويكرهون الرجوع الى خطاءِ اهل الزمان السالف وزرع الخصومات والعداوات بالمجادلات .

هذا والشائع ان صاحب الرسالة اجنبي جاءَ هذا القطر حديثاً وهو يجهل عادات اهلهِ وعلائقهم وما يمكن ان ينتج النفع والضرر بينهم فاكتفى بقياس هذا القطر على الاقطار التي يعرف عوائدها اهلها وظن ان ما يصلح اتباعه هناك يصلح اتباعه هنا فطبع الرسالة ولم يكتفِ باعطائها لمن يطلبه منهُ بل جمع اسماءَ علماءِ القطر وعمدهِ ومشايخهِ وارسلها اليهم عفواً مع البريد وهو يحسب انهُ يحسن صنعاً ولا يدري انهم يعدون صنيعهُ هذا تعدياً عليهم وعدواة للتهم وطعناً في ديانتهم. فلو استشار او صبر حتَّى يعلم بالمعاشرة والاختبار ما لا يعلمهُ غريب الديار لعرف طرق النفع واتقى هذا الخطاءَ الكثير الضرر .

خطاء مصر (*)

اهتمت نظارة الداخلية بامر الكتيب الذى ظهرا حديثاً بعنوان (أيهما المسيح أم محمد) وأعارت ما كتبناه عنه جانب الالتفات حيث أخذت تبحث البحث الدقيق لمعرفة الجمعية التى طبعته واتخذت الاحتياطات اللازمة بمنع نشره وظهور ما يماثله فى المستقبل .

وقد اصدررت أوامرها الى جميع فروعها بجمع نسخ هذا الكتيب وارسالها الى النظارة لابادتها .

فنحن تلقاء ذلك لا يسعنا الا شكر نظارة الداخلية على هذا العمل الذى يكون من ورائه على الدوام اطمئنان الخواطر وعدم حدوث ما يكدر صفو الراحة العمومية بين الامة الاسلامية والطوائف المختلفة فى البلاد

(*) المؤيد فى ٢٥ ابريل ١٩٠٠.

شكران الحكومة (*)

لحضرة الفاضل الاديب صاحب الامضاء

حضرة الفاضل صاحب المؤيد الاغر كنت أول من نبه الافكار واستلفت الانظار الى تلك الرسالة التى عنوانها - أيهما المسيح أم محمد - بما كتبته فى جريدة اللواء الغراء بتاريخ ٢ الجارى و ٢٣ منه فى هذا الموضوع لما توجسته أولا ورأيته ثانياً من ضرر مثل هذا العمل الذى لولا ما عليه المصريون من الوداعة والميل الى السكينة لافضت الحال الى مالا تحمد عقباه. كما أن المؤيد قد رأى ما رأيته عندما وصله نبأ هذه الرسالة. الا انه لما كانت الحسنة لا تقابل الا بالشكران والمحمدة وقد رأينا من الحكومة الآن اهتماماً دل على انها نفضت يديها من كل تبعة تتعلق بهذه الرسالة باصدارها الاوامر بجمع نسخ هذه الرسالة ،منع نشرها والبحث عمن طبعها وتوزيعها فلذلك لا يسعنى الا شكران الوزارة عموماً وعطوفة رئيسها خصوصاً على هذا الاهتمام الذى هو من أقدس الواجبات فى مثل تلك الظروف وهذا الشكر ليس من شخص واحد بل من جميع الامة المصرية لا فرق بين مسيحي ومسلم اذ الكل يهمهم أن يعيشوا فى وئام تام. ولكن الذى نلاحظه ان يوالى عطوفة الوزير تعهده لهذا المسئلة المهمة في بابها حتى يظهر الفاعل الحقيقى سواء كان فى مصر من عهد بعيد أو حديث لان المصريين المسلمين ليسوا فى ضلالة حتى يحتاجوا الى مرشد يرشدهم الى الحق الذى هو جوهر دينهم اعترف بذلك غيرهم أو جحد

أما الذى لاحظه كل منصف مسيحيا كان أو مسلما على ما كتب المقطم فهو أن له معرفة بشخص صاحب الرسالة ان لم يكن طابعها وانه راض عما جاء فيها ومستحسن له كما يفهم من عبارته هذه

(وقد قصد صاحبها منها - أى الرسالة - حض قارئها - أى المسلم - على الالتجاء الى السيد المسيح بصفته الها كما هو المفهوم من الرسالة - وهو قصد يستحسنه المسيحيون ويعدونه واجبا على كل مسيحى).

(*) المؤيد فى ٢٦ ابريل ١٩٠٠ .

واذن يكون قد أثبت بوجه عام لنفسه ما أراد أن ينفيه عن صاحب الرسالة أو طابعها ولكنه يري أن يكون ذلك (التعليم والارشاد والوعظ)

ولم ندرما هي حكمة الفلسفة في احتياج المسلمين المصريين للتعليم الديني المسيحي والوعظ والارشاد الى طريقه حتى يتركوا ما يعتقدونه واذا كان يرى المقطم أن رسالة ذلك الواعظ أو المعلم أو المرشد الذى لا يدرى بما يدريه المقطم من ذلك قد أغضبت السادة المسلمين مرة فقد أغضبتهم مقالته أربعا وعشرين مرة وهو مع ذلك لا (يجهل عادات أهل "القطر" وعلائقهم).

فعسى أن ينجلي التحقيق الدقيق في هذه المسئلة التي تهم الامير والوزير والكبير والصغير والغني والفقير لا فرق في ذلك بين العالم والجاهل والمصرى البحت والمتمصر والوطني والمستوطن. عما يأمله كل محب للوفاق والوئام ليعيش المصريون قاطبة في هناء وسلام.

مصر في ٢٥ أبريل سنة ٩٠٠

(أحمد حلمي)

التعليق ....

تنازع المعارف والاوقاف في أمر الكتاتيب الأهلية

كان تنازع المعارف والاوقاف فى أمر الكتاتيب الاهلية من أهم القضايا التى شغلت الرأى العام فى مصر فى مطلع القرن العشرين. وقد بدأ هذا النزاع منذ زعمت نظارة (وزارة) المعارف العمومية أنها أحق ، أقدر من ديوان الأوقاف العمومية على إدارة الكتاتيب الأهلية، وقد تناولت كثير من الصحف المصرية هذه القضية، وعلى رأسها المؤيد فى أحد اعدادها - بتاريخ ١٧ مايو ١٩٠٠ - حيث رأت أن زعم نظارة المعارف العمومية باطل، لأن هذه الكتاتيب تابعة الاوقاف تحت اشراف الديوان، كما أن نظارة المعارف العمومية ليست أقدر - من وجهة نظر المؤيد - من ديوان الاوقاف على حسن إدارة تلك الكتاتيب. كما أن أصحاب تلك الاوقاف قد اشترطوا شروطا خاصة أهمها تعليم الاولاد القرآن الشريف حفظا وأصول الدين، وأن هذه الشرط لا يتم تنفيذه، بل لقد تم الحاق هذه الكتاتيب بنظام المدارس الابتدائية التى لا يعلم فيها الا جزء قليل من القرآن مطالعة الكتاتيب بنظام المدارس الابتدائية التى لا يعلم فيها الا جزء قليل من القرآن مطالعة لا حفظا. ثم أن نظارة المعارف قد تحصلت على مساعدات مالية كبيرة من ديوان الاوقاف باسم تلك الكتاتيب .

ثم يقدم المؤيد (فرضية هامة) هى أن ما يحدث للاوقاف الأهلية والخيرية فى زمن الاحتلال من عبث واهمال، انما هو بغرض ابطال الأساس منها وهو خدمة الدين الاسلامى، ونشره وتشجيع الناس عليه. ثم ينهى المؤيد حديثه بنتيجة مؤداها أن ضم الكتاتيب إلى نظارة

المعارف مخالف لنصوص الشرع والقانون ولأحكام العقل أيضا . ويجب على مجلس الشورى ان يحتج على ذلك، وأيضا يجب أن تحتاط الجمعية الاسلامية الخيرية وغيرها من الجمعيات الخيرية حتى لا تجد يوما مدارسها تؤل إلى نظارة المعارف العمومية مثلما حدث للكتاتيب .

ذلك هو رأى المؤيد فى تلك المسألة، ولكن ما هى الحقيقة التاريخية حولها؟! ان الحقيقة التاريخية تذكر أن جميع الكتاتيب تحولت اداراتها في سنة ١٨٨٩ من ديوان عموم الأوقاف إلي نظارة المعارف العمومية، ثم انضمت اليها المدارس الابتدائية التى تحولت إلى كتاتيب – لأسباب معينة – فى ١٨٩٧ . وكان عدد جميع الكتاتيب التى تحت مراقبة نظارة المعارف العمومية مباشرة فى سنة ١٨٩٩ (٥٦) كتابا . وكان عدد تلاميذ هذه الكتاتيب فى سنة ١٨٩٩ (٣٠٥٨) منهم (٢٥٣٩) بنين و (٥١٩) بنات، وكان عدد الفقهاء ٥٨، وعدد مدرسى الخط العربى والحساب ٢ .

وكمحاولة لاصلاح تلك الكتاتيب، وتحسين مستوى التعليم فيها، عينت النظارة فى وظائف الفقهاء والعرفاء التى خلت بالكتاتيب معلمين بمرتب ١٤٠ قرشا للفقيه و ٧٠ قرشا للعريف انتخبتهم من كشف المقبولين فى الامتحان الذى تم على حسب القرار الوزارى الصادر فى ٩ ديسمبر سنة ١٨٩٧، ورقت مرتبات المعلمين القلائل الذين قبلوا التوظف في الكتاتيب المذكورة عقب نجاحهم فى الامتحان .

أما عن الاماكن التى بها الكتاتيب فانها كانت سيئة للغاية، ولم يتم آية اصلاحات فى هذه المبانى لأن ديوان عموم الأوقاف لم يوافق على ما تطلبه نظارة المعارف العمومية بخصوص عمل ما يلزم من الترميمات. وهذه الكتاتيب تنقسم الى ثلاثة أقسام :

أولا : كتاتيب أكثر من حجرة واحدة ويتبع بعضها حوش أو فسحة لا يزيد مسطح اكبرها عن ٦٠ ياردة مربعة .

ثانيا : كتاتيب حجرة واحدة فقط لا يتبعها حوش وينقصها كثير من الشروط الصحية لكنها كثيرة الضوء وشروط التهوية بها متوفرة وموقعها فوق الدور الأسفل .

ثالثا : كتاتيب غير صحية بالمرة ويجب تغييرها بكل ما يمكن من السرعة .

وجدير بالملاحظة ان أبنيه الكتاتيب التى بالاقاليم، بشكل عام، أفضل بكثير من أبنية

الكتاتيب التى بالقاهرة وذلك لأنها كانت في الاصل مدارس قبل تحويلها الى كتاتيب (١) .

أما عن نظام الكتاتيب فإن النظارة لم تدخل الكتاتيب التابعة لها من النظام المدرسى الا القليل النادر، فالكتاتيب لم يكن سنة مكتبية وكان يتم تقييد التلاميذ ورفتهم برغبة الفقهاء، وكان يقررون المصروفات الاعلى من كانوا يريدون تقريرها عليهم ولم يكن هناك في قبول التلاميذ تقييد من حيث السن ولم يكن هناك امتحانات للانتقال من فرقة أعلى – وهو وضع يستحق الاصلاح – وفى عام ١٨٩٩ صرفت النظارة لتلاميذ الكتاتيب التابعة لها الكتب والادوات الدراسيةمجانا(٢) .

ولكن كل تلك الأمور لم تمنع الرأى العام من الخوف والقلق ورفض الاصلاح في هذه الكتاتيب بحجة أن التعليم الذى تقدمه نظارة المعارف يتغلب على التعليم الدينى الذى يرغبه ويحترمه الناس فى مصر .

---

(١) نظارة المعارف العمومية : تقرير عن الكتاتيب التى تديرها نظارة المعارف العمومية من ١٨٨٩ إلى ١٨٨٩ طبع بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية ١٣١٧هـ ، ١٩٠٠م ، ص ص ٢ – ٧ .

(٢) نفس المصدر ... ص ٨ .

تنازع المعارف والاوقاف

فى أمر الكتاتيب الاهلية (*)

نازعت نظارة المعارف العمومية منذ زمن ديوان الاوقاف العمومية فى أمر الكتاتيب الابتدائية زاعمة أنها أحق منه بادارة التعليم وهو زعم باطل من أصله لان هذه الكتاتيب تابعة الاوقاف تحت نظر الديوان المذكور وسائرة على شروط نص عليها الواقفون. ثم ان هذا الزعم كان يمكن أن يقبل من وجهة أن نظارة المعارف متفرغة لامر التعليم فهي أقدر من ديوان الاوقاف على حسن ادارة هذه الكتاتيب لو أقامت البرهان على أنها أحسنت في ادارة المكاتب الاهلية التى اقتطعتها من ديوان الاوقاف وما أساءت. ولكن حيث ثبت أنها أخلت بشروط الواقفين في ادارة هذه المكاتب وجعلت نظامها على غير الاصلح لناشئة المسلمين فليس للنظارة بعد ذلك أن تكر على البقية الباقية من دور التعليم التى لدى ديوان الاوقاف لتلحقها بما أخذت قبل

وتفصيل ذلك أن ديوان ان الاوقاف كان يدير الى بضع عشرة سنة جميع المكاتب الاهلية التى عليها أوقاف خصوصية من واقفيها بشروط مخصوصة أهمها تعليم أولاد المسلمين القرآن الشريف حفظاً وأصول الدين فهما وعملا. ومن أكبر الاوقاف على هذه المكاتب الاهلية تفتيش الوادي الذى وقفه المرحوم اسماعيل باشا الخديو الاسبق وكان ايراده تحت نظر ديوان الاوقاف نحو ٢٢ ألف جنيه فاستطالت يد نظارة المعارف على تلك المكاتب وأوقافها واقتطعتها منها ادارة ونظارة ولكنها لم تبق المكاتب على نظامها القديم بل ألحقتها بنظام المدارس الابتدائية التى لا يعلم فيها الا جزء قليل من القرآن مطالعة لا حفظا وهجر فيها تعليم أكثر الاصول الدينية التى

(*) المؤيد ١٧ مايو ١٩٠٠ .

كانت تعلم قبل وخلطت فيها العلوم مزيجاً وجعلت مكاتب عمومية للمسلم وغير المسلم وأبدل بعضها ببعض المدارس الابتدائية فأصابها النسخ والمسخ فخرجت بالمرة هذه المكاتب عن نظام شروط الواقفين وليس فى هذا الخروج اصلاح لنظامها بل هو افساد ظاهر ومحو للمقاصد الخيرية الاصلية التى حددها الواقفون.

ثم استطالت نظارة المعارف على ديوان الاوقاف باسم هذه المكاتب فتناولت منه مساعدات مالية وصلت فى السنة الماضية الى نحو ستة آلاف وخمسمائة جنيه سنويا فوق ما أخذت هذه النظاره قبل من الاوقاف لها

والآن رأت نظارة المعارف أن تأخذ من ديوان الاوقاف الكتاتيب الصغيرة التى يديرها على نظام شروط الواقفين لانه عز علي هذه النظارة أن ترى لغيرها سلطة فى تعليم هي قادرة على اغتصابها منه. وعضد مجلس النظارة نظارة المعارف فى هذا الصدد فاحتج مدير الاوقاف العمومية بالخلل الذى أحدثته هذه النظارة فى سير تعليم المكاتب الاهلية ابطالا لظروط الواقفين. ثم احتج كذلك بأن كثيرا من هاته الكتايتب تابع لاوقاف أهلية لها نظار من مستحقيها طبق شروط الواقفين ولكنها لأسباب وقتية خصوصية أحيلت ادارتها على ديوان الاوقاف حتي تزول الموانع الحاضرة فتعود تحت نظر وادارة أصحابها .

ولقد كان من العدل والانصاف أن لا تجاب نظارة المعارف في طلبها بل أن فصل منها المكاتب الاهلية وتعاد الى ديوان الاوقاف بعد ثبوت سوء تصرف النظارة الى هذه المكاتب اخلالا بشرط الواقفين جريا على القاعدة الشرعية المرعية فى ذلك بعزل كل ناظر على وقف ثبت اهماله أو اخلاله بشروط الواقفين.

ولكن مجلس النظار الذى أخذ على عهدته اجابة أصحاب السيطرة الفعالة فى كل ما يطلبون بحق وبلا حق فى نهاية الامر الحاق الكتاتيب التابعة لديوان الاوقاف بنظارة المعارف متعهدا أن النظارة تسير فى اداراتها على حسب شروط الواقفين. والى هذا الحد أنتى التنازع وبطلب حجة المحقين

ولكن الذى يهم القراء بعد ذلك أن يعرفوا ما آل أوقاف المسلمين الخيرية والاهلية فى زمن الاحتلال وكيف يعبث العابثون بها ابطالا للغرض المقصود منها. وهو شئ لا يحسن السكوت عليه فيه شريعة الحق والانصاف.

المعارف والاوقاف

وتعليم الناشئة المصرية

مصلحة الاوقاف المصرية تشبه الآن حامية حربية محصورة في مدينة محاطة من كل جهة بقوة عسكرية تروم فتحها واحتلالها وذلك منذ اتجهت اليها انظار الحكومة. وهي مصلحة شبه دينية اسلامية بل هي مقيدة بالشرع ونصوصه واهم تلك النصوص مراعاة شرط الواقف في التصرف بالوقف وريعه فلا يجوز لها ان تخالف تلك الشروط في عمل على الاطلاق . ولكن الحكومة تجبرها الآن على اتباع القرارت التي تقر عليها كيفما كانت صفتها فتخضع المصلحة لتلك القرارات خضوع الضعيف للقوي بعد اذ تدلي بحجتها المقنعة فلا تجد من يصغي اقوالها ولا يرعوي ببراهينها على حقوقها

والمشاكل التي حدثت بين مصلحة الاوقاف و الحكومة كثيرة كان الحق فيها من جانب المصلحة ولكن الفوز كان غالباً للحكومة، وآخر هذه المشاكل تنازع ادارة الكتاتيب الاهلية فان نظارة المعارف طلبت من ديوان الاوقاف ان يتخلى عن ادارة هذه الكتاتيب فابى سعادة مدير الاوقاف ذلك واثبت عدم جوازه بنصوص الشرع والبراهين العقلية ولكن الحكومة قرت مؤخراً على فصل هذه الكتاتيب عن مصلحة الاوقاف والحاقها بنظارة المعارف وعلى الزام الاولى باعطاء الثانية ريع الاوقاف المخصصة لهذه الكتاتيب وهكذا قضي الامر وجاء قرار الحكومة فصل الخطاب في هذا الاشكال . ولو كان في القطر مجلس أمة ذا رأي فوق رأي مجلس النظار لاستانف ديوان الاوقاف الحكم اليه أما الآن فلم يبق غير تنفيذ القرار الا اذا ساغ الالتجاء الى عدل المحاكم المختلطة أو الاهلية

(*) الرائد المصرى ٢٢ يونيه ١٩٠٠ .

والادلة على عدم أحقية نظارة المعارف ومخالفة الحكومة في قرارها للشرع والعقل كثيرة نورد بعضها وهي :-

أولا: ان نظارة المعارف استولت على تفتيش الوادي الموقوف على المكاتب الاهلية وكان ريعه في العام الواحد لا يقل عن الاثنين وعشرين الف جنيه فاساءت ادارته حتى صار ريعه بين الخمسة والستة آلاف جنيه في العام فهي اذاً لا تحسن ادارة الاملاك والاطيان.

ثانيا: ان الذين وقفوا بعضاً من أملاكهم على الكتاتيب الاهلية لم يكونوا يجهلون ان في القطر حكومة لها مدارس وانها تخصص في ميزانيتها مبلغ ينفق على تعليم الطلبة في تلك المدارس . فلو كانوا يرغبون بان تتحول ادارة الكتاتيب التي ينفق عليها من ريع ما وقفوه الى الحكومة أو احدى مصالحها لما جعلوا أوقفاهم اوقافا اهلية.

ومراعاة شرط الواقف من مستلزمات كل وقف شرعاً وقانوناً والحكومات جميعها تحترم الشروط التي يشترط المورث أو الواقف حتى لو كانت مخالفة بعض المخالفة لشريعة البلاد وعوائدها فقد روت أحدى الجرائد الاميركية ان بعضهم اشترط في وصيته على ابنه أن يشيع جثته الى المدفن كما تزف العرائس وان تعزف امامها الموسيقى بالحان مطربة مفرحة وأن يدفنه في جنينة ملأى بالزهور والرياحين ثم يعقد بعد الدفن حفل رقص وغناء ويأدب مأدبة شائقة في الجنينة نفسها الى غير ذلك من المستهجنات في كل العالم وقد نفذ الابن وصية والده بحروفها

وفي بلاد الانكليز وغيرها كثيرون من الاغنياء يقفون اموالهم واملاكهم أو جانباً منها على الكلاب والهرر لينفق ريعها عليها وعلى خدمة لسياستها وأطباء لمعالجتها الى غير ذلك مما يحط الانسان عن منزلة الكلب والهرة اذ يجعله خادماً لهما باجرة . ومع هذا فان الوصايا التي من هذا القبل تنفذ تمام التنفيذ حسب نصوصها لان القانون والعقل يبيحان للمالك حق التصرف بما يملكه الا اذا كان سفيهاً . والذين وقفوا املاكهم على الكتاتيب الاهلية ليسوا سفهاء بل فضلاء وصلحاء ولم يأذنوا للحكومة أن تتدخل بشؤون أوقافهم فالواجب اذاً أمتناع الحكومة قطعياً عن المداخلة بأي صفة كانت.

ثالثا: أن الذين وقفوا املاكهم لينفق ريعها على الكتاتيب الاهلية اشترطوا تعليم الدين الاسلامي لطلبة هذه الكتاتيب وديوان الاوقاف بصفته الدينية اولى من غيره بتنفيذ هذه الشروط ولا سيما لانه ثبت أن نظارة المعارف تسير في خطة لا ترضي المصريين عموماً والمسلمين على الخصوص . ومن الشواهد على ذلك تشكيل الجمعيات الخيرية لفتح مدارس اهلية وتبرع بعض الاغنياء من فضلاء القطر بوقف اجزاء مما يمتلكون لينفق ريعها على مدارس مستقلة عن المدارس الأميرية . فلو كانت نظارة المعارف سائرة فى الطريق المرضية للاهالى وكان الاهالى راضين عن خطتها لما جعلوا مدارسهم مستقلة عن سيطرتها واذا جاز للمعارف ان تضم اليها الكتاتيب الاهلية اليوم فماذا يمنعها غداً من أن تمديدها الى مدارس الجمعية الاسلامية والمدارس التي أنشأها المرحوم راتب باشا وغيره من أهل الخير والاحسان فى الزمن السابق والتى أنشأها مؤخراً اعيان المنوفية وحضرات على بك رفاعه وزعزوع بك وعلى بك فهمى وغيرهم والتى سينشئها غداً سيادة منشاوى باشا ؟ بل ماذا يمنعها غداً من مد يدها الى المدراس التابعة للجمعيات الخيرية المسيحية ولاسرائيلية لانها كما انتحلت لنفسها اليوم سبباً لضم الكتاتيب الاهلية فانها تنتحل غداً سبباً أخر وتضم اليها هذه المدارس الخصوصية وهي لا يمنعها شئ ما دامت الحكومة تؤيد أقوالها حتى فى الكتاتيب التى اشترط واقفوا الاملاك عليها بان يديرها نظار من ذريتهم ولكن آلت ادراتها موقتاً الى الاوقاف لاسباب خصوصية وقتية كتنازع المستحقين وما أشبه مما لا يلبث ان يزول فتعود النظارة من الاوقاف الى مستحقيها .

والخلاصة ان ضم الكتاتيب الى نظارة المعارف مخالف لنصوص الشرع والقانون ولاحكام العقل ايضاً . والواجب ان مجلس الشورى يحتج على ذلك ثم علي الجمعية الخيرية الاسلامية وغيرها من الجمعيات وعلى الذين تبرعوا هم أو أباؤهم بوقف شئ من أملاكهم على التعليم أن يحتاطوا للمستقبل حتى لا يتسنى يوماً ما لنظارة المعارف ان تغتصب المدارس التى انشأوها وتتولى ادارتها كما فعلت الآن بالكتاتيب .

التعليق ....

الاثريين فى مصر

كان موضوع الاثريين الفرنسيين فى مصر من الموضوعات الهامة التى أثيرت على صفحات بعض الصحف المصرية، والموضوع بالفعل له أهمية كبرى، ذلك أن الفرنسيين كانوا يحتلون مكانة هامة ومتميزة فى مصر، كما كانت الثقافة الفرنسية هى المسيطرة خاصة بين أفراد الطبقات العليا فى المجتمع المصرى . فقد كان الفرنسيون يحتفظون لأنفسهم بمكانة متميزة فى مدرسة الحقوق والمحاكم المختلطة، ومصلحة الآثار ... وغيرها، حتى جاء الاحتلال البريطانى ،استطاع أن ينتزع تلك المكانة المتميزة فى مدرسة الحقوق – وأن كان لم يستطع القضاء على الأثر الكبير للثقافة الفرنسية فى المجتمع المصرى – وشيئا فشيئا استطاع – من خلال المستشار القضائى البريطانى – أن تحد من مركز فرنسا فى المحاكم المختلطة والمحاكم المصرية بشكل عام، ولكن الاحتلال البريطانى لم يستطع أن يعدل وضع الفرنسيين المتميز داخل مصلحة الآثار، ذلك الوضع الذى ظل الفرنسيون متشبثين به، حتى أنه بعد عقد الاتفاق الودى بين انجلترا وفرنسا سنة ١٩٠٤، وأطلقت يد بريطانيا فى مصر، فإن بريطانيا – ارضاء لفرنسا – جعلت منصب مدير الآثار المصرية للخبراء الفرنسيين .

وقد تناولت جريدة الاهرام موضوع مدير (العاديات) الآثار المصرية المسيو ماسبرو، فقال أنه شارك فى ندوة العلوم الفرنسية ذكر أنه باعمال جليلة لحماية الآثار المصرية فى سقارة وذلك لحفظ الآثار الموجودة هناك .

وفى مقال آخر للمؤيد – فى أغسطس ١٩٠٠ – تناولت فيها طمع الأثريين المنقبين فى مصر، وبخاصة فى أبوقير والاسكندرية من آثار مصرية وآشورية ورومانيه ويونانية. ثم عاب

على عمل الأثريين الفرنسيين أن المعلومات التى كانت مدونة على الآثار والمومياء والتماثيل باللغة الأوروبية، وربما كان ذلك لأن مدير المتحف فرنسي لا يتقن اللغة الفرنسية .

هذا في حين تذكر بعض التقارير(١) أن حسن ادارة المسيو ماسبرو لمصلحة الآثار أدت إلى نجاح طيب. ذلك أن المسيو مسبرو عمد إلى ترميم بعض الآثار المصرية القديمة وذلك لحاجتها إلى ذلك ولازالة التراب من عليها ومن حولها، مثل هياكل ابى دوس والأقصر وجورنة وأدفو. وتم أيضا ترميم جزء كبير من الآثار وأقيمت الأسوار والبوابات لتأمين الآثار والمومياوات الموجودة. كما تم تقوية بعض الأبنية الأثرية مثل الاعمدة والهياكل الموجودة في أنس الوجود، وهيكل نكتاتيبو، وصفوف الاعمدة الشرقية والغربية ... وغيرها من الاعمدة والهياكل .

أيضا كانت هناك محاولات جادة لحفظ الآثار العربية والقبطية وترميمها .

ولكن يبدو أن جريدة المؤيد، محقة في قولها عن طمع الأثريين في الآثار المصرية، ذلك أن تقرير اللورد كرومر سنة ١٩٠١ يذكر "أن الحفر عن الآثار كانت تقوم به جمعيات خصوصية وأفراد، فيقتسمون ما يعثرون عليه مع مصلحة الآثار" (٢) .

---

(١) تقرير عن المالية والادارة والحالة العمومية فى مصر والسودان سنة ١٩٠١، ص ص ٨٣ – ٨٧ .

(٢) المصدر نفسه ... ص ٨٤ .

الاثـــريــون (*)

خطب المسيو ماسبرو مدير العاديات المصرية فى ندوة العلوم الفرنسوية فقال ان الاعمال التى قام بها فى مصر فى العام الماضى جليلة فهو قد اقتصر على مباحثه فى سقارة ففى سقارة عاد الى مباحثه التى تركها سنة ٨٦ فوقف على حالة الهرم المحاط برصيف من الحجارة وفى شرقيه مدفن العيلة المالكة واتم الحفر عن مدخل الهرم فوصل الى زاوية الارغام فلم يجد فيها شيئا كبيراً ثم بحث حول الاهرام الاخرى وجد فى البحث حول هرم اوناس فاشتغل بذلك المسيو برزانتى من اول نوفمبر حتى آخر مايو فوجد المصلى المتهدم وتحته نفق لم يتمكن من اتمام حفره ووجد مصطبة للعيلة السادسة وثلثة قبور من عهد الفرس وفي واحد منها وجد جوهرتين ثمينتين وفي جوار تلك الاهرام قبوا أخرى ستحفر في العام الآتي

اما فى ثيبة فانه صرف عنايته لحفظ الآثار الموجودة وعاونه في عمله المفتش الجديد المستر كرتر وقال ان دعم اعمدة الكرنك كان عملاً كبيراً قام به الموسيو لاغرين بهمة عالية وعدد الاعمدة التى سقطت ١٦ وكان سقوطها فى ٣ اكتوبر وسيتم العمل فى السنة الآتية.

وفى شهر يناير من العام الماضى ظهر وهن فى سقف الهيكل حتى خيف عليه من السقوط ولكن الموسيو لاغرين تدارك الامر ودعم السقف فى مدة شهر كامل اي من ١٠ ابريل الى ٢٠ مايو وقام بالعمل مهندس المانى ويخشى الموسيو ماسبرو من حدوث تهدم جديد في الهيكل حين بلوغ الفيضان درجته القصوى في شهر اكتوبر .

(*) الاهرام ٧ اغسطس ١٩٠٠ .

طمع الاثريين فى القطر المصرى القديم (*)

لاتزال مصر المطمع العظيم لحضرات الاثريين المنقبين فى هذا الفن عن غوامض التاريخ الباحثين على بقايا السنين الخوالي ودول الازمان السالفة فلا يثنيهم في سبيل بغيتهم ثان ولا يوقف تيار اطماعهم تعب ومصاريف بل تراهم مواصلين الجد والعمل ليلا ونهارا منقبين فى الجبال والوديان وفى الحفر والاخاديد والاكوام على أمل وجود مالم يجده سواهم ولم تعثر عليه أيدى اسلافهم وكلما وجدوا شيئاً جديدا قالوا هذا برهان أكيد على وجود غيره دفين في التراب فهيا لنطلبه وهكذا لا تنجومصر من الاجنبي الباحث ولا الاثريه المستكشف ولو قلبوا أرضها ظهرا على بطن

جئت أبو قير فوجدت آثار الحفر والتنقيب فى كل صوب منها وناحية وجلت فى أماكنها الاثرية فاذا هى آثار تخريب الانسان ودلائل جده فى الطمع والعلم معاً ولو أن الفرنساويين سبقوهم الى ذلك من مائة عام لكن الامل ينسى الطامع حقيقة الامور ويدفعه الى الندم والقصور فلقد حضر من سنوات رجل فرنساوى فبعد أن صرف مالا يقل عن ١٥٠٠ جنيه بسبيل الحفر والتنقيب لم يجد سوى أعمدة أثرية ضخمة تنبئ أنه كان هناك فى الزمن القديم مدينة عظيمة قد غير معالمها الدهر ومحا أثرها البحر فعلى شاطئ أبو قير الغربى كان لقاء هذه الاعمدة من بين أبنية تكاد تصير صخرية لكرور الازمان عليها وهى الآن تذكار مؤثر يعلم الانسان الزهد والفلسفة ويدعوه الى احتقار هذه الدنيا.

ولقد حكم هذا الاثرى أن غنى أبوقير العلمى غريق فى لجة البحر فيما وراء صخورها القائمة الآن لتخبرنا أنها كانت حجارة القصور والمعابد والحمامات الى غير ذلك من الابنية الفاخرة فبعد أن كان يسكنها الملوك والامراء صارت الآن سكنى الاسماك ومناسك المحار

(*) المؤيد ٩ اغسطس ١٩٠٠ .

فسبحان من يغير ولا يتغير

لاشك انه تحت كثبان الرمال مالم تعثر عليه أيدى الرجال فان الاماكن الظاهرة آثارها للعيان وجد فيها نقود فرنساوية مخبوءة فى حفرها مما يؤكد لنا أن الجنود كانت بامر لجنة نابليون بونابرت الاثرية العسكرية تنقب هناك فلم تجد أكثر مما وجده الفرنساوي المذكور لان المياه الملحة تقدمت الي الامام مع مرور الايام حتي ابتلعت أهم الآثار وأجملها وبقى ما تراكم فوقه الرمل من الشطوط لغاية المنتزه العامر حتي سيدي جابر بل الى ما يسمونه الآن أراضى شركة رى البحيرة لكن من لنا بالمال الكثير لايجاد المدفون وما يوجد الآن يعد صدفة للحفارين الوطنيين والعرب الذين يجدون بقية الآثار بين حجريه وخذفية وبعض فصوص من الحجارة الكريمة ورؤوس تماثيل صوانية لانهم مساكين لا يقوون على متابعة الحفر والتنقيب بصبر وجلد اذا دامي المعيشة يدعوهم الي عدم اضاعة أوقاتهم فى لعل وعسي وهم تحت رحمة الامل

وما نقوله الآن عن أبو قير والرمل نقوله عن الاسكندرية وضواحيها فان الصدف هى التى توجد ما نراه الآن فى متحف الاسكندرية من آثار مصرية وأشورية روومانية ويونانية والذى يختفى ولا نراه هو أضعاف ما علق بيد الحكومة فكان للبلد صيدا ثميناً يبقى لها ان شاء اللّه الي الابد

وعند ذكر البلدية ومتحفها هذا نقول ان ما هو الآن كاف لان يجعل الناظر اليه مرتاحا مسرورا عارفا بشئ مما سلف فى الازمان الغابرة لكن الكسل واحتقار العلم يدعوان الوطني الي إهمال هذه المشاهد الجليلة حالة أنى ما دخلت مرة هذا المتحف الا وجدته غاصا بالاوربيين من رجال ونساء وأولاد يطيلون النظر فى كل شئ ويسا ءلون عن أى شئ يرونه امام أعينهم وهو ما كنا أولي به ونلوم أبناء الوطن من أجله وما ضر مدراسنا الوطنيه لو أنها حينا بعد حين تسوق الى المتحف تلامذتها وتلقى على أنظارهم هذه الدروس المستحبة التى ترسخ فى أذهانهم منذ الصغر حتى اذا ما كبروا شاقهم درس هذا الفن جيدا وتملكت نفوسهم ملكة حب البحث فى أمور السلف وازمان اجدادهم الأولين.

أنا لم أنس ولن أنسى حكاية قديمة صحيحة قصها لى والدى ولا يغيب عن نظري ما

أستلفته اليه من آثار بلدي ومسقط رأسي حيث كان يخبرني بأصل بناء كل شيء أراه قديما وتاريخ كل أثر باق حتى الآن من آثار أجدادنا الاولين حالة ان ما أشير اليه قليل في جنب عظيم الآثار البادية لنا في مصر والباقية تحدث عن عظمة البلاد وسابق ما كان لها من أدوار الفخامة والمجد.

وقبل الختام ألاحظ على متحفنا الاسكندري ملاحظة مهمة فان كل ماهو مكتوب على الآثار والمومياء والتماثيل مكتوب باللغات الاوربية ولا إخال جناب مدير المتحف الا معذورا لانه لا يعرف اللغة العربية فلو وجد من يترجمها له ويهتم بلغة البلاد لما ضار, على ظني بسطر وكلمة تحت كل سطر وكلمة أجنبية فان نصف تأخر الوطني عن مشاهدة آثر بلاده لهذا السبب والسلام.

التعليق ....

الجـرائـد الصـفـراء

ان الرواج والتوزيع واتساع دائرة الانتشار هو هدف تسعى اليه كل صحيفة، دليل هام من دلائل النجاح. ولتحقيق هذا الهدف تلجأ الصحف الى طرق عدة، اهمها نشر المقالات الانتقادية، والملاحظات الهامة، وابداء الاراء الصائبة والارشادات المفيدة، أو رواية الاخبار الهامة التى ينتظرها القراء فى وقتها .

لكن هناك صحف أخرى تسعى لتحقيق هدف الانتشار والرواج بطرق أخرى منها اختلاق الأخبار الكاذبة والمدهشة والغريبة بغرض الاثارة وتسلية القراء، وذلك ما نسميها "الصحف الصفراء". و "الصحف الصفراء" ومتاجرتها بالاخبار المختلفة، كانت هى الموضوع الذى تناولته جريدة الرائد المصرى فى مقال لها - بتاريخ ١٤ أغسطس ١٩٠٠ - وفيه تتحدث "الرائد المصرى" عن جريدة المقطم معتبرة اياها (الجريدة الصفراء بمصر)، فتذكر أن القراء لم يقرأوا فيها مقالة هامة، ولا خبرا هاما لأن أصحابها - المقطم - لا يهتمون بالسعى وراء الأخبار الصادقة، ولا بانشاء المقالات المفيدة، ولأن الكسب هو غايتهم فإن اختلاق الاخبار المنسوبة الى الكبراء والعظماء وهى فى عرفهم - أصحاب المقطم - أسهل الطرق للفت الانظار وكسب الاموال .

وثم يقدم توضيح سبب حديثه هكذا عن المقطم، فيذكر أن صاحب المقطم (فارس نمر) كتب مقالا فى جريدته نسبت فيه إلى سمو الخديو المعظم بعض الاختلافات وأيضا نشر بعض الاشاعات عن دولة الغازى مختار باشا ومحمود باشا الداماد.

وكان المقطم قد نشر مقالا فى صدر الصفحة الأولى فى أحد اعداده - بتاريخ ١٣ أغسطس ١٩٠٠ - تحدث فيه عن السلطان العثمانى، والاحتفال باليوبيل بعيد الجلوس السلطانى واغلى الهدايا التى يتم ارسالها من مصر اليه بهذه المناسبة، كما تناولت موضوع (مد سكة حديد الحجاز)، ودعوة بعض الصحف المصريين لأهل مصر للتبرع لهذا المشروع فيما

عرف – وقتئذ – مشروع اكتتاب خط سكة حديد الحجاز. وذكر أن تلك الجرائد انما تبينت تلك الحملة (حملة التبرع) ليس حبا فى السلطان أو المشروع، وانما لأنه تم اغراء أصحابها من قبل السلطان والخديو عباس حلمى بالمكاسب المادية المختلفة من نياشين وأموال، أو حتى رتبة الباشوية .

فقد ذكر المقطم عن هذا الأمر "أن ولاة أمورنا يلعبون بالذين لهم سبيل الى استمالة الاراء العمومية، وهم يلعبون بالرعية كالمطية تحنى ظهرها للركوب وتكشف ضروعها للصر بعد الدر وتمد عنقها للذبح ، تقبل اليد التى تجرد لحمها من العظم" .

ثم نضيف المقطم أن ولاة الامور يكونوا يفعلون بالرعية فعل السوء ولايحسبون حسابا لما سوف سيصيبهم من لعنات الرعيه ونقمتها، ذلك أنه يعبث بحياة أمة فقيرة ضعيفة يوردونها حتفها ولا يشفقون عليها ولا يرعون عهد الله فيها .

ومن المعروف أن جريدة المقطم كانت جريدة موالية للاحتلال بل وأحيانا مساندة له، والاحتلال وجريدته كانا ضد ارتباط مصر بالدولة العثمانية وبالتالى فقد كان يضايقهم الاحتفال بعيد الجلوس السلطانى والمساهمة فى مشروع سكة حديد الحجاز، وأيضا كانت علاقتهم سيئة بالخديو والجريدة المؤيدة له ولاتجاهاته، والمناهضة للاحتلال فى نفس الوقت، وهى جريدة "المؤيد" .

وجدير بالذكر أن المقطم قد صدرت فى ١٤ سنة ١٨٨٩ ، بمساعدة كرومر الذى رأى أنه من الأجدى محاربة الصحافة بالصحافة، وكان شرط كرومر على أصحابها ألا يزجو باسم الوكالة البريطانية إذا أخطاوا وقدموا للقضاء .

والطريف فى الأمر أن أصحاب المقطم بدعم كرومر لهم وسلطة الاحتلال يهاجمون الحركة الوطنية وصحفها، ويهاجمون الخديو عباس، وعندما حاول الخديو عباس الانعام على فارس نمر برتبة الباشوية رفض فارس ذلك الانعام[1] .

---

(١) أنور الجندى : تطور الصحافة العربية، القاهرة (مطبعة الرسالة) ١٩٦٦، ص ص ٤٦ – ٤٨ .

المتاجرة بالاخبار المختلقة

الجرائد الصفراء (*)

كما يتسابق التجار باختراع الوسائل المتعددة لترويج سلعهم يتسابق أصحاب الجرائد بنشر ما يظنونه داعياً لاقبال الجمهور على مطالعة كتاباتهم لتروج صحفهم وتتسع دوائر انتشارها. وذلك اما بنشر المقالات الانتقادية والملاحظات ونحوها وبابداء الآراء الصائبة والارشادات المفيدة أو برواية الاخبار المهمة التي يتوقعها القراء في حينها . واتقان ذلك كله يكلف النفس عناء لا يدركه الا الذى أحي الليالى الطوال بالتفكير والتحبير والحذف والتغيير قبل أن ينشر كتابته على الجمهور لعلمه انهم مختلفون كل الاختلاف فى الاميال والاذواق والمشارب الامر الذي يجعل مرضاتهم جميعاً أمراً عسيراً جداً لان القارئ قد يمتنع عن قراءة صحيفة مشهورة امتناعاً باتاً اذا قرأ فيها مرة رأساً سخيفاً أو عبارة ركيكة وقد تفوز جريدة يومية على زميلاتها اذا سبقتها مرة بنشر خبر مهم جداً او مقالة مفيدة كل الفائدة . وتسقط الاخبار المهمة صعب جداً كانشاء مقالة بليغة مستوفاة وعلى نشر المقالات المهمة والاخبار فى أوانها يتوقف نجاح الجريدة .

على ان بعض الجرائد التي لا نصيب لها من الوسائل السابقة تشهر نفسها بنشر الاخبار المختلقة فتستلفت انظار القراء وتستميلهم اليها وتشغلهم بذلك الخبر المختلق الى ان تكون قد اختلقت غيره فتشغلهم به عن كل ما يدل على أكاذيبها فى الخبر الاول وهلم جراً بتوالى الاختلاق . وكاننا بهذه الجرائد تقلد الجرائد الاميريكية الصفراء التى اشتهرت باختلاق الاخبار المدهشة والغريبة من كل نوع اما لتسلية القراء أو لاثارة خواطرهم كما كانت تفعل قبل الحرب الكوبية

وليس في استطاعة كل صحافى ان يتقن اختلاق الاخبار لان هذا الفن يقوم بمراعاة

(*) الرائد المصرى ١٤ اغسطس ١٩٠٠ .

الظروف واغتنام الفرص وتكبير الصغائر وتصغير الكبائر وغير ذلك من الامور كما يفعل اصحاب الجرائد الصفراء فى أمريكا وكما فعلت بعض الصحف الاوربية عند ما اذاعت ان المسلمين في الاستانة يصلون فى الجوامع الى الله ان ينصر الصين على أوربا . فان مختلق هذه الاشاعة نظر الى كثرة ما تضايق أوربا الدولة العثمانية وما تحملها اياه من العناء بمطالبها وبما تبذره بين العثمانيين من المفاسد. ثم لاحظ ان الصين دولة شرقية وان جانباً عظيما من اهلها مسلمون وانها لو ضايقت أوربا وأشغلتها بحرب كان داعياً الى التخفيف من وطأة هذه عن تركيا لان الدول تنشغل عنها بجهة أخري ، فلهذه الاسباب وغيرها صدق الناس تلك الاشاعة المختلفة وقاموا يسلقون الدولة العلية بالسنة حداد وهي براء من هذه التهمة ولا علم لها بها الا من الجرائد الاوربية

والمقطم – أو الجريدة الصفراء بمصر – اقتصرت عن مسابقة الجرائد بنشر المقالات المفيدة مضى عليها نحو سبع سنوات وقراؤاها لا يذكرون انهم قراوا فيها مقالة مهمة في موضوع عمومي ولا خبراً مهما لان أصحابها لم يعوهوا يبالون بالسعي الى الاخبار الصادقة ولا بانشاء المقالات المفيدة لان ذلك يستغرق أوقاتا طويلة ويشغل البال ويستكد القريحة وهم قد اشغلوا وقتهم بالمضاربات والمتاجرة وغيرها من وسائل الكسب وأشغلوا أفكارهم بها عن انشاء المقالات وتسقط . الاخبار وبما ان جل غايتهم الكسب فاختلاق الاخبار منسوبة الى الكبراء والعظماء هي في عرفهم أسهل الوسائط لكسب الاموال واضمن لاستلفات الانظار

واذ قد فهم القراء الكرام ذلك كله صار في امكانهم ان يفهموا ويعملوا الاختلاقات التي نسبها بالامس فارس نمر الى سمو الخديو المعظم والاشاعات التي ارجف بها بعدئذ عن دولة الغازي مختار باشا ومحمود باشا الداماد . وكما نحن متاكدون عدم صحة ما عزي الى مولانا الخديوي نحن متأكدون ايضاً ان ما روته هذه الجريدة عن دولة مختار باشا هو من الاختلاقات التي لا اصل لها لاننا باحثنا دولته في ذلك الموضوع عدة مرات وعرفنا افكاره التي كان يبسطها بجلاء . ونحن لا ننكر شدة استيائه مما يفعله الجواسيس في الاستانة ومصر ولكن هذا لا يؤثر علي عثمانيته واخلاصه لدولته بل يستحيل عليه ان يقوم او يفعل ما يمس تعلقه بجلالة السلطان . ويحتمل ان دولته يستقيل من منصبه بعد رجوعه الى مصر او فى اوائل العام القابل لان مساعى هؤلاء الجواسيس وغيرهم من المقربين .

لجنـــة الصحـــافـــة (*)

كلُ شئ يبدو صغيراً ثم يكبر وكل غرس للعمران يتابعه فى نموه ويجاريه فى تقدمه فقد عرفنا صحافة مصر ضعيفة حقيرة ثم رايناها تترقى وتتقدم الى ان شبت واحست من نفسها بعض القوة ومن اعصابها بعض المقدرة فارادت ان تنفض عنها ثوب الصغار بل ارادت ان تطرح تمائم الصبية لتلبس عمائم الشيوخ والفتية ورأت انها قوة يضعفها تفرق الايدى ويزيدها نشاطاً تضافرها وتناصرها وتساندها على ترقية شأنها واحترام حقوقها لتزداد نشاطاً فى الخدمة وقوة فى العمل فاجتمع اصحاب الصحف اليومية ليلة امس فى فندق الكونتيننتال للتفاوض بهذا الامر.

وهذه أسماء الصحف التى مثلت فى هذا المجمع : مصر الوطن الريفورم الاجبسيان غازت الامبرسيالى المقطم الكوريه دينيل البروغره البورص اجبسيان اللواء الكاير والاومونيا المؤيد الاهرام البيراميد البصير صدى الاهرام".

فدارت المفاوضة بين الحاضرين على موضوع الاجتماع وبعد نقض وابرام وتحاور وتفاوض وتبادل الآراء استقرت الآراء على كتابة المحضر الآتى وهو بنصه .

"أن المجمع الاول المعقود فى فندق كونتيننتال فى ليلة ١٣ ديسمبر سنة ١٩٠٠ قرر تأليف لجنة من أعضائه غايتها الدفاع عن مرافق الصحافة ومنافعها فى مصر.

وهذه اللجنة الوقتية تألفت من حضرات مصطفى بك كامل والشيخ على يوسف والمستر كمبل والمسيو مانس وفارس افندي نمر والمسيو كارابيه والسنيور دى بومبيو لتضع في أقرب وقت قانونا تبين فيه المقصود من عمل اللجنة الصحافية ثم تعرضه على الجمعية العمومية للتفاوض والموافقة عليه".

وقررت اللجنة الوقتية أن يكون موعد اجتماعها لوضع هذا القانون يوم الثلاثاء الآتى".

هذا والذى نتمناه هو أن تنجح اللجنة في أعمالها ويتم للصحافة المصرية ما تمنته طويلا لانها بذلك تزيد فائدتها وتعلو كلمتها وتنفع الامة بخدمتها.

(*) الأهرام ١٤ ديسمبر ١٩٠٠

المطبوعات والآداب العمومية (*)

يقبض الكاتب الغربي على قلمهِ وهو موقن ان الله لم يسخرهُ لهُ ولم يجرهِ في يد الا ليخدم به امتهُ ووطنهُ في ما هو مفيد لهما فيققهُ على المواضيع العلميَّة والمباحث الادبيةّ ويتقى في كتاباتهِ كل هجو وهجر علماً منهُ ان المطبوعات ملك الجمهور ذكوراً واناساً كباراً وصغاراً وانهُ لا يليق بالكاتب الذي يقيم نفسهُ مقام المرشد الحكيم ان يتلق باخلاق الاسافل ويكتب ما تنبو منهُ اسماع الافاضل ويعلم المسترشدين باقوالهِ ما يحط من كرامة الانسان بدلاً من ان يكون قدوتهم في الادب والاحتشام وحسن الاخلاق.

والمشهور ان الكتاب واصحاب الاقلام هم هداة الامة ومرقو آدابها ومربو احداثها على الفضيلة والمبادىء القويمة اذا اهتدوا اهتدت الامة بهداهم واذا ضلوا اضلوها معهم. فاول ما يطلب منهم ان يدركوا ما يسألون عنهُ امام الله وامام الذين يقرأون ما يكتبون وان يعلموا ان زلات الكاتب التي يمكن ان تضر بالمئات والالوف ليست كزلات الذين لا تضرر زلاتهم الاَّ بهم وان طابع المطبوعات القبيحة التي تفسد اخلاق قارئيها وتحطه الآداب العموميَّة يعد جانياًعلى الامة كلها منتهكا لحرمة آدابها ساعياً الى القائها في مهاوى الرذيلة والهوان

فهذه حال الكتاب ومطبوعاتهم وهذهِ منزلتها في البلاد التي تحافظ

(*) المقطم ١٨ أبريل ١٩٠٠ .

على كرامتها وتحرص على آدابها وانا ليسؤنا كما يسوُ كل محب لهذا القطر ان قوماً من كتابهِ واصحاب مطابعهِ نهجوا منهجاً مخالفاً لآداب الكتاب وعمدوا الى نشر ما يفسد الاخلاق كما يفسد العوائد والاذواق والظاهر ان كثيرين منهم وجدوا ان بضاعتهم لا تروج الا اذا حشوها بالهجر والسفه فجعلوا دأبهم نشر ما يخل بالآداب العمومية تارة بالجد وطوراً بالهزل لقضاء لباناتهم في الحال غير مبالين بما يصيبهم ويصيب وطنهم من شرها في الاستقبال .

وقد صدق من قال ان القلم في يد الجاهل كالسيف في يد مجنون يسئ بهِ الى نفسهِ والى مبغضيه والى احب الناس اليهِ على السواءِ واي اساءَة اعظم من اساءَة بعض الكتاب واصحاب المطابع الى انفسهم وبني وطنهم بنشر المطبوعات التي يحمر منها وجه الانسانيَّة خجلاً بين قومهم وذويهم جراًّ لنفع تافه او قضاءً لغرض دنئٍ . ويذهب قوم الى ان ماهو جارٍ في الاستانة من التجسس والسعاية والوشاية واهتمام المابين بارضاءِ السفهاءِ واغداق النعم والرتب عليهم اسكاتاً لهم حرك اطماع قوم من اصحاب الاقلام والمطابع في هذا القطر وحبب اليهم البذاءَ والخناءَ والهجر.

التعليق ....

الدين والسياسة

كتبت (المقطم، والأهرام، ومصر) مجموعة مقالات طويلة تدور جميعها حول قضية هامة، ألا وهى (الدين والسياسة) ومدى الربط بينهما . والعلاقة بين الدين والوطنية، وهل يصح أن يكون الدين أساس لفكرة الوطنية ؟!

وتعتبر تلك الصحف (المقطم و الأهرام ومصر) أنه من الخطأ اعتبار الدين رابطة بين أفراد الوطن الواحد، وتعتبر أن من ينادون بهذه الرابطة – الدينية – انما هم يبذرون الشقاق بين أبناء البلد (الوطن) الواحد .

فنرى المقطم تذكر فى أحد أعدادها – ٤ مايو ١٩٠٠ – ٥٠١ بمقارنة الصحف الاوروبية بالصحف المصرية، نجد أن الصحف الاوربية تحث قراءها على الجد والعمل وجمع الكلمة، وعلى كل ما يجلب للوطن الخير والنفع، بينما الصحف المصرية تضع نصب عينيها الربح والمكسب المادى، ولا يهمها عمرت البلاد أم خربت، فتجد أحد الصحف المصرية –لا يطرح باسمه – يجتهد فى بذر بذور الشقاق بين بنى وطنه وتفريقهم شيئا، ويوقع النفور والشقاق بين هيئتهم المحكومة والهيئة الحاكمة. بل ويحاول اقناع البسطاء من أمته أن حكامهم اعداؤهم يريدون بهم الشر ولا يريدون سوى أنحطاطهم وتأخرهم – وهو هنا يقصد الاحتلال البريطانى – ويضيف المقطم على ذلك أن تلك الصحف المصرية تعلم تمام العلم أن مصر اليوم – وقتئذ – أصبحت بفضل المحتلين – هكذا يذكر – زهرة البلاد وغرة جبين الدنيا حسنا وبهاء ورفاهية وانتظاما وعدلا وحرية .

وهنا نرى كيف أن صحيفة المقطم كانت صريحة فى تأييد المحتل وتصويره فى صورة

انسانية رائعة. فالانجليز – فى زعمهم – لم يتحملوا مشقة الاقامة فى مصر إلا لرفع الظلم واحياء العدل . واليهم وحدهم يرجع الفضل فى انقاذ مصر من الافلاس، واقامة اقتصادها على أساس سليم متين، ويرجع اليهم الفضل فى رفع الظلم عن الفلاح المصرى . بل ان احتلال البريطانى – كما يرى المقطم – هو البستانى الذى جعل من مصر زهرة حسناء بهية .

ثم يتجه المقطم إلى قضية (الدين)، فيذكر أن من بين الصحف المصرية – وهو هنا يقصد المؤيد – من يجتهد فى اقناع الناس بفكرة أنه لا يجمل بالمسلم أن يعتبر جامعة (رابطة) تجمع بينه وبين سواه غير جامعة الدين وأن المسيحيين يكنون لهم فى ضمائرهم الضغينة .

ويعتبرونهم لهم أعداء ألداء. ويلوم على تلك الصحيفة التى قامت بنشر مقال يمس الدين الاسلامى كتبه احد المسيحيين فى فرنسا (يقصد هانوتو)، لأنه نشر بلغه لا يعرفها من المسلمين إلا قليل، ولو لم يتم ترجمتها ونشرها ، لم تكن قد أحدثت ذلك الاثر السئ بين معظم مسلمى الأرض تجاه المسيحيين عموما (وبخاصة مسيحى فرنسا) .

وسارت جريدة الاهرام في نفس الاتجاه حيث نشرت فى أحد أعدادها – ٧ مارس ١٩٠٠ – مقالا بعنوان (لا أديان فى الوطنية ولا وطنية فى الأديان) ذكرت فيه أن الوطن يجمع بوحدته والدين يفرق باختلافه. واذا أوجد التفرق بالدين التفرق بالوطن كان الدمار الذى لا يدفع والفساد الذى لا يصلح اذ كل صاحب دين يرى نفسه غريبا عن مواطنه صاحب الدين المخالف دينه. ومن هنا سر نجاح وتفوق اوربا علينا أنها عرفت ما هو الوطن فجعلته رابطة الاتحاد، وعرفت ما هى الأديان فاختار كل واحد منها ما أتبع ضميره، ولا خلط هناك بين هذا وذاك .

وتبعتها جريدة (مصر)، فتناولت نفس الموضوع فى مقال – ١٩ مايو ١٩٠٠ – بعنوان الدين والسياسة، فذكرت أن بعض الجرائد العربية فى مصر تخلط الدين بالسياسة فى كتاباتها، بل وتتخذ الدين سلاحا فى أساليب الجدال وترسا تتقى به هجمات المناظرين، وأن تلك الجرائد تسعى بأسلوبها هذا الى الكسب وجمع المال ونيل الرتب والفخر، لا إلي هدف نبيل. وذلك أن الدين الرفيع لا يرضى واضعه العظيم بوصوله الى ان يتم جعله أداة للحرب والاختلاف بين الناس .

وتعود جريدة (مصر) تتناول مسألة (مقال هانوتو) فتقول ان الناس يقولون ان الجريدة -يقصد المؤيد – انشئت لخدمة الوطن، فأى خدمة للوطن فى نشر المقالات المتوالية عن تعصب الأمة الفلانية على الاسلام والمسلمين، واى نفع لأهل الوطن من زرع مثل هذا النفور فى عقولهم وتكرار القول بأن دول النصرانية كلها قائمة تريد الخراب والذل للمسلمين. واذا كان بعض اهل الغرب قالو أشياء تمس المسلمين، أفلم يقل المسلمون شيئا عن النصارى ودين النصرانية يزيد عن الذى قاله بعض كتاب الانجليز والفرنسيين. كما أن هناك العديد من مشاهير وعظماء الالمان والانجليز والفرنسيين لهم كتابات عديدة فى مدح الاسلام والمسلمين، وتعظيم نبى الاسلام .

وتتابع جريدة مصر حديثها فى مقال اخر – فى ٢١ مايو ١٩٠٠ – بعنوان (ديانة أوربا)، تناقش فيه مسألة كره أوربا للامم الاسلامية وتنوى لها الشر لأنها على دين الاسلام، وتحاول اثبات خطأ هذا الزعم فتتذكر أن أوربا لا تعبأ بمبدأ غير مبدأ المصلحة ولا تهتم لرأى غير رأى المصلحة ولا يهزها عامل غير عامل المصلحة، ولا تهتم كثيرا بعامل الدين وتقدم أدلة تاريخية على ذلك، فتتذكر مثلا – انه عندما تمت مذابح الأمة الأرمينية كانت ارمينيا – المسيحية– تصرخ مستغيثة بأهل أوربا وأوربا كلها تقف موقف المشاهد ولا تخاطر برجل واحد لانقاذ أمة كبيرة من المسيحيين، وذلك لأن المصلحة قضت على أوربا بالسكوت فأوربا تعبد المصلحة ولا تفكر فى شئ سواها .

وبالنظر الى تلك المقالات نجد تلك (الجرائد) الصحف (المقطم والأهرام و مصر) صحف مسالمة بل موالية للانجليز فهم يعتقدون أن الانجليز دخلوا مصر لاصلاحها ثم تركها لأهلها حاصلة على كل وسائل الحياة الأدبية والاجتماعية، وقد ذكروا ذلك بصراحة (بخاصة المقطم) تخرج فى بعض الأحيان إلى حد التهور. وكان المقطم وغيره من الصحف الموالية لا يرون مصر التى يريدون أن يجمعوا الناس عليها الا سوقا، ولا يرون الوطنية إلا العمل على الربح والكسب وتوفير المال من كل طريق وبأى وسيلة. فالوطنية عندهم هى المصالح وهى المال، ولذلك كان حديثهم عن (المصالح) و (أصحاب المصالح) لا ينقطع، وهم يعنون باصحاب المصالح هؤلاء اصحاب رؤس الأموال من ملاك الاراضى الزراعية، ومن الأعيان .

وكانت تلك الصحف تنادي – في طيات حديثها – بالابتعاد عن رابطة الدين كأساس لفكرة الوطنية، وانما اعتبار الجنس والمشاركة في الوطن أساس الوطنية. وكان ذلك ما عرف باسم "القومية المصرية" وكانت الدعوة للقومية المصرية تدعو الى الشعور بالوطنية الاقليمية في الأمة التي تقوم على الجنس لا الدين، منادية بقصر الاهتمام على المصالح المصرية، ومعالجة مشكلاتها مستقلة عن مشاكل الدولة العثمانية والأقطار الاسلامية .

وقد كانت هذه الدعوة صدى للاتجاه العالمي نحو فكرة القومية في القرن التاسع عشر . وهذه الفكرة تحاول أن تجمع الناس حول المطالبة بحقوقهم، ودعوة الى الحرية والى هدم صرح الظلم والاستعباد ثم تطورت الفكرة على أيدي أصحاب الثقافة الأوربية، وبدأت تهاجم الرابطة الدينية وتعتبرها مصدر شر وتفرقة بين ابناء الجنس الواحد، فدعا هذا الفهم الجديد للوطنية إلى أن يهاجمها المتمسكون بالرابطة الوطنية ويعتبرونها خطرا يهدد وحدة الاقطار الاسلامية .

وجدير بالذكر أنه كان للانجليز هدف واحد هو اضعاف العصبية الدينية وتقطيع أوصال المسلمين في مستعمراتهم حتى يستطيعوا أن يواجهوهم واحدا واحدا، فالمصريون أحفاد الفراعنة، واللبنانيون احفاد الفينيقين، والعراقيون أحفاد البابليين والآشوريين ... الخ. وبينما كانت الدولة العثمانية قوة روحية عظيمة، قادرة على جمع كلمة الشعوب الاسلامية باسم الاسلام ضد بريطانيا والدول الاستعمارية، لذلك عمل الانجليز على اخماد جذوة العاطفة الدينية الاسلامية حين أيقنوا أنها مصدر خطر محقق، لذا ظلوا يتهمون المصريين بالتعصب الديني، وظلت صحفهم تتحدث عن التسامح والانسانية حتى توهم بعض السذج أن من سمو الخلق أن تحب الناس جميعا حتى المعتدين منهم، بل وظل المستعمرون يحدثون المصريين – من خلال صحفهم – عن المصلحة لينزلوا بالوطنية من مرتبة العقيدة الى درجة مادية تزيل عنها كل معنى روحي وعقيدي، وتجعلها مجرد سعي وراء المال، ومحاولة لتحسين الحال. فقد كانت سياسة الانجليز تدور حول كلمة واحدة هي "فرق تسد" .

الجرائد المصرية

بقلم اديب بارع من المصريين (*)

ما زال للناس منذ خلق الله العالم من عقلائهم قادة يثقفون معوجهم ويقيمون اودهم وينهجون لهم طرق السعادة ويعلمونهم كيف يضعون الامور في مواضعها وكيف يستعملون ما وهبهم الله من المدارك وما يدعون وما يأخذون وما يتركون . حقيقتهم واحدة في كل عصر وان اختلفت اسماؤهم باختلاف المصطلحات فتارة يسمون حكماءَ واخرى علماءَ وآناً شعراءَ واحياناً خطباءَ وهم بعينهم فى هذا العصر ارباب الصحف اليوم سلطان قوي تخضع لهُ الآراءُ وتدين لسطوتهِ الافكار وترضى بحكمهِ القلوب وتأتمر بأمرهِ الالباب لا يختص ذلك بالعامة دون الخاصة ولا يسرى بين الاصاغر قبل الاكابر حتى انسانا امرهم ماكنا نسمعهُ عن الشعراءِ والخطباءِ في الاوان الخالى من عظيم تأثيرهم وبلوغ نفوذهم الى درجة أنهم يخفضون ويرفعون من يشاؤون ويقبحون ويحسنون ما يريدون والناس راضية باحكامهم منفذة لاوامرهم واثقة باقوالهم مائلة لا ميالهم وكما لكل من اولئك السابقين شيعة تلصق بهِ وتنقاد اليهِ وتذعن لهُ بالرئاسة وتقل وتكثر بنسبة قدرهِ فى الصدق ومنزلتهِ فى الرأى وقوتهِ فى الفكر كذلك اصبح لكل صحافى اليوم حزب ينتمي اليه ويسلم لهُ بالزعامة ويقتفى اثرهُ انى سار ويحل مكانهُ حيث حل يسمع منهُ القول فيكاد لا يطالبهُ بدليل على صحتهِ ويرى منهُ فيوشك ان يقتنع بعلوهِ لاول نظرة وايا كانت تلك الحالة حسنة او سيئة عادلة او جائرة فقد علمنا ان الصحف اليوم سلطان الناس وان رعيتها والسلطان للرعية كالراس للجسد ان صلح صلح وان فسد فسد.

ولو لم يكن لنا على صحة قولنا دليل سوى المقابلة بين الصحف الاوربية والصحف المصريةُ لكفانا برهاناً . ترى الصحف الاوربية تحث قراءَها على الجد والعمل وجمع الكلمة

(*) المقطم ٤ مايو - ١٩٠٠ .

والوئام وعلى كل ما يجلب لوطنهم واهله خيراً ويدفع عنهم وعنهُ ضراً كل ذلك باخلاص نية وصفاء ضمير لا تشوبهُ الاغراض النفسانية ولا يلبس ثوب الغش والخداع فترى قراءها متخلقين باخلاقها متأدبين بآدابها وتراهم كما رغبت اليهم صحفهم مجتمعة كلمتهم سائرين في طريق الجد والعمل لا يرون منفذاً ضيقاً يصلون منهُ الى ما ينفع وطنهم الاَّ اجتازوهُ ولو انهُ خلق الليث ولا ثنية مهما بعد منالها تصعد به الى الخير والسعادة الا افتعلوها . وترى غالب الصحف المصريَّة ويا للاسف على الضد من كل ذلك واليك ما يأتي .

يصدر صاحب الجريدة جريدتهُ ونصب عينهِ الربح الخاص لنفسهِ لا يخطر وطنهُ لهُ ببال ولا اهل وطنهِ لهُ على خاطر ولا يهمهُ عمرت بلادهُ او خربت ما عمر كيسهُ . ولا يعنيهِ نعمت . او بئست ما انجلى بؤسهُ. يجتهد احدهم فى بذر بذور الشقاق بين بنى وطنه وتفريقهم شيعاً ليجتمع امرهُ ويخلق لهم من العدم ما يكدر صفاءَهم ويكثر همهم ويطيل حزنهم ليرغد عيشهُ ويهنأ بالهُ. ما احوجنا الى جمع كلمتنا واتفاق اهوائنا وتضافرنا على لم شعثنا ورأب صدعنا ولكن يحول بيننا وبين ذلك هؤلاءِ القوم بجهلهم مرة وخيانتهم أُخرى. الخلق السائد بين اغلب المصريين البساطة وسرعة الانخداع وقد علم اصحاب تلك الصحف ذلك منهم فأحبوا ان يتاجروا ببساطتهم ويربحوا من انخداعهم وقد حسبوا لجهلهم انهم تاجروا فربحوا والحقيقة انهم ما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين. يلبس الواحد منهم ثوباً مزخرف الظاهر موشى الاطراف يسميهِ ثوب الوطنيَّة اى انهُ يحب وطنهُ وأهل وطنهِ وتحت الثياب العار ولو كان بادياً. فلو رفعت ذلك الثوب لتكشف لك باطنهُ عن ضد ظاهرهِ وبدا لك خافيه بخلاف باديه فبدلاً من ان ينصح بنى وطنهِ بالاتحاد والاتفاق وتنقية الضمائر مما بها من ضغن وغل وهو الامر الذى لا تفلح امة بدونه ولا تصعد سلم ارتقاءَ الأبه تراهُ يوقع النفور والشقاق بين هيئتهم المحكومة والهيئة الحاكمة وتراهُ يبكي ويذري دمعة الرياءِ قائلاً لهم ان حكامكم اعداؤكم يريدون بكم الشر وبانفسهم الخير ولا يحبون سوى انحطاطكم وتأخركم ثم يبرهن على دعواهُ بحبه يجعلها قبة ومعدوماً يصيره موجوداً وحسنة يقابلها الى سيئة وقد يكون الناس بهِ واثقين وعلى رأيه معتمدين فحينئذ يكون المصاب العظيم والطامة الكبرى ويكون الامر الذى ما خربت دولة سمعنا بخرابها غالبا في التاريخ الا به وبدلاً من انه يرشدهم الى انه يجب على المسلم منهم اعتبار مواطنه المسيحي مثلا اخا له وطنية وسكنا وتبعية لتتفق مصلحة الجميع فيتمكنوا من اجراء الصالح لهم ولوطنهم تراه

يجهد في اقناعهم بانه لا يجمل بالمسلم ان يعتبر جامعه تجمع بينه وبين سواه غير جامعة الدين وان المسيحيين يكنون لهم فى ضمائرهم الضغينة ويعتبرونهم الاعداء الالداء ويتمنون لهم الفناء وربما كتب احد المسيحيين فى فرنسا مثلاً مقالة تمس الدين الاسلامى بلغة لا يعرفها من المسلمين الا قليل لو بقيت بحالها لما كان لها تأثير ولا صنعت شيئاً ولكن يعمد ذلك الصحافي الى ترجمتها الى اللغة العربية التى هى لغة غالب مسلى الارض ليهيج سخطهم وتثور سخائهم نحو المسيحيين عموماً ومواطنيهم منهم خصوصاً وهنا الخوف على الامن كل الخوف والحذر على الوطن كل الحذر .

أليس دليلاً قائماً وبرهاناً واضحاً على قولنا انهم يعملون حق العلم ان مصر اليوم اصبحت بفضل المحتلين زهرة البلاد وغرة جبين الدنيا حسنا وبهاء ورفاهية وانتظاما وعدلا وحرية كاحسن ما ترجو امة ان تكون بعد ان كانت بضد ذلك كله على خط مستقيم ثم هم ينطقون بافواهم بما ليس فى قلوبهم ويصفون المحتلين بعكس صفاتهم ويشرحون حال مصر الآن بضد ما هي عليه فى نظر العقلاء بل والبسطاء ثم يموهون على عقول احزابهم بكيفية تدل على براعتهم ومعرفتهم من اين تؤكل الكتف ولو سألت ضمير احدهم هل يحب انجلاء الانكليز عن مصر لاجاب بالسلب وقال لك ما نلت الخير الا على ايديهم ولا تنعت الا فى عصرهم ولا ذقت طعم العيش الرغد والحرية التامة الا بهم فكيف احب انجلاءهم.

ذلك شرح حال اغلب الجرائد المصرية اقوله على علم من ان بعض المصريين الذين لم يطلعوا على حقائق الامور لا يقولون قولي ولكن انا ضمين ان هم حكموا عقولهم السليمة الخالصة من شائبة الهوى النفسى في ما قلت لانتهى بهم التأمل والتثبت الى موافقتى ولعلموا انهم كانوا مخدوعين ولأنفوا من انهم كانوا فى حالة يستحقون ان يوصفوا فيها بالبله والغفلة فاذا تفق كلنا على ذلك سهل علينا اقتلاع تلك الجذور والمفسدة وقتل هذه الجراثيم القاتلة التي افسدت اخلاقنا وآدابنا وكادت تعلمنا النفاق والخداع لا قدر الله وفرقت بيننا شيعاً فاختلفت اهواؤنا فلم نكد نتفق على مصلحة او نتحد على عمل واصبح كل منا يتهم الآخر ببغضه له ويحب الاثرة فلا يرى الخير الا لنفسه وليس غلينا ان اردنا ذلك كبير عمل بل ان نطرح اقوالهم ضهريا ولا نعبأ بارائهم ولا نساعدهم فى هذا العمل ولنا عن جرائدهم غنى ان كنا نريدها للاخبار بالجرائد الحرة الصادقة التى تحرم مصر منها والحمد الله .

دفع الالتباس

فى مشروع مدرسة العرب

لم اقصد بهذه الرسالة مناظرة او نحوها فى ما يختص بمشروع انشاء مدرسة لابناء العرب اذ اننى ارى ان الاشتغال بالعمل المادى اولى ولكن دواعى الحال ادت ان اسطر ما يأتي دفعاً للالتباس الذى جاء فى رسالة حضرة حمد بك ابى سلطان عمدة عوب الهنادي فقد لاحظ علينا بعد ان شرح شيئاً عن العرب واهالى القطر وانهم مرتبطون برابطة الوطنية تظلهم الراية المصرية واختصاص العرب بامتيازات مخصوصة الى آخر ما قال مما لاريب فيه وهو انه لاتكون المدرسة لابناء العرب (خاصة) اذ ربما يشتم من هذا المعنى او الاسم ما يتوهم منه ابتعاد العنصرين عن بعضهما او تمييزهم وقال ان هذا هو احد الاسباب التى اخرت بعض العرب عن النداء او كلهم ولاحظ ايضا ان هناك سببا آخر وهو العادة المتبعة بين العرب فانهم اذا شرعوا فى عمل عام مثل ذلك يجتمعون معاً ويتفقون على ما يرونه اصلح لشأنهم من غير ان ينشروه فى الجرائد فان فى نشره (خروجا) عن الجنسية وعن (العادة القديمة) يعني انه من المحرمات التى لا يليق المجاراة عليها خشية الضرر.

فاقول عن السبب الاول. ان تسمية المدرسة باسم العرب او جعلها خاصة باولادهم لا يشتم منه شئ كما ظن حضرته اذ ان الغرض من ذلك هو ان نعمل عمل الرجال الذين يهمهم ترقية ابناء جنسهم او ملتهم حتى لا يكونوا عالة على باقى الاجناس والملل المواطنين لهم ولا يكونوا عضواً فاسداً فى الهيئة الاجتماعية وهذا امر اراه فرضا على كل من كان مثل حضرته عارفا باحوال ابناء جنسه وعارفا بكل الواجبات التى ابداها .

هكذا كل الشعوب والملل فى مصر وفى سائر الممالك نرى لهم مدارس خاصة بهم او منسوبة اليهم . كلها تتسابق وتتزاحم نحو اكتساب العلوم والمعارف لم يقصدوا بهذه المناظرة والمزاحمة تحيزا او تحزبا بل وجهة الكل واحدة وهى نور العلم .

انظر الى مصر وغيرها ترى هذه المدرسة تدعى (القبطية) وهذه (الاسلامية) وهذه (الانجيلية) وكثيراً من هذه الاسماء لم يكن المقصود من تسميتها وانتسابها الا تخليد الذكر

(*) المقطم فى ١٩ اكتوبر ١٩٠٠ .

الحسن.

انظر الجامع الازهر العامر تجد هذا رواق الشوام مثلا ولا يدخله الا الشوام وهذا رواق الترك وذاك للمغاربة وآخر للصعائدة والبحاروة الخ حتى (الدكارنه) ايضاً !! وهلم جرا من كل مذهب او جنس وقد اوقفت ابناء كل طائفة وجنس ومذهب على هذه الاروقة العقارات والاموال لتنفق على من فيه من الطلبة من ابناء جنسهم كل ذلك لاجل ترقية المعارف وبث العلوم ولم يقصد به تحيز او تفريق بل الكل مسلمون ملة واحدة.

وزد على هذا ان القصد من اقتراحى فى رسالتي الاولى هو انشاء المدرسة ليتعلم فيها ابناء العرب وتسميتها باسم العرب ولم اقل بعدم جواز ادخال غيرهم فيها او انها (خاصة) بهم كما ظن حضرته اذ لم يكن فى رسالتى لفظ (خاصة) مطلقاً والمعهد غير بعيد وانما اردت ان يكون القائمون بهذا العمل هم العرب ليكون عملهم مأثورا كباقى الملل.

اما عن السبب الثاني وهو (عدم سلوكى العادة القديمة بين العرب في مثل هذه الدعوى) فاقول ان احسن طريق لبث الافكار والمشروعات المفيدة في هذه الايام اذ انها ما وجدت الا لخدمة المصلحة العامة ونشر آراء القوم بين بعضهم حتى يشترك فى ذلك الخاص والعام . والعرب فى العهد السابق لم يكن بينهم صحف وجرائد يتوصلون بها الى نشر افكارهم واحوالهم العمومية .. ولو كانت عندهم لتوصلوا بها الى نشر ما يرونه لازما للمصلحة مثل الآن . واظن انه لا يرى احد فى ذلك ما يوجب (الخرج) او المروق الا حضرته. هذا عداعما اشرت اليه في رسالتي السابقة بلزوم اجتماعنا بمصر للاتحاد فى خارج هذا العمل الى عالم الموجود وتقرير ما يحسن تقريره. وكانى ايضاً قد ادركت غرض حضرة شيخ العرب المذكور فقد ارسلت بعض مكاتيب خصوصية سابقا الى بعض وجوه العرب واعيانهم غير الموجودين فى العاصمة الآن وطلبت منهم المقابلة فيها لننظر جميعاً في هذا الامر ومن ضمنها كتاب اليه . هذا وانى ارى ان ملاحظات حضرته التى ابداها ليست بمانعة للمعاونة على عمل مأثور مثل هذا ما زلنا فى مباديه.

ولما كان غرضنا جميعنا المنفعة العامة وعمل المآثر المحمودة عند الله وعباده فلنترك الاخذ والرد والمناظرة والرسائل ولنجتمع ونقرر ما يوفقنا اليه الله على اى وجه نراه اصلح.

وانى اشكر حضرته على كل ملاحظاته التى ابداها اذ ان غرضه الذى يرمى اليه هو نفس ما اقصده انا ايضا ويقصده الجميع الا وهو (اصلاح شأن العرب) والله الموفق.

حمد محمود باسل

عمدة قبيلة الرماح بالفيوم

المحاكم الشرعية والمعارف(*)

لم ير مجلس شورى القوانين بدأ من البحث فى شأن المحاكم الشرعية طلباً لاصلاحها وفى ادارة المعارف املاً فى ترقيتها اما المحاكم الشرعية فقد رأى المجلس ان زيادة الاموال المخصصة لها تكون من اكبر البواعث الى ترقيتها لان المال هو الساعد الذى به يستعان على قضاء الحاجات وقد قال بونابرت المال يحارب .

ومجلس الشورى اذا هذا الرأى فانه انما يعضد فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده فيه لان فضيلته قرر في تقريره الذى وضعه عن هذه المحاكم وجوب زيادة المال لها مع زيادة مرتبات القضاة حفظاً لكرامتهم وتوصلاً الى كف يدهم عن قبول الرشوة اذا كان هناك شئ منها لان القاضى الشرعى اذا كان غير محفوظ الكرامة فتقل هيبة الوظيفة التى يشغلها في أعين المتقاضين ولا يعود من يعتمد عليه فى امر من الامور وحفظ الكرامة لا يمكن تداركه الا بالمال فاذا كان مرتب القاضى لا يتجاوز السبعة او العشرة جنيهات فكيف ان تسير سير القضاة ذوى النفوس العربية او كيف يمكنه ان يقوم بحقوق وظيفته حق القيام ففى تقليل مرتبه اذن تقليل كرامته أيضاً وهذا لا نخاله يخفى على نظارة الحقانية التى علم ان كرامة قضاتها فى نفس كرامتها .

اما المعارف فالكل يعلم انها تقدمت فى الايام الاخيرة تقدماً بيناً لا يسع احد انكاره فلذلك رأى المجلس ان يطلب زيادة المال لها لتتمكن من خدمة ابناء البلاد الخدمة التي تؤملها منها بحيث تصبح منفعتها عامة ويكون لها مدارس فى كل مدينة من مدن هذا القطر فيتسع اذ ذاك نطاق التعليم وتعم المدينة جميع انحاء القطر لا بعض مدنه فقط كما هو جار الآن ومن تأمل فى طلب المجلس هذا لا يسعه الا شكره لانه نظر الى مستقبل البلاد نظرة تورث الخير والفلاح اذا شفعتها الحكومة بكرمها المعتاد هذا ما تذاكر المجلس فى شأنه امس .

(*) البصير ١٧ ديسمبر ١٩٠٠ .

لا أديان فى الوطنية

ولا وطنية فى الاديان (*)

الوطن منزل تسكنه أمة يظللها سقفه ويغذوها دره ويرو
ويحميها سياجه وتجمعها وحدته والاديان ومعتقدات ومذاهب يخ
الاخوان ويتباعد الابوان ويتباين الجاران ومعها تتقسم الامة ال
وملل. عناصر ونحل. فالوطن يجمع بوحدته والدين يفرق باختلاف
معتقد فى النفوس هذه تنزع معه الى صحة المذهب المحمدى وتل
المذهب المسيحى وغيرها الى صحة الاسرائيلى وأخرى الى صحة
انها كلها ترمى الى غرض واحد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر و
يختلف فيه على كونه واحداً للجميع وطنيان اذ باذلاله اذلال جم
ويعلوه اعلاء شأن جميع سكانه فاذا تخاذل الوطنيان ديناً لا يتخاذ
لان ما يخسره الواحد يخسره الاخر فكما ان الوحدة فى الدين د
مستحيلة كذلك التفرق فى الوطن دون دمار محال بل اذا أوجد التفرق بال
بالوطن كان الدمار الذى لا يدفع والفساد الذي لا يصلح اذ كل صاحب دين يرى ن
عن مواطنه صاحب الدين المخالف دينه فينزع الى الاجنبى عن وطنه لانه من دينه
يكون العمل للوطن بل للاديان والاديان منتشرة فى كل وطن لا تحد فى صقع دون آخ
السورى المسيحى ينزع الى اليابانى المسيحى اخذ من خير وطنه سوريا واعطاه لل
مذهبه فى اليابان وهكذا اليابانى المسلم والمصرى المسلم ويصبح الالم على هذا المب
محدودة لأمم مستقلة قائمة بنفسها بل ارضا هملاً لا حدود تفرقها ولا تخوم تحفظ بي
كل أمة متخاذلة متباغضة تضيع وحدتها وتفقد جامعتها فلا الهندى يكون هندياً
الفرنسوى فرنسوياً فى صقعه ولا المصرى مصرياً فى ارضه بل الهندى مسلم

(*) الأهرام ٧ مارس ١٩٠٠ .

والفرنسوى مسيحيا فى فرنسا والصينى بوذياً فى العجم.

أجل لو صح ان يكون ابناء كل صقع على دين واحد لا خليط بينهم ولا غريب عن مذهبهم ينزل فى بقعتهم لصح ان يكون الدين الجامعة اذ تتحد معه الوحدة الوطنية ولكن تفاوت مدارك العقول ومنازع النفوس قد لا تبقي اثنين قاما للصلاة فى معبدا واحد على معتقدوا حد صليا وصاما به .

وقد كان الناس فى العصور الخوالى على جهلهم يعذرون فى التعصب لدينهم قبل وطنهم لان الغالب كان يكره بكره المغلوب على تغيير دينه وابدال معتقدة اما الآن وقد استنارت العقول واشرقت الحرية وتشعبت معها المذاهب فعرف الناس ان الوحدة فى الوطن والجامعة فيه ما ال الوطني ينتفع من وطنه دون مشايعه في دينه ولو سارت اوروبا على مبدأ وحدة الدين دون الوطن لما تحاربت منهما دولتان .

بل قد تجد الانكليزى الدهرى العاطل من كل دين متفقاً مع الكاثوليكى او المسلم أوالوثنى وكل منهم لو سألته لما عرف نفسه فى دينه بل فى وطنه وبهذا كان سر نجاح اوروبا لانها عرفت ما هو الوطن فجعلته رابطة الاتحاد وعرفت ما هى الاديان فاختار كل واحد منها ما اقنع ضميره نعم ان لكل صاحب دين دافعاً الى مشايعه ولكن ماذا يستفيد المسيحي المصري من المسيحي الهندى فى ابان شدته وماذا يستفيد المسلم المصرى من المسلم الجزائري في ساعة ضيقة. ألا يكون قريب الجوار ولصيق الدار والبعيد المعتقد خيراً لجاره من ابن دينه البعيد المزار. حقيقة لا ينكرها عاقل ولا مكابر ولها يجب ان يعمل كل شرقي يجب نفسه ووطنه فاذا تساندنا لنصرة وطننا احييناه وحيينا به واذا تآزرنا لاقالة عثرته واحياء رفاته اقلناه ونعمنا بخيره

فمهما تخالفت ادياننا فلنا وطن واحد تظللناسماؤه ويروينا ماؤه ففى هذا الوطن كلنا اخوة وهو لكلنا وفيه كلنا غرباء وهو لغيرنا اذا مكثنا على عادة الجهالة نتنازع الاديان وتتنازعنا عوامل التفريق والبهتان.

دلائل الامة الحية (*)

الامة لا تموت ما دام فيها رجال عمل وما دامت فيها عزائم لا يشوبها الكلال والملل. واذا اردت أن تعرف من هي الأمة الحية فلا تنظر الى كثرة العدد ووفرة الانفس بل إلى قوى الحياة الكامنة في ضلوع الأمة . وما يتخلل جدران مجموعها من عزيمة ونشاط وهمة . ثم انظر الى أفعالها. وضع في الموازين أقدار رجالها . واعتبر فعل الزمان بالأمة وفعل الامة بالزمان واستنبئ التواريخ عما نزل بها من الخطوب والرزايا وكيف غالبت بعزائمها وهممها جيوش النكبات والبلايا حتى خرجت من خلال المعطب والمهالك خروج البدر من الظلماء ثم واصلت سيرها في سبيل المجد والعلاء وهي في كل يوم تضيف قوة جديدة الى قواها وتضم مفخرة حديثة الى مفاخرها القديمة وتزيد نظام حكومتها في بلادها وتمكن هيبتها في نفوس الاجانب عنها ولا تعمد الى وسائل العنف والجبروت في معاملاتها . هناك تعلم ان هذه الامة هي الامة الحية التي ينشد لسان حالها قول ابي الطيب المتنبي.

انا صخرة الوادي اذا ما زوحمت　　　　واذا علوت فانني الجوزاء

هنالك تعلم ايضا ان الامة الحية لا تشيخ بكرور العصور والاحقاب عليها كما يظن بعض فلاسفة الاخلاق لان الهمم ليس لها اعمار والعزائم ليست بذات آجال والامة غير الفرد في هذا المعني لان فيها قوة تجدد على الدوام وعناصر حياة لا تنفذ على الانفاق واذا حاولنا ان نجد لها شبهاً شبهناها بتلك الشجرة الباسقة التي كلما تقادم عهدها زادت جذورها تعمقا في الارض وزادت فروعها تطاولاً في الجو وعجزت العواصف والزعازع عن مناوأتها او الاضرار بها فهي اذا كسرت غصناً نبت مكانه غصون وافنان.

خذ مثلا على اعتداد الامة الحية بنفسها واعتقادها بانها لن تموت ولن تيأس قول المسيو ديشانل رئيس مجلس النواب الفرنسوي في خطاب القاه منذ ايام وهو

"ان لي بحسن طالع بلادي اعتقادا لا يتغلب عليه اعتقاد . ولا يغيره هوى الفؤاد. واذا كان هنالك شئ يدهشني فهو انني أرى أحيانا علائم ارتياب في ذلك لاعتقاد ودلائل خمول وضعف ليس عليها دليل ولا برهان".

(*) ١٤ مارس ١٩٠٠ .

نعم يحق لهذا اللوذعي ان يدهش ويتعجب لانه رجل يعرف ان دولته مضت عليها خمسة قرون وهي دولة عظيمة مهيبة وقد نبغ فيها رجال كشارلمان ونابوليون وتييرس وغمبتا ومرشان وغيرهم من اهل البأس والاقدام والسياسة والعلم والادب والصناعة ولاتزال الالى الآن مطلع اشعة الذكاء والنباهة بل يعلم ان فرنسا أصيبت في الثلث الاخير من القرن الماضي بما لم تصب به أمة قبلها اي بحرب السبعين التي ابتلتها بالكوارث الجسام والخسائر العظام في ما لها ونسلها وحرثها ثم ما لبثت ان استمر مريرها واستعادت قوتها ونشاطها واستردت عنفوان شبابها وعادت دولة هي غرة في جبين اوروبا وابتسامة في ثغر التمدن والحضارة كما قال عنها كريسبي عدوها الشهير واصبحت بعد ٣٠ عاماً دولة برية وبحرية من الطراز الاول قائمة على اركان جمهورية ديموقراطية دستورية نشأت بعد تلك الحرب فجددت عزة فرنسا الماضية وزادت عليها بان فتحت بلاداً واسعة وهي الآن تأهب لمعرض تبهر به عيون العالمين بما ستعرضه فيه من بدائع العلم والصناعة ودلائل النجابة والتقدم العجيب فكيف يجوز له ان يرتاب بحسن مستقبل بلاده واذا سألته ما هو السبب الذي ينفي ارتيابك اجابك بقوله.

"نحن أمة ولوعة بالعمل والكسب والتوفير. أمة عندها من وسائل النجاح واسباب التقدم وادوات الارتقاء ما يحير العالم وعندنا جيش يلتف حوله نجباء الامة باسرها اذا حاول احد ان يمسه بأذى وشر وعندنا المدفع الاول في اوروبا وسيكون لدينا احسن بندقية بعد بضعة اشهر كما قال وزير الحرب منذ ايام في منبر مجلس النواب وقد جددنا آلات الدفاع والحماية منذ انقلب نظام المدافعية سنة ٨٦ ومن ورائنا محالفة عظيمة قوية حمتنا من كل اعتداء وضير فكيف يجوز لنا بعد ذلك ان نرتاب في حسن مستقبل بلادنا وما الذي يلزمنا بعد ليكون املنا بالمستقبل اكيداً واعتقادنا به وطيداً . على اننا اذا كنا مفتقرين الى شيء لاتيان العظائم في الدنيا فالزمان امامنا والايام ما بيننا لانه حينما ظهر كافور في ايطاليا وبسمرك في روسيا لم تكن بايطاليا ولا بروسيا مثلما هي فرنسا في هذا الزمان فالاولى كانت امة صغيرة ذات اجتهاد وحب للعمل ولكن وسائلها قليلة والمانيا كانت اجزاء مجزأة واعضاء مبددة ومع ذلك فان كافور وبسمرك غيرا احوال بلاديهما واحوال اوروبا بمعونة الوقت والزمن ونحن قد نبغ عندنا رجال نظيرهما ولكن الوقت اعوزهم فلم يتمكنوا من انفاذ مقاصدهم الكبيرة وهكذا كان شأن غمبتا وجول فري . هذا وان امامنا الآن مثلا يجب ان نستفيد منه وهو ان بعض البلاد حينما تقع في ازمة شديدة ترى افراد الامة كلها حتى الذين يذمون اعمال الحكومة ذماً شديداً قد التفوا حول الرجال الذين يمثلون الوطن كما تجمع الاغنام حول راعيها او كما تتكوف الجنود حول رايته" .

الدين والسياسة (*)

لسنا نظن انه يوجد بين جرائدنا العربية جريدة سبقتنا الى الكتابة عن الدين والسياسة مع اظهار الفرق بينهما وخطل القائلين بخلطهما فى كل حديث أو جدال عن حوادث هذا الزمان كانما هما صنوان متلازمان او وجهان من وجوه الكلام عن الشئ الواحد متقاربان متشابهان. ولقد كنا من بعد الذى اوضحنا نتحاشى الكلام فى هذا الشان لان جريدتنا لا تبحث في الاديان وليس من مبادئها التعرض لها – هذه خطتها وخطة الجرائد السياسية كلها حتى انك لترى في صدر الكثير من هذه الجرائد انه لا دخل لها فى المواضيع الدينية وهى سارت على هذا النمط المحمود اعواماً فكان فى خطتها الخير المطلوب وفعل كتابها فعل العاقلين .

ولكن هذا السير المحمود لم يطل زمانه لسوء الحظ وجعلت الجرائد تخلط الدين بالسياسة فى كتاباتها من حين الى حين حتى اذا جاء هذا العام وآخر العام الذى تقدمه صارت بعض الجرائد اليومية عندنا جرائد دينية بحتة لا تقرأ مقالة من مقالاتها او شذرة من شذراتها و جزءاً من اخبارها الا وفى كل جملة اشارات الى الدين وادلة على صحة ما تقول من ايات الدين واطراء بمدح الدين الذى تبعه من دون بقية الاديان. ولو انها انقلبت من الصبغة السياسية الى الصبغة الدينية انقلاباً صحيحاً تاما لما كان فى انقلابها ضرر على العالمين لان باب الكتابة مفتوح لجميع الافراد والاقلام حرة فى هذه البلاد وما فى الناس من عاقل يتأثر اذا قرأ فى جرائد المسيحيين ادلة على صحة ما يعتقد المسيحيون او اذا توارادت عليه جرائد المسلمين وكلها مقالات عن الاسلام ومبادئ المسلمين. ان العاقل يود لو يكون كل امرئ تابعا لاوامر دينه عاملا بما في كتابه مادحا لعقيدته لان الثبات فى الرأى واحترام المرء لدينه من الفضائل الممدوحة ولان الرجل اذا صح اعتقاده بدينه لم يقدم على المحرمات ولم تسمح الذمة ان يخون المرؤة والوطن ليكسب درهماً او ليحرز وساما او ليجمع من حوله انصاراً او يقيم المتاعب في وجه الذين

(*) مصر ١٩ مايو ١٩٠٠ .

يخلفونه في المعتقد، فلو ان جرائدنا التى كانت فى بدء امرها سياسية صارت الآن دينية اقتصرت على هذا الوجه من الكتابات الدينية لكان فعلها ممدوحا واستحقت ثناء العالمين. ولكنها والاسفاه تركت السياسة وتحولت الى جانب الدين لا لكي توضح للناس مشكلات دينهم أو لتذكرهم بشروطه وقواعده بل هى فعلت ذلك لتتخذ الدين سلاحا في اساليب الجدال وترسأ تتقى به هجمات المناظرين وما كان الدين الرفيع ليرضى واضعه العظيم بوصوله الى هذه المنزلة ولا هو جعلة آلة للحرب والخصام فى يد القاصرين . ان الذين يناظرون سواهم في المسائل السياسية والادارية بمثل هذا الالتجاء الى ساحة الدين هم الجهلاء القاصرون بعينهم يلجؤن الى الدين من ضعف حجتهم وفساد رأيهم وهم بهذا العمل ينزلون الاديان عن عالى مقامها ويعدون في شرع الانسانية من المجرمين.

ولا ريب ان الذى نقل بعض الصحف المصرية من عالم السياسة والادارة الى عالم الدين هذا النقل المضر بالوجهين بضعة من الكتاب سعوا وراء الرزق من ابوابه الكثيرة فلم يتم لهم النجاح المطلوب ثم خطر لهم ان يلقوا دلوهم فى دلاء الصحافة ويكونوا من أبطالها فانشأوا الجرائد ليجمعوا المال منها وينالوا الرتب والفخر ثم رأوا بعد انشاء الجرائد ما رآه غيرهم ان الناس لا يقبلون على الجريدة الجديدة الا اذا كان لها مزيات تميزها عن سواها فجعلوا يفكرون فى طرق التمييز الداعية الى التفات الافكار وتحويل الاذهان وما لقوا وجهاً أحسن من وجه التحريض الديني أو وجه الادعاء بالتقى والغيرة على الدين فجعلوا يكتبون المقالات والاخبار عن كل امر له علاقة بالدين حتى ان واحدة من هذه الجرائد المستجدة نشرت من عهد قريب خبراً عن تدين رجل رومى فى اليمن اسمه ستاورو بدين الاسلام وجعلت للخبر عنوانا ومقدمة كأنما انقلاب ذلك الرومى في اليمن من اخبار الارض العظيمة حتى تجعل له كل ذلك الشأن. ثم هي ما مضى عليها يوم من عهد صدورها الا وفيها مقالات شتى عن المسائل الدينية الخصوصية وهو امر لم نعهد له مثيلا في صحف الاخبار السياسية من قبل هذا الحين.

يقولون ان الجريدة انشئت لخدمة الوطن فاي خدمة للوطن في نشر المقالات المتوالية عن تعصب الامة الفلانية على الاسلام والمسلمين واي نفع لاهل الوطن من زرع مثل هذا النفور في عقولهم وتكرار القول بان دول النصرانية كلها قائمة تريد الخراب والذل للمسلمين .

وما دخل الوطن في ما يقال عن الدين الاسلامي او الدين المسيحي حتى ان جرائدنا تجعل همها قاصراً على المناقشة في هذا الباب الضيق. افرض ان الذي نقلوه كله صحيح وأن بعضاً من رجال اوروبا قالوا بوجوب اضطهاد الاسلام وإذلال الامم الاسلامية فهل في نشر قولهم منفعة لاحد في الخافقين. واذا كان بعض أهل الغرب قالوا اشياء تمس المسلمين افلم يقل المسلمون شيئاً عن النصارى ودين النصرانية يزيد عن الذي قاله بعض كتاب الانكليز والفرنسيس. فما الفائدة من اعادة قول هؤلاء وتوليد الاحقاد على غير جدوى لاحد الفريقين .

هذا يوضح ضرر الكتابة في ما تقدم من المعاني اذا فرضنا ان كل الذي نقلوه ورووه عن لسان بعض من كتبة الافرنج صحيح ولكننا نعلم علم اليقين ان لكبار الرجال في اوروبا مؤلفات نفيسة ومقالات لا تعد ولا تحصى وبعضها لمشاهير الالمان ولعظماء الانكليز والفرنسيس في مدح الاسلام والمسلمين وتعظيم نبي الاسلام واداب هذا الدين المشهور لم يذكرها اصحابنا الغيورون على نشر الحقائق ولم يتخذوها دليلا على اقرار الاجانب بفضل كبارهم وهم لو قرأوا كتاب المؤرخ الانكليزي الشهير جيون عن النبي محمد (صلعم) وادابه وفعاله لقالوا انه لم يمدحه مسلم مدح هذا المؤرخ الانكليزي. وافرض ايضاً ان الذي رواه المحرضون عن كتبة الغربيين كله صحيح وان الذين اذاعوا ارائهم المضادة لعقائد المسلمين كانوا يعتقدون ما قالوا ويقصدون الشر للمسلمين — افرض ان هذا كله صحيح افلم يقم من أهل النصرانية انفسهم من كتب المجلدات الضخمة في فساد دين النصرانية والتنديد بجميع المسحيين وهل اذا قام العالم الاسلامي برمته والشرق كله على الامم المسيحية يمكن له ان يؤذي النصرانية اكثر مما اذاها فولتير وبرادلو وغيرهما من كتاب المسيحين الملحدين فاذا كان بين الافراد من يقبح دينه ومذهب امته فاي عجب في قيام أفراد آخرين يقبحون ديناً شرقيا لا تربطهم به رابطة واي نفع نجنيه من أعادة قول الذين كتبوا في مثل هذه المواضيع .

واما قولهم ان اوروبا تكره الامم الاسلامية وتنوي لها الشر لانها على دين الاسلام فذلك بحث آخر يتفرع من هذا البحث كتبنا فيه بعض المقالات وسنعود اليه على عجل إن شاء الله .

ديانة أوروبا (*)

افضنا فى علاقة الدين بالسياسة فى العدد الاخير من هذه الجريدة ورأينا ان اجمال الذى تقدم يعد تمهيداً مفيداً لمقالة اليوم فنحن نعيد الآن قولنا بما يأى.

١ ان بعض الجرائد اليومية السياسية خرجت عن خطتها الاصلية وافرطت في الكتابة عن المواضيع الدينية خطاء منها او انها فعلت ذلك لغايات لا تليق بالادباء المترفعين.

٢ ان نشر الاقوال التى تعزى الى بعض الاوروبيين عن الاسلام والمسلمين لا يفيد البلاد الاسلامية ولا تأثير له غير جرح النفوس وتوليد الضغائن بين فآت الشرقيين.

٣ ان الذى قيل عن كتاب الافرنج اكثره مبالغ فيه او غير صحيح وان صح فهو لا تأثير له ولا عجب فى قوله لان القوم يقولون اكثر منه دين النصرانية ولان كتاب المسلمين يقولون فوق ما قال الكتاب المذكورون عن دين المسيحيين فاقوال الفريقين لا يجب ان تكون حجة على اميال الامم ولا ان تتخذ سبباً للتحريض على الشقاق والتفريق المودى بمصالح العالمين.

٤ ان عقلاء الاوروبيين عامة يكرمون الاسلام والمسلمين ولا يخطر في بالهم اضطهاد أمة لانها مسلمة وان القول بغير هذه الحقيقة الواضحة يعود بتوليد الحزازات المضرة ولا فائدة منه على حال من الاحوال.

هذه كلها حقائق لو كررنا نشرها كل يوم مرة لما عد التكرار مملاً لان حالة بعض الصحف العربية اضطربت في هذه الايام وكثرت مقالاتها الدينية كثرة توجب القلق.ولما كان معظم الذين يوقدون نار الانقسام والقلاقل من الذين لا يتدبرون العواقب وكان الخوف من سريان دوى الشر بسبب هذه الكتابات غير قليل فنحن نذكر القراء بالذى نكتبه في هذه الجريدة من حين الى حين عن حقيقة الحال وقد جعلنا عنوان هذه المقالة (ديانة أوروبا) اشارة الى ما تدين به الاقوام الاوروبية فى هذا الزمان وهو الاله الذى اتفقت جميع الطوائف على عبادته نريد به اله المصلحة الخصوصية الذى يجهر كبراء اوروبا بتقديم الذبائح الكبرى على

(*) مصر ٢١ مايو ١٩٠٠ .

مذبحه ويخدمة مبدائه في جميع ادوار الحياة.

وعسير علينا ان نعود الى عد الذى ذكرناه مراراً من الادلة على ان أوروبا لا تعبأ بمبداء غير مبداء المصلحة ولا تهتم لرأى غير رأى المصلحة ولا يهزها عامل غير عامل المصلحة فان الذى حدث في الاعوام الاخيرة من الادلة على هذا القول كثير لا يعد. وهذه حرب الترانسفال الحالية تراها قائمة بين أمتين هما في الحقيقة طائفة واحدة لهما مذهب واحد ولكن المصلحة متخالفة فالامتان تركتا الدين والآداب والتقاليد والانسانية والشعور وكل شئ مقدس ذكره وقامت الحرب خدمة للمصلحة المعبودة الكبرى لكل عناصر الاوروبيين. والدول الاخرى كلها كارهة لانكلترا ميالة الى البوير على الانكليز وقد نادتها جمهورية الترانسفال واستغاثت بمروءتها ورجتها غير مرة أن ترأف بحالها وتنقذها من مخلب الانكليز فكان الجواب اعراضاً وجموداً لان هذه الدول تعبد المصلحة والمصلحة تحتم عليها بمثل هذا الصنيع.

وهذه مذابح الارمن وحوادث الروم ابيضت من هول أخبارها النواصى وزهقت من شدة عذابها الارواح وانقصم من عناء مذابحها ظهر الامة الارمنية التى قتل منها نحو مايتى الف بالسيف ومات نحو اربعائمة الف من عناء الفاقة وعذاب السجون وهجر المنازل والتعرض للاخطار الكبرى فراراً من يد القاتلين وكانت أرمينيا تنتحب وتصرخ مستغيثة باهل اوروبا والدماء تغلى فى الاجسام واللهب تتقد فى الصدور والغيظ يذيب الاحشاء من فعل بنى الانسان فى تلك الحوادث المريعة وأوروبا كلها قاعدة تتفرج ولا تخاطر برجل واحد لانقاذ امة كبيرة من المسيحيين لجأت الى دار مروءتها ولا تحرك ساكناً لا راحة بلاد واسعة من عذاب لا تطيقه الاجسام ولا تصبر على مثله النفوس. ولماذا لان المصلحة قضت على اوروبا بالسكوت واوربا تعبد المصلحة بئس العبادة عبادتهم وبئس ما يفعل الاوربيون .

وانظر الى ماضى الحادثات قريبها .

الدين والسياسة (*)

(لاديب من ادباء المسلمين) (١)

[حضرة الفاضل مدير جريدة مصر الغرآء]

اطلعت على ما نشرته جريدة مصر الغراء عن الدين والسياسة حيث قالت انهما لا تربطهما رابطة ولا تجمعها جامعة وقد انتقدتم خطة الجرائد التي جعلت الخوض في هذا الموضوع اهم ما صرفت اليه انظارها وانني اوافقكم على ما ذكرتموه لامرين اولهما ان الشرائع الدينية لا دخل لها فى السياسة والثانى ان نشر امور كهذه تفضل ديناً على دين مما يبذر الاحقاد في الصدور ويفرق بين المسيحيين والمسلمين على ان قانون الهيئة الاجتماعية يحتم علينا ان لا تتعرض للمساس بدين من الاديان فكل امرء يمكنه ان يحترم دينه ويتمسك بقواعده من غير ان يتعرض لاصحاب دين أخر.

واما اذا كان ما ينشر فى هذا الموضوع مما يقصد به الحث على اتباع القواعد الدينية فهذا مما يثاب كاتبه عليه ولا اعتراض للعاقلين على نشره لاننا نعلم ان تعليم الدين يقوم النفس ويبعدها عن الرذائل ولكننا نرى وآسفاه ان بعض الكتاب الاوروبيين يخالفون هذا المبدأ الجليل ويخلطون الدين بالسياسة حتى اصبحوا يخادعوننا بسفاسف خزعبلات جل قصدهم من نشرها حل العروة الوثقى بين المسلمين ومتبوعهم الاعظم الذي جذب قلوب المسيحيين اليه قبل الاسلام وشاهدي على ذلك أخبار الاستانة من مثل عفو جلالته عن متمردي الارمن ورضائه عن زعماء الدروز وارجاعهم من منفاهم وانعامه المتوالى على

(*) جريدة مصر فى ٢٢ مايو ١٩٠٠.

(١) محمد فهمى – ايتاى البارود فى ٢٠ مايو ١٩٠٠ .

رؤساء الطوائف المختلفة واطلاقه الحرية للاديان وغير هذا مما يضيق المقام عن عده.

فكان الاولى بالذين نهجوا هذا النهج من الكتاب الغربيين ان لا يبثوا افكاراً كهذه يعود نشرها بالضرر العظيم وقد كنا ننتظر من هؤلاء الغربيين الذين اسسوا المدنية والحضارة ان يعدلوا عن هذه الخطة المذمومة وان يبقوا رأيهم في الاديان بمعزل عن السياسة فان اللوم في فتح هذا الباب عليهم لا على كتاب الجرائد العربية التي اضطرتها أقوالهم الى صوغ الردود عليها ((مصر} لا ريب ان العقلاء الذين يرون رأي هذا الاديب في موافقة الذي قلناه عن الدين والسياسة والبعد بينهما كثار في كل جانب من جوانب القطر وقد ظهر نفور الجمهور من كتابات الجرائد التي اتخذت الدين سلاحاً وجعلت تفريق القلوب بعضها عن بعض حيلة للكسب وواسطة لقضاء المآرب الذاتية . ولكننا لا نرى بداً من ايضاح امر طفيف لحضرة الاديب كاتب هذه الرسالة هو ان الناس هنا يتوهمون من بعض الكتابات ان كتاب الغربيين جعلوا دأبهم الحط من شأن قدر الاسلام والكتابة عما يضر بالمسلمين وان الجرائد المصرية التي دخلت في هذا الجدال كانت ترد عليها وهذا خطاء وفرض غير صحيح فان كتاب اوروبا العظام وكتاب فرانسا على نوع أخص لا يحفلون بالمذاهب ولا يهتمون لاختلاف الناس على الاراء الدينية فهم لم يجعلوا الكتابة عن الدين الاسلامي ديدنهم كما يظن الذين اثرت فيهم بعض الكتابات المضللة . واذا كان بين الغربيين من يقول في بعض كتاباته ما يسوء المسلمين احياناً فهو يقول أفظع منه عن الطوائف المسيحية وقوله في الحالين رأي خاص به لا يجب ان يعد دليلا على التعصب العام او اشارة الى اتحاد اهل اوروبا كلهم على اذلال المسلمين وسحق الاسلام لانه اذا صح رأي الذين يفهمون هذا من قول زيد وعبيد وجب ان يقال ان هؤلاء الكتاب الغربيين يقولون ايضاً بسحق النصرانية واذلال الاقوام المسيحية وفي ذلك من الخطاء ما لا يمكن تقويمه الا اذا وقف المرء عند النتيجة الطبيعية الصحيحة وهى ان هؤلاء الرجال يسطرون اراءاهم الخاصة وان اوروبا تاتي ما تأتي ناظرة الى الوجه السياسي والمصلحة الخصوصية غير ملتفتة الى أمور الدين

حتى انها لتأتي في كثير من الاحيان اموراً ينفر منها خدمة الكنائس النصرانية ولا ترعى لهم حرمة اذا اقتضت المصلحة الخاصة بها اعراضا عن اعتراضهم وهذا يحدث نظيره في كل يوم وقد اوردنا أمس شواهد عديدة على صحة هذا المقال ومن الغريب ان الذين يقولون ويكتبون عن المسيحيين مالا يرضى العقلاء كثار هنا وفى كل بلاد اسلامية ولكن أهل اوروبا لا يتخذون اقوال هؤلاء الافراد دليلا على اتحاد المسلمين عليهم ولا يجعلونها مقدمة للتحريض على الاسلام واهله فنحن يجب ان نفعل فعلهم ولا نتوهم أموراً فوق ما يصدق العقل ولا نظن كل كاتب غربى قائلاً بلسان اهل الغرب جميعهم فان هذا من أوهام الجهلاء القاصرين.

وأما قول الاديب صاحب الرسالة ان مراد الغربيين من خلط الدين بالسياسة – اذا صدقنا انهم يفعلون ذلك – ان يفصلوا المسلمين عن خليفتهم الاعظم فما لا نرى دليلا على صحته من وجه ديني فانه يمكن ان تكون الدول طامعة في بلاد الدولة العلية تريد اضعافها وامتلاك اراضيها ولكن ما دخل هذا فى الدين . أليس ان الدول كلها طامعة في انكلترا واملاكها ميالة الى تجزئة سلطتها واكتساب اموالها من زمان بعيد – فهل يعد هذا من قبيل التعصب الدينى كما يظن حضرة الاديب . او ليس ان الدول النصرانية فتكت بدول نصرانية اخرى كما ورد فى مقالة امس ولم يكن للدين دخل فى كل هذه الاعمال. فما بالنا ننسى هذه الحقيقة ونعود فى كل حكاية بين الغرب والشرق الى مسألة الدين والدين لا يخطر على بال الاوروبيين وأي بلاد حلها الغربيون وظلموا فيها المسلمين ورفعوا قدر النصارى ان كان القوم يسيرون في أحكامهم على الدين.

هذا واننا كما تقدم القول نرى ان الاذهال تهذبت والعقول ادركت الحقيقة في هذا الشأن ونحذر القراء جميعاً من تصديق ما يشيعه معشر المغرضين والمحرضين .

الســراط المستقيم (*)

قابل أحد افاضلالمصريين رجلا من كبار الانكليز بعيد الاحتلال الانكليزى ببضعة أشهر ودار بينهما الحديث فى أنجع وسائط التقدم التى تكفل اصلاح مصر والمصريين فكان رأى المصرى رأى السواد الاعظم منا وهو ان أنجح تلك الوسائط تعميم العلم فى القطر المصرى وتهذيب أبنائه بالعلوم العصرية وقد كان المصرى يحسب هذا الرأى أسلم الآراء فى هذا الشأن وأبعدها عن الخطأ حتى انه نطق به كقضية بديهة لا يختلف فيها اثنان لانه رآه سراطاً مستقيماً سارت عليه الامم الاخرى من قبل فرقيت ذرى المجد وقويت على غير الزمان. أما الانكليزي فلم يكن ذلك من رأيه لكنه لم يقع عنده موقع الاستغراب لأنه رأى الاكثرين ومذهب الجمهور ولأنه كان من القائلين به أيام صبوته والشاحبين لكل رأى ناقضه وطالما جاهر به في مجلس النواب الانكليزى حسبما قال حين كانت تلقى عليه مسألة من هذا القبيل حتى اذا تقدم فى الايام علمه الاختبار انه كان فى واد والحقيقة فى جبل بعيد. وذلك انه رأى بعد الاختبار على قوله ان امةً كالامة المصرية لم تتحرر من ربقه الجهل والعبودية الا من زمن قليل يجب ان لا تفاجأ بمثل هذا الطعام الدسم اللذيذ لئلا تكثر من اكله وهى ليست على استعداد من هضمه تاركه وراء ظهرها ما يلائم حالتها الصحية وينطبق على ظروف احوالها وما يسهل عندها قضمه ولا يعسر هضمه؛ قال :

"فان هذه الامة كانت الى عهد قريب تسام الذل والخسف في دخولها أبواب الزراعة وهي أعظم مورد عندها وترى الذين لهم علاقة بحكومة البلاد وحكامها مكرمين معززين بعيدين عن دواعى الذل والهوان فهى لا تزال ترى الاشتغال فى الزراعة ونحوها عاراً عظيماً مهما يكون من نفعها والابتعاد عنها وعن مثلها من الاعمال الحرة العمومية والتقرب من دوائر الاستخدام وما شاكلها شرفاً كبيراً وراحة تنطبق على رغائبها فان نحن سهلنا عليها نيل هذه الاماني بان علمناها تعليماً يقدرها على الابتعاد عما لا يحتاج الى علم كثير كدوائر الزراعة ونحوها جنينا

(*) مصر ٢٦ مارث ١٩٠٠ .

عليها جناية كبرى لا نسامح عليها لاننا بذلك نكون قد دسينا لها السم فى الدسم بأن لقناها ما تتلذذ به من المعارف والعلوم فتترك وراءها الزراعة والتجارة والصناعة ونحوها وهى موارد للسعادة والخير كما تعلم لا تقاس بها موارد الاستخدام ونحوه مما يقتل روح الاعتماد على النفس ويعلم البطالة والاسراف وما وراءهما من دواعى الفساد والاتلاف. وعندى ان السراط المستقيم الذى يجب ان تسير عليه الامة المصرية فى هذا الآن وقد منحت حرية الاشتغال فى كل عمل عمومى هو تعليم معظم الناشئين فيها تعليما بسيطا لا يؤهلها الى الابتعاد عن موارد رزقها الاصلية ما دمنا نرى كل شاب يؤتى من العلم ما يفتح له باباً يطرقه مهما قلّت منافعه أوعدمت مكاسبه بحيث انه يرى مجرد دخوله المدرسة داعياً الى ترك السبيل الذى طرقه ابوه من قبل مهما كان النفع من هذا السبيل".

قال المصرى "وما انتهى الرجل من قوله حتى قنعت بصحة مذهبه وعلمت انني كنت من المخطئين سيما حين ادرت الطرف الى شبان مصر المتعلمين فرأيت السواد الاعظم منهم يهجرون هاتيك الموارد النافعة افواجاً افواجاً ويملأون الشوارع والحارات متفرقين فى طول البلاد وعرضها وهم لا عمل لهم غير البطالة والكسل لانهم تركوا سبل ابائهم المطروقة جهلا منهم وترفعاً وعدموا السبيل الى سواها فباتوا ثقلا على الهيئة المصرية ومانعاً قوياً دون تقدمها لا هم يموتون فتستريح البلاد من شرهم أو يفسحون أبواب الرزق لسواهم ولا هم يقبلون النصح والارشاد ويطرقون ابواباً للرزق طالما طرقها اباؤهم من قبل فاثروا وكانوا من الناجحين".

قلنا والرجلان فى مذهبنا على هدى ورشاد فالبوير وهم قوم فلاحون لا يعرفون من العلم الا قليلا قدورا بما عندهم من الثروة والقوة على مناوأة اكبر دول الزمان والذود عن استقلالهم والروس وهم قوم يندر المتعلم فيهم من اقوى الامم واوسعها سلطاناً بما لديهم من المال والقوة الحربية والفرنساويون وهم في طليعة الامم علماً وتمدناً عدموا السبيل الى مجاراة الامم الراقية لانهم جعلوا قوماً من الغرباء يتمكنون من القبض على أعمالهم المالية واشتغلوا بسياستهم الداخلية المرتبكة عن السياسة الخارجية والمصريون القدماء سقطوا وهم من العلم على جانب لم يباروا فيه من دولة في أيامهم لانهماكهم في الترف والاسراف وانشقاقهم بعضهم على بعض فليس بالعلم وحده ترقى الامم ولا بدونه وحده تسقط انما العلم المعروف عندنا واسطة من وسائط التقدم اذا قرن بالعمل في موارد البلاد الاصلية كان خيراً جزيلا والا فهو شر عظيم يتهدد

البلاد بالفقر والابتعاد عن وسائط القوة الحقيقة وواضح اننا لا نقصد بما تقدم أن يبقى المصريون على جهلهم المعروف أو يكتفو كلهم بالتعليم البسيط فاننا نعلم ان البلاد كما تطلب من شبانها الاشتغال في موارد أرزاقها الاصلية تطلب منهم أيضاً القبض على المراكز المفيدة في دوائر الاستخدام وهذا يحتاج الى علم صحيح. ثم ان الاوروبيين كفونا مؤونة البحث في كثير من الشرائع الطبيعية فبتنا نجني ثمرات علمهم الصحيح وأصبحنا نستخدم البخار والكهربائية ونحوهما في أعمالنا فلسنا في حاجة كبرى الآن الى ترقية مدراكنا حتى تصل درجات التفنن والاختراع يكفي أن نتعلم كيف نستخدم هذه المخترعات في أعمالنا ويكون لدينا من العلم ما يصلح بشأنها اذا فسدت . وعليه كنا في حاجة كبرى الى تعلم الصناعة كما نحن في مثلها الى تعلم الزراعة على الطرق العلمية الحديثة وكان من أهم واجباتنا وأخذنا ننهض نهضة عملية بالاعتماد على النفس في فتح مدارس أهلية أن نوجه التفاتنا الى هذا المبدأ فننشئ من المدارس الزراعية والصناعية ما يكفي لتعليم شباننا العلوم العلمية ونبث في الشبان الذين يقصدون سواها روح الليل ر الى اقتفاء ابائهم في الزراعة والتجارة والصناعة وخير لنا ان نقتصر مع امثال هؤلاء على تعليمهم تعليماً بسيطاً ليروا انفسهم في اضطرار الى القبض على المطرقة والمحراث بل نكاد ان نشير ايضاً الى هذه المدارس حتى اذا شبوا وكانت العمامة ملبسهم كما كان اباؤهم من قبل لم يروا سبة عليهم ان يقتفوا اثارهم ويطرقوا ابواب الزراعة والصناعة والتجارة حيث الصحة والغنى وكل خير جزيل. فاذا ارتقت مدارك المصريين وعلموا ان لا جناح على المتعلم ان يشتغل بيديه في هذه الاعمال اشرنا ان تزاد مواد اللهم على قدر ما يعطى صحيح الجسم من الطعام وبأن يزيد الاعتناء بامهات المستقبل على الخصوص ليحسن تربية ابنائهم ويصلحن ادابهم ويخلقن فيهم روح الجسارة والنشاط لا روح الخمول والخوف كما يجرى الآن وبذلك يملك شبابنا ناصية العلم والغنى والقوة البدنية فينهضون من سقطتهم ويرتقون .

هذه ايها المصريون سب النجاح المؤدية الى الاستقلا الحيّ السحيح وهذا هو السراط المستقيم فاتبعوه تفلحوا اذ كان لكم مطمع في الحياة بعد .

القسم المصرى فى

مــعــرض بــاريس (*)

جاء في العدد الاول من مجلة "معرض باريس" وصف القسم المصرى من هذا المعرض فآثرنا أن تلخص ما يهم القراء من وصفه وها هو.

ان المكان الذي خصص للقسم المصرى من أهم الامكنة التى خصصت لمعارض الامم الاخرى فى حديقة التروكاديرو اذ تبلغ مساحته ٢٦٤٠ متراً مربعاً شيدت فوقها أبنية يعرف مقدار ضخامتها من ارتفاع أعمدة الهيكل البالغ ١٤ متراً وقطرها البالغ متوسطه مترين والمكان واقع بين شارع بينا وزواية مجد بورج ولا اتصال بينه وبين بناء آخر من جهاته الاربع.

وقد علمنا أنه لما دعت الحكومة الفرنسوية الامم الى الاشتراك فى معرضها أعرب الجناب العالي الخديوى عباس باشا عن رغبته فى انشاء بناء على ضفة نهر السين يشبه بناء أجمل هيكل من هياكل مصر القديمة القائمة على ضفاف النيل ولكن الحكومة الانكليزية عارضت هذا الميل وبذلت ما فى طاقتها من الساعي لتعطيل هذا المشروع واحباطه ولكن ما لم يستطيع الجناب العالي أن ينفذه رسميا قام به جماعة من المصريين بمصادقة سموه وتعضيده وتنشيطه بحيث صارفي الامكان اعتبار المعرض المصرى رسميا وان لم يكن فى حد ذاته كذلك والفضل فى انشائه وانجاح مشروعه عائد الى حضر فليب أفندى بولاد فانه هو الذى اقترح انشاءه ورتب المعروضات فيه وجمع به صنوف الملاهى المصرية.

وقد نيط بالمسيو دورنيون المهندس الباريسى وضع تصميمات المعرض المصرى واقامة بنائه والمسيو دورنيون هذا هو الذى تقوم الآن بتشيد دار

(*) المؤيد اول مايو ١٩٠٠ .

التحف المصرية القديمة على أثر نواله المكافأة الاولى من المكافآت التى منحت لمن قبلت الحكومة المصرية منهم الرسوم التى وضعوها على أن الذين نالوا المكافآت الاخرى كانوا من الفرنسويين أيضا .

ويقوم بناء دار التحف المصرية المشار اليها على مسطح من الارض مساحته ١٢٠٠٠ متر وسيحتفل بافتتاحه فى صيف هذا العام وتوضع فيه مجموعة الآثار القديمة التي كانت معروضة فى بولاق ولا تزال الى اليوم معروضة فى متحف الجيزة مع ما عثر عليه الباحثون وسيعثرون عليه من الآثار الجليلة ثم لا حاجة بنا الى القول بأن علم الهيروغليف علم فرنسوي أقام معالمه شامبليون وموتج ودى روجيه وماربيت وماسبرو وغريبو ومورجان ولوريه وغيرهم من العلماء الفضلاء.

ولنرجع الى الكلام على بناء المعرض المصرى فنقول انه ينقسم الى ثلاثة أقسام مختلفة وان كانت متصلة ببعضها اتصالا تاما أما القسمان الاولان فقد جعل بناؤهما على النمط المصري المنقول من الآثار القديمة وفيما بينهما القسم الثالث المشيد على طراز الفنون العربية القديمة وقد زادت في جمال هذا القسم وحسن روائه ضخامة القسمين اللذين يكتنفانه الجانبين

ويحتوي هذان القسمان أحدهما على المعرض المصرى الاصلى والثانى على الملهي وجعل القسم الثالث العربى سوقا عمومية شبيها بالوكائل المعروفة في القاهرة وقد نقل طراز بناية القسم المصرى من أحسن المبانى الدينية القديمة شكلا وأجملها هندامـا فضـلا عن كونه غير معروف من الكثيرين بالنظر لبعد مركزه ووجوده فى جهة يتعذر الوصول اليها على السواحين العديدين الذين يتقاطرون كل عام الى الديار المصرية لمشاهدة آثارها .

وللقسم المذكور مدرج يصل بالصاعد الى مصطبة فسيحة مغطاة ثم الى فناء فسيح فيه باب كبير وبهذا الفناء عرضت الحاصلات الزراعية والمصنوعات والكتب المكتوبة بخط اليد والجواهر والسجاجيد الخ وفى الدور الاسفل تحت هذا الفناء جعلت قبور الموتى وفيها التوابيت والجثث المحنطة وما يلزم من الادوات للمراسم الجنائزية.

وقد جعلت الوجهة الجانبية والوجهة الامامية من الهيكل على مثال هيكل أنس الوجود المشهور ونقلت الاجزاء الباقية من هياكل العرابة المدفونة والكرنك وابسامبول وغيرها بحيث صار هيكل المعرض المصرى فى باريس جامعاً لمحاسن الامثلة البنائية فى أشهر هياكل مصر . أما السوق

الممثل لحقيقة الاحوال بمصر القاهرة في العهد الحاضر فقد جعل بناؤه على النمط العربي مبالغة في مطابقة الحقيقة ومدخل هذا البناء منقول من مدخل وكالة في سوق خان الخليلي بمصر وهى وكالة القطن وما عدا المدخل فمقلد من جملة آثار عربية مختلفة منها سبيل الجمالية المشهور وبالخارج درج يصل بالصاعد الي الداخل حيث يوجد فناء فسيح تحيط به أبواب عديدة بداخلها دكاكين أعدت لوضع ما يراد بيعه من البضائع المشهورة فى أسواق مصر والقاهرة. ومما يستحق الذكر من المناظر الجميلة التى تضمنها المعرض قاعة تشبه صالون الوكالة الفرنسوية في مصر القاهرة بسقفه وقبته ومشربياته المشغولة وقد جعلت في هذه القاعة الة سنماتوغراف لتمثيل أحوال الناس فى القطر المصري وحركتهم اليومية فى أشغالهم بالحركة. أما الجزء الاعلى من السوق فقد خصص لتناول الاطعمة وشرب القهوة والجالس فيه يمتد نظره الى القسم اليابانى من المعرض وما يليه من ضفاف السين وميدان فارس.

وقد خص القسم الثالث للملهى وهو عبارة عن قاعة فسيحة الجوانب به مكان لجلوس جوقة الموسيقيين وألواج ومرسح عرضه ١٢ مترا طوله الى الداخل ١٩ متراً وتمثل فيه روايات تشخيص للناظر أحوال المصريين والسودانيين فى عاداتهم وأطوارهم ورسومهم وقد رغب أصحاب هذا القسم أن يبرهنوا للجمهور الباريسى على أن مظاهر الحياة الشرقية لا تنحصر فقط فى رقص البطن الذى عافته النفوس ونبت عنه الانظار بل تشمل اموراً أخري أرقى منها كفلت ببيانها مظاهر التمثيل المذكور والقائمون بالتمثيل أجواق وطنيه روعيت بين أعضائها العادات الغاليه كأن لا يخالط الرجال منهم النساء فيما وراء منافذ المرسح ولا تمكن علاقة بين الجنسين الا وقت التشخيص فقط

الشركات (*)

عرف الاوروبيون مزايا الشركات وما يعود عليهم من الخير من ورائها فجدوا في اثرها جداً لم يبق معه زيادة لمستزيد فنجحوا نجاحاً باهراً وحصلوا على شهرة زائدة جعلتهم ذوى شان خطير وغنى وافر اما الشرقيون فلم يدركوا هذا الادراك ليسعوا هذا السعى بل اقتنعوا بحالتهم الحاضرة ولم يتعدوا حدود الافتكار باعمالهم الخاصة التي لا يرجى من ورائها النفع الا لافرادهم ولذلك بقوا على ما كانوا عليه قبل مئات من السنين ولم يغير الزمن الحاضر من عوائدهم الا مارآه غير موافق لمشارب مواطنيهم من الاجانب فكانهم والحالة هذه لم يسعوا الا في التخلق باخلاق هولاء الاقوام الذين ربوا على النشاط وتقاعدوا عن الجد مثلهم ليحصلوا على ما حصلوا عليه واذا قلنا ان ذلك ناتج عن قصر عقل او عدم ادراك فربما كنا مخطئين في قولنا هذا نظراً لما نراه من اقتدار الشرقيين في العلوم والمعارف ونشاطهم التام في جميع الامور غير ان السبب الوحيد الذي نتج من اجله هذا التقهقر عدم اقدام الاغنياء منهم على مباشرة الاعمال الخطيرة خشية ان يفقدوا ما في ايديهم من مال ومتاع.

غير ان شواهد الحال دلت على ان الاعمال التي تقدم ذكرها تحتاج الى من يحسن ادارتها للحصول على فوائدها والشرقيون لم يباشروا حتى الان أعمالاً مثلها ليحق لهم الفخر الذى يفخر الاوروبى به. ولقد املنا عند تألف شركة السكة الحديدية الضيقة في الفيوم ان النجاح سيكون عميدها مدى الدهر وتصبح مثالاً للنشاط وواسطة لحث الوطنيين على ان تنهج نهجها وتلف لفها نظراً للمساعدة التي صادفتها فى البداية غير ان الايام ما لبثت ان احبطت هذا الامل اذ اخذت الشركة المذكورة تسعى فى بيع امتيازها وجميع ما تملك الشركة السنديكا الاجنبية بعد ان بلغت ما بلغته من الشهرة وكادت تصبح من الشركات التي يشار اليها بالبنان فعمل كهذا يثبط همم الوطنيين ويجعلهم ان لا يفكروا فى مشروع ما خشية ان يصيبهم ما اصاب هذه الشركة ومع ذلك فلا نزال نؤمل تغيير الحال والثبات فى الاعمال للحصول على الفوائد التى يرغب الجميع الحصول عليها .

(*) البصير ٣٠ يونيه ١٩٠٠ .

هل تروج مصنوعاتنا (*)

هذا سؤال ليس مما يقصر جوابه على لفظة نعم أو لا دون بحث وبرهان فان قلنا لا ننجح ولا تروج الصناعة فى بلادنا وجب علينا بيان الاسباب والعلل وان قلنا ننجح وتروج مصانعنا كنا بالنظر لمزاحمة أوروبا التجارية وسبقها فى الصناعة الوفيرة فى بلادها الكثيرة الكبيرة منها والحقيرة مضطرين الى الحساب الدقيق والتقدير المضبوط لنكون قبل الاقدام على ايجاد الصناعة بيننا ضامنين لانفسنا الفوز والسبق على المصنوعات الاجنبية التى ضاقت ارجاء الغرب بها وأصبح الشرق وحده سوق نفاقها كما نرى ونشاهد الآن من احصائيات جماركنا ومستلزمات المعيشة والرفاهية المصرية بيننا.

وقبل التكلم عن ذلك أضرب للقراء مثلا واضحاً فان فى ثغرنا معمل كبريت (ثقاب) مديره فرنساوى وكل عماله من بنى الوطن فتية وفتيات فهذا المعمل فى خطر مهدد له بالخراب مادامت الواردات الايطالية كثيرة والنمساوية تزاحم غيرها أيضاً برخص الاثمان التى لو استمرت كذلك أصبح معملنا فى خبر كان وذلك لان الصانع النمساوى أو الايطالى قليل الراتب والحكومة مع الشعب العامل وسائل التنشيط والمراعاة حتى بلغ منها الحرص على رواج مصنوعات بلادها أنها تجبر شركات الملاحة على شحن بضائع الوطن الصادرة بنقص فى الاجرة لا يقل عن ٥٠ أو ٤٠ فى المائة مع وجود الكبريت والخشب وباقي المواد اللازمة للثقاب فى البلد نفسها مما يغنيها عن استيرادها مثلنا من الخارج بعد أداء نفقات نقلها وجمركها وايصال الربح للمتاجرة فيها .

ولقد اوجدنا فى الاسكندرية معملا للزجاج فسقط وتلاشى وذلك لان عماله كلهم من الخارج باجرة باهظة يقبل العامل سدسها فى بلاده ولأن الواردات النمساوية والايطالية والفرنساوية الاكثر اتقانا وجمالا كانت ترد الينا بكثرة وبخس فى الثمن حزنا على فاوريقة ما سلمت حتى ودعت وحرم الوطن من مزاياها وأبناؤه من فوائدها.

والآن نهتم بايجاد صناعة الغزل وننظر يوما تأسس فيه فاوريقه أو فاوريقتان لذلك اعتمداً على حاجتنا للكساد ووجود القطن الجيد فى بلادنا مندفعين بهذا الامل الحسن الى شراء أسهم الغزل غير ناظرين الى ما وراءه من الصعوبات والحوائل التى ربما جعلت معاملنا

(*) المؤيد فى ١٠ يناير ١٩٠٠ .

الجديدة فى موقف حرج .

وبيان ذلك أن أوربا نفسها الآن تشكو من كثرة أقمشتها التى لا سوق لها كالسابق لوفرة ما تصنع وتضارب به مصنوعات غيرها مضاربة تعد من قبيل المجازفة التجارية الخطرة فانها لا تكاد تسمع بفتح حانوت تاجر أقمشة حتى يهرع اليه سماسرة الشركات الصناعية الاوربية مقدمة له بضائعها على حساب جار غريب وتقبل كل شرط تقريباً من ذاك التاجر للدفع فى آمال لا تسمح بها بقية المصانع الاخرى ولارباب القومسيون حركات متعددة لا محل لايراده هنا.

لكن الذى يجدر بنا ذكره هنا أن اوربا مع مزاحمتها لبعضها هذه المزاحمة العنيفة الخطرة تلفت الي اليابان تلفت الخائف من عدو لها بالمرصاد فان البلاد اليابانية فاقت أوربا حذقا ومهارة في الصنائع وحاربتها بجودتها حربا تجارية عنيفة لان اليابانى نشيط مقدام وقنوع للغاية وسبب هذه القناعة أنه يقتصر على الثوب البسيط لباساً وعلى السمك المقدد والارز المسلوق طعاما ومابقى من أنواع الرفاهية فى بلاده ميسور له بارخص الاثمان حتي قيل لنا ان أجرة العامل فى اليوم قرش واحد بخلاف أجرة العامل فى أوربا وفي مصر غدا يوم نشمر الساعد للعمل الصناعى الذى لا يكفينا ولا يخلصنا ماليا أن نستخدم قطننا الجيد وحده للاقمشة المصرية أو المنسوجات القطنية.

فعلى ذلك ان سلمنا من مضاربة أوربا لا نسلم من مضاربة اليابان التى كثرت فى بلادنا وارداتها بين حريرية وخزفية وخشبية مما نراه أمامنا كل يوم وما أدرانا أن فى الواردات الاوربية الاخرى ما هي يابانية الجنس محولة الينا باسم المانى أو فرنساوى او انكليزى .

وليس هذا وحده منهي الخوف بل هناك خوف آخر فان الصين التى فتحت ثغورها للتجارة وأسواقها للصناعة بحكم التمدن البازغ نوره عليها ومسابقة الاجانب للصناعة والاتجار فيها لا تلبث أن ترينا العجب وتدهش أوربا غدا بما تدفعه اليها من محصولاتها اجمالا فالصينى كاليابانى معيشة وقناعة وعوائد بلاده تقاليد أجداده تدعه كذلك أجيالا متمسكا بفطرته بخلافنا نحن السريعى التقليد الميالين بالطفرة لا باالفطرة الى الرفاهية والتفاخر بالجديد الجميل مما جعلنا فى الاسر بعد الحرية والاطلاق .

وبالاجمالا أن اندفاعنا الى الصناعة كما نرجو ونشتهي يجب أن يكون بدء الحساب فالثوب القطنى المبرقش الرخيص فى نظر الشرقى خير من الحريرى البسيط الثمين والجوخ النمساوى الواطى النوع والنسيج يفضل عن مثيله الجيد الثمين وهى علة من علل الجهل الكثيرة في بلادنا والسلام

تجـــار الساحلين (*)

قام تجار مصر وقعدوا لما نالهم من العطل والضرر ما نالهم بفتح الساحل الجديد فى اثر النبى لجميع البضائع بعد ما كان خاصا بالتبن والبوص وادوات البناء دون سواها فاتحدوا معاً لرفع شكواهم الى الحكومة ومطالبتها برفع الضرر عنهم ووكلوا امرهم الى ثلاثة من جهابذة الافوكاتيةُ فى هذه العاصمة وهم حضرات الاساتذة كارتون دوفيان وشالوم ولبتسيكه ولكى يحيط القراء علماً بما يشكون منهُ وما يطلبونهُ ندرج هنا خلاصة ما يقولون فى رفع مظلمتهم الى الحكومة وقرع ابواب عدالتها هى .

انهُ بناءً على القرارين اللذين اصدرهما مجلس النظار فى ١٩ يونيو و ٧ يوليو ١٨٩٨ وعلى الامر الوزارى المؤرخ فى ٢٧ نوفمبر ١٨٩٨ الغيت السواحل الاربعة التى كانت فى بولاق ومصر القديمة والرمل وفم الخليج وجعلت كلها في الجهة المعروفة بروض الفرج على شاطئ النيل الايمن بحري كبري امبابه فاصبح هناك المكان الوحيد لتفريغ البضائع وشحنها ما عدا التبن والبوص وادوات البناء فان هذه خص بها ساحل مصر العتيقة ثم استبدل اخيراً

وللوصول الى هذه الغاية منعت الحكومة تفريغ البضائع وشحنها فى السواحل القديمة وباعت التجار الاراضى باثمان بخسة ليبنوا فيها شوناً جديدة فترك التجار المحلات التى كانت لهم في السواحل الملغاة واشتروا الاراضى فى ساحل الروض وبنوا الشون فى المواعيد المعينة فتحملوا الخسارة العظيمة حتَّى نقلوا اشغالهم اليها . ولكن ما لبثوا ان تحملوا النفقات الطائلة وجمعوا بضائعهم فى مخازنهم الجديدة حتَّى رجعت الحكومة بغتة عن رأيها الاول وفتحت ساحلاً جديداً بالتبن والبوص وادوات البناء . وما انتهت من فتح هذا الساحل الجديد حتَّى توجهت اليهِ جميع المراكب لتفريغ بضائعها فيهِ وكانت نتيجة ذلك ان التجار الذين بنوا في ساحل روضة الفرج ونقلوا اشغالهم اليه فقدوا عملاءهم واصبحوا وحدهم في ذلك الساحل لا

(*) المقطم ١ يناير ١٩٠٠ .

يبيعون ولا يشترون مع ان اكثر شونهم ممتلئة بضائع. وزد على هذا الضرر ان المباني والمخازن الجديدة التي انفقوا عليها الاموال الطائلة باتت بلا فائدة .

فلذلك يلتمسون من عدالة الحكومة ان ترد الامور الى ما كانت عليه فتأمر بتفريغ الغلال وشحنها في ساحل اثر النبي ويبقاء ساحل روض الفرج الساحل الوحيد لجميع البضائع ما عدا التبن والبوص وادوات البناء لتقل بذلك الاضرار التي لحقت بالتجار.

فيرى القارئ مما بسطناه آنفا ان حجة التجار مبنية على ما ورد في قراري مجلس النظار والامر الوزاري فثبوت هذه الحجة يثبت صحة مطالب التجار بلا مراجعة، على ان غاية الحكومة من جميع اعمالها نفع رعاياها ودفع الضرر عنهم فمبدأها وغايتها يقتضيان رفع الضرر عن التجار ولذلك حق لهم ان يؤملوا منها المبادرة الى اجابة سؤلهم.

جاءنا من اخبار الدواوين بعد الفراغ مما تقدم ان وفدا من تجار الساحل الجديد في مصر القديمة جاؤا الى نظارة المالية يسألون الحكومة ان تسمح بان يكون ساحلهم ساحلا لتجارة الغلال ايضاً ولا تقتصر على جعله ساحلا للتبن والبوص ومواد البناء والمواد القابلة للالتهاب فقط.

وحجة الحكومة في هذه المسألة انها لما انشأت ساحل روض الفرج في السنة الماضية شكا تجار مصر القديمة واهلها ان نقل الساحل من عندهم اضر باشغالهم وتجارتهم، ثم شكت مدرسة قصر العيني ايضاً من قرب التبن والمواد القابلة الالتهاب اليها فرأت الحكومة ان تنشأ ساحلاً جديداً تجيب به طلب اهل مصر القديمة وتزيل شكوى قصر العيني فانشأت هذا الساحل الجديد فتوسل اليها تجار مصر القديمة ان تسمح لهم بان يكون ساحل الغلال ايضا فسمحت، ولما قام تجار روض الفرج يشكون وارسل الوكلاء عنهم الانذار الى الحكومة ورات الحكومة ان مسألة هذه السواحل تلقيها في قضايا ومشاكل اقرت على رد الحالة الى ما كانت عليه حسب طلب تجار روض الفرج وخصت ساحل مصر القديمة بالتبن والبوص والمواد القابلة الالتهاب ومواد البناء فجاء تجار مصر القديمة يشكون من ذلك . والامل ان ينقضي هذا المشكل باتفاق التجار جميعاً على ما يدفع الضرر عنهم .

مـصـائـب الشـركـات (*)

لم يجن المصـريون من وراء الشركات التى تعـقد فى بلادهم وتستثمـر موارد رزقـهم مـا يجنيه سواهم والفوائد بل انعكس الامر عليهم فما يجنون منها الا مثل شوك السيال فبينما ترى هذه الشركة ترمى بهم الى مهاوى الافلاس ترى الاخرين بهم بين عواصف الامواج فهذا فليبار قد ابتلع اموال شركة البنك الصناعى واقفاً امـام محكمة بلاده فى مصر ليستخبروه ماذا فـعل بهاتيك الاموال وهذا ربان الباخرة من شركة البواخر المصرية الانكليزية واقفاً امام محكمة آثينا ليسـألوه مـاذا فعل بـأرواح المصـريين . والمصـريون بين ذلك يندبون اموالهم واولادهم ولا يدرون ماذا يفعل بهم .

وقد كنانظن أن شـركة البواخر المصـرية بما غنتمه من الصـفقة الرابحـة في شـراء هذه البواخر ستبادر الى تنظيمها واصلاحها وانتقاء خدمتها وملاحيها على النهج الغرب من حسن القيام بالواجب فاذا هى قد تعمـقت فى طريقهـا الشـرقى حتى استقرت بواخـراهـا فى قـاع البـحر هناك بجانب المرحومات امـهاتهـا من سفائن الشراع فى حرب تروادة. ولو صـدق مـا قيل عن الفعلة التى اتاها ربانها ومـلاحوها بنهب الركاب وسلبـهم اثناء الغرق لجزمنا بأن الشركة لم يأت فى نصيبـهـا من الملاحين الا من كان متصل النسب بقرصان البحر من عهد واقـعتـهم مـع القيـصر يوليوس فـان من باشر النهب ويلهو بسلب الركـاب فى أثناء الغرق لابد ان تكون دمـاء الجنايات جـارية فى عـروقـه من وراثة اسـلافـه من قطـاع الطرق وقطـاع الشـعب. ونـحن لانزال ننتظر نتيجة التحقيق اليونانى ومايفعله الخواجه مخالى فى تحقيق الجناية ولا شك انه يثبتها فى رقابهم لشدة حنقه مما سلبوه فنعلم مقدار المسؤلية الواقعة على الشركة التى جنت على نفسـهـا مـالا يجنيه اعـداؤها عليـهـا فمن اليوم من المصـريين يرمى بنفسه ان اراد سـفـراً فى احتمـال الغرق وتحقق الاغراق واحتمـال الهلاك وتحقق الهلاك وكيف يجوز السفر للانسـان بين قوم ان طلب منهم النجاة غرق وان استغاث بهم سرق .

ومن المضـحك في هذا المبكي ان خـبـر غـرق البـاخـرة الشـرقـيـة لما بلغ احـد المتـولعين بالمخابرات مـا بين مصر والاستانة لم يسـأل عمن غرق وعمن نجا بل صـاح "واحرباه وهل غرقت البوستة معها" فاجابه بعض الظرفاء انك حديث في الصنعة جديد في المهنة ألا تعلم ان شيطان الفتنة يصاحب كل تقرير سري فيعلقه في سارية المركب احتياطياً له من الضياع فيبقي هناك بمنجاة من الامواج الي ان يأتيه الحمام الزاجل فيحمله الى مواضعه

(*) مصباح الشرق ٢٨ سبتمبر ١٩٠٠ .

غرق الباخرة شرقية ومسئولية الربان

غرق البنك الصناعى ومسئولية فليبار(*)

(الى عطوفة بطرس باشا غالى)

اننا يا عطوفة الناظر نوجه اليك الكلام وانت الضعيف ببلادك وحكومتك والقوي بحكمتك وحجتك . وقد اخترناك من بين زملائك لما تقدم ولان ما نعرضه عليك يتعلق بالامتيازات الاجنبية

ولا يخفى على عطوفتك ما كان من قال الناس وقيلهم يوم باعت الحكومة مصلحة البواخر الخديوية تلك الصفقة الخاسرة فقد لغطت الالسنة بتهم وفضائح. وأشيع في غير طبقات الحكومة العالية ان نبيع هذه المصلحة بمئة وخمسين الف جنيه كان لان زيداً اتفق مع عمرو وبكراً مع خالدا لا لانه لا يليق بالحكومة ان تكون تاجرة. والذى زاد الجمهور تصديقاً لهذه الاشاعات انما هو الخلاف الذى حدث بعد المبيع بين بعض المساهمين وحضرات المديرين لانه كما بلغنا انه ذكر فى دفتر النفقات مبلغ طائل باسم "مصاريف سرية".

نحن لم نعد نذكر الماضى لنعيد الى الاذهان ذكر مجد كان لمصر فذوى وراية كانت تخفق في البحار فطويت ومقتنيات وأملاك كانت فبانت -لانقصد شيئاً من هذا ولا نتعمد ايلام النفوس وجرح العواطف وانما قد جعلنا ذلك كتوطئة لنقول ان هذه الشركة التي غنمت من مصر هذا المغنم الكبير أماتت باهمالها وشرها بضعة عشرات من نفوس المصريين كما أماتت من قبل مئات الالوف من جنيهات الخزينة المصرية.

يبلغ عمر الباخرة الشرقية خمسة وثلاثين عاماً أمضتها في خوض البحار وهذا عمر

(*) الرائد المصرى ٢٨ سبتمبر ١٩٠٠ .

مديد يعطيها الحق بأكثر من ثلثي المعاش بموجب لائحة المعاشات في الحكومة المصريه فهل يجوز ان مثل هذه الهرمة البالية تكلف بتأدية وظيفة تفرض على البواخر الحديثة الطرز الجديدة البناء؟ وبأى قانون بحرى اذنت الشركة لها بالسفر وهى لم تفحص محددها وآلاتها بمعرفة خبير لتتأكد اذا كان فى طريقها مقابلة الاعصار وملاطمة الامواج حتى اذا ظهر لها عجزها رممتها.

اقلعت الباخرة شرقية وهى على هذه الحالة فى ٥ الجارى فامضت مدة الحجر الصحى فى ديلوس ومنها اقلعت الى بيره قاصدة الاستانة . ونحو الساعة الرابعة بعد الظهر ثارت ريح شديدة بعض الشدة ولكنها ليست عاصفة كما يدعي الشركة بدليل ان عدة بواخر وجدت فى نفس المكان والزمان ولم تصب بسوء فغرق "الشرقية" كان لهزالها لا لان عاصفة داعبتها.

سمع الركاب وهم ظهر الباخرة صوتاً كالدوي خرج من داخلها وكان صوت انكسار عمود الادارة . وكيف لاينكسر وقد مضى عليه خمسة وثلاثون عاماً وهو يعانى الاشغال الشاقة.

انكسر العمود وظهرت دلائل الخطر وكان بالقرب من الشرقية باخرة يونانية فتضرع ركاب الى الربان ليأمر برفع اشارة الخطر فلم يجب التضرع. ومن يعلم ما اذا كان حضرته وقتئذ يدير دفة السفينة أو كانت الخمرة تلعب في رأسه وتنفى لبه.

بعدت الباخرة اليونانية عن أبصارركاب الشرقية فرفعت هذه اشارة الاستغاثة ولم يرها سوى الركاب والماء وليس بين الثلاثة من يستطيع ان يفعل شيئاً. وبعد اكثر من ساعة عادت السفينتان والتقتا وتكلمتا بالاشارات المصطلح عليها فلم تتقدم اليونانية لمساعدة الشرقية . ولابد ان يكون هذا التأخر اما لأن ربان الشرقية لم يتصرف كما يجب في مثل هذه الحال أو لان ربان اليونانيه امتنع عن اغاثة الملهوف فاللوم والمسئولية على أحدهما على كل حال وله عقاب صارم فى القوانين البحرية .

ازداد الخطر وازداد الركاب ضجيجا ثم ظهرت باخرة حربية انكليزية فوفد من قبلها زورق يقل نحو عشرة من جنودها فتكلم الجنود مع ربان الشرقية الثاني وشاهدوا بأعينهم الخطر المنتظر وسمعوا صراخ الركاب الذين كانوا في حالة تذيب القلوب الحديدية ومع ذلك

فانهم انقلبوا على أعقابهم ولم يعودوا لا هم ولا زورقهم ولا باخرتهم. وهذا يخالف ما نعهده من مروءة جنود البحر الانكليز في هذه الظروف فلماذا يتخلى الانكليز عن مساعدة باخرة انكليزية على خلاف المنتظر.

قربت الشرقية من البر شيئاً فشيئاً وصار ارتطامها بالصخور فى حكم المقرر فنادى القبطان "انزلوا الزوارق انزلوا الزوارق" فلم ينزلوا سوي زورق واحد ركبه خمسة من بحاره السفينة فقط ولم يدعوا احد ينزل معهم ولم ينزل بقية الزوارق الستة وقد كانت كافية لايواء جميع البحارة فتسهل عليهم سبل النجاة فلماذا لم تنزل بقية الزوارق؟ وما هي الغاية من منع الركاب من ركوبها؟

ضج الركاب وبلغ صراخهم أذن السماء فنزل زورق آخر وعلى الاثر التطمت السفينة بالصخور فالقى الركاب انفسهم على الشعب تحت رحمة الماء والهواء وتألف من نجا منهم زمرا على رأس صخرة بضعة منهم وكانت الامواج تلاطمهم مرة بعد اخرى لالتهام من تقدر ان تلتهمه منهم. قلنا انهم ضحايا الطمع والاهمال للاسباب التى تقدمت ولانه صدر عن الربان ورجاله أمور يحمر لها وجه الانسانية ويندى منها جبين المروءة خجلا فان هؤلاء الذين نيطت بهم المحافظة على الاوراح والاموال هم الذين سطوا على الركاب واستباحوا ما وصلت اليه أيديهم من نقود ومتاع - الربان والبحارة ارتكبوا مالم يرتكب مثله الزنوج فى قلب أفريقيا ولا الصينيون في ثورتهم الاخيرة على الاجانب. ارتكبوا هذه المنكرات فى موقف يجعل أشر خلق الله وأقساهم قلباً وأقلهم مرؤءة ذا حنان وشهامة وعفة نفس.

ركاب الشرقية كانوا فى موقف بين النزع والموت والبحارة كانوا منهمكين بسلب أشيائهم بدل الاهتمام بانقاذ حياتهم فقد هجموا على غرف الدرجة الاولى والثانية وبحثوا عن الامتعة وحملوا الغالي والثمين مما وقعت عليه ابصارهم ووصلت اليه أيديهم ولم يكتفوا بذلك بل هجموا على الركاب أيضاً وأخذوا النقود من جيوبهم والساعات من صدورهم والحلى من أبدانهم حتى أزرار القمصان والخواتم نزعوها على مهل من غير ان تتألم عواطفهم أو تتزعج خواطرهم.

أتتذكر يا عطوفة الناظر وأنت الفطن الذكى يوم حادثة نجع حماده كيف ان الحكومة

عنيت بعائلات قتلى الكبرى فعينت لهم اثنين من كبار المحامين وهما الافوكاتو كارتون دفيار والافوكاتو لياس جيعا وتبرعت هى من خزاينتها بنفقات القضايا ضد الشركة الفرنسوية وقد حمدناها وقتئذ لانها أظهرت الغيرة على الوطنيين واهتمت بأمرهم وأوعزت بالمطالبة بحقوقهم من الاجانب. وعطوفتكم يا حضرة الناظر لا تجهل مقدار الفرق فى الفظاعة والمسئولية بين حادث كبرى نجع حماده وحادث غرق الباخرة شرقية لانه كل ما كان يؤخذ على الفرنسويين وقتئذ أو يؤاخذاون عليه انه كان يجب عليهم ان ينتبهوا اكثر ولكن الخطر لم يكن ظاهراً للعيان فتغاضوا عنه كما فى فاجعة اليوم .

فمسئولية شركة البواخر عظيمة جداً يا عطوفة الناظر المحترم ولا تقاس بها مسئولة حادث حمادي.فهي عظيمة ومتعددة أيضاً لان الشركة تلام على ايذانها بتسفير الباخرة مع علمها بقدم عهدها وانتهاك قواها لتلف آلاتها. وهي مسـئولة عن اهمال ربانها ورجاله وعن الفظائع التى ارتكبوها مما تقشعر منه الابدان.

والذى نرجوه من عطوفتكم الآن وأنت الوطني الغيور والحاذق الهمام ان تسعي لدى مجلس النظار ليقرر رفع دعوى ضد مصلحة البواخر الانكليزية وأن تنفق الحكومة على القضية جميع ما يلزمها من أجرة محاماة ونفقات رسمية وغير رسمية لانه من العار على مصر **وأهلها وحكومتها ونيلها وتربتها وكل ما فيها ان ترفع قضية ضد شركة كوبري نجع حماده لانها فرنسوية وتترك مصلحة البواخر الخديوية لانها انكليزية . وهذه روح رعمسيس القادر جدك الاعلى مشرفة من فوق قمة الاهرام الاكبر تتطلع الى ما يصدر عنك بازاء هذا الحادث الجلل حتى اذا حققت لنا ما نؤمله بغيرتك وشهامتك تدفقت عليه من فمه وقلبه ينابيع البركات وشارك الاحياء رعمسيس بالدعوات الصالحات.**

بقى لنا توسل الى عطوفة الناظر بخصوص "غرق البنك الصناعى ومسئولية فليبار" وموعدنا بعد العدد القادم ان شاء الله .

حادثة غرق الشرقية

من سفن الشركات الخديوية (*)

حادثة من مؤلمات الحوادث أزهقت أنفسنا وأذهبت أموالا طائلة وأفقدت الشركة ثقة الناس فيها . ونحن نأسف على وقوع هذا المصاب العظيم سواء كانت البواخر الخديوية باقية ملكا للحكومة أو أنها أصبحت لشركة انكليزية كما هي الآن لان الضرر الذى لحق بالناس وبخط السفر بين مصر والاستانة بمثل هذا الحادث المؤلم واحد على كل حال. ولا نظن أن الحكومة تعزى نفسها بوقوع مثل هذا المصاب فتقول انها فعلت خيرا ببيعها سفنها لهذه الشركة بالثمن الذي ظنه الناس قليلا اذ ظهر الآن انها سفن بالية كثيرة العطب سريعته بدليل غرق ثلاث منها في بحر عام واحد لان الذى كنا نؤاخذها عليه أكثر وهو فقدانها وظيفة البحر التى هى حكومة فيه لا تقل شرفا عن سودد حكومات البر.

نعم ربما كانت مصائب الشركة الخديوية التى توالت فى البحرين الاحمر والابيض مخففة لبعض المسئولية في رخص قيمة سفنها ولكن مسئلة تقدير القيمة والثمن مسئلة ثانوية وما فقدته الحكومة ببيع سفنها واعطائها لشركة انكليزية ترفع عليها راية غير الراية العثمانية المصرية من المزايا السياسية لا يمكن تقديره بثمن.

والآن يقول الناس ان المسئولية الكبرى عائدة على الشركة الخديوية لا لان سفينة الشرقية قد غرقت فى البحر اثناء سفرها بالركاب والبضائع والبريد لان للرياح العاصفة سلطانا فى البحر وقوة فوق كل سلطان وقوة . وما المقادير الالهية التي لا مرد لها الا ما تخون الانسان معه حيلته وحوله. وأى حيلة للانسان اذا هبت الرياح عاصفة تقتلع الامواج كالجبال فتحطم بها من مخلوقات الله ومصنوعات البشر ما تحطم وهاهى عواصف تكساس التى نقلت

(*) المؤيد ٢٩ سبتمبر ١٩٠٠ .

البحر من مكان الى مكان واقتلعت المدن العصماء من جذورها . وتلك الرياح العاصفة التى إرسلها الله على عاد الاولى وثمود فما أبقى من أقوى الشواهد على ما تفعل أقدار الله عز وجل بها فى خلقه.

ولكن المسئولية يلقونها على الشركة لعدة أمور منها.

(أولا) انها باعت باخرة (توفيق ربانى) التى كانت ثالثة السفن الجديدة الخديوية في البحر الابيض المتوسط واستبدلها بالشرقية العتيقة.

(ثانيا) انه قد شاع القول بأن قومندان الشرقية حذر الشركة قبل سفره من حالتها وهذا ان صح يضاعف المسئولية.

(ثالثا) لانه شاع وذاع الآن أن قومندان الشرقية لم يسر على الخطة الواجبة على مثله عند شعوره بالخطر.

(رابعا) لان الروايات كلها أجمعت على اتهام موظفى الشرقية بتهم فظيعة منها ما يتعلق بحياة الركاب ومنها ما يتعلق بأموالهم وكانت مبنى التحقيقات الجارية على هؤلاء في أثينا.

ولئن صحت هذه الاوجه الثلاثة الاخيرة كانت مسئولية الشركة فوق كل مسئولية عن أرواح الغرقى وأموالهم ولكن نرجو أن تكون فى بعضها مبالغة وان المسئولية تكون أقل مما يظن الناس.

على اننا بعد ذلك كله في استغراب تام مما صارت اليه البواخر الخديوية فقد كانوا يقولون انها اذا آلت لشركة تجارية ترقي وتتضاعف فوائدها للهيئة الاجتماعية عما اذا بقيت فى ذمة الحكومة والحكومات لا يوافقها أن تكون تاجرة.

فبيعها للشركة الانكليزية كان فى زعم بائعيها تطبيعا لقواعد جمة من علمى الاقتصاد .

ولكننا شاهدنا الآن وشاهد كل انسان أن الشركة سائرة فى تقدمها الى الوراء وفى ارتقائها الى الاسفل، وهى فى تصرفهاتها برهنت على أنها تريد أن تربح من وراء قلة أجور عمالها ومن استبدال سفنها بأقل منها وليس فى هذه الطريقة شئ مما يزعمون .

البواخر الخديوية (*)

يتمنى المصرى ان يكون اسم مصر وكل ما ينتمى إليها شريفاً يرتفع بذكره الرأس ولاسيما اذا كان لذلك الشئ المصرى علاقة ببلاد الاجانب فان المرء لا تشتد غيرته على بلاده وامورها الا متى قابلها بامور الاجانب أو متى الاجانب اظهروا ما عندهم من امثالها. فالانكليزى يفخر باسطول بلاده وجيشه ولكنه اذا علم ان فى الاسطول الفرنساوى أو الجيش الالماني ما يفوق أشياء جيشه واسطوله اشتد حنقه وعظمت همته فى المجاراة والتحسين ولولا هذه الغيرة الطبيعية في بني الانسان لم تكن مظاهر التمدن على مثل ما نراها فى هذا الزمان.

وشركات البواخر من اعظم ما تتباهي به الامم وتتسابق الى اتقانه لانها تعد عنوان معارف الامة ودليل عقلها فلا عجب اذا حرص المصري على ذكر البواخر الخديوية ولو يكون أصحابها من غير المصريين فما هى الا شركة نشأت في مصر وبعض عمالها مصريون ولها اسم يعجب به كل أهل البلاد ويفخرون. فنحن نتمنى ان تكون الشركة الخديوية مثل الشركات الكبرى المتسابقة الى الاتقان في كل زمان ولكننا نرى ان اهتمام اولياء الامر بمراقبة هذه الشركة قليل واطلاق الحرية لمديريها زاد عن الحدود المعروفة حتى اوجب ذلك اهمالاً لا ينكر وقصورا عرفه القريب والبعيد . ولابد لنا من القول هنا ان كل الشركات التى يحق للحكومة مراقبة أعمالها تنحط وتجور بالناس حتى يربح أصحابها اذا لم تستمر مراقبة الحكومة عليها وليست شركة البواخر الخديوية وحدها فى هذا الشأن فان شركات كثيرة في البلاد سائرة مع الاهالي بالجور والاستبداد وهي من الادلة الكبرى على اهمال الحكومة مصلحة الاهالى وتركها الشركات متباعدة عن الاصلاح والاتقان حتى يتوفر عليها مال تربحه ولو تعب المسافرون. صحيح ان حكومة مصر قليلة الاستعداد للمراقبة البحرية وهي قليلة العلم بنظامات البحار وشركات البخار لانها ليست مثل حكومات اوربا في الاختبار وكثرة الاشتغال بهذه المسائل ولكن المراقبة على البواخر الخديوية والخطوط الحديدية التى تعطى الشركات امتيازاً بها من أهم ما يجب عليها وقد اظهرت حوادث الغرق فى البحر والخلل الكثير فى خطوط البران البلاد صارت

(*) مصر ٦ اكتوبر ١٩٠٠ .

في حاجة الى بعض اليقظة من حكومتها ورأى الاجانب ذلك أيضاً حتى ان المستر ولفرد بلنت الذى يعرف المصريون اسمه من ايام الحوادث العرابية وما قبلها بقليل رأى ذلك وكتب الى جريدة التيمس من اثينا رسالة بهذا المعنى قال فيها مايجئ:

"ان غرق الباخرة شرقية وموت ٤٩ نفسا فيها وما حدث من سوء تصرف عمالها ساعة الغرق لما يحملنى على الكتابة اليكم فى هذا الشأن مع علمي باشتغال الاذهان في الانتخابات العمومية ولاسيما لانكم تكرمتم ونشرتم لى رسالة من ستة اشهر عن جنوح باخرة أخرى من بواخر هذه الشركة الخديوية في السويس وهى التى حكم مجلس بحري انها قامت للسفر بلا استعداد ولا مراقبة واوجب الاهمال تعطيل الاتها فى عرض البحار ذلك مع انها كانت تنقل بريداً و ٣٠٠ راكب ورأى المجلس البحرى ان دفتها كانت غير منتظمة وزوارقها غير كافية وبقية معداتها غير وافية بالمرام وذكر المجلس فى قراره ان هذه الشركة تبرأت من الملام والمسؤلية امام الحكومة الانكليزية بعلة انها لا ترسى بواخرها فى احدى المدن الانكليزية فهي غير خاضعة للقوانين الانكليزية ولو يكون اصحابها من الانكليز .

على ان سمعة انكلترا وشهرتها البحرية تقضى بمعاملة هذه الشركة معاملة شديدة تردها عن اشكال الخلل لكرامة الشركات الانكليزية وبواخرها سواء كان ذلك على يد الحكومة الانكليزية أو سواها فانى بعد ان كتبت لكم في المرة الاخيرة بهذا الشأن ورجعت الى انكلترا وجدت ان امير البر فيلد سأل في مجلس النواب سؤالا بهذا الصدد فكان الجواب مبهماً لا يفيد. وقابلت على اثر ذلك جناب السر كورتني بويل وكيل وزارة التجارة فاخبرني انه يجوز لكل حكومة اية كانت ان تراقب البواخر التى تقوم من موانيها وتأمرها باتمام المعدات أو تردها عن السفر فدواء الشركة الخديوية اذا فى يد اللورد كرومر وهو يقدر على منع الاذى عن الناس بالالتفات الى اعمال هذه الشركة. وقد يكون لشركة البواخر الخديوية عضد من اصحاب النفوذ فان هذا كثير في مصر ولكن الصالح العام وصوت التيمس العظيم يجب ان يكون فوق الاغراض فيعين اللورد كرومر مفتشا خاصا يراقب بواخر الشركة ولا يسمح لها بالسفر الا وهى على استعداد تام أو يلغى امتيازها وتجرد من حق الاستئثار بنقل البريد".

هذه خلاصة ما ورد فى التيمس والمنصف يرى ان مصر فى حاجة الى مثل هذه الكتابة وان توالى المصائب اقام أهل الرأى للاعتراض، فعسى ان تتم امانى العاقلين ولا تسمع بامثال ما حدث من غرق البواخر الخديوية فى مستقبل الايام .

مثال لثروة المصرى

وفقدانه المبادئ الاقتصادية (*)

لو وفق الله عمال الحكومة الاداريين فى الاقاليم الى مثل ما وفق له وكيل مديرية بنى سويف الحالي لظهرت حالة مصر الاقتصادية تماما لكل ذى نظر ثاقب يعنيه تشخيص الداء من جسم هيئتنا الاجتماعية ليتأتى علاجه بالدواء النافع.

والمرآة الحقيقية التى تتجلى فيها ماهيات الامم كما هى كائنا ينظر اليها بلاشعة النافذة والمنظار المكبر للاجسام انما هى الاحصاء الحقيقى لكل شئ. فاحصاء النفوس يمثل للقارئ مقدار عمران البلاد. واحصاء الاطيان الزراعية فيها وأصناف زروعها يمثل له درجة الثروة الطبيعية. واحصاء الصنائع والصناع فى كل فرع يمثل أيضا درجة ثروتها الصناعية وهلم جرا.

وبين يدينا الآن مختصر احصائى جامع مفيد وضعه حضرة محمد توفيق بك وكيل مديرية بنى سويف وطبعه بالكوبيبه يمثل لنا مديرية بنى سويف اجمالا وفيه عدد البلدان والقري والنفوس ذكوراً واناثا وعدد الاطيان الخراجية والعشورية وجميع موارد الثروة للاهالي التي هي أيضاً موارد ثروة للحكومة من خراج وعشور وعوائد ملاك ونخيل ومصائد أسماك ومعادن ونطرون الخ الخ. يتبع هذا الاحصاء ما يلزم كل نوع من الشرح والبيان وما يلزمه من عمل وعمال. ولكل باب من هذه الابواب فوائده يستغرق شرحها صحفا كثيرة ولكن أردنا الآن الاقتصار على مثال من فوائد الاحصاء يكفي القارئ مؤنة التنجيم ما هى عليه مديرية بنى سويف من درجة الثروة وهل أهلوها سائرون الي غاية السعادة أو الشقاء فعدد الاطيان الزراعية في جميع انحاء المديرية مقدر بنحو ٢٢١٤٦٨ فدانا يمتلكها ٣٢٤٨٤ نفسا بين وطنيين وأجانب ولكن مجموع أنفس سكان المديرية كما هو في احصاء سنة

(*) المؤيد اول اكتوبر ١٩٠٠ .

١٨٩٧ بلغ ٣١٤٤٥٤ نفسا فيكون من بينهم ٢٨١١٧٠ نسمة ليس لهم أطيان يستغلونها وبعبارة أخرى هم عملة وخدم عند الاولين وعالة عليهم. أى أن الشخص الذى يملك على العموم نحو ثلثى فدان يعول عشرة أنفس وأكثر.

واذا كانت الاطيان فى الاقاليم المصرية أهم موارد الثروة للاهالي وماعداها لا يوازى أكثر من ١٠بالنسبة للمائة. ثم اذا كان متوسط محصول الفدان لا يزيد عن ثلاثة جنيهات بعد أداء الضرائب الرسمية عليه فى مثل مديرية بنى سويف المشهورة بجودة أرضها وخصوبتها. فيكون تسعة من العشرة يعيشون بغلة ثلثى الفدان.

وليس هذا كل الذى نريد من المثال الذى أردنا أن نضربه لحالة الثروة الحقيقية عند المصريين بل له تتمه من نموذج الاحصاء الذى نحن بصدده. فقد ذكر الكاتب في (باب بيان الرهون المتأخرة) أن رهون الاهالى التي كانت متأخرة لغاية سنة ١٨٩٨ بمبلغ ٨٧٧١١ جنيهاً مصريا شطب منها فى سنة ١٨٩٩ مبلغ ١٨٨٥٦ جنيهاً وجدد بدله فيها مبلغ ٤٧٢٨٨ جنيها وهو اكثر من ضعفى ما شطب.

وكانت الرهون من الوطنيين للاجانب في سنة ١٨٩٨ بمبلغ ٩٠٠٢٥ جنيهاً شطب منها في خلال سنة ١٨٩٩ مبلغ ٩٢٢٦ جنيهاً جدد بدله فى خلالها مبلغ ٣٠٥٨٩٨ جنيهاً وهو أكثر من ثلاثة أمثال ما شطب، وكانت الرهون من الاجانب للوطنيين فى سنة ١٨٩٨ مبلغ ٥٦٦ جنيها شطب منها فى خلال سنة ١٨٩٩ مبلغ ٤٠ جنيهاً وجدد بدله فيها مبلغ ٤٣ جنيها وهو مثل ما شطب تقريبا.

وخلاصة هذا كله أن حالة الديون الأهلية المضمونة برهون فى ازدياد وأن المزيد فيها صائر للأجانب شيأ فشيأ.

واذا أضفنا هذه النتيجة الى درجة الثروة الطبيعية الأولى وليست هى الادرجة فقر مدقع تمثلت لنا مديرية الآيلة للشقاء والتعاسة وهى باتفاق كل العارفين بأحوال القطر أحسن من مديريات كثيرة فيه.

القـرض الجـديـد (*)

استلفت مصلحة السكة الحديدية من صندوق الدين ٩٨٠ الف جنيه على ان تعيدها ثم رأت هذه المصلحة انها محتاجة الى اموال اخرى فوق هذه السلفة لاصلاح خطوطها وعرباتها وانشاء خطوط جديدة قدره مليون و ٧٠٠ الف جنيه باسم السكة الحديدة واستشارت صندوق الدين فى امر هذا القرض فاجاب الصندوق انه لا يعارض ولا يرى وجهاً للمنع فاستشارت الحكومة المصرية الحكومة الفرنساوية مظهرة لها وجه استخدام القرض فاجابت بما اجاب به صندوق الدين وحينئذ قررت الحكومة مخاطبة الصندوق والدول رسمياً فكتبت الى الصندوق منذ يومين رسمياً تنبئه عن عزمها هذا وعن كيفية الاقتراض وذلك بأن تصدر بالقرض أسهماً فاجابها الصندوق بكتابة رسمية انه يوافق على ذلك فوكلت الحكومة الى نظاره الخارجية كتابة منشور الى الدول بهذا الشأن وطلب موافقتها والمرجح ان صندوق الدين يتولى اصدار الاسهم ليوفر نفقة القوميسيون وغير ذلك أما القرض فقد تم الاتفاق بين صندوق الدين والحكومة على استخدامه وذلك على الوجه الآتى :

٩٨٠ الف جنيه لصندوق والدين سداً لسلفته السابقة.

٤٨٠ الف جنيه لمضاعفة خط اسيوط ومشترى عربات له.

١٢٣ الف جنيه لانشاء خط من الصالحية الى بورسعيد ومشترى قطرات وعربات له.

١٠ آلف جنيه لانشاء خط حديدى الى مقالع ابى زعبل.

٧ آلاف جنيه خط المنصورة فيكون مجموع ماقدر انفاقه مليوناً و ٦٠٠ الف جنيه أما الباقى وقدره مائة الف جنيه فيكون تحت مطلق تصرف السكة الحديدة لانفاقه فى ما تحتاج اليه من الاعمال وقد اشترط صندوق الدين على الحكومة ان المال الذى ينفق من المائة الف جنيه تطلب مصلحة السكة الحديدية موافقة الصندوق عليه كما اشترط أيضاً أن جميع الاعمال التي تنويها السكة الحديدية تطرح بالمناقصة ويستشار الصندوق فى الاقرار على اناطتها بالمناقصين والنتيجة انه لا يجوز للحكومة ولا للسكة الحديدية التصرف بشئ من أموال القرض الجديد دون استشارة صندرق الدين .

(*) الأهرام ٢٣ مايو ١٩٠٠ .

القـرض الجـديـد (*)

علم القـراء ان الحكومـة لما عـزمت على عـقـد القـرض الجـديد للسكة الحـديدية بدأت بمفاوضـة فرنسا مـخافة ان تعرقل مساعيها فأجابت خـارجية فرنسا انها لا تعترض على عقد هذا القرض اذا قبلت الحكومة المصرية أو بالاحري الحكومة الانكليزية لشروط تقترحـها وأهم هذه الشروط ان تكون الافضلية في الاستخدام للمصـريين فقط واذا احتاجت الحكومة المصرية الى عامل اوروبى لا يقصـر الاختيار على الانكليز بل يتساوى فيه الفرنسـاويون والانكليز في جميع دوادين الحكومة واداراتها إلا نظارة الحربية مع مراعاة الحالة الحاضرة فاذا توفي عامل فرنسـاوى يعين فى منصبـه عامل فرنساوي واذا احـتاجت الحكومة الى مـهندس كبيـر لنظارة الاشـغال وتقدم فـرنسـاوى طالباً هـذا المنصب لا يرفض طلبه لانه فرنسـاوى وبما ان القـرض المنوى مـعـد لانشـاء خط جـديد للسكة الحـديدية فى الوجـه القبلى فـفـرنسـا تطلب تـعـيين ثلاثة مـهندسين فـرنساويين لرسم الخط والقيام باعماله وبعد تفاوض طويل وتحاور غير قليل استقر الرأي على قبول الشروط التى اشترطتها فرنسا وسيعين المهندسـون الثلاثة لخط الاقصـر من الفرنسـاويين ويخلف المهندسين فاست وتوبل مهندسان فرنسويان وسيعينون ايضاً في نظارة الاشـغال بـعض العمال الفرنسويين يوم تحـتاج الحكومة الى غير المصريين وبعد الموافقة على هذه الشروط وافقت حكومة فرنسا على عقد القرض ووافقت جميع الدول واصبح صندوق الدين ينتظر الجواب الخطى من حين الى حين .

(*) الأهرام ٩ يوليو ١٩٠٠ .

السكة الحديد (*)

يظهر لنا انه قد تم بيع الجانب الاكبر من شركة سكة الحديد الفيوم اي من اسهمها وسنداتها ولم يبق الا بعض المعاملات الرسمية التى تعمل فى مثل هذا البيع ونحن اذا قلنا ان الانكليز اقدر منا على ادارة الشركات المالية والصناعية لانكون قد حقرنا انفسنا ولا عظمنا الانكليز لاننا لا نظن ان احدا يخالفنا فى هذا القول مهما زاد حبه لوطنه ولذلك فكل من يسمع بانتقال سكة حديد الفيوم الى شركة انكليزية يأسف مثلنا لخروجها من يد ابناء الوطن ولكنه لا يسعه الا الاعتراف بان اصحاب الاسهم لا يخسرون من هذا الانتقال بل الراجح انهم يستفيدون منه غير ان الذى يلتفت الى المسائل العمومية لا الى المسائل الخصوصية ينظر الى ان الحكومة اعطت امتياز سكة حديد الفيوم لفريق من الوطنيين لكى تجرب مقدرتهم على ادارة الاعمال التى من هذا القبيل. والحق يقال انهم بذلوا الجهد فى اتمام الاعمال التى عملوها فابتاعوا للسكة اجود المواد وامتنها واغلاها ولم يدخروا وسعاً فى اجادة العمل حتى تكون تلك السكة من افضل السكك التى من نوعها في هذا القطر ولكنهم اخطأوا فى رأينا لانهم لم يعرضوا جانباً كبيراً من اسهمهم للبيع لما كان ثمن السهم منها خمسة وعشرين جنيها فانهم لو فعلوا ذلك لتوفر لهم المال لاتمام العمل فيبقى فى يدهم الى ما شاء الله .

(*) المقطم ٦ يوليو ١٩٠٠ .

التعليق ....

بيع السكك الحديدية المصرية

تتناول الأهرام على صفحاته مناقشة قضية ليست هامة وانما خطيرة، ألا وهى "بيع أملاك الحكومة لشركات اجنبية، وإن صح انجليزية". وسواء أكانت تلك الأملاك أراضى أو عقارات أو مؤسسات خدمية، فهو أمر فى غاية الخطورة، وذلك أن أمتلاك الاجانب (الانجليز) للأراضى أو المؤسسات الخدمية يجعل، ذلك الاجنبى يتحكم فى رقاب أهل البلاد، كما أن ذلك البيع يعود على الحكومة بالخسارة لا بالمكسب. وتؤكد الأهرام على حقيقة هامة هى أنه إذا كان البيع ضروريا وجب على الحكومة تفضيل أهل البلاد على غيرهم من الأجانب، لأنهم أحق بملك آبائهم من غيرهم.

ثم تواصل جريدة الأهرام حديثها فى نفس الموضوع وتتناول الحديث عن أمر كان لايزال اشاعه هو أن شركة انجليزية طلبت من الحكومة المصرية رفضت ذلك العرض ، فانها لم ترفض سوى لسبب واحد هو أنها اعتبرت المبلغ المعروض قليل، لا لأن هذا الأمر يضير مصلحة البلاد وأهلها. وقد كانت الحكومة تريد بيع السكك الحديدية المصرية لتدفع من ثمنها الدين الممتاز. فى حين أن هذه السكك لا يجوز بيعها، حتى وأن كانت نفقاتها كلها تتحملها الحكومة لأن بيعها يقضى الى توحيد السكك الحديدية فى جميع انحاء القطر المصرى، كما أن بيعها يجعل تلك المصلحة المنشأة لخدمة الناس تحتكر ويستبدبها محتكروها. ويتصرفون بالأمة ويمرافقها كما يشاءون ولاسيما اذا كانو من المحتلين لا تسمع الشكوى عليهم ولا تقدر الحكومة على الضرب على ايديهم.

وحيث أنه من المعروف أن السكك الحديدية هى دولاب الأعمال المالية والاقتصادية، فلابد

أن تديرها الحكومة القيمة على الأمة، ولابد أيضا تخويل الحكومة حق وضع التعريفه ولو بالقوة، وحتى وان كانت ملكا لشركات خاصة، ثم أنه من الضرورى ابتياع جميع السكك الحديدية لتصبح ملكا للحكومة، وان صح التعبير، ملكا للأمة .

وجدير بالذكر ان مصلحة السكك الحديدية كانت – فى تلك الفترة تحت اشراف ادارة بريطانية، ذلك لأنها كانت من أهم مصادر الدخل بالنسبة لهم ، فقد كان الماجور جونستون رئيس مجلس إدارة مصلحة السكك الحديدية (فى ١٩٠٠)، وقد كانت السكك الحديدية تعد مثالا لتكدس الموظفين البريطانيين فى الادارة المصرية ، ففى العقد الأول من الاحتلال كان بهذه المصلحة ٣٦ مراقبا منهم ٣٢ بريطانيا. وكان فيها ٩٣ مفتشا منهم ٧٤ بريطانيا، وفيها ٢٧٦ مساعد مفتش منهم ١٤٧ بريطانيا(١).

ولم يكتف البريطانيون بكل هذه السيطرة على السكة الحديدية وانما كانوا يرغبون فى ابتياعها لمواطنيهم. وربما يرجع ذلك إلى أنها كانت من أكبر مصادر الدخل فى مصر – كما قلنا – فقد كان صافى الربح (عام ١٩٠٠) يزيد على مليون جنيه، لذا كان هناك اهتمام شديد بها، وباحتياجاتها من مد خطوط جديدة، وشراء عربات (وخاصة لنقل البضائع)، والتى كان البريطانيون يعقدون صفقات شراءها مع شركات اجنبية – وغالبا بريطانية – فتجئ تلك العربات غالية الثمن، ولا تخلو من العيوب التى تجلب الخسارة للحكومة المصرية، والتعطل فى وسائل النقل فيها .

وفى بداية عهد الاحتلال لم يكن من الممكن اصلاح الحالة السيئة التى آلت اليها السكك الحديدية الحكومية، فقد كان كل اهتمام صندوق الدين تحصيل الايرادات المختصة، وسداد أقساط وفوائد الدين الممتاز، هذا مما أدى الى سوء حالة القطارات والعربات وعدم امكانية

---

(١) عبير حسن عبدالباقى : الوجود البريطانى فى الادارة المصرية (١٩٢٢-١٩٥٦) رسالة ماجستير (تحت النشر – الهيئة العامة للكتاب) جامعة الزقازيق ، كلية الآداب . ١٩٩٨، ص٢٣ .

انشاء آيه خطوط جديدة فضلا عن عدم وجود السكك الحديدية سنوات طويلة تلاقى المصاعب والمتاعب العديدة والناجمة عن ازدياد عدد الركاب وزنه البضائع المطلوب نقلها دون أن يقابل ذلك تزايد في عدد القطارات أو العربات أو الخطوط.(١)

ولذا لم يكن أمام الحكومة المصرية في بداية عهد الاحتلال لتطوير سككها الحديدية سوى الالتجاء الى صندوق الدين للاقتراض منه أو السحب من الاحتياطى العام المتجمع لديه. ومن ناحية أخرى لجأت الحكومة المصرية لتغطية النقص فى خطوطها الحديدية الى منح شركات النقل والمواصلات الخاصة امتيازات لانشاء خطوط حديدية جديدة لتوسيع شبكة المواصلات وبخاصة فى الوجه البحرى.

الجدير بالذكر أن الحكومة المصرية عندما منحت لبعض الشركات امتياز انشاء خطوط حديدية، وضعتها تحت اشرافها ورقابتها، ولكنها مع ذلك تركت كلا منها تعمل ما تشاء كيفما شاءت تحقيقا لمصالحها الخاصة الأمر الذى ادى الى اختلاف مقاييس الخطوط الحديدية فى مصر سواء بين الشركات المختلفة وبعضها البعض أم بينها وبين الحكومة المصرية. (٢)

وخلاصة القول ان البريطانيين كان لديهم رغبة قوية على التحكم فى السكك الحديدية المصرية سواء بالسيطرة والادارة أو التملك والشراء، باعتبار أنها أكبر مصادر الدخل المصرية.

---

(١) تقرير عن المالية والادارة والحالة العمومية، ومرجع سابق، ص ص ٢٠-٢٢.

(٢) فاطمة علم الدين عبدالواحد : تطور النقل والمواصلات الداخلية فى مصر، فى عهد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢-١٩١٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩، ص٥٣.

بيع السكك

الحديدية المصرية (*)

لا نتكلم على هذا البيع كأنه قد أبرم او تقرر ولكنا نتكلم عليه مخافة حدوثه مبينين ضرره اذا تم لا بالمالية فقط بل بتجارة الامة وبالامة كلها من اصغر فلاح الى اكبر تاجر فأعظم عين وكبير فنقول :

أشاعوا – ولا دخان بلا نار – ان شركة انكليزية سألت في العام الماضي الحكومة ان تبيعها السكك الحديدية بنيف وعشرين مليون جنيه فاستقلت الحكومة الثمن فرفضت الطلب لارفض من لا يريد البيع بل رفض من لا يريده بالثمن المعطى فحسبت الشركة الطالبة حسابها وفتشت الدفاتر والقماطر وقلبت صفحات الكتب واواب الخزانات فرأت ان تزيد الثمن فعرضت على الحكومة ٣٠ مليون جنيه فأصبحت الحكومة بين الناظر الى هذا المال نظرة المحب والمعرض عنه الى بقاء السكة الحديدية في قبضتها اعراض المستغنى بها عن سواها فلو كان ثمت هذان العاملان يتنازعان لما خططنا سطراً ولا روينا خبراً عن بيع السكك الحديدية المصرية ولكنا نخشى ان يقوى عامل البيع بعامل المنافع الانكليزية والمرافق الاحتلالية فيذهب كل حائل ولا يبقى للنداء من طائل ويقضي علينا ان نرثي بعد الدائرة السنية والبواخر الخديوية الخ الخ هذه البقية الباقية والثمالة الراسية التي لا تستغني عنها البلاد اذا استغنت عن الارض ولا ترضى ببيعها الا كما يرضى الساكن بان يطرد من داره والمالك ان يحرم من عقاره .

فالحكومة تريد بيع السكك الحديدية المصرية لتدفع من ثمنها الدين الممتاز وقدره ٢٩٣٩٢٥٨٠ جنيهاً وهو كبيع الدائرة السنية أى بما عليها من الدين لان ما يزيد من ثمن السكك الحديدية هو ٦٠٦٤٢٠جنيها وهو قدر زهيد لا يملأ جيبا

(*) الأهرام ٢٢ نوفمبر ١٩٠٠ .

ولا ينفخ خزانة مع ان دخل السكك الحديدية المصرية كان في العام المضي ٢١٢٠٦٥ جنيهاً دفع منه لصندوق الدين بعد النفقة وبعد قسط السلفة وبعد تجديد الخطوط والعربات والقواطر ١٠٦٥٢٢٤ جنيهاً. وهذا الدخل يضمن فائدة الدين الممتاز وهو الى الزيادة عاماً فعاماً ولولا الامل بهذه الزيادة لما اقدمت الشركة على الابتياع لانها لا تبتاع السكك الحديدية لتحوز الشرف والمجد او لتسر بالملك والادارة بل هي تبتاعها لتربح منها فاذا كان الربح ممكناً فلماذا لا يكون لنا من ملكنا.

فالمنفعة المالية اذاً تحرم بيع هذه السكك.

واذا نظرنا الى خدمة الامة قلنا ان هذه السكك لا يسوغ بيعها ولو كانت نفقتها كلها من جيب الحكومة لان بيعها يفضي الى توحيد السكك الحديدية في جميع انحاء القطر المصري ان لم يكن عاجلاً فاجلاً كما وحدت سكتا الدلتا وشرقي مصر وهناك الطامة الكبرى والضربة الاليمة لان المصلحة المنشأة لخدمة الناس تحتكر ويستبد محتكروها ويتصرفون بالامة وبمرافقها كما يشاؤون ولا سيما اذا كانوا من المحتلين لا تسمع الشكوى عليهم ولا تقدر يد الحكومة = ولو ارادت- الضرب على ايديهم – وهذا من باب فرض المستحيل- بل هذه سكة حديد الدلتا اكبر شاهد لان الشركات الاجنبية في هذه الديار تحتمي بالامتيازات وتختبئ عند الخطاء وراء المعاهدات ولا يفيدنا ان تقول الحكومة لنا "هذه شروطنا تضمن مصلحة الامة" فكم من شرط لم يرع وكم من منفعة لا يحتفظ بها. اتقدر الحكومة ان تكره سكة حديد الدلتا على تسيير قطار كذا في ساعة كذا اذا لم تشأ او لم يكن ربحها من ذلك وفيراً وهذه الشكوى تلو الشكوى من اعمالها، افكرت يوماً باصلاح فاسد او دفع حيف كلا ثم كلا والعمل اصدق شاهد التي تشتغل لخدمة رعاياها اوردنا لها ما حملته صحف سويسرا في غرة هذا الشهر ونصه "ان حكومة سويسرا رأت تذمر الامة من شركة السكك الحديدية ففاوضت تلك الشركة وابتاعت منها خطوطها خدمة للامة واجابة بطلبها وستدفع الثمن دخلاً سنوياً يبلغ ٤ بالمائة لجملة الاسهم وقد وافق الشعب على هذا الابتياع باجماع الاراء.

والمثال الاخر ما حمله التلغراف من مدريد بتاريخ ١٠ الجاري ونصه :

"واعلن وزير الاشغال العمومية خطته عما ينوي ان يعامل به شركات السكة الحديدية فقال ان الحكومة الاسبانية مخطئة لانها لا تسير على الطريقة التي اتبعتها جميع الحكومات

المتمدنة تجاه شركات السكك الحديدية فقد تقرر عند الجميع ان السكك الحديدية هي دولاب الاعمال المالية ولاقتصادية فلابد ان تديرها الحكومة القيمة على الامة فشركاتنا تمكنت من سلب الحكومة سلطتها فحدث ما حدث بين الامة والشركات فلابد اذاً من أمرين الاول تحويل الحكومة حق وضع التعريفة ولو بالقوة والثاني وابتياع جميع السكك الحديدية لتصبح ملكا للحكومة او بالاحرى ملكا للامة وبهذه الوسيلة تزداد ثروة البلاد وتملك الامة زمام اعمالها وثروة الامة مفضلة على ثروة الافراد فاذا افلست شركة فكيف تكون حالة الامة؟ فاذا لم تشأ الشركات ان تتفق مع الحكومة فعلى الحكومة ان تشهر عليها الحرب العوان لتكرهها على اعادة الخطوط الحديدية للامة على ان الحكومة لا تشهر على الشركات هذه الحرب الا اذا كرهت على ذلك ثم قال "بهذا تخدم الحكومة الامة واملي انه لا يمضي هذا العام حتى يتم ما نريد وتأمن الامة على مالها وتجارتها من عبث الشركات".

فهل لحكومتنا ان تتعظ بفعل حكومة سويسرا وأقوال وزير اسبانيا اتظن نفسها انها اقدر من تلك الحكومات على دفع عبث الشركات وقد رأيناها مع كل شركة اجنبية أعجز واضعف من اليد الشلاء فهل قدرت على التداخل بامر البنك الصناعي وقد التهم ٤٠٠ الف جنيه وهل قدرت على اقفال حانوت لاجنبي خالف أوامرها وتجاوز احكامها وسخر بقوانينها؟ فكيف تقدر على مراقبة السكك الحديدية. اللهم افتح آذانها لتسمع النداء وعينيها الرؤية البلاء وكف يديها عن هذا البيع والشراء فكل بيع يجوز إلا هذا وكل حكومة متمدنة تشترى السكك الحديدية فلتكن حكومتنا متمدنة وتبق مالها في يدها فالحكومة المتمدنة لا تنشئ السكك الحديدية للربح فقط بل لخدمة الامة التي تعتني الحكومة من غناها. وعلماء الاقتصاد يقولون ان الشركات لا يصح ان تسلم اعمالاً بقدر على القيام بها الافراد او الحكومات لان الشركة تعمل لنفسها ولمساهميها والحكومات تعمل لنفسها ورعاياها فكل حكومة تعطى امتيازاً لشركة بانشاء خط حديدى تشترط عليها ان تشترى هذا الخط أنى ارادت مخافة ان تظلم الشركة الرعية وتبتز اموال البلاد فهل يسوغ لحكومة مصر ان تبيع سكة تملكها .

بيع أملاك الحكومة (*)

عادت الدوائر العالية الحديث عن بيع أملاك الحكومة صفقة واحدة لشركة انكليزية بعد ما تناقلت الخبر في الصيف الماضي ألسنة العارفين ونفته الحكومة او بالاحرى من بيدهم ازمة الامور من رجالها ويؤكدون ان الشركة ستتألف برئاسة الدوق دى ونسكتون والدوق دي وستمنستر باسم "كردى بنك" ويكون مديراها الدكتور غريفن والماجور جنرال السير جون كميل برت وقد قضوا اسبوعين في القاهرة لهذه الغاية فلما تمت مهمتهم وتم لهم ما يريدون سافروا الى لندرا منذ ثلاثة ايام لاتمام تأسيس الشركة ووضع الاسهم وقاعدة الابتياع ولا شك ان هذه الشركة تحذو حذو شركة الدوائر السنية فتشترى بالقليل وتبيع بالكثير وبما اننا نعتقد بالمستر غورست النزاهة ولا يزعزع معتقدنا هذا فيه غير العمل فنحن نوجه انظاره الى ما يأتي :

اولاً . ان الاملاك لا تعود بخسارة على الحكومة فمما لا خسارة منه يكون ربحاً.

ثانياً . ان هذه الاراضى اذا بيعت وجب على الحكومة تفضيل الاهالى على سواهم لانهم احق بملك ابائهم من كل غريب فالقادرون منهم على المشترى الآن قليلون لان المعروض للمبيع كثير من اراضى الدومين والدائرة السنية فأحسن عمل تأتيه الحكومة ان ترجئ بيع املاكها اذا لم يكن بد من البيع الى وقت يقدر معه الاهالى على المشترى.

ثالثا . ان املاك الحكومة على نوعين نوع مزروع ونوع براح بور فالمزروع اما انه من زيادة قلم المساحة اولا وكله بين اطيان الاهالى فاحسن شئ اعلانه بالمزاد قطعة كما هو جار الآن وكذلك غير المزروع لان بيع ملك الحكومة الشركة تزاحم الوطني وتسلبه حقه فيه ظلم محض. هذا ما نوجه اليه انظار حضرة المستشار المالى ولنا تمام الثقة بانه يعيره اذناً مصغية.

(*) الأهرام ٢٩ مارس ١٩٠٠ .

المطلوب من مصلحة البوستة العمومية(*)

تختلف مصر عن غيرها من البلدان المنظمة بان عدد الذين يقرأون ويتراسلون فيها أقل بالنسبة الى عدد اهاليها من امثالهم فى اية بلاد اخرى. وهم منتشرون فى جهات القطر كله. فلكى تسهل عليهم المصلحة طرق التراسل تضطر ان تنشئ لهم فى كل جهة مكتباً فاذا اغفلت ذلك في جهة من الجهات عاتبها الاهالى ونسبوها الى التقصير. وميزانيتها لا تساعد لان توفي جميع ما يطلب منها بالمتاعب اكثر من مراكز جميع مدير عموم البوسطة محفوف بالمتاعب اكثر من مراكز جميع مستخدمي الحكومة المصرية ولولا همة سعادته وحسن ادارة عماله ما كان البريد فى مصر بلغ هذا المبلغ من النظام والاتقان.

اما المطاليب من البوسطة فكثيرة فالعمال يطلبون زيادة مرتباتهم بقدر حاجياتهم على الاقل اسوة بغيرهم من خدمة المصالح الاميرية ويطلب اهالي الجهات البعيدة ان تنشئ المصلحة فى جهاتهم مراكز للبريد وغيرهم يطلب طوافة تحضر الى بلادهم او غير ذلك وسعادة المدير يرى ان جميع هذه الطلبات حق وأنه يجب عليه اجابته ولكن ذلك يحتاج الى زيادة المال فى الميزانية والحكومة تضمن عليه به والقليل الذي تعطيه اياه لا يكفي لتسديد هذه المطاليب فيتألم هو بنفسه ويحتمل بصبر عتاب الآخرين.

انه لا ينكر احد على البوستة ان لهم حق المساواة بغيرهم من الذين لا يبذل الواحد منهم من المشقة فى خدمته عشر ما يبذله عامل البريد. ولكن اذا وزع سعادة سابا باشا الزيادة التي تمنحه اياها المالية على المستحقين جميعهم فلا ينال الواحد غير اليسير منها ويظل العمال على شكواهم وعتابهم وتتعاظم شكوى الذين هم خارج المصلحة ولهم مطاليب حقة. واذا استعمل الزيادة لانشاء مراكز جديدة ضرورية واصلاحات أخرى فانها لا تكفي ويحرم المستحقون من

(*) الرائد المصرى ٤ ديسمبر ١٩٠٠ .

العمال ولهذا فلابد ان يكون سعادته حيران بين المطالب الداخلية والخارجية والسبب في ذلك ان نظارة المالية تعتبر مصلحة البوسطة المصرية كمصلحة البوسطة الانكليزية او غيرها من البوسطات الاجنبية حيث يكون تسعة وتسعون في المائة من الاهالي يراسلون ويتراسلون والحال ان الرسائل التي تصدر من القطر المصري واليها في سنة كاملة ربما لا توازي نصف ما يصدر من لندن وحدها في أسبوع واحد فكيف تنتظر حكومة مصر اذاً من بوسطتها ما تنتظره الحكومة الانكليزية من البوسطة في بلادها.

فاذا كانت تطلب العدل من هذه الوجهة فيلزمها ان تدع مصلحة البوسطة وشأنها تنفق دخلها على الاصلاحات واجور العمال فلا تأخذ منها ولا تعطيها فاذا فعلت ذلك خفت شكوى العمال ورضي اهالي القطر والا فان الشكوى تدوم الى ان يترقى الاهالي فيساووا اهل الممالك الاوربية المرتقية.

وقد تذكرنا والشئ بالشئ يذكرانه قد نتفق ان يفقد بعض الجرائد المحلية عدداً من اعدادها ولا يصل الى المشترك اما سهواً من الادارة او لسبب آخر فيرتفع اذ ذاك صوت شكواها على صفحاتها وكان يكفي لتلافي هذا الامر مخابرة المصلحة بكتابة "ترسل اليها فلا تتأخر عن التحقيق لحظة واحدة وبعدئذ تخبر صاحب الجريدة عما ظهر لديها وان كان السبب عامل من عمالها عاقبته. وقد تأكد لنا هذا الامر بالاختبار واقتنعنا كل الاقتناع ان المصلحة لا تغمض لها عين ولا تفتر لها همة في المراقبة لان قوى المدير والوكيل والمفتشين وجميع كبار العمال منصرفة كلها الى تسهيل وسائل التراسل لتكون مأمونة مضمونة".

صندوق التوفير(*)

أحسنت مصلحة البوسطة المصرية بمشروع صندوق التوفير ولكن الحكومة خدشت محاسنة لتخدم البنك الاهلي كانه حرم على المصريين ان يتمتعوا لوحدهم بفوائد أى عمل مفيد من الاعمال العمومية فلابد لهم من أجنبي يشاركهم في النفع اذا لم يحتكره جميعه. فمشروع انشاء صندوق التوفيرات مفيد جداً للبلاد وهي في حاجة شديدة الى مثله ومصلحة البوسطة العمومية أليق جميع المصالح للقيام بتنفيذه فياليت الحكومة نظرت الى مصلحة الاهالى وحدهم ولم تكيف المشروع على أسلوب يحول الفائدة الكبيرة المنتظرة الى خزينة البنك الاهلى.

قررت الحكومة ان فائدة الاموال في صندوق التوفير تكون اثنين ونصف بالمئة فقط وحفظت لنفسها الحق بتنزيل هذا المعدل متي شاءت مع اشتراطها بانها لا تدفع فائدة عن كسور الجنيه. وهذا هو الاجحاف بعينه لان فائدة اثنين ونصف قليل فالبنك العثماني يدفع ثلاثة في المئة لمن يودعون اموالا فى خزينته بمثل طريقة صندوق التوفير ومتى بلغت الاموال المودعة مئة جنيه ورغب صاحبها في ابقائها الى سنة اخرى يدفع البنك فائدة عنها أربعة في المئة وفي كل الاحوال يعطي البنك فائدة كسور الجنيه بخلاف صندوق التوفير فانه يدفع فائدة المئات دون كسورها ولم يكف الحكومة انها تدفع اثنين ونصف فى المئة فقط بل حفظت لنفسها الحق بتنزيل هذا المعدل متى ترآى لها. وليس هذا كل الاجحاف بل يوجد غيره فان صندوق التوفيرات لا يحسب فائدة للمبالغ التي تودع في خزينته الا من بداية الشهر الذي يلي الشهر الذي أودعت في خلاله تلك الاموال ولا يضم الفائدة الى الاصل الا عند انتهاء العام واذا استرد أحد أمواله أو بعضها يخسر فائدتها عن سائر الشهر الذي استردها في خلاله حتى ولو حصل الاسترداد في الايام الاخيرة منه. وكسور القرش من الفائدة المستحقة يخسرها الذين يودعون أموالهم أيضاً. فمما تقدم يتضح جلياً ان غاية الحكومة من انشاء هذا الصندوق ليست منفعة الاهالي ولولا ذلك لحسبت لهم فائدة ما يودعونه من الاموال أربعة في المئة على الاقل ودفعت الفائدة عن كل غرش يودع من تاريخ ايداعه. هذا والشائع على ألسنة الكثيرين ان الحكومة تنوى تسليف البنك الاهلي ما يتجمع في صندوق التوفيرات بمعدل ثلاثة في المئة وهو يسلفها للاهالى (الذين أودعوها) بمعدل تسعة عدا المصاريف. فالمشروع اذاً حسن فى شكله ومصلحة البوسطة حسنة النية فى وضعه ولكن الحكومة هى التى شوهت محاسنه .

(*) الرائد المصرى ٧ ديسمبر ١٩٠٠ .

التوفير فى مصر (*)

ليس فى مشروعاتنا الاخيرة التى ارادت بها حكومتنا نفع هذه الديار افضل من مشروع ادارة البريد الذى تكفلت به توفير اموال الفقراء والمتوسطين من شعبها لدى فروعها واقسامها المنتشرة في كل البلاد. وليس هذا المشروع من مخترعات حكومتنا او ادارة بريدنا بل انه مشروع قديم تجرى عليه حكومات اوربا من دهر طويل وقد كان لفقراء شعوبها منه نفع عظيم اذ جمعت به من اموالهم الوف ملايين من الفرنكات والقروش التى كانت تذهب بين اثناء النفقات اليومية دون فائدة ينالها منفقها فاصبحت تجمع له وتدخر حتى تصير حين يلتمسها ذات نفع مهم يذكر. ثم ان هذه الطريقة قد كانت معروفة ولا شك لدى حكومتنا منذ استتب لها النظام وبدأت تترقي فيه ونظن ان ادارة بريدنا قد عرضته من زمن قديم فما اجيب سؤلها فيه مع انه لو نشر في ذلك الحين لجمع منه الوف دنانير كانت اجل ذخر للفقراء وكان الآن عادة سارية يجري عليها الجميع اما وقد اعلن امره الآن فانه لابد له من حين طويل ليعتاده العامة ولا سيما الوطنيون الذين لم يزلفوا مثل هذه الطرق التوفيرية الاجنبية.

ولقد يعتقد البعض ان هذا المشروع حين ينتشر ويمتد انه يصون اموال البلاد ويحفظها من ان تنسل الى سواها بدعوى ان كل مال لا ندخره لابد ان يأخذه سوانا وهو اعتقاد ليس فيه كل الصواب فيما نرجح لان اموال البلاد لا تزاد او تصان من النقص في مثل هذه الطرق بل ان لها طرقاً اخرى يعرفها غيرنا وقد نعرفها نحن ولكننا لا نستطيع مباشرتها لان الذين يقدرون على اجرائها بيننا هم الذين يمانعون فيها ولدينا من عهود الدول الكثيرة ما يقوم اعظم سد دون انماء الثروة العمومية التى نريدها. وعلى هذا فان نفع المشروع كله انما هو قائم في ادخار اموال جموع كان يدخرها الافراد او تتفرق بينهم دون قيد ولا نظام او هو نفع ينحصر كله في ادخار القرش الابيض لليوم الاسود كما يقولون وتلك فائدة يتمناها الجميع على كل حال ويشكر عليها اصحابها من كل معدم وذى مال.

على ان حكومتنا على كونها ظاهرة القصد الحسن فى هذه الطريقة الجليلة فاننا نخشى

(*) البصير ٧ ديسمبر ١٩٠٠ .

ان لا تنطبق النتيجة على قصدها وذلك ليس بامتناع الناس عن ادخار اموالهم لديها بل عن عدم تسهيل السبل لهم لهذا الادخار وذلك لان ادارة البريد على اتساع فروعها وكثرتها فى كل ناحية فانها تحسب ضيقة بالقياس الى عظم البلاد واتساعها وكبر مدائنها بحيث ان المريد توفير نقوده لديها سيكون بمنزلة المضطر ان يأتى اليها ليودعها ماله دون ان تأتى هى اليه مع ان المقصود هو شدة التسهيل حتى تكون الحكومة بمثابة الجابى لاموال الرعية بهذه الطريقة الحسنة وذلك ينبغى ان يكون بانشاء فروع عديدة فى كل ناحية وجهة حتى يصبح وجود الفرع داعياً الناس بذاته الى الاقبال عليه لا ان تكون الطريقة نفسها هي الداعية الناس اليها ولا سيما ان الحكومة قد رسمت للتوفير مقادير قليلة جداً بحيث لو اراد الطالب ان يوفر ماله لدى خزائن الحكومة فى ادارة البريد اوجب له وهو فى الاسكندرية او القاهرة مثلا ان يتكلف من العناء والمال نفسه ما يعد اجل من قيمة المبلغ الذى سيوفره وهى حالة يجب اعتبارها حتى تكون نتيجة القصد حسنة مثله والا فاننا نتوقع ان لا يكون عندنا من هذه الطريقة الا اسمها فقط وان يمر علينا العام كله فلا نرى من اموال الشعب الا الذى لا يذكر ولم يكن بالمقصود من ايجاد هذا المشروع النافع.

الا ان شدة التسهيل او بالتالى اغراء الشعب على توفير امواله مما يقتضى الفروع الكثيرة التى ذكرناها وهى تقتضى النفقة الكثيرة التى لا يقوم بها دخل الحكومة من المشروع وهو على حاله الحاضرة ولذلك فنحن نرتأى ان تكون الاموال الموفرة بلا فائدة اصلاً اى تكون الحكومة بصفة مستودعة لهذا المال وديعة فقط ثم تبذل قيمة الفائدة فى سبيل تلك التسهيلات وهو شأن وان تكن فيه مغايرة للنظام المتبع فى هذه الاحوال فان الضرورة تغتفر المغايرة فيه ولا سيما ان كل القصد توفير المال للمتوسطين والفقراء وليس زيادة الربح لهم اذ كفاهم ربحاً بتوفير اموالهم الاصلية نفسها عدا ان تلك الفوائد لا تذكر بالقياس الى كل فرد وان كانت تذكر بمجموعها . ذلك ما يبدو لنا الان من ظاهر الامر وقد يكون للحكومة اراءا فيه واتم تضمرها للمستقبل او تدلها عليها التجربة والاختبار الا اننا على كل حال نسر جداً بهذا المشروع الجديد ونرجو ان يكون فاتحة لعشرات غيره من المشروعات التى تملأ اوروبا فنقلدها فيها كما قلدناها فى هذا وفى غيره لان البلاد قد صارت مستعدة لكل ما يعرض عليها من هذه الحالات التى كانت غريبة عنها فصارت مألوفة فيها والله من وراء القصد وهو الكافل بالنجاح .

بنوك التوفير (*)

لما كان جناب اللورد كرومر فى بلاد الهند رأى لتوسيع ابواب اليسر في وجوه اهلها ولاسيما غير الموسرين منهم ان يسهل لهم سبيل الاقتصاد فاقترح على حكومة الهند ان تنشئ للناس البنوك المعروفة ببنوك الاقتصاد وان تفوض امر هذه البنوك الى مصلحة البوستة لان البوسة المنتظمة خير واسطة من وسائط اتصال الحكومة بالرعية. فلما سمع اقرانه اقتراحه هذا قالوا ان من يسعى فيه يخفق لان بنوك الاقتصاد لا تعيش فى هذه البلاد ولا تجدى الهنود نفعاً ولكن اللورد كرومر ليس ممن يرجع عن عزمه لمجرد شك غيره فيه ولا ممن يعدل عن امر بلا أدلة توجب العدول عنه كما يعلم ذلك معارفه ومعاشروه. فلم يثبط شك اقرانه همته بل استفزه الى اخراج اقتراحه من القول الى الفعل فانشأت مصلحة البوسته الهندية بنوك الاقتصاد واقبل الهنود عليها اقبالا غريباً حتى انتشرت في بلادهم انتشار عظيماً ووفر الهنود بها لانفسهم مالاً كثيراً.

ولا يختلف اثنان في هذا القطر ان ما ينجح في بلاد الهند من هذا القبيل ينجح في بر مصر ايضاً نعلم ان بلاد الهند اوسع جداً واهلها اكثر عددا ولكن النجاح يجب ان يكون بالنسبة واحداً. ولهذا انشأ سعادة الهمام سابا باشامدير عموم مصلحة البوستة بنوك الاقتصاد لينتفع بها اهل البلاد كما ينتفع بها اهل الهند الان فيجدر بالاهالي الذين يتعبون السنة كلها ليتوفر لهم بعض المال ثم لا يدرون كيف يحفظون ما يوفرون فيضيعونه في يوم واحد ان يسألوا مكاتب البوستة عندهم عن بنوك الاقتصاد هذه وان يودعوا فيها ما يتوفر عندهم من حين الى حين، فتحفظها مصلحة البوستة وتنقدهم اياها مثمرة عند احتياجهم اليها فيستعينوا بها على زمانهم.

(*) المقطم ١٤ ديسمبر ١٩٠٠.

التليفون

بين القاهرة والاسكندرية(*)

قلنا امس ان مصلحة التلغرافات المصرية بعثت الى البنوك والمحلات التجارية بكتاب تسألها فيه رأيها فى مد التليفون بين القاهرة والاسكندرية وهذا نص كتابها:

أولاً – أترون ان التليفون اذا مد بين القاهرة والاسكندرية يتحول اليه قسم من الرسائل التلغرافية.

ثانياً – اترون عكس ذلك اي ان التليفون لا يأخذ شيئاً من رسائل التلغراف ويكون لكم مساعدا على المواصلات.

ثالثاً – فى اية ساعة تكون الاشغال في التليفون كثيرة .

رابعاً – اى تعريفه ترون ضربها على التخاطب مدة ثلاث دقائق".

فمن هذه الاسئلة يؤخذ جلياً ان مصلحة التلغراف تنوى مد التليفون ولكنها تريد قبل مده الوقوف على دخله وعلى اوقات عمله وعلى ما يأخذه من اعمال التلغراف وتعلم الحكومة وتعلم مصلحة السكة الحديدية والتلغراف ان الأمم المتمدنة الوسائل التى تسهل التواصل بين العواصم والقرى وفى اقوال الحكماء ان الحاجة أم الاختراع فلو لم يحتج الانسان الى دفئ لم يحك ثوباً ولو لم يحتاج الى سرعة الاخبار لم يخترع تلغرافاً ولا تليفوناً وهذه الحاجة تزداد بازدياد نمو الامة وتقدمها علماً وعملاً فالوقوف عن خدمة الامة امام حاجز المنفعة الصغيرة للحكومة اجحاف بحقوق هذه الامة التى وجدت الحكومة لخدمتها. نعم ان التلغراف المصري مرهون دخله لدائني مصر ولكن على الحكومة اذا عاقها الدائنون عن انشاء التليفون بحجة اضراره بالتلغراف ان تضمن لهم الدخل فتضمن للأمة خدمة جليلة وقد طالما طلبنا مد هذا التليفون وكررنا الطلب لان البلاد بحاجة اليه حتى اخذت الحكومة بالمفاوضة مع شركة التليفون لمد خطوطها في مركز مينا القمح ثم اودعت ذلك المشروع فى خزائن "المحفوظات" كأنه لم يكن الى ان تبعثه يد قادرة من مدفن على ما يظهر بعيد المزار .

ولا حاجة بنا لاظهار منافع التليفون ولنا فيه مباحث طويلة ولكننا نورد هنا تعريفة

(*) الأهرام ٢٧ مارس ١٩٠٠ .

التليفون في فرنسا فقد جاء في تقويم "هاشت" ان اجرة الخط الخصوصي بين باريس او ليون واحدى المقاطعات ٣٠ فرنكاً عن كل مائة كيلو متر والاشتراك السنوي في باريس ٤٠٠ فرنك وفي ليون ٣٠٠ وفي كل مدينة يكون عدد سكانها اكثر من ٢٥ الفاً ٢٠٠ فرنك و ١٥٠٠ فرنكاً في كل مدينة عدد سكانها اقل من ذلك.

اما ثمن الاشتراك في المحادثة فهو ٥٠ فرنكاً من المكتب الرئيسي و ٣٠ فرنكاً من كل مكتب صغير وأجرة المحادثة في باريس ٢٥ سنتيماً عن كل ٥ دقائق و ١٥ سنتيماً في الخطوط الاخرى عن كل ثلاث دقائق وأجرة المحادثة على مسافة ٢٥ كيلومراً من المدن البعيدة ٢٥ سنتيماً لمدة ٣ دقائق وأجرة المحادثة مدة ٥ دقائق مع المدن التي تبعد اكثر من ١٠٠ كيلو متر ٥٠ سنتيماً والاجرة بين باريس وبروكسل مدة اشتغال البورصة من ٣ دقائق الى ٥ في النهار ٣ فرنكات والاجرة الشهرية على ان يتكلم المشترك ١٠ دقائق في اليوم ٩٠ فرنكاً الخ الخ.

اما في سويسرا فالتليفون ممتد في كل قرية ومزرعة وفي كل جهة من جهات المدن فالفلاح يستخدمه كما يستخدمه الامير واجرته يسيرة قليلة ففي كل شارع مكتب للتليفون وفي كل بيت للتلغراف تليفون عمومي اما عندنا فالتليفون للمشترك دون سواه ومن لا يدفع ٢٠٠ فرنك في سنة لا يحق له ان يتمتع بهذه النعمة.

على ان هذا التساهل لم يغن الناس عن التلغراف لان التلغراف للتجار حجة يأخذها الواحد على الاخر اما التليفون فلا.

ومن هذا يستنتج ان شغل التليفون لا يقلل من شغل التلغراف ولكنه يسهل على الناس الاعمال وربح الحكومة منه يكون كربح الناس فهم يربحون سرعة التواصل كما هي تربح الرسوم والضرائب وقطر كمصر سهل فسيح متقارب المدن والقرى والحواضر والعواصم جدير به ان تكون الخطوط التلغرافية والتليفونية والحديدية فيه كالشرايين في الجسم لقلة النفقة والتلف فاذا عزمت مصلحة التلغراف على انشاء التليفون فليكن تحت الارض لان ارباب هذا الفن عرفوا بالاختبار ان الصوت يكون اقوى والكلام اظهر وجل ما نتمناه ان يتم المشروع ولا يظل في صدور الناس ونفوسهم متمنى لا يدرك وامنية لا تحقق .

الحجاج وسوء ما يلقون من الشركة الخديوية (*)

أرادت الحكومة تبعا لرغبة المحتلين أن تساعد الشركة الخديوية الانكليزية التى اشترت سفن البوستة الخديوية بالغبن الفاحش فحظرت على الحجاج المصريين أن لا يحجوا الا ومعهم الكفالة والاذن من ادارة الشركة.

وسواء كانت تريد بذلك مصادرة الشركة المخصوصة العثمانية وتعطيل الحجاج فوق تلك المساعدة أو لا تريد فان النتيجة كانت القاء الحجاج المصريين كلهم فى أحضان الشركة الانكليزية بل فى أسرها ولكثرتهم وقلة سفن هذه الشركة فى البحر الاحمر صارت تحمل سفنها مالا طاقة لها به من الاحمال وعدد الرجال . ولضعضعة هذه السفن من جهة وسوء ادارتها من جهة أخرى أصبحت خطرا عظيما على محمولاتها من الاموال والانفس. وحسب القارئ من ذلك جنوح ثلاث سفن في أسبوع واحد لم ينج منها سفينة واحدة وغرقت الثنتان الاخريان والخسائر فى جميعها كانت عظيمة جدا .

ومن حسن الاتفاق أن المستر (بلانت) المستشرق الانكليزى كان راكبا سفينة (شبين) التي جنحت ثم غرقت فى الاسبوع الماضى وشاهد بعينه الويلات والمصائب والفجائع التي اصابت المسافرين في هذه الحادثة فعاد وكتب تقريراً ضافياً الى الوكالة الانكليزية ألقى فيه كل المسؤلية على الشركة بل على قومندان السفينة المذكورة قائلا انه رأى العلم البريطاني مرفوعا على هذه السفينة وهو ما يجعلها خاضعة لنظام البحرية الانكليزية. ورآها أيضاً قد كتب على جانبها "البوسطة المصرية" وهو يجعل للحكومة الخديوية حق المراقبة عليها ولكنها كانت مخالفة ذلك النظام بأخذها من الاحمال والانفس ماهو فوق طاقتها. اذ من الواجب عليها أن لا تأخذ

(*) المؤيد ٢٧ مارث ١٩٠٠ .

من الانفس الا من تسع زوارقها حملهم عند الخطر ولكنهم كانوا أضعاف ذلك كما أن محمولاتها من البضائع كانت اكثر من اللازم وهذا يجعلها مسؤلة بالذات ن كل ضرر سببته للركاب واصحاب البضائع.

قال المستر بلانت ومع علم جميع الركاب الذين هم من الحجاج المصريين أن الحادثة كانت صنع يدى قومندان السفينة بطمعه أولا وبجهله ثانياً وكنت أتخيل فى هذه الحالة أن سيلقى منهم جزاء ما فعل فانى رأيتهم على أحسن ما يرى الانسان عند حلول المصائب الجسام. رأيتهم وقد صرفوا وجوههم وقلوبهم الي الله ضارعين اليه أن ينقذهم من مخالب الموت غرقا صادقين في التوكل على الله والاستسلام بين يدى القضاء. فما رأيت ايمانا كاملا وسكينة شاملة فى المصائب كما رأيت من الحجاج المسلمين فى سفينة (شبين) عند اصطدامها ووقوف ركابها على شفا جرف الموت.

وبعد أن ذكر سوء المعاملة التي يعامل بها الحجاج من جهة أخرى فى سفرهم قال انى قبل عشرين سنة كنت رافقت بعض الحجاج فى سفرهم الى بر آسيا وعاينت ما يلقون من قلة الراحة وكثرة العناء وكنت أعتقد أننى أجد الآن حالتهم قد تحولت الى أحسن مما كانت عليه فاذا هى أشد تعاسة وأكثر شقاء وأسوأ مالا ولاشك أن هذا يخالف المدعي من اصلاح الشؤون المصرية فى عهد الاحتلال الخ الخ.

وقد بعث جناب اللورد كرومر بملخص هذا التقرير الي مصلحة الصحة البحرية لتحقق منه ما يخصها والي البحرية الانكليزية ما يخصها منه لمحاكمة قومندان السفينة المذكورة على مخالفاته نظاماتها.

ونحن نؤمل من جنابه أن يبعث الي الحكومة المصرية ما يخصها من هذا التقرير وهو كل ما فيه من شر ولكن من المسؤول عنه.

هل نظارة الداخلية التى حظرت على المصريين ان لا يحجوا الا على سفن هذه الشركة وهى منفذة لا آمرة ، أو أولئك الآمرون المتسترون وهم لا يسئلون عما يفعلون .

نـظـرة تجـاريـة (*)

نحن الان لدى مشهد كبير وحادث عظيم يحدث مرة في الدهر فيذكره الناس على توالي الايام نعم ان انخفاض النيل الى هذه الدرجه القصوى غير مألوف الحدوث في حدوثه في القرن الواحد مرة واحدة اومرتين ويقولون ان انخفاض النيل في هذه السنة زائد المقدار لم يذكر مثله الناس منذ اجيال او ان النيل في هذا العام سيكون بقلة مياه وعدم وفائها بحاجات الزرع والخلق كما كان في ايام يوسف الصديق والله اعلم بحقيقة الحال.

على ان ما يمتاز به هذا العصر عن العصور السالفة كون انخفاض مياه النيل في قديم الزمان كان سبب ضيق عظيم ومصائب شتى ومجاعة كبيرة تأتي على الناس وسائر الحيوان فتفتك بها فتكا لا يبقى ولا يذر اما في هذه الايام فان انخفاض مياه النيل كان سبب فرح الناس اذ بسببه ترتفع اسعار المحاصيل المبيعة الى الخارج فترد الاموال اضعافاً وتزيد ثروة المصريين حتى ان ما اكتسبه هذا القطر السعيد من غلاء الاسعار في هذين الشهرين او الثلاثة الاشهر لا يقل عن سبعة ملايين جنيه ولو كانت الاسعار غالية منذ الابتداء لكانت الارباح اوفر وكان فرق الاسعار بالغاً عشرة ملايين من الجنيهات.

والمجاعة كانت تحصل في قديم الزمان من انخفاض مياه النيل لان القطر المصري كان مشهوراً بغلاله وكثرة مقادير الحنطة والحبوب على انواعها المزروعة فيه وكانت اقطار كثيرة في الشرق والغرب تجلب اقواتها منه وتعتمد في المواد اللازمة لغذائها عليه حتى ان بلاد مصر حينما كانت خاضعة لدولة الرومان كانت تدعى مخازن القمح الرومية لان تلك المدينة العظيمة عاصمة السلطنة الرومانية الممتدة من اقاصي الغرب الى اقاصي الشرق كانت تعتمد على مصر لجلب اقواتها منها وعليها قس سائر المدن وباقي الاقطار.

اما الان فغلة القمح في مصر تكاد لا تكفي اهلها وهي لا تأثير كبيراً لها على غلال القمح في العالم ولا خوف على المصريين من المجاعة اذا لم ينبت القمح في اراضيهم بمقادير

(*) البصير ٢٩ فبراير ١٩٠٠ .

كافية لهم اذ غلال اميركا وروسيا والهند تكفي لقوت الاقوام الذين يأكلون حنطة ولو لم تنبت بلدان اولئك الاقوام سنبلة واحدة.

واذا رأينا غلة القمح قد قلت في مصر فقد زادت محاصيل الاقطان فيها والقطن المصري مشهور بجودته وحسن جنسه ومماثلته للحرير حتى انه اصبح من المواد الضرورية التي يحتاج اليها العالم باسره والحاجة اليه على ازدياد في كل عام وربما جاء وقت كان المحصول المصري مهما زاد وكثرت مقاديره غير كاف لطلب المعامل وحاجات اللابسين ورأيت من غلاء اسعاره اكثر مما نشاهده الان لدى انخفاض مياه النيل وخوف الناس من نقص المحصول.

على انه ما لنا وللتكهن والرجم بالغيب ولننظر الى الحالة الحاضرة فان الحديث عنها لذو شجون والكلام عليها يهم كل واحد منا اذ تلك الحالة هي حالتنا وعليها تتوقف سعادة ونجاح كثيرين منا .

فالانسان زاراعاً كان او تاجراً صحفياً كان او رجلا منزهاً عن الاشغال معتزلاً كل عمل اذا اراد ان يتكلم عن حالة القطن في الايام الحاضرة فاول شيء يروم البحث والسؤال عنه هو هل الاسعار على ما وصلت اليه هي اسعار مناسبة لمقتضيات الاحوال او انها غالية يخشى التاجر هبوطها او انها رخيصة يأمل أيضاً غلاءها وصعودها فالجواب على ذلك كله من اصعب ما يكون لانه من الامور الاعتبارية فانه ربما اشتريت القطن بستة عشر ريالاً وانت تعتبره رخيصاً وربما اشتريته بثمانية ريالات او سبعة وانت تخاف رخصه وكثيراً ما نرى الاسعار في الرخص والغلاء سائره حيناً من الدهر على غير حساب وعلى غير مقتضيات الاحوال لقيام فئات من كبار التجار والمتمولين الذين يقدرون بقواهم المالية ان يدفعوا الاسعار الى الواجهة التي يريدونها والحالة التي يختارونها ولو الى الحين ولذلك كان الناظر الى السوق ينظر نظرتين مختلفتين فاما ان يكون الانسان رجلاً حاسباً مدققاً يقدر الاحوال من حيث النتيجة ولو بعدت وهذا ولو لم يطابق تقديره للاحوال الحاضرة فان الاحوال بالنهاية مطابقة لتقديره لا محالة واما ان يكون مضارباً يروم استفادة الفرص فهذا لا يهمه تقدير ولا يبالي بحساب بل يتبع مجرى الاحوال ويسير حسب تقلبات السوق وهو في الغالب ان ربح مرة يخسر مرتين واذا نجا من الخسارة يكون من اعظم السعداء واكبر الموفقين.

وذلك الذي يقدر الاسعار باسبابها وينظر الى الاحوال بنتائجها كم دون تقديره من اغلاط وكم دون نظرته البعيدة من اوهام فاننا رأينا جماعات التجار وكل من له اقل المام باحوال

الزراعة والزرع يقدر المحصول في اشهر الصيف بسبعة ملايين وكان من يعتمد عليهم في تقدير المحصول الاميري كمحل نيل وغيره يقدرون ذلك المحصول تقديراً معتدلاً باثني عشر مليون بالة فلا المحصول المصري بالغ السبعة ولا الستة ونصفاً ولا المحصول الاميركي بالغ عشرة ملايين او تسعة ونصفاً .

نعم كانت الافكار كلها من المصريين وغير المصريين متجهة الى ان الاقطان وافرة والمحاصيل زائدة وكان لا يخطر علي بال احد في شهري يوليو واغسطس ان يرى ما نراه الان في شهر يناير وربما لم يخطر على بالنا الان وبناء على تلك الافكار وذلك التقدير كنت ترى كبار الزراع يبيعون مالديهم من الاقطان بالاسعار التي كانت اذ ذاك وكان المضاربون يتهافتون على بيع المكشوف ولما اخذت مياه النيل يبين نقصها وتتضح قلتها اخذت الاسعار تصعد الا ان الاعتقاد الاول كان متأصلا في الاذهان حتى ان ذلك الصعود قد حسب نتيجة مضاربة قوية ومسعى من مساعي بعض النقابات المالية ربما كانت تلك الحركة علي ما وصفنا في الابتداء غير انها ما لبثت ان عادت حقيقة مطابقة لمقتضيات الحال.

ويسرنا من كل ما جرى ان نرى كثيرين من الذين خسروا خسارات باهظة على مبيعاتهم المكشوفة يربحون الان ارباحاً طائلة على مشترياتهم الحاضرة وهي ارباح تفوق تلك الخسارات اضعافاً واضعاف اضعاف .

ويسرنا ايضاً ان نرى كثيرين قد ربحوا ارباحاً طائلة كانوا يتوهمون ان يروها في هذا العام وهي تفوق آمالهم واطماعهم بكثير انما يسرنا ايضاً ان نرى اولئك المضاربيين يلتزمون بعد حدوث ما حدث جانب التعقل والتأني فيضيفون ارباحهم الى رؤوس اموالهم ويضنون بها ويخافون من ضياعها ضنهم باموالهم الاصلية وخوفهم عليها.

ولما كان كثير من التجار عندنا يهتمون بالقطن الاميركي او كان للقطن الامركي علاقة كبيرة بالقطن المصري نرى من المناسب ان ننشر احصاء سكرتير البورص في نيو اورلنس للقطن لغاية آخر العام الماضي بما يقابله في الاعوام التي سلفت اذ في ذلك فائدة كبيرة للمستفيد فلغاية السبت في ٣٠ ديسمبر سنة ٩٩ كانت المنظورات كما يلي:

بالة

٣٩٧٨٥٥٢	الوارد الى الموانى الاميركية
٠٨١٢٩٩٧	المرسل فى البر
٠٥٧٣٨٨٧	المرسل الى المعامل فى الجنوب
٠٥٢٨٦٤٠	المخزون فى الداخلية فى ١ سبتمبر سنة ٩٩

========

٥٨٩١٠٧٦ بالة

يقابله فى عام ٩٨

بالة

٥٨٥٣٦٤٥	الوارد الى الموانى الاميركية
٠٧٧١٦٤٢	المرسل فى البر
٠٥٢٥٠٨٧	" الى المعامل فى الجنوب
٠٥٧٥١٧٥	المخزون فى الداخلية فى ١ ستمبر سنة ٩٨

======

٧٧٢٥٣٤٩ بالة

ويقابلها فى عام سنة ٩٧

بالة

٥٥٥٩٢٧٨	الوارد الى الموانى الاميركية
٠٦٨٢٨٦٥	المرسل فى البر
٠٤٩٤٣٠١	" الى المعامل فى الجنوب
٠٥٦٠٠٨٩	المخزون فى الداخلية فى ١ ستمبر سنة ٩٧

======

٧٢٩٦٥٣٥

فيكون الوارد الى الموانى الاميركية قد نقص في اخر عام ٩٩ عن الوارد

الى اخر عام ٩٨ - ١٨٧٥٠٩٣ بالة

وعن عام ٩٧ - ١٥٨٠٧٢٦ بالة

وعن عام ٩٦ - ٠٩٨٠٣٤٧ بالة

ويكون المرسل في البر بعام ٩٩ قد زاد عن عام ٩٨ - ٤١٣٥٥ بالة وعن عام ٩٧ - ١٣٠١٣٢ بالة وعن عام ٩٧ - ٢٥١٧٥٥ بالة وتكون المنظورات لغاية اخر عام ٩٩ قد نقصت عن عام ٩٨ - ١٨٣٤٤٧٢ بالة وعن عام ٩٧ - ١٤٠٥٤٥٧ بالة وعن عام ٩٦ - ٥٠٧١١٦ بالة مما يدل على ان المحصول ناقص فى هذا العام نقصاً كبيراً والمطلوب كثير واما المقطوعية فهي على ازدياد فى اميركا وفى اوروبا وكل اقسام المعمور وفى سنة ٩٩ اى لغاية ٣١ اغسطس من العام الماضى اذ ما بعده داخل فى المحصول الحالى بلغ المحصول ١١٢٧٤٨٤٠ بالة وفى سنة ٩٨/ ١١١٩٩٩٩٤ بالة وفى سنة ٩٧ - ٨٧٥٨٩٦٤ بالة وفى سنة ٩٦ - ٧١٥٧٣٤٦ بالة واذا حسبنا نسبة المنظورات لغاية ٣١ دسمبر الى نسبة الوارد بعد ذلك فى هذا العام على معدل الاعوام الماضية كان المحصول الحالى بالنسبة لسنة ٩٩ - ٨٥٩٧٦٠٠ بالة وسنة ٩٨ - ٩٠٤٢٣٢٧ بالة ولسنة ٩٧ - ٨٠٠٤١٧٧ بالة وسنة ٩٦ - ٨٤٦٨٥٨ بالة.

وكانت موجودات القطن لغاية ١٨ يناير مساء بالف بالة

سنة	٩٠٠	٩٩	٩٨	٩٧
	٣٨٢٨	٥٤١٠	٤٦٧٥	٤٣١٢

فتكون موجودات هذا العام قد نقصت عن موجودات العام الماضي ١٥٣٢٠٠٠ بالة ونقصت عن العام الذى قبله ٨٤٧٠٠٠ بالة وعن عام ٩٧ ٤٨٤٠٠٠ بالة فتأمل كل ذلك وتدبر .

نصيحة للفقير

(الاسهم عموما) (*)

كتبنا أول أمس رسالة أولى خاصة بالترمواى فأحدثت تأثيرا فيها فوق ما كنا ننتظر لها لاسيما مع أصحابنا المتعاملين فيها ونقول كلمة قبل الانتقال الى موضوع آخر وهى أننا نكتب ولا نخشى لوما لاننا نبين الحقيقة ليس الا فيجب على من نعنيهم فهم ذلك جيدا وعلى الله الاتكال.

الترمواى اليوم كان سوق أسهمها فى اختباط عظيم وأخذت المضاربة فيها دورها المعتاد فى النزول بلا سبب مفهوم وكان للثلاثة الماليين الكبار حظ فى اغتراف ما وجد من الاسهم الاساسية والممتازة فى السوق وبعد ظهر اليوم أعيدت الكرة كالصباح ولكن على الاسهم الاساسية فبعد ان كان سعرها ٦٠ ونصفا وسعر الممتاز ٦٥ ونصفا صار اليوم سعر الاولى ٦٤ ونصفا والثانية ٦٧ ونصفا فتأمل أيها القارئ ولاحظ ما قلناه وما سنقوله بعد

ولننتقل الآن الى أسهم الاسواق تاركين أسهم البنك الصناعى وشأنها لانها لا تساوى أكثر من ثلاثة أرباع الجزء الاساسى منها تلف به الآن الاشياء مخافة تلفها كما يلف البدال ما يبيعه.

فأسهم الاسواق بلغ سعرها الآن ١٨ شلنا وقد كان يوم تأسيسها ٢٠ شلنا وصعدت الى ٣٤ شلنا أما اليوم فقد صعدت شلنا واحد اذ كانت بسبعة عشر وسبب ذلك الطلب عليها ونحن لا نمتدح شركة تبتز من الاهالى ضرائب هم فى غنى عنها لكن نقول انها بلغت مناها من البلاد بمساعدة الحكومة فأصبح مستقبلها على نحو ما نراها سائرة مستقبل ربح وفائدة فيوجد فى البلاد ومع الاهالى كثير من أسهمها ويشكون الآن تناقص أسعارها أما نحن فلا نصدق انها

(*) المؤيد ٢ اكتوبر ١٩٠٠ .

تنزل الى أكثر مما وصلت اليه من الهبوط لان الاشتغال فى النمو والفائدة بالغان حدهما مما نرجح له المستقبل الاحسن فالذى عنده منها شئ نشير عليه بعدم التفريط فيه لان الايام المقبلة ستبرهن على صدق كلامنا ولما كان سعرها زهيدا فيمكن لكل فرد من أفراد الوطن شراء شئ منها فهى عبارة عن سند فى يد صاحبه وحكمنا فى شركة الاسواق حكمنا كذلك على الترمواى لان الاثنين مصلحتا عمل وجد وبأيدى قوم يريدون انجاحها لينجحوا ويثروا.

عجبى فيما أكتب اليوم فانى أريد الانتقال الى أسهم الفنادق فى العاصمة لكنى لا أرى بابا للقول انها ردئية ذات مستقبل مخيف لانها بلغت الآن نصف ثمنها ولا يمكن نزولها الى أكثر من ذلك قرشاً واحدا لكن نقول اذا وصلت أسعارها الى عشرة شلنات فليقدم المشترى على شرائها لانها تكون وصلت الى نصف ثمنها الاصلى ولما كان ثمنها الاصلي عشرين شلنا وصعد في أول أمره الى ٢٤ شلنا صار من المحتم الصعود والتحسين لسبب أن الشركة أتت بمعدات العمل وسهلت صعاب الامور للشغل ويقال انها ستبتدى فى ذلك من أول العام المقبل فسواء أسرعت أو تأخرت فهى ذات جواهر وعمل لا كغيرها مما نخشاه ونحذر القراء منها الا اذا طرأ على عملها فيما بعد مايجعل الملاحظات غير هذه تبعاً لظروف العمل والحال وهذا لا يعنينا الآن فاننا نتكلم عن الحاضر والغائب فى علم الله. ونؤمل من القراء أن يلاحظوا ما قلناه في هذه الشأن عن الاسهم عموما وتاريخ مقالنا يوم الاحد آخر سبتمبر فاذا وجدوا أن الاسعار بعدها فى نزول يكون مقالنا مبنياً على غير الخدمة العامة فاننا الآن نكتب عن روية وحذر لاننا نري ما نراه بعين البصيرة لا بعين الوهم والتنجيم.

(البنك الاهلى) هذا البنك المؤسس على دعامة رسمية والممسك باردان نظارة المالية المصرية (لا الانكليزية) والمشترك مع الحكومة في جباية الاموال واقراض الفلاح ما يلزمه من الدرهم والدينار والمصدر من خزانته الاوراق المالية (بنك نوت) الخ من الامتيازات وموجبات النجاح والربح لكن نراه على حال واحد منذ تأسس الى اليوم فلا يحتاج الي حكومة ولا الي جباية مال أقرضه **لان الفلاح يأباه ويخافه لانه لا يرحم اذا اعتذر الفلاح ولا يرثي اذا تأخر بل أن للصراف حبلا ازدوج به البنك فبعد أن كان يعالج**

الموت بحبل صار يخاف ازدراد الحبلين وضغطهما فلا هو قريب منه ولا ببعيد عنه نقول ذلك لان دعاة البنك الاهلى لايزالون يؤملون خيرا لكن البورصة لم تمهله فان سعره كان عشرة جنيهات فصعد الى ١٨ جنيهاً ثم أخذ فى النزول حتى بلغ سعره الآن ١٢ وثلاثة أثمان الجنيه وسبب وقوفه من النزول دون هذه الاسعار أن الضامن له الحكومة حسبما يفهم الناس لكن شغله قليل جدا ومستقبله لم يزل مجهولا وعندنا أن البنك العثمانى خير منه لان هذا يشتغل مضاعف البنك الاهلى ويساوى ثمن سهمه ١١ جنيها ونصفاً ويبقى محفوظا عنده بصفة احتياطية ما يساوى قدر الربح المدفوع (كوبون).

والبنك العثمانى السلطانى فروع شتى فى البلاد الخارجية وله معاملات مع المصارف الاخرى بحيث نراه أكثر ضمانة لمالنا من سواه لاسيما وانه يقرضك الدراهم على رهن بفائدة انقص بقرش واحد عن البنوك الاخرى حتى البنك الاهلى الذى يحصل ماله بواسطة الحكومة وحولها نعم نحن لا نقول ان البنك الاهلى ردئ مخيف ولكن نشرح هنا حقيقية كل مصرف وأفضليته للبلاد فاسهم البنك العثمانى والحالة هذه أرخص وأربح ولا يمكن لاحد معارضتنا مادام الحال ظاهراً كالشمس فى رابعة النهار.

وبالاجمال ان الترموای حسن والبنك الصناعى ردى لا مستقبل له وشركة الغزل بالعاصمة ذات عمل منتظر والاسواق تشتغل وتجد وتربح والبنك الوطنى حسن ولكن يوجد أفضل منه وأوفر وهو العثمانى كما تقدم وسنأتي فى فرصة أخرى على بقية الاسهم ومصيرها وحالها الجارى الآن فى سوق المضاربة ان شاء الله .

الصناعة (*)

قلت فى رسالتي السابقة ان البلاد المصرية مفتقرة الى الصناعة افتقار المتسول الى الرغيف لان الزراعة لا تفى بحاجات سكانها ولا تبلغهم الدرجة التى يصبو اليها كل منهم ولو اجال كل من القراء الكرام نظره فى غرف منزله لما رأى فيها شيئاً من صناعة هذه البلاد خلاف الابواب والشبابيك ولو تأمل فى لباسه قليلاً لما وجد فيه شيئاً من نسيج هذه البلاد بل كله من الخارج وهى حالة يندى لها وجه البلاد خجلاً ويأسف لها قلب كل محب لبلاده غيور عليها .

ولقد ادركت الحكومة من عهد ساكن الجنان جد العائلة الخديوية الفخيمة افتقار البلاد الى المصانع لعلمها انه يستحيل ان تقوم لهاقائمة بدونها فشادت بعضها فى جهات كثيرة وافرغت الجهد فى اعلاء شأن صناعتها غير مبالية بما تكابده من المصاريف الباهظة فى هذا السبيل غير ان الايام مالبثت ان انقلبت فاصبحت تلك المصانع العظيمة خراباً ينعب فيها البوم ولم يبق منها سوى المدرسة الصناعية فى جهة الرملة التى يتقاطر اليها التلامذة من جميع ضواحى القاهرة لتلقى مبادى الصناعة فقط **فما ضر الاهالى لو ارحوا الحكومة من الاهتمام بشأن ما نحن بصدده واعتمدوا على انفسهم فى تشييد المصانع شأن الغربيين الذين لا يتكلون فى امر كهذا الاعلى انفسهم ولا يقصدون ابواب الحكومة الا لطلب الترخيص لهم بذلك ليس الا وهم بذلك محقون لان الصناعة لا علاقة لها بالحكومة فعسى ان يتلقى القراء كلامي هذا بالقبول ويهبوا لمداركة النقص الذى اشير اليه بما لديهم من الوسائط سداً لاحتياجات البلاد ورفعة شأنها**

(*) البصير ١٩ مارس ١٩٠٠ .

محصول القطن
في مصر وأمريكا (*)

كلما مضت الايام انكشف للتجار وغيرهم أمر قلة محصول القطن المصرى عن مثله فى الاعوام الماضية ونعنى بذلك نسبة المحصول للفدان الواحد فان الفدان الذى كان يثمر ستة قناطير مثلا لم يزد فى الغالب هذا العام على أربعة الى أربعة ونصف فالنقص اذن فى المحصول دائر بين ٢٥ و ٣٠ فى المائة على أقل تقدير. وكانت هذه الحقيقة الساطعة كافية فى لزوم ارتفاع ثمن القطن المصرى الى مثل ما هو عليه بل وأزيد من ذلك ولو كان القطن الامركي جيد المحصول وافر الثمرة لان حاجة النساجين للقطن المصرى مستقلة ومنفصلة عن حاجتهم القطن الامركى ولان المعامل التى تشتغل بذلك وحده تطلب حاجتها منه لا محالة فان وجدته قليلا كانت رغبتها فيه أشد واختلاف الرغبة هو العلة الاولى فى اختلاف القيمة انخفاضاً وارتفاعا.

فكيف اذا ظهر أن القطن الامركى ردئ المحصول واحتيج القطن المصرى فى بعض ما كان يسد فيه القطن الامركى العوز؟ لاشك أن الرغبة فيه تتضاعف وبقدر ذلك تعلو قيمته وهو ما تحقق بعضه الآن ويرجى أن يتحقق كله عما قليل.

وقد وردت الاخبار الاخيرة عن نيويورك تؤيد ما كان يظن قبل وهو قلة محصول القطن الامركى فى هذا العام وعللوا النقص بكثرة ما أضر الصقيع فى هذا الشهر الاخير لو زاد القطن وقد جرب فى أمريكا أن صقيع هذا الشهر يكون عاماً. وبديهى أنه يكون النقص بعد ذلك عاماً ويلزم منه أن يكون ثمن القطن الامركى عالياً والصعود الحالى يدل على ذلك.

ونحن هنا نبحث عن مصلحة مصر أين هى بين تقدير المحصول واختلاف القيم فمن

(*) المؤيد ٢٤ نوفمبر ١٩٠٠ .

البديهي أن صالح مصر والمصريين في صعود أثمان القطن ولو كان محصوله كثيراً. ولكن اذا قل محصول القطن لم يكن الصعود فائدة لها فقط بل يكون أمر الزاماً ليكون من غلو الثمن تعويض عما فقده الزارع من المحصول.

وقد ظهر في أول موسم هذا العام أن التجار في القطر المصري وفي ليفربول ومنشستر عقدوا فيما بينهم شبه اتفاق على امساك السوق وايقاف حركة دولابه قليلا وساعد على ذلك بعض معامل الغزل فأضرب عن الشغل أياماً تهديداً لاصحاب المحصولات ولذلك كان من أوجب واجباتنا أن نحض أصحاب المحصولات على مقاومة ذلك الاضراب المصطنع لغرض الاضرار بهم وكان لهذه النصيحة أحسن هوى من قلوبهم فثبتوا على هذا الصبر الجميل طول أشهر سبتمبر واكتوبر وبعض نوفمبر حيث اضطر التجار أن يرفعوا الأسعار ولكن لا بقدر ما ينبغي لمثل موسم هذا العام ولا يزال الكفاح شديداً في الاسواق بين حزبي الصعود والهبوط.

ونعني بحزب الصعود الامة المصرية بتمامها وعلى الاخص المزارعين منهم لانهم جميعاً يتمنون غلوا أسعار محصول القطن فيستفيد القطر كله بسبب ذلك. وبحزب الهبوط أكثر التجار وبعض السماسرة وان شئت فأضف الى هؤلاء بعض الجرائد المحلية وعلى الخصوص احدي الجرائد العربية في الثغر التي لاتخجل أن تدعو بالويل والثبور على حزب الصعود أي على الامة بتمامها ثم هي مع ذلك تاكل لتعيش من فضلات عيشها. وليس الغرض هنا أن نرد على مثل هذه الجريدة التي تنضح بما في وعائها من نكران جميل الامة وتسبها في وجهها سب اللئيم للكريم. ولكن الغرض أن نبين للقراء الافاضل أن نصيحتنا الاولى القطن المصري ومن مثله لحسن حظ.

الى محكمة الرأى العام (*)

(القضية الرابعة - مالية جنائية)

(خسارة نصف مليون جنيه - الفوضى فى مصر)

(وظيفة النائب العمومى)

فى ١٩ مايو عرف بعض تجار البورص فى الاسكندرية ان واحداً من كبار المضاربين عزم على النزول مسافرا الى مصر، وفى ٢٢ منه جاءت التلغرافات تترى من مصر الى الاسكندرية مضمونها ان المقطم استطلع أراء حضرة الماجور براون بخصوص النيل فاكد له الماجور ان لا خوف على الموسم فى هذا العام لان الوارد الى القناطر الخيرية كل يوم يساوى ما ينصرف منها والمنصرف يكفي والمزرعات اذا كانت مساحتها كما كانت في العام الماضي. ثم جاء المقطم في المساء مفصلا ما جاء مختصراً بالرسائل البرقية، ولا يخفى ان القلم يعجز عن وصف حالة حزب الصعود من المضاربيين عند ما جعلت الاسعار تتنازل تنازلا متتابعاً يوماً بعد آخر اذا انكشف أمر الكثير من الماليين الكبار . وأما صغار التجار ومتوسطو الحال فقد مات الكثير منهم موتاً ماليا قد لا تقوم لهم بعده قائمة.

ولم يقتصر المصاب على مصر والاسكندرية فقط بل تناول الارياف أيضاً وبعض الذين أصيبوا قد يخرجون من هذه المعمعة لا عليهم ولا لهم .

وأما البعض الآخر فقد افلسوا لان موجوداتهم واملاكهم وحلى نسائهم لا تفى جانبا من خسائرهم الطائلة التى فوجئوا بها على غير انتظار مفاجأة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ

(*) الرائد المصرى فى ٥ يونيه ١٩٠٠ .

البورصة منذ انشئت فى مصر الى الآن والسماسرة الذين هم واسطة التخاطب بين البائع والشارى أفلس كثير منهم لان بعض عملائهم لا يمكلون ما يساوى الخسائر والبعض الآخر الذين لهم اطيان وعقار طلبوا مهلة ليبيعوها كلها او جانباً منها ليسددوا ما طلب منهم.

هذا بعض من كل مما يقال عن تأثير الحديث المنسوب الى الماجور بروان على مالية القطر. وخسارة نصف مليون جنيه ليست بالامر الذى يستخف به وبكاء العائلات المصابة دماء بدل الدمع واليأس الذى وقعت فيه هذه العائلات لا يستطيع وصفه الا شاعر بليغ قوي التصور رقيق الاحساس يطوف على منازل هؤلاء المصابين ليستفحص حالتهم ويستطلع خفاياهم حتى اذا أتم منظومته كانت تذكار أسف وحزن دائم على هؤلاء الذين ذهبوا ضحية ما وصلت اليه الصحافة فى مصر من الانحطاط والسفالة ولغايات فى نفوس اصحابها جلبوا مثل هذا البلاء الهائل والمصاب العام. وقد انهالت رسائل الشكوى على جناب اللورد كرومر انهيال السيل واعتبر التجار ان الوكالة البريطانية لم تقم بما تعهدت به بصفة رسمية لانه لما ضج التجار من تصرف نظارة الاشغال فى الماضى وثبت لجناب اللورد كرومر انها لم تحسن اعطاء اخبار النيل بطريقة تمنع الضرر بل ان اضراراً كثيرة نجمت عن ذلك اعلن ان اعطاء الاخبار سينحصر في الوكالة البريطانية وهى تذيعها للعموم دون غيرها من المراكز الرسمية. ولكن الحديث الذي نشره المقطم منسوباً الى الماجور بروان جاء بالنسبة الى الوكالة البريطانية مخالفاً للوعد ومخلا بالعهد وأوجب مظنة السوء بنظارة الاشغال العمومية. ولما بلغ الامر المحتلين وثبت لهم كذب المقطم والتأثير الذى نتج عن كذبة قامت قيامتهم على اصحاب هذه الجريدة فنشر هؤلاء مقالة باللغة الانكليزية انكروا فيها انهم نسبوا حديثهم كله الى الماجو برون وقبلما ننقل أراء الجمهور وافكار بعض القانونيين التى يستفاد منها ان المقطم ارتكب هذا الجرم الفظيع عمداً لغايات فى النفس ننشر كتابة المقطم الاولى وكتابته الثانية ومن مجرد مقابلة القارئ الكتابتين يتأكد ان اصحاب المقطم مسؤلون امام التجار والقانون وامام الامن العام.

قال المقطم فى الصفحة الثالثة من العدد ٣٣٨٨ الصادر فى ٢٢ مايو سنة ١٩٠٠ ما نصه بالحرف الواحد :-

(حديث مع الماجور براون)

ابتداء فيضان النيل بقاء الماجور بروان على رأيه مقدار المنصرف من القناطر الخيرية ومقدار المنصرف من اصوان. سلامة محصول القطن.

قابلنا جناب الماجور براون هذا الصباح وسألناه عن جدول المناوبة الذى نشر أمس فى الجريدة الرسمية وهل المناوبة تكون فيه أصرم وأشد مما كان ينتظر قبلا. فأجابنا ان الجدول الذى نشر أمس فى الجريدة الرسمية عن المناوبة فى تفتيش رى القسم الثانى ليس باصرم ولا بأشد مما كان قد فرض لها قبلا ولكنه قد عدل تعديلا قليلا حتى يكون مطابقاً لمقتضى الجدول الاخير الذى نشر منذ أيام. قال وقد جعلنا المدة فى هذا الجدول من رية الى رية ٢٨ يوماً .

قلنا ان كثيرين من المزاعين يظنون ان القطن لا يحتمل العطش طول هذه المدة فأجابنا بما معناه ان القطن يحتمل العطش طول تلك المدة ولا خوف عليه ولا على لوزه منها ولكن الخوف يكون لو عطش أكثر من تلك المدة.

ان الفيضان ابتدأ حقيقة

فقلنا ان صدور هذا الجدول وانقطاع أخبار النيل الابيض لقى الخوف فى القلوب فان المستر ولكوكس قد ذكر فى كتابه عن النيل ان فيضان النيل الابيض تبلغ زيادته الاولى الخرطوم فى ٢٠ مايو ونحن اليوم فى ٢٢ مايو ولم نسمع ان زيادة النيل الابيض بلغت الخرطوم.

قال ان الزيادة بلغت الخرطوم من النيل الابيض والنيل الازرق معاً. والفيضان قد ابتدأ فيهما كليهما وهذه الزيادات التى تأتينا أخبارها هى زيادات الفيضان الحقيقى. ثم راجع بعض الجداول العديدة التى امامه عن أقيسة النيل فى أماكن متعددة باحثاً عن يوم وصول زيادة الفيضان الى الخرطوم.

فقلنا اذاً الماء الذى عندكم امام القناطر الخيرية يكفى لاروا - المزروعات القطنية

قال ومن يعلم كم مساحة المزروعات القطنية اعطنى اياها وخذ منى الجواب. قلنا ان الاكثرين يقولون انها تساوى مساحة السنة الماضية أو تزيد عنها فلنفرض انها تساوى مساحة السنة الماضية فهل الماء الموجود يكفيها ريثما يصل ماء الفيضان.

فتبسم وقال انى كتبت مقالة عن فيضان النيل سنة ١٨٩٩ نشرت فى المجلة الزراعية للجمعية الزراعية الخديوية ثم كتبت مذكرة في هذه السنة وقد ذكرت رأيي وآمالى فيهما كليهما وهو اننا ننقذ محصول القطن كله هذه السنة وتنجيه من التلف وأنا الآن مقيم على رأيى كما كنت حينئذ.

فقلنا نعم انكم ذكرتم فى مقالتكم التى نشرت فى المجلة الزراعية انه اذا امتنع الاهالي عن زراعة الارز فلا موجب للخوف على محصول القطن هذه السنة. وما قلتموه في مذكرتكم مشهور ومأثور ولكن أهل مصر لا يزالون يتناقشون فى ما قلتموه عن انقاذ محصول القطن هذه السنة الى هذا اليوم فبعضهم لا يوافق على رأيكم ويقول انه لابد من اخطاء فيه وبعضهم يقول انكم أدرى ولابد انكم بنيتم رأيكم على حقائق ومعلومات ولهذا نحب ان نعلم مقدار الماء الذي ينصرف الآن يومياً من القناطر الخيرية الى الرياحات والترع لارواء المزروعات القطنية. قال انه ٢٠ مليون متر مكعب من الماء يومياً أو أقل يسيراً.

فقلنا اذاً مقدار الماء الذى ينصرف من اصوان ويرد علي القناطر الخيرية أقل من ذلك كثيراً لانه اذا كان قياس اصوان صفراً فالمنصرف منها يكون نحو ١٣ مليون ونصف مليون متر مكعب فى اليوم فقط على ما يؤخذ من كتاب ولكوكس .

قال ان جدول المنصرف المذكور فى كتاب ولكوكس لا يصح في الاقيسة الوطئة جداً والمستر ولكوكس نفسه يسلم بذلك الآن. والصحيح ان مقدار الماء الذي يرد على القناطر الخيرية منصرفاً من اصوان مساو لمقدار الماء الذى ينصرف من القناطر الخيرية فنحن نعطي المزروعات الآن من الماء الذي يرد علينا من الوجه القبلى .

فقلنا انه يقال لنا ان منسوب الماء فى القناطر الخيرية ١٢ متر ونصف (أي ان سطح الماء هناك أعلى من سطح البحر الملح بمقدار ١٢ متر ونصف).

قال بل الصحيح ان منسوب القناطر الخيرية ١٢ متر و ٩٩ سنتمتراً وليس ١٢ متر ونصف فقط فقلنا وهل جاء الواقع مطابقاً لحسابكم الذى بنيتم عليه رأيكم فى انقاذ محصول القطن هذه السنة؟ قال ان الفرق الذى ظهر بينهما هو ان منسوب القناطر الخيرية جاء أوطأ من حسابى بنحو ١٥ سنتمتراً فقط. وان طلمبات العطف لا تدار بسبب ملوحة الماء.

فقلنا مادام الفيضان قد ابتدأ والماء الموجود فى القناطر الخيرية غير قليل فالامر غنى عن البيان ان مستقبل المحصول مأمون باذن الله.

قال ان الفيضان يبلغ اصوان فى أواسط يونيو ويبلغ القناطر الخيرية فى أواخره . ولكن الماء يبتدئ بالازدياد شيئاً فشيئاً في القناطر الخيرية من أول يونيو. فامامنا شهر يونيو تكون الحاجة فيه الى الماء على أشدها ومتى انتهى شهر يونيو انتهت الصعوبة ولم يبق امامنا ما يشغل البال لان ابطال زراعة الذرة دفع كل خطر عن مزروعات القطن في شهر يوليو. ثم القى نظرة على الجداول التى امامه وعاد فالتفت الينا قائلا ان الجمهور لا يعلم الاعمال التي عملتها مصلحة الرى للمحافظة على ماء النيل ولتوفيره للرى. قلنا ان الجمهور يعلم ان قطره من الماء لا تذهب ضياعاً وهو يزداد ثقة كل يوم بصحة ما قالته مصلحة الرى بلسانكم منذ زمان طويل .

هذا بعض ما بقى فى ذاكرتنا من حديث طويل. والخلاصة اننا خرجنا من عنده وقد رسخ في ذهننا من كلامه ان فيضان النيل قد ابتدأ وانه باق على رأيه بسلامة المحصول هذه السنة وان أقيسه النيل من الخرطوم الى القناطر الخيرية تؤيد هذا الرأى أيضاً .

وهذه ترجمة ما نشر باللغة الانكليزية في العدد ٢٣٩٣ من المقطم بتاريخ ٢٨ مايو .

(النيل)

ألمعت رصيفتنا "الاجبسن غازيت" فى عددها الصادر فى ٢٠ الجاري الى المقابلة التي حصلت بيننا وبين جناب الماجور بروان بخصوص النيل وموسم القطن ونشرت خلاصتها في المقطم منذ خمسة أيام. وقد ذكرت الجريدة المذكورة ثلاث قضايا تقول اننا نشرناها كانها اتصلت بنا من حضرة الماجور بروان. أولها ان من رأى حضرته ان الفيضان الحقيقى قد ابتدأ وثانيها ان لدى مصلحة الى من الماء ما يكفيها لغاية شهر يونيو وثالثها ان كل المخاوف المعقولة من جهة الخطر الذى يتهدد موسم القطن بهذه السنة قد زالت. وبعد ذكر هذه القضايا مجملا عقبت عليها بقولها انها تشك بكونها صادرة عن المصدر الذى نسبت اليه نظراً لما هو معهود فى مصلحة الرى من المحاذرة فى اعطاء الاخبار الرسمية. ولدى النظر فى هذه القضايا الثلاثة

بحسب الترتيب الذى وردت فيه أعلاه نقول اننا نشرنا الاولى منها التى مؤداها ان الفيضان الحقيقى قد ابتدأ كأنها تمثل حقيقة رأى حضرة الماجور بروان اذ ان حضرته قال لنا صريحاً فى اثناء الاشغال انه يعتقد ان الفيضان قد ابتدأ ليس فقط فى النيل الازرق بل فى النيل الابيض أيضاً. واما القضية الثانية وهى ان الماء يكفى لغاية يونيو فلم ينشرها المقطم باعتبار انها رأى خطر على موسم القطن قد زال لم تنسب قط فى المقطم الى حضرة الماجور بروان. ولو راجعت الاجبسن غازيت المقطم لوجدت فيه عكس ماتقدم فاننا قلنا ان شهر يونيو سيكون من أصعب الاوقات وان بال مصلحة الرى لا يرتاح من جهة الخطر الذي يتهدد موسم القطن الا بقدوم شهر يوليو وذلك بالنظر لمنع زراعة الذرة بهذه السنة.

واننا لنود كثيراً لو كانت الاجبسن غازيت فى مسألة خطيرة كهذه قد حصلت على ترجمة مضبوطة للمقابلة المذكورة لانها كانت تجد اذ ذاك كما نعتقد نحن بان التحرز والتحفظ المعهودين فى مصلحة الرى قد ذكرا بكل وضوح فى ما نشرناه عن تلك المقابلة. ومتى حصلت رصيفتنا الغراء على ترجمة مضبوطة لتلك المقالة يحق لها حينئذ أن تنتقد على كل أمر ورد فيها منسوباً الى حضرة الماجور بروان يؤكد حضرته بانه لم يقله –

وقد نشرنا هذه الاسطر باللغة لانكليزية فى جريدتنا العربية ونحن آملون بانها لا تدع باباً لسوء التفاهم فى المستقبل .

هذا ما نشره المقطم نقلناه بحروفه ومعناه ولا نخال أحداً عالماً كان أو جاهلا ذكياً أو بليداً يقرأ المقالة الاولى ثم يصدق ما جاء فى المقالة الثانية من أن الحديث غير منسوب كله الى الماجور بروان. ولو كان فى النسبة أقل شك لما حصل هذا التأثير الهائل لانه من ذا الذي يتأثر لكلام الصحف وآراء أصحابها الخصوصية فى مثل هذه الحالة ولاسيما اذا كانت الصحيفة هي المقطم التي اشتهر أمرها عند الخاص والعام واشتهر أصحابها أيضاً بانهم من المضاربيين؟ .. فالنزول الهائل حصل لان ما فى المقالة الاولى من الاراء مسند العمومية بانه أكبر ثقة وان أخبار النيل تأتيه من اقصى منابعه وهو القابض بيده على زمام مصلحة الرى يوزع المياه كما يريد عند ما يريد ويضع اللوائح كما يتراءى له ويطيل مدة المناوبات ويقصرها لان القول قوله والنظارة تعتمد على علومه وخبرته.

والآن نعرض عل محكمة االرأى العام خلاصة ما يستنتجه بعض القانونين وأذكياء التجار من كلام المقطم نفسه مما يثبت مسؤليتهم ومطالبته بالتعويض المدنى للتجار الذين اصيبوا بالخسائر الفاحشة ومسؤلية أيضا أمام النيابة العمومية طبقاً لنص المادة (٣١٩) من قانون العقوبات المصرى وهذا نصها :-

{الاشخاص الذين تسببوا فى علو أو انحطاط أسعار غلال أو بضائع أو بونات أو سندات مالية معدة التداول عن القيمة المقررة لها فى المعاملات التجارية بنشرهم عمداً بين الناس أخباراً أو اعلانات مزورة أو مفتراة أو باعطائهم للبائع ثمناً أزيد مما طلبه أو بتواطئهم مع مشاهير التجار الحائزين لصنف واحد من بضاعة أو غلال على عدم بيعه أصلا أو على منع بيعه بثمن أقل من الثمن المتفق فيما بينهم أو بأى طريقة احتياليه أخرى. يعاقبون بالحبس من شهر الى سنة وبدفع غرامة من خمسمائة قرش ديواني الى عشرة آلاف قرش} اهـ

فأصحاب المقطم قد سببوا انحطاط أسعار الاقطان لانهم نشروا عمداً على صفحات جريدتهم أخباراً نسبوها كذباً الى الماجور بروان وقد رفع كثير من التجار بلاغات الى جناب النائب العمومى على صفحات المؤيد عدا تلغرافات الشكاوى التى وردت على جناب اللورد كرومر وغيره من المراكز العمومية فالواجب على النيابة العمومية أن تسرع باجراء التحقيق بدقة وخلو غرض حتى تنجلى الحقيقة ويثبت بصورة رسمية ما اذا كانوا قد تواطئوا مع أحد من التجار أو كانوا مضاربين على النزول أو كانت لهم اية مصلحة أخرى لان الظاهر للعموم يثبت عليهم سوء القصد ولكن تحقيق النيابة يجعل الاثبات عليهم أو النفى عنهم باحكام قانونية لان القول الذي تخضع له الاقوال فى مثل هذه الظروف هو قول القضاء عن الغايات.

أما الادلة التى يظنها الجمهور ورجال القضاء انها تثبت على أصحاب المقطم سوء القصد فنعد منها ما يأتى :-

(١) ان عنوان المقالة "حديث مع الماجور براون" مكتوب بحرف كبير استلفاتاً للانظار.

(١) ان الاقسام الاربعة التى تلت العنوان وهى "ابتداء فيضان النيل – بقاء الماجور براون على رأيه – مقدار المنصرف من القناطر الخيرية ومقدار المنصرف من اصوان – سلامة

محصول القطن" كتبت بحرف صغير بين عنوان المقالة نفسها لتفهيم القارى انها خلاصة لما يجئ بعدها . يعني ان هذه الاقسام الاربعة هي خلاصة الكلام التالى وهذا اصطلاح يعمل به الكتاب في كل مكان .

(٣) ان المقالة قسمت الى سؤال من المقطم وجواب من الماجور بروان والكلام الذي يأتي بعد كلمة "قلنا" هو كلام المقطم وما عداه فهو أجوبة الماجور براون تبتدى كل مرة بعد كلمة "قال" فالفاصل بين كلام المقطم والكلام المنسوب الى الماجور بروان كلمتا "قلنا وقال"وهذا أمر واضح وثابت لا يحتمل المناقشة والجدال.

(٤) ان الحديث مع الماجور بروان نشر فى عدد يوم ٢٢ مايو وتأثيره حصل في مصر والاسكندرية وعموم بلاد القطر في اليوم نفسه. وقد الم ذلك أصحاب المقطم بدون شك فلماذا تأخروا الى يوم ٢٨ مايو عن القول ان الحديث لم ينسب كله الى الماجور براون؟ ولماذا اقتصروا لنشروا فى اليوم التالى أو الذى بعده الكتابة باللغة العربية ليقرأها ويفهمها الذين قرأوا وفهموا المقالة الاولى فينتفى ما علق بالاذهان من التأثير وتعود الاسعار الى سيرها الطبيعى حتى اذا كان لحزب الصعود من التجار بقية حياة تمكنوا من اعادة الاسعار الى حالها الطبيعية اما وحزب الصعود كله من المقيمين فى مصر ومعظم حزب النزول خارج القطر والخسارة قد بلغت نحو نصف مليون جنيه والذين اصيبوا بها بعضهم افلس وبعضهم لم تبق فيه ثقة والبعض الآخر استمهل ليبيع ويسدد ما استحق عليه فلم يعد في امكانهم مقاومة التأثير الذى حصل اذ كيف يستطيعون ذلك ولم يبق بايديهم ما يغطون به الخسائر فاجبرهم السماسرة على تصفية حساباتهم والتصفية تكون بالطبع بعرض البضائع للبيع فزاد هذا فى انحطاط الاسعار ولكن لو كذب المقطم نفسه فى اليوم التالى والنزول كان ريالا واحداً أو فى اليوم الثالث وكان النزول ريالين لامكنهم تغطية الخسائر المستحقة وأمكنهم تلافى التأثير السئ الذى حصل من الكلام المنسوب الى الماجور بروان.

وفى العدد التالى نأتى على بقية آراء الجمهور وأفكار علماء القانون ونشير الى الجمل الصريحة التى وردت فى كتابة المقطم الاولى منسوبة الى الماجور بروان وتسبب عن نسبتها هبوط الاسعار هبوطاً فاحشاً .

القطن المصرى والاميريكانى(*)

ورد تقرير امريكا الشهرى عن محصول القطن فيها فظهر ان شركة المحاصيل قدرت محصول هذا العام ١٠٠ / ٦٧ مقابل ١٠٠ / ٦٢ من العام الماضي وعليه فيكون المحصول في هذا العام أقل عن العشرة ملايين بالة ويزيد عن تسعة ملايين ونصف تقريبا ولكن يظهر أن محل نيل لم يذهب هذا المذهب لان التقرير الذى صدر من محله لم يذكر به مقدار المحصول به ولا كمية الاراضي المزروعة فاقتصر على قوله بأنه يرجح كثرة الوارد فى شهر اكتوبر ولم يتعد فى احتمال هذا الشهر المذكور فعليه يكون محصول القطن الامريكاني لم يزل مجهولا ويؤيد هذا الفكر تراوح الاسعار في اميريكا بين صعود ونزول من قبل صدور التقرير باسبوع لغاية الآن (وتاريخه ١١ الجارى).

فاذا صدقنا التقرير الذى صدر واعتبرنا سكوت محل نيل عن التقدير مصادقة على ما جاء فيه فيكون من المنتظر أن يزيد القطن الاميريكانى نصف مليون بالة على ما كان مقدر له فى الشهر الماضى وهذه الزيادة لا يخشى معها من سقوط الاسعار سقوطا كبيرا لدخول المحصول على هذا العجز والمحلات خالية من القطن القديم كما قلنا.

أما القطن المصرى فيجب التكلم عنه من وجهين. الاول المضاربات والبورصة والثاني المحصول والواردات فالمضاربات والبورصة هما الآن فى اضطراب عظيم وحركة مستمرة تبعاً للاخبار الواردةمن أميريكا وليفربول فحزب النزول كلما أقدم على اسقاط السوق تذكر حالة المحصول المصرى وخشى بادرة الامر فيعود الى موقف السكون والتبصرة واذا هم حزب الصعود الى تحسين السوق خشى تقلبات أسعار ليفربول وأميريكا حتى لقد بدا ان تجار ليفربول لم يصدقوا للان تماماً بمقدار العجز الحقيقي الذى لحق بالمحصول المصرى من العطش والندوات الاخيرة المتكررة وبرودة الجو قبل أوانه ولذلك تجدهم واقفين فى موقف الحذر،

(*) المؤيد ١٣ اكتوبر ١٩٠٠ .

المتروى أيضاً لكن لا نلبث أن نراهم على علم بالحقيقة فتأخذ الاسعار مجراها الطبيعى فى التحسين والذى سيقنعهم ويقنع كل مكابر هنا أن المحصول المصرى اذا لم نقل الآن (ولم نقل ذلك قبل اليوم) انه أربعة ملايين قنطار فلا يزيد مطلقاً عن الاربعة ونصف وفى النشرة التى صدرت من شركة المحاصيل فى الاسكندرية اليوم (١٢ اكتوبر) التى اتضح منها البيانات الآتية:

كان فى مثل هذا اليوم من العام الماضى موجود فى الاسكندرية تحت التصدير ٥٣٥٨٥٦ قنطارا والموجود اليوم ٣٩٩٩٦٦ فيكون عجز المخزون تحت الطلب هذا العام أقل من مثله فى العام الماضى ١٣٥٨٩٠ قنطاراً.

الوارد فى هذا الأسبوع ١٨٤٦٤٤ قنطاراً وفي مثل هذا الأسبوع من العام الماضى كان ٢٦٦١٥١ قنطاراً فيكون عجز الوارد فى أسبوع احد ٨١٥١٥ قنطاراً أما الوارد في هذا العام من أول سبتمبر لآخر هذا الأسبوع فكان مجموعه ٤٠١٥٩٤ قنطاراً يقابله فى هذا الزمن من العام الماضى ٧١٦٤٢١ قنطاراً فيكون العجز فى هذا العام عن مثله فى العام الماضي بمدة شهور وعشرة أيام ٣١٤٨٢٨ قنطاراً فاذا استمر الحال على ذلك كان محصولنا نصف المحصول المعتاد والعياذ بالله وعليه فلسنا بمبالغين اذا قلنا ان الوارد سيزيد قليلا حتى يصل الى ثلثى المحصول المعتاد وهذه حقائق ثابتة تنشرها شركة المحاصيل ولها الشكر والمنة يهتدى بها كل ضال عن الحقيقة.

ولنا كلمة هنا لابد من قولها فان حزب النزول يفكر بزن لابد من تساقط الأسعار سقوطاً مهما بانياً أفكاره هذه على سببين الأول ان الحكومة لا ترحم الفلاح ولا تؤخر جباية قسط اكتوبر مهما تضرع لها وشكا. والسبب الثانى أن صغار المضاربين ويعنون بذلك سكان القاهرة والأرياف لا يستلمون مشترواتهم متى استحقت وهؤلاء قد اشتروا كثيراً من قنترانات استحقاق نوفمبر المقبل فسيضطرون لبيعها للتخلص منها وعند ذلك يكون البائع فى السوق أكثر من المشترى فتحصل حركة نزول طبيعية لمثل هذا السبب فحزب النزول المذكور اذا أصاب فلابد له حقيقة من مغنم عظيم ولكن الذي علمناه ان افكاره أضغاث أحلام فالفلاح أصبح يرجح الاستدانة لشهر وشهرين لسداد القسط الاميرى خيراً من بيع محصوله بدون القيمة وله عبرة بالسنة الماضية لأنه تسرع فى بيع المحصول

وبعدها أصبح نادماً حيث لم ينفعه الندم اما المضاربين بمصر والارياف الذين يطلق ليهم بالبورصه اسم (صغار المضاربين) فقد أحسوا بما يضمره لهم حزب النزول فغيروا جميعاً أو أكثرهم مراكزهم عند عملائهم من شهر نوفمبر المقبل لشهر مارث ولذلك وجدنا أن سعر شهر مارس أعلى من أسعار نوفمبر وينايز نحواً من ربع ريال قد تحمله هؤلاء المضاربون عملا بقول من قال ويل أخف من ويلين وبذلك زال السبب الثاني .

ومما يدلنا على آن السوق المصرى متمسك جداً أنه بالرغم من نزول أسعار الاميريكاني من جهة وعن أسعار المصرى بالخارج التي عادل ١٣٢ ريالا وثلاثة أثمان الريال فان البورصة هنا لم تتحرك عن مركزها لان أسعارها من قبل أوائل هذا الشهر تتراوح بين ١٤ و ١/٤ تقريباً و ١٣ و ٧/٨ فلم تحدث كما يرى القارئ الاسباب التى طرأت على الاميريكانى ولا رخص أسعار المصرى بالخارج ولا قلة الطلب عليه سقوطاً حقيقياً فى أسعاره كما كان يتمنى حزب النزول الذى نراه يضعف يوما عن يوم.

ومجمل الحالة أن صعود الاسعار صعوداً مهما متوقف الآن على ورود الطلبات العادية من الخارج وهذا لابد منه متى تأكدوا هناك أن أخبار ضرر المحصول حقيقية لامرية فيها ونحن هنا نعلم علم اليقين أن الضرر على القطن قد حصل وهو أجسم مما قيل عنه حتى الآن. اهـ

التاجر الاجنبى

(والفلاح المصرى)(*)

عرض علينا سفر الى المنصورة يوم الخميس الماضى حيث قضينا يومين بينها وبين بعض بلاد البحر الصغير فمرت أعيننا كما تمر الصور المتحركة أو كطيف الخيال. ولكن مهما تكن سرعة المرور فان الخاطر حفظ شيئا منها ممثلة فى حالتى التاجر الاجنبى والفلاح المصرى الآن وليس أغرب منها منظرا فى الوجود.

الفلاح المصرى من مميزاته ويا للاسف قلة الحساب فى العواقب فهو لا يعرف المقارنة بين مورده ومصرفه. ينفق جزافا كما يثق بالاجنبى جزافا وكما يسئ الظن بنفسه وبأخية جزافا

ولهذا وجد التاجر الاجنبى من ذلك الفلاح السئ الحظ البقرة الحلوب التى يرتع فى خيراتها دون أن يكلفه أمرها شيئا سوى حسن قيادتها. وهى لحسن حظه سلسلة القياد لكل أجنبى.

الفلاح المصرى قد لا يجد نفسه غنيا عن التعامل بالقرض أكثر من شهر فى السنة وهو بقية العام عالة على التجار المرابين وكل أجنبى بين ظهرانى الاهالى تجار مرابون.

يقترض الفلاح المائة بفائدة خمسة وعشرين فى السنة والسنة فى عرف المقرض والمقترض ما فضل من أشهر العام الحاضر الى زمن جنى القطن وحصاد الزرع وفوق هذا الربا الجسيم شرط يأخذه المقرض غالباً على مقترضه وهو أن يبيعه قطنه فى موسمه فان قدم عليه سواه وجب أن يدفع له ثلاثة فى المائة على مجموع دينه الذى عليه.

بمثل هذه المعاملة تنمو ثروة التاجر نمواً مضاعفاً كل سنة وكل زيادة فيها نقص من ثروة

(*) المؤيد ١٤ اكتوبر ١٩٠٠ .

الفلاح وذهاب من رأس ماله فلا تمضي الاعوام القليلة حتى تقع أرض ذلك الفلاح السئ البخت رهنا في يد ذلك التاجر السعيد الحظ ثم لا يمضي الزمن حتي تكون تلك الارض ملكا له.

وقد شاهدت على ضفاف البحر الصغير في غدوي ورواحي بين قراه وبين المنصورة مزارع واسعة وابنية فخيمة وأجرانا تحطها الخيرات والبركات فقيل لي انها لرجل من شطار اليونان لم يكن رأس ماله منذ بضع سنوات أكثر من ٢٠ جنزيراً (حلوفا) أخذ لها فدانا من الارض توعى فيه وترتع فصار يبيع من نتاجها ويقرض صغار الفلاحين حوله ثم تعداهم الى كبارهم بعيداً عنه وهكذا حتى ضم الى حوزته جملة قرى وبلاد أكثر أهليها من مدينيه وأكثر أراضيها مما لم يملكه مرهونة له فهي وهم في الحقيقة ملكة وعبيده الذين يشقون ليسعد ويفتقرون ليغنى ويضنون ليشتد.

وليس هذا الذى أعنى من تمثيل بعض المناظر التى مرت على الخاطر اثناء سياحتي القصيرة، وانما أمثل الحالتين الحاصلتين الآن بين التاجر الاجنبى والفلاح المصري في الوجه البحرى أخذا من ذلك المثال الذى شاهدته على البحر الصغير.

الفلاح يغدو ويروح بين مجنى قطنه وبين ذلك الخواجه الذى اصطاده بشراكه يسأله هل جاءت النشرة ؟ فيجيبه الخواجه نعم وفيها نزول ٥ من ١٦ لان محصول أمريكا جاء أكثر من تقديره الاول فيصيح الفلاح لا أنا لا أبيع مع هذا النزول ثم يذهب الى أقرب محطة للسكة الحديد يسائل المسافرين كلما وقف عليها قطار. هل رأيت يا أخي النشرة فيجيبه بعضهم. نعم وفيها صعود ٩ من ١٦ مثلا فيتهلل وجهه فرحا ويذهب مسرعا الي الخواجه بهذه البشري السارة فيجيبه ذاك بانه ورد عليه تلغراف جديد بالهبوط بعد الصعود في أسعار أمريكا ولابد أن ينزل السوق ثانياً .

يخرج الفلاح من بين يدى ذلك الخواجه حائراً لا يدرى كيف يصنع فالصراف يطالبه بقسط أكتوبر ودائنوه الكثيرون الذين يعاملونه فى حاجاته المنزلية التافهة يطاربونه من مكان الى مكان والعيال في البيت قد عمهم العرى ولابد أن يكسوهم فى الحال والتاجر فى المنصورة يطالبه بثمن الكسوة السابقة. ولكن كلما أحرج صدره الحساب تخيل أن الفرج أقرب اليه من حبل الوريد لانه جني من فدانه القطن في الجنية الاولى أربعة قناطير ويقدر للجنيتين الثانية

والثالثة مثلها فتكون عنده ثمانية قناطير اذا باع القنطار منها بأربعة جنيهات كان له محصول الفدان الواحد ٣٢ جنيها. عند ذلك تبرق أسرته نفسه بالسعادة العاجلة.

وبينما هو يعيد ويبدى فى مثل هذه الامانى اذ أن تاجراً آخر أقبل على بلده يريد شراء أقطانها فيذهب اليه مع الذاهبين سراعا ليساوم ببيع قطنه وفى يده عينته انتقاها من أجود الثمر. فما يكاد يبلغ المكان النازل به ذلك التاجر حتى يأتيه رسول الخواجه الدائن له يدعوه اليه فيلبى فى الحال حتى اذا وصل عنده رآه مكفهر الوجه يتطاير الشرر من عينيه غضباً فيطالبه بما عليه من الحساب مضاعفا برباه ويارباه ويمقتضى ذلك الشرط الذى اشترط فيه أن لا يبيع قطنه لغيره. فيسأله لماذا كل هذا الغضب والانتقام؟ فيجيبه لانه سخر به وذهب فباع القطن لغيره وتصرف فى المال الذى قبض فيندهش هذا المسكين من تركيب هذه الفرية ويحلف الايمان المغلظة انه لم يبع ولم يقبض درهما واحداً ولم ينكل معه الموعد ولم يكفر له نعمة والخ. فاما أن ينتهى هذا الموقف الحرجة ببيع الرجل محصول قطنه لجناب الخواجه الدائن له بثمن أنقص من الحاضر بنحو عشرة قروش ترضية للخواجه وكفارة ما اقترف ذلك الاثيم بتوليته وجهه شطر غيره واما أن يجلب قطنه الى زريبة الخواجه تحقيقا لضمانة حقوقه عليه ورأفة بذلك الفلاح المسكين الذى يحار كثيراً كيف يحفظ محصولاته فى حرز المثل.

وقليل منهم من له عقل ولسان يعرف بهما كيف يخاطب الخواجه التاجر وكيف يقنعه أن دينه لا يتجاوز الحقوق الثابتة المكفولة بقوة الشرائع والقوانين وليس أن يقيده في حركاته وسكناته ليمنعه حرية البيع والشراء .

أكثر الفلاحين فى الوجه البحرى على هذا المثال وخصوصاً صغارهم اصطادتهم لسذاجتهم وحسن نيتهم نحو الغير وسوء ظنهم بأنفسهم أشراك الشطار من تجار الاروام وغيرهم فهم فضلا عن قلة حسابهم وفقدان ملكة الاقتصاد من نفوسهم عاجزون عن السعى والحركة لخير أنفسهم من بركة هذا الوجود فما أشقى الفلاح المصرى وما أسعد التاجر الاجنبى بمعاملته.

مصلحة الكمارك وسيتى بك (*)

اذا ألف المرء حالة لا يسهل عليه الانتقال منها الى غيرها بدون مشقة وعناء لان العادة اذا تمكنت بالانسان صارت طبيعية . فالامراض العادية يزيد معدلها فى فصول الانتقال من الحر الي البرد ومن البرد الى الحر ومتى ألف الى اشغالهم الا عندما يطيب لهم الحضور وعملهم هذا اخلال بالمصلحة فى حين انهم ملتزمون بالحضور في الاوقات المقررة. وكان للوسائط في حين انهم ملتزمون بالحضور فى الاوقات المقررة. وكان للوسائط والوسائل ، {المحسوبية} والانتماء شأن كبير بل الشأن الاول فى قبول طالبى الخدمة وترقية العمال أما شيتى بك فقد أبطل هذا جميعه فلا يقبل فى وظيفة ما الا كل ذى كفاءة وأهلية وفرض علي جميع العمال الحضور فى الاوقات المعينة واذا تأخر أحدهم او غاب فلا يقبل له عذرا الا اذا كان قانونياً مقبولاً .

ومن اوضح الادلة على أستقامة ونشاط سعادة شيتى بك أن ايردات مصلحة الكمارك زادت اكثر من ثلاثين الف جنيه عن مثلها فى شهر سبتمبر من العام الغابر وزاد الايراد من أول يناير هذه السنة عن مثل هذه المدةمن السنة الماضية حوالى المايتان وخمسين الف جنيه مع ما هو معلوم للجميع من وقوف حالة التجارة. فالزيادة فى الايراد نتجت اذاً عن الظبط والتدقيق وليس عن زيادة الصادرات والواردات.

وخلاصة القول أن شيتى بك رجل جد ونشاط وهكذا شيتى بك الذى تعين أمينا للكمارك وسوف لا يمضى زمن طويل حتى يشتهر فضلهما ويعترف لهما به جميع العمال والتجار أما الذين لا يتلائمون معها بحكم العادة والطبع الغريزى فهم من قبيل تلك الامم التى لم تستطع عبور دور الهمجية الوحشية الى المدنية فادركها الانقراض والفناء.

،فى الختام نرجوا سعادة شيتى بك أن يظل سائراً فى طريقه ولا يعير هذه السفاسف شيئا من اهتمامه ويكفيه فخراً أن العقلاء وذوى الضمائر الطاهرة راضون عنه وان الله محب لذوى الاخلاص والامانة .

ونرجوه ايضا ملاحظة بعض الامور التى لها علاقة بمصلحة الكمارك فان بعض المتعهدين يتلاعبون بعهودهم وسنزيد الامر ايضاحا فى فرصة اخرى .

(*) الرائد المصرى ١٦ اكتوبر ١٩٠٠ .

التاجر الاجنبى

(والفلاح المصرى)(*)

لم نكن مبالغين فيما مثلنا به حالتى (التاجر الاجنبى والفلاح المصرى) منذ يومين بل ولا موفين بالحقيقة فيهما فان التاجر الاجنبى أطفى مما ذكرناه والفلاح المصرى أشقى مما شرحنا .

وكأننا قد شخصنا بما كتبنا الداء بعض التشخيص وأغفلنا الدواء اغفالا تاما. شرحنا كيف يعطى الاجنبى أمواله للفلاح المصرى وبالفاحش وكيف يقيده فى معاملته بالقيود باثقال كثيرة حتى يستغرق دينه عليه كل ما ملكت يمينه فى أقرب وقت. وبينا أيضا كيف يحسن الفلاح المصرى ظنه بالتاجر الاجنبى فيفضله فى المعاملات على كل أحد من أبناء جنسه مهما اشتهر عن هذا من طهارة الذمة وصدق المعاملة. وأوضحنا مع هذا وذاك قلة تدبير الفلاح المصرى وعدم محاسبته نفسه على عواقب أعماله.

وكل هذا وذاك من أسباب داء الفقر الذى أعضل فى جسم الفلاح المصرى أو هو جوهر الداء الذى أنتج هذه الاعراض البشعة أعراض الفقر المدقع والذلة والهوان.

أما الدواء لهذا الداء العضال فانه يتركب من جملة جواهر بعضها عزيز الوجود الآن ويؤمل ان يوجد بعد زمن وبعضها موجود ولكن يحتاج فى تعاطيه الى حسن عزيمة كما يحتاج متعاطى الحنظل الى شدة الاحتمال والصبر .

فمن الجواهر الغالية العزيزة الوجود الآن تحصيل الفلاح المصرى ملكة الاقتصاد وارساخها فى نفسه حتى يكون رقيبا عليها محاسباً لها على النقير والفتيل من تصرفاته فيعلم

(*) المؤيد ١٦ اكتوبر ١٩٠٠ .

وقتئذ أن صرف الدرهم الواحد فى غير مصرف طيب من وجوه الحياة خسارة كبيرة ومصاب عظيم للانسان ومن الاسف أن هذا الجوهر النفيس مفقود عند أكثر المصريين حتى المرتقين المتعلمين منهم .

وليس تحصيل هذه الملكة من الاشياء الهينة اللينة حتى نلوم الفلاح المصري على عدم تحصيلها ونقول له عليك بها في الساعة التي أنت فيها فانما هى فضيلة أخلاقية عالية تسبقها فضائل شتي من مكارم الاخلاق. وكبار الحكماء يقدرون عشرين سنة لحضانة التعليم في الامة وأربعين سنة لحضانة الاخلاق فيها . فهي اذا أخذت بأطراف الجد والنشاط في الامرين معا لم تدرك فضائل الاخلاق راسخة فيها الا بعد إربعين سنة فكيف نطلب هذه الفضائل وهو لم يتعلم ولم ينتقل من دور جاهليته الاولى .

هذا بعض جواهر الداء اللازم لشفاء الداء المصرى الذاهب بسعادته وطيب حياته وليس غرضنامن بيانه أن نسلمه الى يد اليأس ونقول له اذا كنت غير قابل للصلاح فالاولى بك الموت بالفساد والعدم بالانحلال وانما غرضنا أن نرفع عن عاتقه شيئا من المسؤلية فى غير المقدور عليه ونسأله مع ذلك الاخذ فى الاسباب.

ولكن من جواهر الدواء ما يمكن تعاطيه ولا يحتاج أمره الا للصبر والاحتمال من جواهره ترك الغفلة فى المعاملة الى مرجعها حسن الظن بالاجنبى وسؤوه بالوطني على أى حال كانا . وقد أنتج الامر ان مع فقدان ان ملكة الاقتصاد عند الفلاح المصرى القاء زمامه الى يد التاجر الاجنبى المتفنن فى طرق الربا الفاحش واتخاذ القيود الثقال التى يربط بها ذلك الفلاح المسكين. وقد وصل سوء الظن بغير التاجر الاجنبي الى حد سوء الظن بالحكومة المصرية نفسها فقد افتكرت هذه منذ بضع سنين أن تجرب طريقة قرض صغار الفلاحين فى مركز أو مركزين واعطائهم بذور الاقطان بالربا القليل جداً مساعدة لهم على تحسين حالتهم فكانوا يتسربون خفية من عمل الحكومة ويختلسون الاقتراض من الربويين باضعاف ذلك الربا . ويقرب من هذا القبيل وجود كثير من البنوك تعطى أولئك التجار الشطار المحتلون للقرى والبلدان

التاجر الاجنبى

(والفلاح المصرى) (*)

من أصول الداء الذى تمكن فى نفس الفلاح المصرى حتى صار عضالا نظره الى التاجر الاجنبى نظر الحامى المنيع حماه.

ونعنى بالتاجر الاجنبى كل نزيل من الاروام أو غيرهم استوطن داخل البلاد بين ظهرانى الاهالي واتخذ الحماية الاجنبية راية له يستظل ظلها الوارف. وذلك هو التاجر الاجنبى. رأس ماله الحماية والاحتيال غالبا. وتجارته الاخذ والعطاء فى غفلة الاهالى واستخدامهم فى حاجاته ومعاملتهم بثمرة أتعابهم لصالحه.

وقد قيض الله لهؤلاء التجار الشطار من جانب الحكومة المصرية تساهلا غريبا اتسع به نطاق الامتيازات الاجنبية اتساعا كل من مد بصره فى أكنافه الشاسعة عجب كيف وصلت الامتيازات الاجنبية المقررة أصولها بين تركيا ودول أوروبا والمحصورة فى ممالك الدولة فى دائرة ضيقة الى هذا الحد من التوسع والانفساح. فرتع النزلاء من الاجانب في هذا الرحاب الفسيح ما استطاعوا وازعموا لهم من الخصائص والمزايا بل والسلطة والقدرة على حماية كل من يلتجئ اليهم ولو كان من المجرمين ما زعموا وكان لهم من ضعف صغار الحكام فى الاقاليم بل والكبراء منهم أعظم نصير.

وحيال هذا وذاك رسخ الوهم فى نفس الفلاح المصري بان لهذا التاجر الاجنبي سلطة غير محدودة يمكنه أن يتعدى بها على ماله ونفسه بل وعلى عرضه أيضا كما يستطيع أن يحميه بها من كل مكروه ومن سلطة الحكومة كذلك متى التجأ اليه وصار من محاسبيه فما نزل أجنبي بأرض قوم الا رأيت الناس يحومون حوله كالفراش يتطاير على النور وهو يدرى أولا أنه محترق بناره.

(*) المؤيد ١٧ اكتوبر ١٩٠٠.

التاجر الاجنبى

(والفلاح المصرى) (*)

من أصوال الداء الذى تمكن فى نفس الفلاح المصرى حتى صار عضالا نظره الى التاجر الاجنبى نظر الحامى المنيع حماه.

ونعنى بالتاجر الاجنبى كل نزيل من الاروام أو غيرهم استوطن داخل البلاد بين ظهرانى الاهالي واتخذ الحماية الاجنبية راية له يستظل ظلها الوارف. وذلك هو التاجر الاجنبى. رأس ماله الحماية والاحتيال غالبا. وتجارته الاخذ والعطاء فى غفلة الاهالى واستخدامهم فى حاجاته ومعاملتهم بثمرة أتعابهم لصالحه.

وقد قيض الله لهؤلاء التجار الشطار من جانب الحكومة المصرية تساهلا غريبا اتسع به نطاق الامتيازات الاجنبية اتساعا كل من مد بصره فى أكنافه الشاسعة عجب كيف وصلت الامتيازات الاجنبية المقررة أصولها بين تركيا ودول أوروبا والمحصورة فى ممالك الدولة فى دائرة ضيقة الى هذا الحد من التوسع والانفساح. فرتع النزلاء من الاجانب في هذا الرحاب الفسيح ما استطاعوا وازعموا لهم من الخصائص والمزايا بل والسلطة والقدرة على حماية كل من يلتجئ اليهم ولو كان من المجرمين ما زعموا وكان لهم من ضعف صغار الحكام فى الاقاليم بل والكبراء منهم أعظم نصير.

وحيال هذا وذاك رسخ الوهم فى نفس الفلاح المصري بان لهذا التاجر الاجنبي سلطة غير محدودة يمكنه أن يتعدى بها على ماله ونفسه بل وعلى عرضه أيضا كما يستطيع أن يحميه بها من كل مكروه ومن سلطة الحكومة كذلك متى التجأ اليه وصار من محاسبيه فما نزل أجنبي بأرض قوم الا رأيت الناس يحومون حوله كالفراش يتطاير على النور وهو يدرى أولا أنه محترق بناره .

(*) المؤيد ١٧ اكتوبر ١٩٠٠ .

يحسب الفلاح المسكين أنه خصم الحكومة الدائم عليه الاضطهاد منها ويتمنى لو أنه يجد نفقا فى الارض ليأوى اليه أو سلما فى السماء ليصعد اليها عليه حتى ينجو من ذلك الخصم القوى المطارد لفعل ولكنه لا يجد. فاذا رأى هذا المسكين ذلك التاجر الاجنبى بحمايته ابهته وعظمته الظاهرة - وفى الحقيقة هو صعلوك فقير يبحث عن قوته الضرورى - تهافت عليه وساق نفسه وحوله وقوته اليه فيجد التاجر من مزاعمه التى حفظ سورتها منذ طوحت به الاقدار الى هذه الديار ومن غفلة ذلك المسكين ووهمه وجهالته خير رأس مال يستثمره باستخدامه ويستزيده باستسلامه اليه تجعل لامتيازاته حرما امنا يضم اليه كل شقى يسعد به وكل جبان ليستعز بشأنه وكل خائف ليؤمنه وهو هو الذى كان بالامس شقياً جبانا فقيرا مدقعاً .

كبرت مزاعم التاجر الاجنبى حتى تجسمت له منها السلطة التى كما كانت تخطر له فى الاحلام، وكبر بهذه السلطة رأس ماله الذى كان بالامس عدما، وكبر برأس هذا المال شأنه وعزه بين الاهالى فهرعوا اليه يقترضون منه الفضيلة القليلة بالارباح الطائلة الكثيرة، وانتهى الامر بأخذ أملاك الفلاح المصرى الكثيرة فى الزمن القليل بعضها ملكا وبعضها وهنا ولم يبق لهذا مخرج فى الحياة الا أن يكون خادما حقيراً عند ذلك التاجر الكريم.

وجد الداء بعد ذلك فى نفس المصرى عضالا وكان حقا على كل ذى عقل وشفقة وخبرة بطب المجتمع الانسانى أن يبحث عن دواء شاف للمصابين به.

أما الداء فسهل بسيط وان كان مركبا من جملة عناصر يلزم توفرها بقدر ما يمكن لتؤثر تأثيرها فى وظيفة العلاج كما ينبغى .

فسهولته وبساطته لان الفلاح المصرى واهم فى كل ثقته بذلك التاجر الاجنبى وفى اعطائه فوق المزيد من حقه وقدره، ولو تدبر قليلا لعلم انها ليست بخصمه المطارد له حتى يحتاج الى الفرار من وجهها كلما تخيلها بفكره أوطاف عليه طائف فى احلامه منها، فهى لا تستطيع أن تقبض عليه وتزجه فى السجن لغير جرم يفتريه أو تهمة تقوم شبهتها القوية به، ولا تستطيع أن تأخذ خرج فدانه مائة وقرشاً واحدا اذا كان مقرره مائة فقط ولا تسطيع أن تأخذ ولده فى القرعة العسكرية ان كان فى غير سن القرعة أو كان دفع البدل العسكرى أو كان له وجه قانونى يعفوه من هذه الخدمة، ولا تستطيع أن تستخدمه سخرة لرفع السخرة عن عاتق الفلاح منذ زمن، ولاتستطيع أن تأخذ رسما على شئ لم يكن ضريبة مقررة - اللهم الا ان كان فى مدينة كمصر ويطالب باجرة الخفر بمجبر ادارى ليس الا - ولا ولا الخ مما كان يلقاه الفلاح

المصرى المسكين فى الزمن السابق من حكومته.

وكل مالم تستطعه الحكومة مما ضربنا به المثل لا يستطيع التاجر الاجنبى أن يحمي الفلاح المصرى من حق الحكومة عليه فيه. اذن فبعض هذا الداء العضال هو الوهم. والدواء النافع له أن يراجع الفلاح نفسه أو أن يرشد الى هذه المراجعة ويكشف عنه الغطاء مبطل فى رجائه كل الرجاء من ذلك التاجر الاجنبى .

وأما العناصر التى يتركب منها هذا الدواء السهل البسيط. فمنها ما مرجعه الحكومة نفسها فى معاملة النزلاء بين ظهرانى أهليها فلا تمكنهم من استعمال سلطة غير حقة لهم بين الاهالى. لا تدع المجرمين يلتجئوا الى أولئك التجار الاجانب بتوهم انهم حماة منيع حماهم. لا تعتبر كل عزبة فى ملك أجنبى يسكنها الاهالى بمنزلة مساكن الاجانب أنفسهم فتقف دون استعمال سلطتها القانونية الحرة التى تستعملها فى مساكن غيرهم من الرعية لان ملكية البيت لا تقتضى حماية ساكنه ولان الامتيازات الاجنبية ليس معناها أن تعطي الاهالي بمجرد مجاورتهم للاجانب حق الخروج على الحكومة ولا أن تغل يدها عن تنفيذ قوانينها النظامية فيما وضعت له. ونحن نرى ونسمع ونروى كل يوم شيأ من ذلك التوقف المبنى على جهل بعض الحكام وعجزهم ووهن نفوسهم. فالواجب على الحكومة أن تضع لعمالها نموذجاً من كيفية السير الذي يجب أن يسيروا عليه مع كل من يساكن الاجنبى أو يخدمه أو يلتجئ اليه فراراً من أحكام النظام المحلى، حتى اذا رسخ فى نفوس الاهالى أن سلطة الحكومة عليهم فوق حماية التاجر الاجنبى وأضعاف سلطته قلت منه والرغبة فيه وحفظ الفلاح المسكين شيئا من ماله الذاهب في هذا السبيل.

ومن هذه العناصر الدولية ما مرجعه الصحف وأقلام مكاتبيها فيجب على هذه أيضا أن تنير الفلاح فيما يجب عليه لحكومته وعليها لذاته حفظا لمركزه من الهيئة الاجتماعية المصرية ولكرامته من حيث كونه رعية مصرية ولماله الذى يضيعه الآن فى سبيل هوانه وهو يظن انه مدرك به العز والسعادة.

اللهم وفق الجميع لما فيه شفاء ذلك الفلاح المسكين من داء التاجر الاجنبى العضال. فان فى شفائه شفاء مصر والمصريين أجمعين أكتعين أبتعين أبصعين .

تربية المواشى فى مصر(*)

مقتطفة من مقالة فى المجلة الزراعية لحضرة المستر بروس المدرس بمدرسة الزراعة بالجيزه .

تعتبر تربية المواشى فى جميع انحاء المسكونة من أهم فروع الزراعة وكان الانسان فى بادئ أمره يصيد الحيوانات البرية ليسد بها رمقه وفى الطقوس الباردة يرتدى بجلودها حتى لغاية الوقت الحاضر فالابقار كانت ولم تزل تحت رعاية الانسان من ابتداء التاريخ وقد ينسب استئناسها بالاكثر الى لبن عريكتها ولكن مسئلة تغذية سكان الارض الذين كانوا يتكاثرون شيئاً فشيئاً جعلت الانسان يفكر فى بقاء الحيوانات والاعتناء بتربيتها التربية الاقتصادية التى كان لا يفكر فيها مطلقاً حينما كان صياداً فى أول الامر وقد نجد هذه المسألة امامنا اليوم ايضا اذ انى لنا أن نكفى أهل الارض الان وهم فى كثرة فالزرع يرى فى هذا المعمى أن يسعى فى تربية المواشى بسداد ما يطلب منه قيمة الايجارات والضرائب غيران الباعث الحقيقى على اعتنائه هو ما سبق فذكرناه قبلا.

وتربية المواشى فى مصر مهملة جداً ولا يدفع منها ايجار ولا غير ولما كان الثور الشغال هو المهم لدينا لاجل أعمالنا الزراعية وحيث اننا نتحصل على كثير من اللحم من ذلك الثور فتكون ملاحظات احد الخبيرين بتربية المواشى جديرة بالذكر والاعتبار. والخبرة علي العموم محصورة طبعاً فى طبقة الفلاحين وهم يهملون قيمتها وقواعدها ولي في تربية المواشي بعض ملحوظات الى البحث عن التوليد الذى يحصل فى مصر سواء كان حسنا او غير حسن ولو ان الخوض فيه موضوع مفيد ربما يستنتج منه بعض أمور سأشير اليها بعدئذ واني لا أعتبر التوليد نافعا على العموم وان كان يؤمل منه نفع اذا كان فى أحد المواشى المراد توليدها دم أجنبى حسن.

المواشى المصرية – يعجبنى كثيراً فى مواشى مصر بنيتها القوية وصبرهاعلى احتمال الاشغال الشاقة الزراعية وهى فى ذلك تفوق كل أنواع الماشية التى شاهدتها ومن الصحيح أن

(*)مصر ١٩ أكتوبر ١٩٠٠ .

المواشى لا تشتغل فى الجزائر البريطانية ولا تصح المقارنة حينئذ بينها وبين مواشي هذه البلاد، غير أن مواشى البلاد الانكليزية تستعمل غالباً فى الاراضى الثقيلة والحجرية خوفا على الخيول التى هى حادة الطبع وربما تضر نفسها أو تلف الآلات بسبب تهورها وجفلانها وفضلا عن ذلك فان المواشى فى بلاد الانكليز لا تمكث فى الشغل نصف الزمن الذى تمضيه المواشى المصرية تحت الحرارة الشديدة والزمن الطويل الذى يكون عادة عشر ساعات أو أكثر فى اليوم والمزراعون لا يوفونها ايضا القوت الكافى لتعويض الفقد فى أجسامها .

على ان قولى هذا لا يفهم منه اخلاء مواشى مصر من الانتقاد وليس من غرضى الاقتصار على تربية الشغالة فان لى املا فى تحسين حالة اللحوم ولذلك سأذكر بعض أمور يمكن تلافيها نحو تربية المواشى التى يستغنى عنها حتى تسمن الشغل وتباع وليس في اعتقادي ان المواشى الشغالة لا تصلح للتسمين اذ دلنى اختبارى للمواشى الشغالة على ان الثور الربعة الجسم والقصير الساق والكثير العضلات ليس فقط احسن البهائم لاجل الشغل بل احسنها فى قلة التغذية والاقتصاد فى الاغذية فمثل هذا الثور يليق للذبح فى أى وقت واذا أريد تسمينه فانه يحتاج الى تغذية فى اقصر بكثير مما يلزم لثور آخر يكون ضيق الصدر مسترخى الظهر.

تحسين حالة الاجناس – قبل الشروع فى تحسين الاجناس يجب علينا اولاً ان نعرف هذه الاجناس ونثبت الفرق بينها فالاجناس فى بلاد الانكليز مميزة عن بعضها تمييزاً تاماً وكل جنس منها له مثال مضبوط وقد اعتنى بتسجيل هذه الامثال مدة طويلة حتى صار نسب الحيوان يكفى الى تمييزه من منظره الذى قد يكون عرضياً والذين ابتدأوا بحفظ الحيوانات وتسلسل توليدها لابد انه كان ديدنهم الثبات والثقة بانفسهم حتى نجحوا فى مسعاهم ومن الطرق التى اتبعها هؤلاء الافاضل طريقة باكويل فى توليد الحيوانات من انفسها وهى متبعة فى جملة مقاطعات من بلاد الانكليز والذين يجهدون انفسهم بهذا العمل هما الخواجات شارلسورويرت وكولينجس وفكرهم فى ذلك عال جداً ولابد للحصول على مثال تام الحيوانات ان يبذلوا كل ما فى وسعهم من الجهد فهم ينتخبون منها نتاجاً ولتثبيت هذه الصفات فى النتاج يؤتى إليه باقرب صلة للدم ولتوضيح هذا الامر نقتطف ماذكر فى كتاب الاستاذ داروين المسمى "تربية الحيوانات والنباتات" عن توليد الحيوانات من أنفسها لتعرف الدرجة القصوى التى وصل اليها توليد الحيوانات بهذه الصفة "تزوج ثور يسمى فافوريت (المحبوب)

بابنته وهو ثور من جنس يسمي شورت هورن (قصير القرون) وكان هو نتاج من ثور وبقرة كانا اخوين ثم تكررت زيجته مع ابنته وحفيدته وابنة حفيدته فكان النتاج الاخير وهو بنت بنت حفيدته فيها من دم فافوريت ١٥ من ١٦ أو ٧٥ و ٩٣٦ في المائة" انتهى .

فالغرض من طبع السجايا المطلوبة فى النتاج يتحصل عليه اخيراً ولكن مع تأخير صحة الذرية يصلحهابعدئذ غير ادخال دم غريب يجدد فيها قوة التناسل. هذا وانى لا اعضد مثل هذا العمل ولا اشعر بالميل اليه وقد يتحصل عليه الآن بتوليد عائلات مختلفة من المواشي ولكنها من جنس واحد وربما ينتج هذا التوليد نفس النتائج التى يتحصل عليها من الطريقة المتقدمة الذكر والتى كانت مستعملة منذ ١٢٠ اما حيث كان لا توجد مواشي جيدة تنتخب من عائلات مختلفة ومن النادر أن نرى فى هذه الايام وصاعدا طريقة لتوليد الحيوانات كالتى قام بها باكويل وكولنجس ولكن الانسان الذى يدخل دما غريبا الى جنس مواشي مصر يطبع فيها السجايا الحسنة مثل النمو السريع وتكوين اللحم مع ماهى عليه من قوة البنية ويكون أهلا للاعتبار ويسجل عمله هذا فى صفحات تاريخ زراعة البلاد وانى لا اشك انه يمكن الحصول على تمام هذا العمل كما تم فى مسألة ادخال الذكور من الخيول السورية وحصول التوليد منها

ومن الحقيقى انه اذا ادخل ذكر من جنس قديم معروف الصفات فان قوة الذكر يظهر تأثيرها فى النتاج عن الانثى التى تكون مولدة وليست من جنس واحد ولكن هذه القوة تعيقها نوعا المؤثرات الآتية :-

(١) تأثير الطقس على الماشية المجلوبة من الخارج حديثاً بقصد التوليد.

(٢) بنية الماشية البلدية تقاوم القوة المؤثرة التى فى الماشية الغريبة.

(٣) الانقلاب الذى يحصل فى نتاج الماشية التى تكون مختلفة الاجناس وخصوصاً اذا كانت بعيدة عن بعضها وصفاتها مختلفة أيضاً .

(٤) عدم موافقة المواشى لبعضها.

هذا ولا يصح ان نثق تماما بنجاح كل توليد لا يحصل الا بين المواشى الحسنة ويمكن ايضا فى بعض الاحيان ان يتحصل على فائدة من توليد المواشى التى من جنس بعضها من نفسها ولكن لا يأتى ذلك الا بابذال الجهد والوقت وكل نفيس فاذا وجد أى جنس مشهور في بلاد الشرق وفيه بعض من دم مواشى مصر فمن الممكن الفوز بالمقصود اما نجاح دخال الخيول الجيدة بواسطة الحكومة الى البلاد فلا يمكن الحصول عليه فى المواشى لعدم موافقة

الظروف فى الحالتين وانى متأكد بخيبة السعى فى ادخال دم غريب للمواشى البلدية واذا كان لابد من التجربة فالجنس الانكليزى شوت هورن "قصير القرون" هو الاليق بالاعتبار لانه ليس فقط قوي البنية بل اقوى المواشى الانكليزية الاخرى وخصوصا فيه سجايا منيفة تفوق بها جميع الاجناس وقد نجح التوليد منه فى كثير من البلدان ككندا والمكسيك والولايات المتحدة وجمهورية ارجنتين وغيرها .

تحسين المواشى بالانتقاء – انتقاء المواشى للتوليد هى أضمن طريقة مؤدية للنجاح فاذا لم يحصل تحسين فى أول مرة فيعاد التوليد من المواشى المنتقاة حيث لا ضرر ولا كلفة فى الامر وكل كلاف يعتنى بخدمة مواشيه يعرف ما ينمو من المواشى اسرع من غيرها واذا لاحظ ذلك فعليه بالاعتناء بتلك المواشي وحفظها للتوليد المراد واهمال التوليد من دونها على انه يجدر باصحاب الاراضى ان يبقوا عندهم المواشى الجيدة والمتصفة بجميل الصفات ويدعوا الفلاحين ان يولدوا ابقارهم منها وان يحلوا عليهم بذلك لان الفلاحين ويا للأسف ينظرون الى اهمية التوليد فيهملون ابقارهم تختلط بما يأتى امامها وخصوصاً ان كانت هذه من نسلها فيحصل التوليد من نفس العائلة فتضعف بنية النتاج وتفقد السجايا التى نود ان تثبت فيها .

المواشى المتوفرة والتى تباع لاجل لحمها – الاعتناء بتربية اللحوم فى مصر مهمل وليس معدوداً من الحرف المهمة وان كان المتحصل من اللحوم مقداراً ليس بالقليل ويجدر بى الان ان ابدى بعض ملحوظات عن انتاج اللحوم فى الوجه البحرى فان اغلبها يأتى من الفلاحين أو اعراض الصحراء أو سكان شواطي البحيرات الشمالية ومعظم اللحوم يؤتى به من المواشي المتقدمة في السن والتي لا تقدر بعدئذ على الشغل ولكنها تغذي جيداً زمنا قصيراً وتقدم بعد تسمينها نوعا الى الجزارين .

الفلاح المصري وخصومه (*)

للفلاح المصري عدة خصوم وان شئت فقل اعداء تعاهدوا وتألفوا على ابقائه ذليلا تعساً فلا تكاد رياح الآمال تهب عليه حيناً لتنعشه حتى تثور ريح السموم فتقلح نبات تلك الامال التي تزهر ولا تثمر وسيظل الفلاح المصري اتعس مخلوقات الله مازال خصومه أو أعداوه متآلفين متعاضدين عليه.

الخصم الاول وهو أشد خصوم الفلاح ايقاعا به بل اعدى أعداءه عليه هو الفلاح نفسه فانه قنوع في حالته غير شاعر بتعاسته لا يفكر في الغد على الاطلاق. واذا مرت عليه بسنة أقبال لا يعرف كيف ينتفع بمحصولاته بل لا يخطر بباله أن يعرف ذلك واذا اكبته الصدفة بضعة جنيهات أو بضعة عشرات الجنيهات لا يدخرها الى المستقبل ولا يخبئها للطوارئ فيصرفها اما على زوجة جديدة فوق ما عنده من الزوجات تضيع في سبيل الشهوات الاخرى التي لابد أن تجر عليه بلايا اخرى اقلها دليلا عليه وقوعه بين يدى القضاء واذا سأل سائل أو احصى حاص أسباب مشاكل الفلاح ،منازعته لوجدها جهله عواقب الامور. فقد يبيع فدانه او بعضه لينكي اخاه او زوجته او ابن عمه ويسهل عليه رهن بيته عند المرابي في سبيل الوصول الى بعض شهواته فهو يضحي كل شئ يمتكله [ما عدا قيمة الاقساط الاميرية] في سبيل الشهوات والمطاعنات يفعل ذلك غير مبال بما سيؤل اليه أمره ولا يخطر بباله أن الاولى به الانصراف بكليته الى الاهتمام بتحسين حالته وان ذلك طبقة في كل حي حتى الحيوان فان بعض انواعه يدخر مؤنته.

يولد الفلاح ويترعرع ويشب ويشيب وله علاقة بواحد من التجار يقترض منه عند الحاجة ويبيعه اقطانه في كل عام فهل فكر واحد من الفلاحين بالمقدار الذي يكسبه من ورائه التاجر والمرابي وهل خطر لاحد من الاهالي أن يكون هو التاجر بين مواطنيه؟

نعم قد خطر ذلك ببال بعض الافراد القلائل جد لانذكر منهم من لم يضع ثروته لانه لم يحسن الابحار غير اسماعيل بك دبوس في نكلا ومصطفى افندى النيال في كوم حماده واثنين

(*) الرئد المصرى ١٩ اكتوبر ١٩٠٠ .

أو ثلاثة او عشرة آخر فاتتناه معرفتهم أو سهيت عنا اسماؤهم ساعة كتابة هذه السطور .

اسأل اى من الفلاحين والمزراعين على حسابه مع عميله المرابي او التاجر فقد لا تجد بين الف ممن تسألهم من يحفظ صورة الحساب في ذاكرته اوفي دفتره .

يقتني الاجنبي ماية فدان بجوار خمسمائة لمزارع وطني فيتساويان في مجموع الارباح في كل عام لان عقل الاجنبي يشترك مع يده في الحرث والقلع ويباشر اموره بنفسه ويتعهد بذاته الارض والزراعة والبهائم والمعدات اما الوزاع الوطني فانه لا يفعل شيئاً مما تقدم الا اذا كان من صغار الفلاحين وإربما كان جاهلا حدود اطيانه.

نذكر مرة ان احد كبار الباشاوات واطيانه تربو عن الالفين فداناً تعذر عليه دفع القسط المستحق فوقع مدير الجهة في حيرة لا يدري ما يفعل لان المالية تشدد من جهة والباشا يتوسل من جهة اخرى وإربما يندهل القارئ الكريم اذا علم ان هذا الباشا كان غني عن محصول اطيانه كله بما ينقده هو واولاده من المرتبات الطائلة ومع هذا كان يرجو المدير والمالية لتأخير دفع المستحق من الاموال الاميرية ولما خاب سعياً استدان المبلغ بافحش رباء.

ونذكر أيضاً ان واحداً من كبار أصحاب المراكز الدينية الذين توفاهم الله الى رحمته كان يطوف على التجار والمرابين واحداً واحداً ليستدين منهم قيمة المطلوب منه لان المديرية رفضت قطعياً التأجيل وهذا العالم الذي نعنيه كانت له موارد أخرى وافرة من غير زراعته فكان يسرفها كلها ولا يفكر لغده.

وإتقان الزراعة والاثراء من وراء اتقانها أمر ميسور لكل من يمتلك أطيانا بشرط أن يسعى صاحب الاطيان وراء ذلك وعليه أولا أن يهمل واجباً من هذه الجهة ولا نرى مثال أوضح لهذه الحقيقة أفضل من الاستشهاد بالرجل العظيم والفلاح الكبير دولتلو أفندم رياض باشا الذي انفرد من بين جميع زملائه بمعرفة استثمار أطيانه واقتناء غيرها مما كان يتوفر لديه من اثمان محصولاته مع ان بيته أوسع من جميع بيوت انداده ويده في عمل الخير اطول من أيدى جميع زملائه.

أنعم خديو مصر الكرام على المئات من الذوات وكبار رجال الحكومة بالاموال الوافرة والاطيان الواسعة اما رياض باشا فلم يكن يمتلك غير أطيانه في محله روح وهي تكاد لا تذكر بجانب تلك الابعاد والتفاتيش التي اقتناها غيره والتي ضاع كلها أو بعضها باسباب الاهمال وسوء التصرف ووضع الشي في غير محله .

يدفع رياض باشا أجرة العامل عنده اكثر مما يدفع جميع مجاوريه فتتوفر عنده العمال حيث الحاجة اليهم ويعملون بملئ قلوبهم وبكل قواهم يتعهد بنفسه جميع أشياء زراعته ويرافق العاملين في غدوهم وعودهم. خبر مكر التاجر فزجوه وعرف حيلة المرابي فابعده عنه ينتقي البذار (التقاوي) ويختبر كل أمر ويختار احسن الطرق الملائمة فيكسبه ذلك نشاطاً ومالا بخلاف غيره من أصحاب الاطيان الذين قد لا تزيد معرفتهم بالامور الزراعية عن معرفتهم باللغة الصينية.

فالاثراء ممكن لكل فلاح أو مزارع اذا اشتغل بعقله ويده وفكر في يومه لغده وعرف ماله وما عليه ووضع كل شئ في محله والفلاح المصرى لا يفعل ذلك فهو اذاً الد اعداء نفسه.

(الخصم الثاني الحكومة)

الحكومة في جميع الممالك تكون من الشعب وللشعب اما الحكومة المصرية فانها ليست من الشعب ولا هي له .

تقوم أمة على امة ومملكة على مملكة وترى في ميزانيات جميع الدول مبالغ باهظة لاعداد المعدات الحربية للدفاع والهجوم وتسقط وزارات وتقوم وزارات في جميع هذه الممالك التي عرفها القراء الكرام او سمعوا عنها واذا سألت عن المواجب لهذا الاهتمام وهذه الانقلابات وجدت انه سبب واحد لا غير هو مصلحة الشعب ولا تدافع حكومة عن نفسها الا لصيانة مصلحة شعبها ولا يحدث تغيير او تبديل او اي انقلاب الا لاجل مصلحة الشعب ولكن هل يحدث في مصر اي امر لاجل المصريين؟. وهل يخطر ببال الحكومة المصرية ان تطرق باباً لعل بفتحه فرجاً لكروب الامة؟. وهل اذا استثنينا سمو الخديو المعظم نلاقي واحداً من بقية الحكام الكبار والصغار يفارق عينيه الوسن ويمضي الليل متقلباً فراشه اسفاً وحزنا على الفلاح وشقائه وتعاسته.

قامت قيامة الصحف المحلية {ماعدا المقطم الذي لم يخط حرفاً لان هذا الموضوع لا يخطر بباله} طالبة من الحكومة تأجيل الاقساط الى ان يتمكن الفلاح من بيع محصوله في فرصة مناسبة لا يكون فيها مغبوناً مع الشاري فهل يرجي من الحكومة ان تقبل هذا الرجاء وتعمل به؟ اننا نشك في ذلك لان الحكومة ليست للشعب واصحاب القول النافذ بين اعضائه غرباء عنه.

تحتج الحكومة انها لا توخر ميعاد الجباية خوفاً من ان الفلاح المصرى يسرف اثمان

اقطانه والذي يعرف الفلاح معرفة خبير يعلم جيداً ان جميع ضروب الاسراف قد تخطر بباله الا تصرفه بقيمة المستحق عليه للحكومة فانه يزخره الى حينه محتفظاً به بروحه.

تعتذر الحكومة أو يعتذرون عنها بصندوق الدين واقساط المطلوبة والحقيقة ان اعضاء الصندوق لا يمانعون بتأجيل الجباية اذا كان من وراء ذلك فائدة تعود على الفلاح فامر التأجيل منوط بالحكومة وحدها فاذا أرادته لا يمانع مانع من تنفيذه واذا كانت من الشعب أو تفكر بالشعب فان هذا المطلب أقل مما يجب عليها أن تفعله بازائه

(الفلاح والتاجر والمرابي)

وقد سخطت الجرائد التي يهمها أمر الفلاح على علاقته بالتاجر والمرابي ونحن لا نعارض تلك الجرائد التي سخطت فيما ذهبت اليه نعارض في أمر واحد هو انها وجهت بعض اللوم الى الفلاح والتاجر والمرابى ومن رأينا ان التاجر والمرابى لا يستحقان أن يوجه اليهما ملام او عتاب لان الانسان مفطور على حب الاكثار من حشد الاموال وقلما نرى أو نسمع عن واحد عف عن مال يمكن له الحصول عليه فلماذا اذا نطلب التاجر والمرابى بما هو فوق طاقة الانسان.

يجئ الفلاح الى التاجر او المرابى ويرجوه ان يبيعه بضائع او يسلفه مبلغاً من المال والفلاح لايسأل ذلك الا لشعوره بانه في حاجة اليه فيشترط التاجر شرطاً اذا قبلها الفلاح تم الاتفاق بينهما والا ذهب كل في سبيله فاللوم اذا ليس على التاجر ولا المرابى لانهما غير مكلفين بالغيرة على مصلحة الفلاح ولا مسئولين عن صيانتها والمسئول هو الفلاح والحكومة التي اقامها الله لصيانة مصلحته فاذا اهمل هو مصلحة نفسه واذا لام الحكومة بما فرضه الله عليها فلا لوم ولا تثريب لا على التاجر ولا على المرابى لان الانسان مفطور على حب نفسه.

وخلاصة القول ان التاجر والمرابي يجاهدان في سبيل هذه الحياة والفلاح لا يجاهد ولا يفكر البتة بان الجهاد تحتم علي كل انسان يرغب في هذه الحياة وصفة الحكومة الرسمية انها النائبة عن حملة الاسهم المصرية وعميدة الاجانب على العموم والمحتلين على الخصوص فلا نفكر بغير توفير الاموال في الخزانة ليظل مداينوها في اطمئنان وتفكر ايضاً في الطرق التي تكسب الاجنبى النزيل وتزيد في ثروته فتأذن له تارة بالاحتكار واخرى بتأليف الشركات التي من نوع شركة المسيو فيليبار .

وما تقدم كفاية لهذه العدد .

الفلاح المصري
والتاجر الاجنبي(*)

لحضرة الفاضل صاحب الامضاء

سيدي الفاضل مدير المؤيد

قرأت بمزيد الارتياح مقالاتكم الشائقة المتتابعة عن سوء ما يلقاه الفلاح المصري من التاجر الاجنبي واتخاذ الاول الثاني آله كسب وواسطة مغنم أو قنطرة يعبر عليها مجتازا من مخاضة الفقر والمتربة الي مخاضة اليسر والتردة.

وتمنيت أن لا يقتصر بحث المؤيد عن مثل هذه المواضيع الجليلة الجديرة بالبحث والخليقة بانتباه الكافة من المصريين الذين يحسن بهم أن لا تشرئب أعناقهم لغير الوقوف على ما يجري بين ظهرانيهم بين الفلاح المصري والتاجر الاجنبي من الحوادث الغريبة.

وأي شئ أعظم من أن يخص المرء عنايته بتتبع أمثال هذه الماجريات التي تناهت في الغرابة بقدر ما تناهت في الاضرار بحق الفلاح الساذج الذي لا يعرف من شؤن دنياه شيئاً .

وعلى ظني أنه في استطاعة الجرائد العربية أن توفي هذا الموضوع حقه من الاسهاب والتفضيل في البحث ولو دامت الكتابة فيه لم تفرغ مادتها من جهته ولآنست من المصريين ارتياحا الي قراءة منشوراتها أكثر مما تأنس اذا اقتصر بحثها وهمها على نقل مالا يعنيهم كثيرا من الاجناس الاجنبية.

ذلك لان الفلاح المصرى أجدر أمثاله بالرفق وأولاهم بالسعي في ترقية شأنه لان الظروف المحيطة به لا يوجد أسوأ منها والحوادث التى ألمت وتلم به لا يوجد أشد خطرا منها فحالته اذن

(*) المؤيد في ٢٢ اكتوبر ١٩٠٠ .

تستوجب الرأفة وتستدر الشفقة من أعماق القلوب ومن احتاج الى التحقيق من صحة ما أرويه فليس عليه سوى أن يتجول قدر أسبوع بينهم فتتمثل له حالته بالضبط.

لا أتفق مع من يدعي ان حالة اليوم أحسن منها بالامس فان حاول اقناعي بتحسن وسائط الرى وتوفر شرائطه وبما يلقاه من المساواة والعدالة اذا مسه أذى سهل على اقناعه بأن ما يدعيه مسلم به ولكن أحجه من جهة أخرى على شئ واحد يتبين منه سوء الحال الذي فيه الفلاح الآن وهو استغراق السواد الاعظم من المزارعين فى الدين ووجود أغلب أطيانهم رهناً للبنوك وللتجار الاروام حيث يشتغلون فيها أجراء.

وقد لقى أولئك التجار من بعض المصريين أنفسهم ما ساعدهم على ابتزاز الاموال وامتلاك الاطيان حيث لا تخلو قرية من أمثالهم شأنهم بين التجار والفلاح الوساطة العائدة بالغنم على التاجر وبالخسارة على الفلاح المسكين والقارئ يعلم ان الفلاح لسذاجته اذا رأي الوسيط مصريا من أبناء جلدته لم يمانع فى التنازل عن أقدس حق له لاعتقاده فيه انه ساع لمصلحته أكثر من سعيه لمصلحة الموسط .

اذن فالضرر واقع من أمثال أولئك الوسطاء اكثر مما هو من جانب الفلاح الساذج الذي يموه عليه ذلك الوسيط المتحد معه جنسيا ولغة والساعي فى الحاق الضرر به لاعتقاده أن الغاية تبرر الواسطة .

وعليه فاذا أريد اصلاح الفلاح كان أهم ما يجب النظر فيه ايجاد الوسائط التى يرتفع بها عن عاتقه نير أمثاله الوسطاء الذين يرون في خدمة التاجر الاجنبي شرفا وفخراً عظيمين بقدر ما يرون في خدمة الفلاح الساذج وطنيهم ذلا ومهانة.

ولو رغب القارئ أدلة حسية على أن ذلك الفريق يخدم مصلحة التاجر الاجنبي دون مراعاة واجب الجنسية والوطنية وما تقضى به الذمة والامانة لما أتيت ببرهان يضير الواقع المشاهد في الوقت الحاضر من استخدام أولئك التجار للوسطاء المذكورين وانتفاعهم منهم الانتفاع الجزيل.

واذا كان مقراً على أن يكون الدليل واقعياً ذكرت له النادرة الآتية :

استدان الفلاح من تاجر أجنبى مائة جنيه ولما حان أجل الدفع ورأى تعذره رهن له

خمسة أفدنة من الارض الوسطى فى الجودة وكان يظن فى نفسه القدرة على سداد الدين وفائدته لو لم يداهمه التاجر في هذه السنة بانذاره عن طريق المحاكم المختلطة بدفع ١٥٠ جنيها بأسرع ما يمكن فحار في أمره وظن أن المحكمة لابد قاضية عليه وسعي في مصالحته حيث كان سئ البخت فلم تتم المصلحة الا بوساطة مصري نظيره وكان من شروط المصالحة تنازل الفلاح عن الخمسة أفدنة ومن منن التاجر على الفلاح أن يعطيها له في السنة المقبلة ليزرعها وعليه سداد المال وبعد نهايتها يعيدها للتاجر ملكا حلالا له بعد ذلك.

هذا مثال مما يجري يتبين منه كيف يصادر الفلاح فى ملكه وكيف تجوز عليه حيل الوسطاء من أبناء جلدته وكيف يكون في شديد الحاجة لدرء هذه الارزاء عنه حيث لا يستطيع مكافحتها ولا قبل له على دوام مقاومتها والتغلب عليها.

فان لم يتق الله أولئك الوسطاء، ولم يمنح الفلاح ما يرد به كيدهم فى نحرهم فبشره بفقد ما بقي له من متاع وعقار وليعلم كل وسيط وشفيع من هذا القبيل وكل عميد يظاهر بعض التجار الذين يميليون الي امتصاص دم الفلاح أن عاقبة البغي وخيمة وأن ليس للانسان الا ماسعى.

المنصورة فى ٢١ اكتوبر سنة ١٩٠٠

ابراهيم زكي

"المؤيد" ولكن المثال الذى استشهد به حضرة الكاتب لا يحج مناظره فى تحسن الحالة العمومية عما كانت عليه وانما هو يدل على أن الفلاح المصرى جاهل بمصلحته يتغفله الاجنبى كلما عامله وأن من المصريين سماسرة سوء للاجانب ووسطاء فى سلب الغير مال أخيه بالتلاعب والحيل.

الصحافة وكره الاحتلال(*)

يستغرب بعض كبار رجال الاحتلال من اتفاق آراء الصحف المصرية عموماً على انتقاد اعمال المحتلين وسبب هذا الاجماع بسيط جداً وهو ان المحتلين لم يحسنوا التصرف مع الصحافة من جهة ولان أفراداً منهم اساءوا الى مصر من جهة أخرى فقد سكتوا عن تأديب من لا مبدأ لهم ولا مروءة عندهم من رجال الصحافة وتركوهم يعيثون في القطر فساداً وفرطوا بمصالح مصر سواء بالمبيعات أو باعطاء الالتزامات والاحتكارات وطرق أخرى واذا صحت الرواية عن الطريقة التي جرت عليها الحربية في بيع ما لزوم له عندها من خيولها فيكون ذلك من امثلة تصرف المحتلين باموال الحكومة المصرية.

باعت نظارة الحربية حوالى (٩٠) جواداً الى بعض التجار الانكليز بثمن بخس جداً قدره جنيهان اثنان لكل حصان ثم ابقت هذه الخيول في اصطبلاتها تطعم من مخازن الحكومة ويسوسها الجنود المصريون ومن يعلم اذا كان الذي اشترى هذه الصفقة يرضى بالخيول وحدها اذ لا يستبعد عليه مقابل هذا التساهل ان يطلب اللجم والسروج ايضاً مدعياً ان الخيل لا تباع بغير لجمها وسروجها .

(*) الرائد المصرى ٢٣ اكتوبر ١٩٠٠ .

الفلاح والمرابي(*)

طرقنا هذا الباب يوم قرر البنك الاهلي توسيع نطاق اعماله وتسليف المبالغ القليلة للفلاحين عملاً باشارة اللورد كرومر الذي نقلنا رأيه في هذه المسألة الخطيرة من تقريره الاخير فرددت صداه الصحف وتدوالته الاقلام ومثلته داء وبيلاً يأكل دور الارض وخيرها ولكنها لم تخرج عن حد الوصف والتمثيل وندب حظ الفلاح مع المرابي مثل الطبيب يعرف الداء فيقول انه قاتل ولا يصف الدواء لنجاة من شره فرأي اللورد كرومر هو ان يقوم البنك الاهلي مقام المرابين كأن بذلك كل الدواء ولكن من أنعم النظر رأى غير ذلك فلهذا عدنا الى الكلام على مسألة ترواح الكلام عليها بين الغلو والمبالغة والاقتصار على الوصف.

فمن المقرر الثابت ان الربى في الارياف فاحش ولكن المرابين ليسوا فئة محصورة بل هم من الوطنيين والاجانب.

وعدد الوطنيين منهم يربو على عدد الاجانب والربى عند المشتغلين به انواع مفرعة وضروب متباينة وقد لايكون المرابي كما يمثله الكاتب سالباً ناهباً تقول ذلك ورأي "الاهرام" معروف في الربى والمرابين فهي لا تدافع عنهم ولا تكف الالسنة والاقلام عن الحملة عليهم ولكنها تمثلهم لهم في الحقيقة أمرهم لكون الحقيقة محور البحث والصحيح مجرداً عن الغلو مدار الكلام.

فالتاجر الذي يرابي لا يكون ذا ثروة طائلة فاذا كان ألف جنيه مثلا افتتح له اعتماداً قدره ألف جنيه فالالف الاولى يدينها بالربى فيكون متوسط رباها ٢٠ في المائة والالف الاخرى يستدينها هو بفائدة لا تقل عن ١٢ في المائة فيدين نصفها بعشرين في المائة ويدين النصف

(*) الأهرام ٢٣ اكتوبر ١٩٠٠ .

الثاني باكثر من ذلك فيكون متوسط الربح مثلاً ٢٥ ومن هذه الخمسة والعشرين يدفع ١٢ للدائن فاتح الاعتماد ويدفع فرق الفائدة في اثناء بقاء المال عنده. فاذا أراد هذا التاجر المرابي ان يصفي ديونه وأمواله وأن يدفع ما عليه أضاع الثلاثين لانه يضطر الى دفع ما عليه ولا يقدر على دفع ماله وليس كله ربحاً صافياً كما قلنا وليس هذا القول من باب الحدس والتقدير بل ان الشواهد تؤيده وما نرا كل يوم من سقوط المرابين يثبته.

هذه هي حالة المرابي اما الذين يستدينون بالربى فهم على ثلثة اقسام : قسم يستدين من البنوك وهو في دينه كالتاجر المرابي وهو خارج عن موضوعنا. وقسم هو المسمى عند الناس "بالوراث" وهو المخرب لما بنى آباؤه الهادم لما شيدوا المبذر بلا شفقة المسرف بلا ترو ولا التفات وهذا القسم ايضاً لا يدخل في موضوعنا لانه لا يشفق على نفسه ولا يتعظ بل لا يغتنم من نعمة نظام او قانون او دستور فهو قد ملك ليدور وورث ليبذر فهل من رأفة اذا جاءه المرابي في بنك المغامرة واعطاه المائة على ان يأخذها مئين.

والقسم الثالث الاكثر عدداً هو المؤلف من صغار الفلاحين الذين يستدين الواحد منهم جنيهاً أو جنيهين أو ثلاثة أو أربعة ومن دينه هذا يعيش المرابي وعن هذا نريد الدفع وبهذا نرأف وباسمه نطلب الاصلاح. فاذا منع المرابي عن قرضه وتسليفه تعذر عليه استدانة ما يقوم بحاجته ونفقة على عياله وارضه ونفسه فهو لا يريد معرفة البنك والبنك لا يريد معرفته لانه يأمن على ماله معه والمرابي يعطيه قليلاً فقليلا فالبنك لا يعطيه نصف جنيه أو ريالاً أو جنيهاً أو جنيهين والمرابي يعطي ذلك فاذا كان الربى داء يضر به فالدواء واحد وهو انشاء بنك زراعي يؤلف رأس ماله من الحكومة والاغنياء لخدمة الفلاحين الصغار يعاملهم معاملة المرابي بالعطاء والاستيفا واحسن منه بالفائدة والربى وهذا ما طلبته الاهرام وتطلبه اذا ارادت الحكومة الرأفة بصغار الفلاحين والا فكثرة العويل والنواح لا تجدي نفعاً ولا تريح فلاحاً.

الفلاح المصري

والفلاح السوداني (*)

شقاه الاول وسعادة الثاني

على يد الانكليز

أم درمان في ١٥ اكتوبر لكاتبنا الفاضل

لا يسرع القارئ الي الظن بأني متحيز أريد تمجيد أعمال الانكليز فى السودان ترغيبا فى انفرادهم بالسلطة اذا الخير هناك كالشر هنا انما هما فى الاكثر من عمل الانكليز حسب اعتقادي صوابا كان هذا الاعتقاد أو خطأ.

دخل الانكليز مصر ويقولون انهم فعلوا كل شئ حسن نافع للمصريين وطدوا الامن ونشروا راية العدل والحرية فوق رؤس أبنائها وأصلحوا نظام الرى وأبدعوا في ترتيب الجيش والبوليس وغير هذا وذاك من أقوالهم ومهما كانت هذه الاقوال فان وراء الستار من حالة المصريين ما يحزن. وراءها امتصاص دم الفلاح المسكين وهوانه وتلاشى المصري من الوجود السياسي. يشهد بذلك الموظف فى ديوانه وقد فقد الارادة والعمل. والفلاح في حقله وقد صار فيه أجيرا ليس الا. والتلميذ في مدرسته وهو لا يتعلم شيئا مما يحي العواطف وينعش الامال بالحياة الطيبة. والتاجر في دكانه وهو لا يبق الا مناولا لا أجر له.

دخل الانكليز مصر وكان يمكنهم أن يكونوا عونا للمصري في أموره ليعيش في وطنه

(*) المؤيد ٢٤ اكتوبر ١٩٠٠ .

وفي بلده وفي بيته كما يعيش كل انسان يشعر بأن له بيتا ووطنا. ولكن الانكليز اتخذوامن نفوذ الاجنبي امتيازات في مصر ولكنها امتيازات محدودة. رغب الاجانب التوسع فيها فساعدهم الانكليز بضعة عشر سنة هذا التوسع رجاء أن يغمضون لهم الأعين عن كل ما يفعلون كذلك مع المصريين. حابوا الاوربيين فحاباهم الاوربيون فكان من هذه المحاباة المزدوجة أن تمكن الاحتلال الانكليزي وان وجد في جانبه عشرون احتلالا آخر فانسحق المصري تحت هذه الاحمال الثقال.

ولولا تورط الانكليز في سياسة المحاباة الاولى التي جعلت من المزاعم قواعد مرعية الاجراء الآن مارضوا أن ينشب مخلب كل أجنبي في جسم كل وطني ينازعه ماله وداره وأرضه وكل منازع منهم مفترس لا يرحم.

ترك الانكليز كل مراب داخل البلاد يفترس بجماعة من الفلاحين المساكين غير هياب لسلطة ولا خائف من قانون مع اجماع كل الناس على ان هؤلاء المرابين ما أطغاهم الا إهمال السلطة القانونية حتى كأنهم في بلاد فوضى لا حكومة فيها. لولا الاهمال ما كان الميسر ومحلات الخلاعة المتناهية تنهب جيوب الناس وعقولهم نهباً على رؤوس الاشهاد ومن وراء هذه المحلات تؤخذ العزب وتشتري الالوف المؤلفة من الافدنة الزراعية. لولا الاهمال كل هذا الزمن ما كان الاوروبيون يتاجرون بالسلطة القضائية المختلطة فيبيعون جاههم للمبطلين بثمن فاحش فيكون الويل ويلين على المحق الضعيف الذى لا حامي له ولا مدافع ولا نصير.

وكل هذا الاهمال جرة اتخاذ الانكليز محاباة الاجانب عضد لهم لتأييد قدم احتلالهم في هذا القطر الأسيف فما أسعد الأجنبي في مصير وما أشقى المصري في بلد على أيدى الانكليز.

لكن انظر ماذا يفعل الانكليز الآن في السودان الذي تمكنوا من حق الملك فيه بحجة الاشتراك مع الخديوية المصرية في فتوحه.

رأوا أنهم في غني عن محاباة الاجنبي والاعتماد على نفوذه في البلاد السودانية فضربوا على يديه فيه وقضوا على الامتيازات القضاء الأخيرة فأصبح السوداني ظاهراً على كل أجنبي. وصار الأوروبي اذا عامل السوداني لا يجسر أن يغبنه أو ان يستطيل عليه باشارة

أو قول. وكم من حادثة ضرب فيها الأوروبي بالسياط وسط ضبطية أم درمان وحبس وسجن لانه تعدي على أحد البرابرة فانتقمت الحكومة له مع ان الأجنبى اذا تعدى في مصر على الوطنى بل وسفك دمه لا يمكن أن يجلب للبوليس بلا تكريم واحترام ثم هو اذا جلب فلكي يسلم لقنصليته التي كثيراً ما ترسله لبلدة بلا لحية فيعود ملتحياً بلا لحية ليستكمل في هذه البلاد ثروته وغناه.

أراد أحد كبار تجار الانكليز هنا أن يلتهم بعض الاراضى الزراعية المجاورة للخرطوم منتهزاً فى ذلك فرصة فقر الاهالي وخمولهم وحاجتهم الحالية فأعلن رغبته فى ذلك فتقاطر عليه أصحاب الاراضي هذا بفدان وذك ببضعة أفدنة وهلم جرا . وصار هو يشترى بالثمن البخس هذا بثلاثة جنيهات وذاك بخمسة والخ حتي جمع من ذلك نحو خمسة آلاف فدان نقد أصحابها ثمنها واستلم منهم عقود البيع والشراء .

ولكن لم تمض بضعة أيام حتي علم مدير الخرطوم بذلك – وهو انكليزى – فاستشاط غيظا وأرسل فى طلب التاجر الانكليزي المشتري للاطيان فلما حضر أخبره بأن ما فعله يخلف الخطة التى جرت عليها الدولة الانكليزية في سياستها اذ ان من أهم مقاصدها أن لا تحصر ثروة السودان في أفراد قلائل بل تحرص على بقاء الثروة الملكية موزعة في أيدى الاهالي. وانه لذلك يعلنه رسمياً بضرورة رد الارض الى أصحابها وكان الناس قد أضاعوا كثيراً مما أخذوا فلم يكن ثمت سبيل الا برضى التاجر أن يتنازل عن بعض ما دفع فدية لاحترام الخطة السياسية التي جرت عليه الحكومة كما أمر الحاكم العام هناك.

وبعد تلك الحادثة صدر منشور بأمر الحاكم العام هذا مضمونه "كل مبايعة فى أرض تحصل بين أحد الاهالي والاجانب يلزم عرضها على مدير الناحية التى حصل فيها البيع والشراء ليتم على يديه. وكل من خالف ذلك يعد شراؤ لغوا ويفقد ما يكون قد دفعه من الثمن اهـ

بمثل تلك المعاملة وبمثل هذا المنشور قام حائل بين أطماع الاجانب الشرهين وبين ضعاف الاهالى المساكين الذين أمنوا بذلك مستقبلهم حتى لا يفقدوا شبرا واحدا من أرضيهم.

وما جرى على ذلك التاجر الانكليزي جري بذاته على تاجر آخر يوناني أراد أن يحلق علي كثير من أراضى السودان ويمتلك فى أرجائه الفسيحة كما امتلك الالوف من الافدنة فى

مصرنا الاسيفة . وقد خسر فى اقدامه على ابتياع الاراضى السودانية ضعف ما خسره صاحبه الانكليزى حتي صار يلطم ويتمني أن لو كانت له قنصلية يونانية في الخرطوم تستعمل سلطتها لرد ما خسره وتحمى الذين يتهافتون على السودان من المال ويمتصوا من الدم كما يبتزون ويمتصون فى مصر من المصريين المساكين.

وضع الانكليز بين الاوربيين وبين السودان الحوائل لا بالغاء الامتيازات فقط بل في الحدود كذلك لمنع تيارهم من الاندفاق فهم لا يدخلونه بغير اذن ومن دخله بلا اذن كان كالمتشرد أو اللص يقع تحت سيطرة السلطة العسكرية تصرفه كيف شاءت. فتجد الاجنبي أيا كان روميا أو طليانيا أو انكليزيا ساخطا على حالة السودان التجارية ناقما على الانكليز بقدر ما استراح بال السوداني وأمن على ماله وداره وعقاره

نعم ربما يقال ان الحكومة ما وضعت العقبات دون الاجنبى ووصوله السودان الا لاحتكار المنافع والمتاجر الذي اختصت به نفسها . ولكن ذلك ضرر صغير من ضررا كبيرا . وليت الانكليز احتكروا كثيراً من المنافع لهم فى القطر المصري ومنعوا تلقاء ذلك اضرار الاحتلالات الجمة لكل الاجانب الذين أنشبوا مخاليهم في البلاد بلا رحمة ولا شفقة حتي أزهقوا روحها وهل ثمت ارهاق المصرى واغتياله ماله وداره وعقاره بالطرق الكثيرة المعروفة بين المصريين ولا تجهلها الحكومة نفسها

(الرحالة ابن حام)

الحكومة والامة في البلاد المصرية (*)

لولا ميزانية المالية العمومية التى تفرض السلطة الخديوية فيها على أهالي القطر المصرى كل سنة مقدار المال الذي تقتضيه منهم خراجاً وأموالا مقررة وغير مقررة. ولولا القوانين النظامية التي تحكم بمقتضاها المحاكم على القاتل والسارق والمعتدي على غيره اذا قبض عليه وسيق الي المحاكمة معترفاً أو مشهوداً عليه. ولولا احتكارها كثيراً من موارد الربح وتقريرها الجمارك على الواردات ووضعها شرازم العساكر يرهبون الناس داخل القرى والبلدان باسم خفر السواحل وعمال الدخوليات. ولولا أنفار البوليس يعترضون سير العربات في الطرقات العمومية ويتحككون فيها بذكر المخالفات وكثير منهم لا يتحكك الا ليأخذ بعض البارات. لولا ذلك وما يماثله لجهل أكثر سكان القطر المصري حكومتهم ووظيفتها الحقيقة بين ظهرانيهم. وما لمثل هذا وحده وجدت الحكومات في البلاد.

انما وجدت الحكومات قسطاساً مستقيما فى فصل الخصومات وقوة رهبوية بين أشرار الناس ليكفوا شرهم عن الخيار وولاية عامة على الرعية كما يكون القصر فى ذمة ولى أمرهم الرشيد فهو يسلم الطفل الي مرضعه واذا كبر اختار له المربية المهذبة فاذا صار غلاماً أرسله الي الكتاب ليتعلم فاذا شب وقدر على العمل خصه بما يوافقه ويصلح شأنه وشأن أقرب الناس اليه منه فاذا رآه بعد بلوغه سن الرشد لم يرشد استمر عليه بالحجر

(*) المؤيد ٢٥ اكتوبر ١٩٠٠ .

الذي يقوم أخلاقه. وكذلك ولى أمر القصر فى العائلة وكذلك شأن الحكومة مع الرعية.

ولكن لما كانت الحكومة يجب أن تكون في أعمالها قوة معنوية فى كل فرع من فروع سلطتها وولايتها على الرعية كان لابد لها من وضع القواعد العامة المعبر عنها بالقوانين واللوائح النظامية والادارية وأن تعهد تنفيذ هذه القوانين واللوائح بعمال أكفاء للقيام بوظيفتهم منها لتشرف بسلطتها على كل فرد اشرافا عاما بردع العمل فيه الكل اذا جرى على الفرد ويفيد الجميع بافادة الواحد.

بحيث تكون الغاية المقصودة من الحكومة على هذا المنوال تأمين الناس على أنفسهم وأموالهم وتوجيههم الي طرق المعيشة الصالحة الناجحة وتعويدهم على مكارم الاخلاق فى كل الاعمال لانها أس الاعتدال في طلب الرزق من خير وجوهه. وعلى هذا الأساس تشاد دعائم العمران الذي يكفل السعادة الحقيقية للانسان.

والحكومات الاسلامية بينت الصوي (الاعلام) والمنارات لأسمى وظائف الحكومة وأجداها نفعا بين الناس. وهى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فى قوله تعالى. "ولتكن منكم أمة يدعون الي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون". فاذا كانت هذه الآية تخاطب المسلمين كافة أن يكون فيهم الداعي الي الخير والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من تلقاء نفسه وبمحض تبرعه متى رأي فى نفسه القدرة على ذلك وثقة الناس بها فى هذا السبيل. فهي تخاطب أولياء الامر بالاولي. وفى الحديث الشريف "لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب" فاذا بطلت وظيفة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من رجال الحكومة أنفسهم كانوا الشرار الذين أنذر الله عباده بهم ليسوموهم سوء العذاب.

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليسا قاصرين على أن يطوف الانسان على الناس فيأمر وينهى كل من لقيه بل من وجوههما أن تصدر الاوامر والمنشورات من قبل الحكومة حاضة

علي اكتساب أنواع المعروف والمحامد حاثة على ترك الرذائل التي هى من قبيل المنكر شرعا وعادة باستحسان العقل. ولكن متي كان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من قبلها وجب أن تكون لهما نتيجة بالتنفيذ والا انعكس الامر بالاهمال وعرضت كرامتها للاهانة وفتحت بنفسها باب الفوضى للناس.

والآن نري بين قوانين الحكومة ومنشوراتها وأوامرها ونواهيها كثيراً من وجوه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. ففضلا عن الحدود المقررة المعمول بها فى المحاكم ومجالس القضاء تضمنت تلك القوانين والمنشورات الامر بفضائل شتى والنهي عن منكرات شتي بعضها لصيانة الآداب العمومية وبعضها لدفع الناس عن بعض فى تبادل الاخذ والعطاء ومرافق المنافع والحقوق الشخصية والعمومية فالقمار ممنوع بأمر الحكومة والجهر بالفسوق محظور والحض عليه منكر ومزاحمة الطرق منهية ولكن جميعها مهمل التنفيذ ويختلف بعضها عن بعض فى هذا الاهمال. وطفيف الكيل والوزن ممنوع واحتكار الاصناف المعاشية محظوراً أيضاً والغلو في التسعير طمعاً في زيادة الربح منهي عنه كذلك ولكن أى محتسب من قبل الحكومة يطوف على المكاييل والموازين ليحررها.

تترك الحكومة الباعة فى الاسواق يسرقون من كل قنطار رطلا ومن كل رطل درهما ومن كل درهم حبة وهو اختلاس عام وفساد فى الاخلاق عام وسلب لأموال الناس عام لا يسلم من شره أمير ولا وزير لا غنى ولا فقير الا من استغني عن أخذ كل شئ من السوق ومن الذى يستغنى؟

وأى محتسب يقابل بين أثمان الاصول والربح في الفروع. من هو الذي يقابل ثمن الشاة حية وبين أثمان لحمها أرطالا ليحدد سعر الرطل بكذا ويمنع المزيد فيه اذا تجاوز حد الربح المقبول وصار بذلك اختلاساً وسلبا.

لو كان للحكومة اشراف على الباعة ما تمكن الجزارون من عقد اجتماعاتهم ثلاث مرات في ثلاثة أشهر ليزيدوا في ثمن الرطل رويداً رويداً ثلاثة قروش مع أن ثمن الشاة قبل الثلاثة أشهر مثله الان.

فـهل الحكومـة قـائمـة مع هذا بوظيـفـة الامـر بالمعـروف والنهي عن المنكر فى أخص التعاملات والمعيشة بين الرعية .

من هنا توجد الفضيلة اذا توفرت هذه الوظيفة وتنعدم وتوجد الرذيلة اذا أهملت. ومن هنا يكون أساس اعتدال الناس فى معاملاتهم التي هى طريق العمران والسعادة.

الربا ممنوع فى شريعة الاسلام قطعاً وقد اضطرت القوانين النظامية لاباحة التعامل به الى حد محدود ولكن مع هذا الخرق الذي أوجدته الحكومة بيدها وكان حقها أن تسده لو استطاعت. هل وجد منها محتسبون يراقبون المرابين ويحولون بينهم وبين الفتك بالضعفاء الفقراء في حال عوزهم الشديد. كلا .

بل أن المرابين أنفسهم أصبحوا كالطيور الجارحة يقتفون أثر خطوات الحكام بين الاهالي كما تقتفي الطيور أثر خطوات الجيوش فى فتوحها. فهم انما يخطون دائما ليقتضوا الضرائب بقوة القانون الذي يضرب يوم الخامس والعشرين من كل شهر الاقساط أجلا لمصادرة الناس أملاكهم فيتركونهم بذلك صرعى الحاجة للمرابين الذين لا يرحمون وكثيرا ما يستصحب الحكام هؤلاء المرابين معهم لتتم مصادرة الاملاك لهم وعلى أيديهم لصالحهم بالربا المضاعف .

ولو ان الحكومة استعملت وظيفتها الحقيقية من الولاية العامة على الامة لم تعدم حيلة تحفظ بها شيئا من الحق الطبيعي للاهالي وهو أولوية الملك في الوطن لاهله ولكن هى أغفلت وظيفة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قبل ذلك فلم تبق فى مصر الا حكومة حدود جباية ومكوس ليس الا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

الفلاح والمرابي

لوكيلنا العام في الغربية (*)

اخذت بعض الصحف في الايام الاخيرة تشرح حالة الفلاح والمرابي وما يصيب الفلاح من الخسائر بسبب الربى الفادح الذي يؤخذ منه وقدر بعضها ان هذا الربى لا يقل عن ٣٠ او ٤٠ في المائة ولذلك جرّ الخراب على البلاد ولا يخلو كل هذا الكلام من نية غير محمودة وقصد غير ممدوح وهو ارادة التفريق بين الوطني والاجنبي.

وقد نشرت الاهرام في عدد يوم الثلاثاء ٢٣ الجاري مقالة افتتاحية تحت عنوان (الفلاح والمرابي) قسمت فيها الذين يستدينون بالربي الى ثلاثة اقسام تكلمت عن القسم الثالث المؤلف من صغار الفلاحين الذين يستدين الواحد منهم جنيهاً الى اربعة فبرهنت على انه مضطر الى الاستدانة من المرابي لقضاء حاجته وسد عوزته وختمت كلامها بوجوب انشاء بنك زراعي لخدمة هؤلاء الفلاحين الصغار وهو اقتراح مصيب نشرته الاهرام منذ اعوام.

ونحن في هذه المقالة نردد صدى مقالة الاهرام ونبرهن لتلك الصحف على ان ما تقوله عن المرابي والفلاح لا يخلو من المبالغة والايهام لان الربى الذي يأخذه المرابي من الفلاح في هذه الايام لا يبلغ ثلث تقديرها والفلاح يدفع هذا الربى عن طيب خاطر ولاسيما متى كان المرابي وطنياً لانه اي الفلاح يعتقد ان قيمة الربى التي يطلبها منه عادلة ومعلوم ان معظم المرابين الآن من الوطنيين.

ثم انه يندر وجود مراب في بلاد القطر يعطي دراهم بالربى اذا لم يكن هو نفسه قد استدان مالاً بالربى واشهر محل تجاري لا يعطي نقوداً للمرابين باقل من ١٠ الى ١٢ في المائة فضلاً عما يطالبه من التأمين والمرابي لا يمكنه ان يوزع دراهمه على صغار الفلاحين باكثر من ١٥ الى ١٨ في المائة على المكشوف (اي بدون تأمين) وقد يمضي على ميعاد الوفاء شهر وشهران ولا يأخذ على دينه بارة واحدة زيادة ولهذا نرى كثيرين من المرابين يخسرون ويفلسون

(*) الأهرام ٢٩ اكتوبر ١٩٠٠ .

أو يكثرون من رفع القضايا الى المحاكم اما الفلاح فلا يشكومعاملة المرابين ولا رأيناه يوماً رفع قضية على احدهم لانه لا يستدين بضعة جنيهات الا في وقت بوفاء الاموال الاميرية الضرورة اي حين مطالبته فيوجل بيع محصوله املاً بارتفاع الاسعار ولولا انه لا يفعل ذلك تحجز الحكومة مواشيه ومنقولاته وتبيعها بالمزاد العلني بلا شفقة ولا رحمة وليت شعري اذا كانت الحكومة التي هي بمثابة القيم على الفلاح لا تهمله يوماً واحداً في سداد اموالها الاميرية فهل نلوم المرابي اذا لبى طلب الفلاح واذا وجد ليقرض الفلاح وعليه فمن يكون ارحم وأشفق المرابي ام الحكومة التي تصادر الفلاح وتحجز بهيمته التي هي عنده بمثابة روحه وتبيعها بأبخس الاثمان وهو قد التمس من الحكومة في هذه السنة مراراً عديدة ان تؤخر جباية الاموال الاميرية من اكتوبر الى نوفمبر ليسهل عليه بيع محصوله باسعار عالية كما كان يؤمل فرفضت التماسه أما المرابي فلم يأب على الفلاح تأخير ماله عليه الى نوفمبر حتى ديسمبر وكل المرابين لم يحصلوا علي درهم واحد حتى الآن

هذه هي حالة المرابي مع صغار الفلاحين شرحناها بالاختصار أما الذين يستدينون من البنوك وهم الوراث الذين لا يشفقون على انفسهم وليس من يجهل حالتهم فهؤلاء انما يستدينون لينفقوا على المطاعنات وعلى أغراض وأمور يطول شرحها فيفقدون ما استدانوه ويستدينون غيره فينفقونه ايضاً ويضطرون في آخر النهار الى بيع اطيانهم لذلك التاجر المنعوت بالمرابي أو الى ارتهانها عنده وبعضهم لا ينفك عن السكر واتيان كل منكر والاسترسال في الملذات الميوانية فيستدين وينفق بغير حساب فلا يفيق من سكرته الا وهو مكره علي اعطاء الاطيان التي ورثها بدلاً عن المال الذي استدانه وهذه امر نراه كل يوم ومنهم من تعلق علي القمار ففقد ثروته جزافاً والبعض منهم يشتغلون بما لا يعملون به مثل المضاربات في البورصة واننا نعرف اناسا فقدوا اطيانهم دون ان تلمع ارباح المضاربة في اكفهم فما تقدم يتبين ان ضياع اطيان بعض الفلاحين وغيرهم ليس سببه الربى والظلم بل جهلهم وطيشهم وغباوتهم

فعلى من يريد الاصلاح الصحيح ان يصلح عقول اناس كهؤلاء ويتولى هدايتهم الى الصراط المستقيم بتعليمهم اساليب الاقتصاد وارشاد الناشئة الى ما يبصرهم باحوال معايشهم ويفتح عيونهم ليعرفوا مكامن الضرر فيبتعدوا عنها فتسلم اطيانهم واموالهم ومزارعهم من العطب والا فان الندب في مثل هذه الحال لا يفيد انساناً ولا يرد ضائعاً والندب لا يحي الميت والدواء الظاهر لا ينجح في مدواة الداء الدفين والسلام

شقاء العاصمة (*)

جرت عادة الحكومات في جميع انحاء العالم ان تهتم بعواصم بلادها فتنفق الاموال الطائلة على تزيينها وتحسينها وتوسيع شوارعها وتنظيفها وانشاء الميادين الفسيحة فيها وغير ذلك مما يزيدها رونقاً لاسباب كثيرة اهمها انها كرسي الملكة او الامارة يقيم فيها رأس الحكومة ووزراؤها وسفراء الدول و وكلاؤها ويقصدها الناس من اطراف البلاد لقضاء ما لهم من المهام في دواوين الحكومة ونظاراتها ومحاكمها العليا فيكثر عدد سكانها على توالي الايام حتى يبلغ اضعاف اضعاف السكان في المدن الاخرى. وكلما زاد عدد السكان في بلد اشتدت الحاجة الى زيادة التنظيف والتطهير واستيفاء الاجراءات الصحية فيه ولهذا كانت العواصم في جميع المالك المتمدنة عنوان تقدم البلد وسعادتها تقتدي بها المدن الاخرى وتجري على اثرها في الاصلاح والترتيب والتحسين والتنظيم.

اما عاصمة هذا القطر فقضى عليها سوء الحظ ان تكون دون العواصم في النظافة والنظام فليس لها مجلس بلدي يهتم بشؤونها ولا مصارف تصرف المياه والقاذورات فيها وترك اكثر شوارعها بلا رصف ولا نور كما تركت احياؤها القديمة كلها بلا كنس ولا رش حتى تراكمت الادران فيها تراكما فاذا امطرت السماء يوماً اجتمعت المياه بحيرات في شوارعها وانقطعت المسالك على المارة وتعطل سير مركبات الترامواي وكثرت الوحول في الحارات والعطفات وامتزجت المياه بالادران والاوساخ وتطرق الفساد اليها وتصاعدت الروائح الكريهة منها وانتشرت الامراض بين السكان. فقد اخبرنا ثقة من الاطباء ان ان عدد الذين مرضوا بالنزلة الوافدة في هذه العاصمة بعد الامطار الاخيرة بلغ نحو مئة الف نفس اي سدس سكانها وان العفونة اثرت في الهواء فافسدته واضرت بالصحة العمومية حتى ان المريض الذي كان يشفى عادة في يومين او ثلاثة ايام صار لا يشفى في سبعة ايام او ثمانية. وسبب ذلك كله عدم وجود المصارف واهمال امر النظافة والتطهير.

ومن الغريب ان اكثر مدن القطر المصري من صغيرة وكبيرة انشئت فيها المجالس البلدية لاصلاح احوالها وتنظيم شوارعها ما عدا العاصمة وان مدينة الاسكندرية التي لا يزيد عدد

(*) المقطم ٢٣ مارث ١٩٠٠ .

سكانها على ٣٢٠ الف نفس انشئت فيها المجاري منذ سنوات عديدة ورصفت شوارعها بالبلاط وانيرت بانوار الغاز والعاصمة التي يبلغ عدد سكانها ست مئة الف نسمة وكان يجب ان تقدم على سواها في الاصلاح والتنظيم لا تزال بلا مجار الى الآن بل لا يزال القسم الاعظم من شوارعها مهملاً بلا رصف ولا انوار ولا كنس ولا رش كأنها ليست منها بل كأنها ليست من هذا القطر مع ان المباني التي اقيمت على جانبيها من اعظم المباني وافخمها وسكانها من نخبة الاهالي وسراتهم واصحابها يدفعون عوائد الاملاك عنها كغيرهم من اصحاب المباني في الازبكية والاسمعيلية وقصر الدوبارة وهي الاحياء الثلاثة الكبيرة التي صرفت الحكومة همها الى اصلاحها وتنظيفها وانفقت عليها كل الاموال التي خصت بذلك في ميزانيتها.

ولا نعلم كيف يجوز في عرف رجال التنظيم ان ينفقوا الاموال التي يدفعها اصحاب المباني في العباسية وبركة الرطل والقبيسي والسيدة زينب وباب الشعرية والشوارع الكثيرة التي تلي الفجالة والظاهر والبغالة والناصرية شرقاً وغرباً وسائرا انحاء العاصمة المستجدة والاحياء القديمة على رصف بعض الشوارع والاحياء التي يقطنها الاجانب وعلى تنظيفها ويتركون بقية الاحياء والشوراع الاخرى التي يؤلف منها معظم المدينة بلا رصف ولا انوار ولا كنس ولا رش.

ويذكر القراء ان الحكومة اهتمت بانشاء مصارف العاصمة منذ سنوات وطلبت من الدول المصادقة على تعيين نحو خمسين الف جنيه في ميزانيتها لذلك في كل عام فاجابتها الدول الى طلبها وادرج المال في الميزانية برسم المصارف عدة اعوام وبينما الاهالي ينتظرون انفاذ ذلك على عجل اخراجه من القول الى الفعل لشدة الحاجة اليه برزت الميزانية في السنة الماضية والسنة الحالية خلوا من هذا المال ففسر بعضهم ذلك بان الحكومة عدت سكوت الاهالي عن مطالبتها بانشاء المصارف والالحاح عليها به من قبيل الرضى بما قسم لهم والاستسلام الى قضاء الله فانفقت المال في سبيل آخر وتناست امر المصارف وهذا امر اذا ثبت صحته كان اجحافاً بحقوق سكان العاصمة لا يرضونه لانفسهم ولا ترضاه الحكومة لهم.

ثم ان اهمال الامور البلدية في العاصمة عم جميع المصالح التي يتعلق بها ذلك في جملتها مصلحة الصحة بدليل ما ذكرناه من تراكم القذر والاوساخ في احيائها. وزد على ذلك انه لا يمضي يوم الا ونسمع ان مجلس النظار صادق على نقل المدافن في عدة من المدن والقرى الصغيرة من مكان الى مكان لابعادها عن المساكن مراعاة للصحة العمومية اما في العاصمة فان مدفن زينهم لا يزال قائما بين المساكن ولا يبعد اكثر من عشرة امتار عنها ومضاره الصحية في غاية الخطورة.

مكامن الادواء

البرك والمستنقعات (*)

اذا مر ساكن القاهرة في شوارعها ورأى اكداساً من الادران وتلالاً من الاوساخ صاح بالشقاء عاصمتنا وبالتعاسة صحتنا تفسد الادران الهواء ونحن نستنشقه سماً يفسد الدم واللحم وتعلق الجراثيم منه بنا ان مشينا في عطفات الازقة او جلسنا على مقاعد الاندية او نمنا في اسرتنا او خلونا الى اهلنا فلا "صحة" في صحتنا ولا حكومة تلبي نداءنا . اما النقود فلم نبخل بها واما الطلب فلم نفتر عنه فلاقى كرمنا بالدفع بخلاً بالعمل وصراخنا بالطلب صمماً عن الاجابة. ولا بلدية منا لتخدمنا كأن الحكومة يهمها ان تأخذ ولا يهمها ان تعطي واذا تنعم الغني بمنزل طيب الهواء نظيف الجوار لا يستحق الفقير ان يعتني به ويلتفت اليه فالحكومة والزمان متآزران عليه.

واذا رأى اسكندري شارعاً غير مغسول او ماء غير منقى او مطهر زمجر على البلدية كأسد العرين فتململت من صيحته تململ الجنين وناقشها الناس الحساب فاما انها تفعل عاجلاً او تهتم للفعل آجلا ومع ذلك يشكون ولو كانوا في رحمة الاعتناء يمرحون.

اما اهالي الريف حيث لا غني تؤازر صوته العالي رنة درهمه الغالي ولا اجنبي يقول اعطيت فأعطوني. فشؤونهم الصحية اكثر اهمالا وتركاً ولا يغرنا ان نرى امراً صادراً بالاعتناء فانه كالجير يطلى به الاهمال او كالرماد يذر على العيون فلا ترى، او كالصدى يرن دويه في الاذان فيصمها عن كل سماع.

فقد قدر ان تلاصق كل بلدة بركة او مستنقع تركد فيه المياه فيطفح ابان الفيضان حتى ترتطم امواجه بجدران المنازل فاذا هبط النيل هبط المستنقع واسنت مياهه وفسدت بقيته فانبعث منها روائح لا نستفتي في ضررها احداً من الاطباء بل انف كل مار ولو على بعد كبير ولا علماء الميكروب بل عيون الناظرين فبينما الرياح تصفق في جوانب البرك من جهة أخرى على اكداس الاسمدة فتحمل منها ما شاءت الاضرار وارادت الادواء الى اكواخ الفلاحين المساكين الذين قدر عليهم ان يروا ابناءهم في سقم دائم واكواخهم في مدة التحاريق وهبوط

(*) الأهرام ٢٩ مارث ١٩٠٠ .

النيل كالمستشفى للامراض العفنة فالمحموم نائم الى جانب "المجدر" والعليل الى جانب السقيم فلو زارها طبيب – ولا يزور اذ لا مال فلا طبيب – عرف فى كوخ واحد امراضاً كثيرة تطببها الطبيعة بلطف هواء الربيع وتصارعها البنية القوية بالصبر والجلد وإلا فالموت العاجل والفناء المدمر. وكلما انتشر مرض في بلد – والامراض منتشرة الآن في جميع البلاد – قالوا طهروا الجوامع وفي الجامع ميضأة واحدة ومرحاض واحد وفي البركة ميضات ومراحيض فالبرك اذا والمستنقعات هي مكمن الادواء ومصدر البلاء لا نفع منها وكلها ضرر ومع ذلك اذا طلب طالب السماح بردم مستنقع او بركة ليحوله من ضار قاتل الى نافع مفيد وقفت الحكومة في وجهه تقترح الشروط الفادحة كأنها تحرص على الجراثيم من الفناء وعلى الناس من الادواء ان لم نقل من البقاء.

وقد عرفنا ان شركة مصرية تألفت لردم البرك وامتلاكها فلماذ لا تعطيها الحكومة الامتياز بل لماذا لا تنشطها للعمل لتكفي الاهالي شر الامراض والاوبئة فاذا كانت مصلحة الصحة التي تنفق عليها الحكومة في كل سنة مائة الف جنيه مفيدة فالشركة التي تزيل البرك والمستنقعات او بالاحرى مكامن الاوبئة والامراض اولى بهذه الاموال لان الصحة تداوي بعد المرض والشركة تمنع المرض والوسيلة التي تدفع الداء خير من الوسيلة التي تزيله بالدواء ولو لم تكن هناك شركة للعمل لوجب ان تكون الحكومة هي العامل فكما انه من واجبها ازالة الاوساخ من شوارع المدن وتطهير ازقتها وحاراتها كذلك من واجبها ردم البرك وازالة الماء الاسن والحوض الفاسد. اما ان للشركة من ردم البرك غنماً لا يصح ان يكون لمصري ولشركة مصرية فأمر لا نود ان يكون بغية الحكومة ولا غرضها الذي تصوب اليه فقد اتهموها بأنها تفضل اعطاء الامتياز لشركة انكليزية فاذا صح القول قلنا لها لا تزال في مصر بقية رابحة تعطى للشركات بعد البواخر والدوائر والسكك الخ فليتعز المصريون بان منهم شركة لردم المستنقعات وليعتز المصري بأن يرى اهتماماً بصحته.

والخلاصة ان كلنا شاك من اهمال الشؤون الصحية فالقاهرة تعد شقية بتركها على هذه الحالة كالقبر يزين خارجه وفي داخله العفونة والنتانة اذ تكنس وترش شوارع الاجانب وما يسكنه الوطنيون كالقارورة جمعت فيها الاقذار. وقرى الريف اتعس واشقى لانها محاطة بالاوساخ والبرك والمستنقعات فلا اللائحة التي تقرر انفاذها تأتي بالفائدة المطلوبة ولا الامور الصغيرة تدفع الشر الكبير فاستئصال الجرثوم وقطع شأفته خير من تغطيته عن العيون ليبرز بعدئذ من تحت الغطاء اشد فتكاً واعظم ضرراً.

مـــاء الـشــرب(*)

(لحضرة البارع الدكتور حبيب كرم)

انخفض ماء النيل هذه السنة انخفاضاً شديداً وقربت منا أيام التحاريق وملؤها الاسن الاخضر وستكون المياه هذه السنة لقلتها منبعاً للحميات العفنة وللدوسنطاريا والاسهال اذا لم تؤخذ الاحتياطات الشديدة في تنقيتها وغليها.

وقبل الكلام عن الوسائط اللازمة لتنقية الماء وجعله صالحاً للشرب ابدأ بوصف الماء الصالح للشرب. فالماء يجب ان لا يشرب الاَّ اذا كان نقياً خالياً من الطعم وبدون رائحة ولا بأس من احتوائه علي قليل من الاملاح اذا كانت كميتها قليلة جداً وبه اعتيادياً قليل من الهواء منتشر بين اجزائه يجعله خفيفاً على المعدة.

أما طرق تنقية الماء المستعملة في مصر فاولها الزير وهي طريقة جيدة تنقي من الماء كل الدقائق الميكانيكية الغير الذائبة.

وعلى المبدأ نفسه يستعملون الآن فى العاصمة مرشح باستور أو مرشح تشمبرلان باستور وهو انظف من الزير ولكنه ينقي المياه مما تحمله من الاكدار لا مما يذوب فيها.

واذا اعتني في تنظيف الزير أو المرشح يومياً فلا يحتاج لغيرها من الطرق في غير أيام التحاريق.

أما ماء النيل في مدة التحاريق فتكثر به الحشائش التي يجرفها في سيره البطئ وغيرها من المواد العضوية فتختمر وتنتن وتكثر بها المكروبات فيصير الماء حينئذ ذا رائحة كريهة وطعم تافه غير مقبول ولا يكفي الزير أو

(*) مصر ١٢ مارث ١٩٠٠ .

مرشح باستور لتنظيفه وأحسن شئ لذلك غلي الماء لان الماء اذا سخن لدرجة الغليان حوالي نصف ساعة ماتت كل المكروبات التي فيه ولكن طريقة الغلي هذه ليست كافية لتنقيته تماماً لان بعض هذه الحشائش يحترق ويكسب الماء طعماً كريهاً ويخسر الماء المغلي أيضاً الكمية القليلة من الهواء النقي.

ومن الطرق المستعملة كثيراً وضع قليل من الفحم في الزير وهي طريقة جيدة لان الفحم مطهر للماء مزيل للرائحة ولكن يجب تغييره يومياً. ومن هذه الطرق أيضاً ترشيح الماء في زير قنا المزدوج وهو زير رأيته في قنا يصنع زيراً داخل زير واستعماله بسيط لا يكلف نفقة ويمكن الاستغناء به لتنقية الماء في غير مدة التحاريق.

وعندي ان أحسن الطرق لذلك مزج الطريقتين المتقدم ذكرهما أي طريقة الترشيح بالزير وطريقة غلي الماء على ما يأتي :

يرشح الماء بالزير أو بمرشح تشمبرلن باستور ثم يغلي نصف ساعة تقريباً وبعد ذلك يوضع على جانب مغطى بقطعة من الشاش الى ان يبرد ثم يوضع في زير ثان ليرشح ثانية وليكتسب ما فقد من الهواء وحينئذ يصير الماء صالحاً للشرب ويتجنب الشارب خطر الوقوع في مرض من دخول الجراثيم القتالة جسمه والجراثيم علة اكثر الامراض.

هذه بعض الطرق البسيطة لتنقية الماء وقد اجتنبت الطرق الاخرى التي يعتمد فيها على استعمال عقارات كيماوية لان اكثرها يجب استعماله عقاقير ودقة وربما عدت الى شرحها في فرصة أخرى .

حـالـة شـبـابـنـا (*)

(لحضرة الاديب صاحب الامضاء)

الرزق بناء فسيح الرحاب دعائمه السحاب قد تحجبت بالعزة والمكانة عن الطالب وعزت عن ايجاده المطالب فكل شخص يتطال بعنقه ليرى قببه البيضاء وميادينه الغناء يتذهل مما يراه من عزة الجانب وفخامة السلطان ويرجع والطرف كليل والفؤاد عليل لانه لا يمكن له الوصول اليه اذ يمر الرزق من امامه مرّ السحاب وينطوي انطواء الجلباب وهو ناظر اليه كأنه العصفور أفلت من يديه.

وطرق الارتزاق كثيرة وافانينه اكثر فترى المرء يشتغل الشغل الشاق ويمرن الجسم على المشاق داخلا من باب الى باب طارقاً كل طريق طمعاً في الربح والاكتساب .

وليس هذا شأن هذه الايام فقط فهو قديم متأصل في الانسان منذ دبّ علي هذه الغبراء وسرح على وجه العراء وشب على حب الاثرة والرغبة في سعة الرزق فهو اذن واجب يلزمه منذ الولادة ويرافقه حتى الممات. فاصبح الرزق من ثم قيمة الانسان فهو يعلو ويرتفع ويقل قدره وينخفض تبعاً لرزقه فان كان غنياً احاط به القوم احاطة الهالة بالقمر وان الَمّ به الفقر والتصق بقاع المتربة فروا منه فرار الآبق واركنوا للهروب كالزئبق الرجراج.

لذلك كان العاقل يهتم بالسعي جهد استطاعته وراء الرزق ولو كلفه ذلك مشقة وعناء لان في هذا حفظا لشرفه ورفعاً لقدره.

فبعض القوم يهاجر هذه البلاد الى بلاد الهند والصين طمعاً فيما يزيد كسبه عما اذا بقى في بلاده فيرجع بالارباح الطائلة والغنائم الكثيرة ولا بأس مما يعانيه من التعب والنصب

(*) مصر ٢٧ مارس ١٩٠٠ .

في طلب العلى والمقام السامي فانه لابد دون الشهد من ابرز النحل.

ومما يسوئني وايم الوطن العزيز مخالفة شبابنا لتلك الخطة الحرية بالاتباع وجريهم وراء البطالة كأنها القصاع وهم جياع يريدون التهامها ولو اصلتهم ناراً.

نرى الشاب يخرج من المدرسة حاملا الشهادة الابتدائية (كأنها الفرمان) وفي ظنه انه يستخدمها لجمع الخير الوفير وما دري انها "حبر على ورق" اذا عطش لم تسقه نهلة بفم.

يخرج من المدرسة رافعاً علم الشهادة لكي يسقط به كل سور يصده عن سيره ولكنه لا يلبث ان تنقشع عنه سحابة الوهم التي كانت تغطي عينيه فيرى كل باب من الرزق موصداً امامه فياخذ في البحث والتنقيب حيث يجد ان المدرسة لم تعلمه سوى صناعة الكتابة فيقصد خدمة الحكومة متوكئاً على قصبة قلمه المرضوضة (التي اصبح رزقها أضيق من شقها) ويجتهد فى فتح اقفال الوظائف لكي يلجها - فان كان طالعه في برج السعود تعين تلميذاً تحت التمرين في المديرية أو المحكمة أو البوستة أو غيرها حيث يبقى سنة بطولها على الاقل بدون مرتب على انه ربما لا يخلو في كل ثلاث سنوات أو أربع مكان تلميذ .

أما اذا رافقه النحس ولم يجد محلا يتعين فيه فانه يبتدئ أن يتمرغ في حمأة الجهل والجهالة ويطوف اسواق البطالة ولا هم له إلا ان يبيع البيوت ويصرف المال الموروث حتى بلغ من أمر بعضهم انه باع ملابسه وكل ما يمتلكه حتى اصبح صفر اليدين لا يملك شروى نقير

هذه هي احوال شبابنا التي تجعلنا نبكي بدل الدموع دماً ولا جناح عليهم ولا لوم على حكومتنا التي هي ممثلة هذا الدور الغريب. اليست هي الضمينة لراحة العباد؟ اليست هي المكلفة امام المدنية والاداب بتنظيم المدارس وتعليم الابناء؟

ان بلادنا اليوم غير بلادنا بالامس. البلاد تحتاج الى مدارس صناعية وزراعية تلقن بدروس علمية على الطريقة الاوربية وتعطى للتلامذة مع الدروس المدرسية كما تفعل أهم المدارس فى العالم حتى يكون التلميذ قد تعلم علما وعملا فلا يخرج اعمى اصم لا يدري كيف يسير لانه لم يتعلم كيف يدير دفة الاعمال. نعم ان الصناعة والزراعة هما ولا شك روح البلاد والدم الذي

يجري في شرايينها فتنبت الخير والسعادة وهما أوجب للانسان من كل شئ فان لم يجد لصناعة الكتابة رواجاً وجد أمامه صناعة أخرى على حد قول المثل العامي (صناعة في اليد امان من الفقر) أما انتم أيها الشبان المساكين الذي فات أوانكم ومر زمانكم فعليكم أن تنظروا في أحوالكم وتتطلعوا الى مستقبلكم قبل أن يضيع وقت التحصيل فتعدموا وتكونوا من الخاسرين .

على ان من لم تعلمه المدارس تكفل الدهر تعليمه فكفاكم ما رأيتم من صد الحكومة وهجرها اياكم وحسبكم ما قاسيتم من مر الفاقه وشقاء البطالة

فهبوا يداً واحدة ولينضم بعضكم الى بعض كالبناء المرصوص واسعوا بنفوسكم الى ما فيه خيركم ولا تعولوا على سواكم في سد حاجاتكم وبذلك تبرهنون على نشاطكم على انكم أهل للتقدم والارتقاء.

اما بقاؤكم فليس فيه الا البطالة والكسل واليد البطالة نجسة والكسل مورث للرخاوة ولا ينجم عنهما الا كل انحطاط وخمول. هداكم الله الي ما فيه خيركم وخير بلادكم وكلاكم بعين عنايته انه السميع المجيب .

قنا في ٢٣ مارس

مصري

مطالبة بالانصاف (*)

نحن اليوم نجيب مطالب العشرات من القراء والمواطنين والمئات ونخطب بلسان عدد كبير من عمال الحكومة نائبين عنهم وعن أولادهم مطالبين بالانصاف مراعاة لمصلحتهم وعهدنا باولياء الامر انهم ينصتون للشكوى وينصفون.

نحن نطالب الحكومة بانصاف نفسها ولا نطالبها بغير ذلك لان الذين لحق بهم ظلم وصلت اخباره الينا والذين نريد الكلام عن حقوقهم وظلاماتهم هم عمال الحكومة ومن اعضاء جسمها الحي فهم مثل الاصابع لبقية الجسم اذا اصابها رض تألم الجسم برمته ولم يعد صحيحاً سليماً الا متى سلمت الاصابع من رضها وزال عنها الضر والاذى. كذلك الحكومة وهي مجموع افراد يعملون أعمالاً شتى غايتها واحدة هي غاية الحكومات المنظمة في كل بلاد فهم اعضاء من جسم واحد وتختلف اهمية الاعضاء من جسم باختلاف مقامها ولكنها متصلة بعضها ببعض مرتبطة متعاضدة نامية من أصل واحد كما تنمو اعضاء الجسم الانساني كلها أو فروع الشجرة الواحدة فاذا كثر الضغط على عضو أو فرع لحق الأذى ببقية الجسم وان غاب هذا المبدأ عن العيون حيناً فانما هو مبدأ جوهري اساسي يعد قاعدة العلم الصحيح بمبادئ الحكومات في كل حين.

فاذا اتضح هذا فنحن نوجه نظر الحكومة الى بعض اعضائها التي تتألم وتتوجع لانها اذا تركت بلا معالجة ولا انتباه جاء حين يتوجع فيه جسم الحكومة كله واتسع نطاق الضرر من فرع الى فرع حتى تعود حكومتنا القهقرى بدل ان ترقى ذري الكمال وتكون ابداً في صعود واقبال. ونحن ندري ولا ننكر ان العدل المطلق الشامل في الوجود من خرافات العقول وانه ليس في الارض عدل مطلق يعرف عن شئ من اشياء الزمن ولكن المساواة تختلف درجاتها وهي

(*) مصر ٢٠ ديسمبر ١٩٠٠ .

ممكنة الى حد معلوم فالحكومة مطالبة بانصاف نفسها الى حد الممكن وتعميم المساواة الى الدرجة التي لا يوجب وصولها عناء كبيرا وليس يجوز في شرع الانصاف ان تبقى حكومة مصر على الاغضاء عن حقوق نفسها فتجور ببعض اعضائها وتتساهل مع البعض الاخر وتوجد في جسمها سوساً ينخر العظم ويولد البلاء الاكيد.

ان الانصاف بعيد عن دوائر الحكومة اذا قابلت بعضها ببعض وقد يكون ذلك أو مثله معروفاً عن كل حكومة أو هيئة كبرى فلابد من وجود عضو يمتاز عن عضو في كل الاحوال ولكن الحكومات المنظمة والهيئات المترقية لاتبقى هذا الامتياز الا ريثما تتنبه الخواطر اليه وهذا الذي نظنه في حكومتنا ونرجوها ان تراه وتسرع الى تلافيه بأقرب الاوقات.

وليس المراد هنا أن نعيد الحكاية القديمة عن تفضيل الاوروبي على المصري في أرض مصر أو ميل حكومة مصر الى غير أبنائها في اعطاء المناصب والمقاولات والشركات فان باب هذا المصاب غير مجهول وقد قال الناس فيه قولهم من عهد بعيد واتضح شأنه الى حد لم يبق معه نفع من التحذير والتذكير. يكفي هنا ان نذكر الحكومة بما يصيب بعض أعضائها من نوازل العمل الثقيل والراتب الضئيل وما يمتع به البعض الآخر من عالي المراتب ووفير الرواتب فان بعض الكتاب أو اكثرهم في الوزارات لا يطلب منهم عمل فوق طاقتهم بل ان اعمالهم كلها هينة لينة قليلة المقدار بسيطة يتعلمها العامي بلا جهد ولا تكرار وهم يقضون في مكانهم ساعات قليلة كل نهار ثم ينصرفون وقد لا يصيب الواحد منهم كل يوم عمل ساعة واحدة ولكن حالهم تختلف اختلافاً بيناً عن البعض الآخر من الرفاق وهذه وزارة الحربية اكبر شاهد على صدق ما تقول من أشكال التفاوت لان فيها بعضاً من السعداء المستريحين وبعضاً من المغضوب عليهم ترى هذا في مكتبة مستريحا يشتغل ساعات معلومة وراتبه طيب والطمأنينة متوفرة له والتحكم بعيد عنه ومن ورائه في الغرفة الاخرى عامل نشيط يقتضي راتباً اقل من راتب المنعم عليه وهو لا

تكفيه ساعات الديوان لكل الذي منه حتى انه ليضطر الى حمل الاوراق معه والاشغال في منزله مدة الليل وفي الاحاد والاعياد. هذا غير انه يوماً يجئ مصر ويفرش له منزلا فيه ويستقر به النوى مع نويه فيظن ان الله غفر له بقية السيئات ويوماً يدهمه الامر بالسفر الى السودان فيروح وقد عاضت آماله بالعيش في مراتع المتمدنين ويقضي بعض العمر في نكد الخدمة تحت الاحكام العسكرية وتحكم الرؤساء المتجافين المتافقين لا يرضيهم من العامل النشيط اجتهاد ولا هم ينصفون. فلم هذا التمييز بين أعضاء الجسم الواحد وكيف تطيق الحكومة ان يستريح بعض رجالها ويتعب البعض الاخر بلا راتب اضافي ومكافاة فوق العادة تعطى للرجل التعبان وما معنى السكوت الى آخر الزمان عن مثل هذا التخصيص.

وانظر الى مصلحة البريد قليلا تر ان الحكومة اهملت امر نفسها وظلمت بعض جسمها ظلما واضحاً فان عمال البوسطة يتعبون اكثر من عمال النظارات والمديريات والادارات الاخرى واعمالهم كثيرة غير لذيذة فالتعب منها بلامزودج يجدر بالحكومة ان تخفف مصابه قليلا بالالتفات والمكافاة والترقية ورفع الرواتب حتى لا يكون الفرق العامل فى النظارة والعامل فى مصلحة البريد كبيرا بمثل هذا المقدار . ولكن الحكومة بدل ان تخفف هذا المصاب زادته ثقلا وعناء في انها جرت على خطة التقتير من عمال البوستة الى آخر درجاتها فصارت رواتب العمال المساكين في هذه المصحة الواسعة الاطراف الكثيرة الفروع اقل من رواتب الزملاء والرفاق في كل مصلحة اخرى من مصالح الحكومة على حين ان الاعمال كما قلنا تزيد كلما قل الراتب كانما مكافأة النشاط والسهر تقوم بالتقتير والحرمان والضغط الذي لا يعرف مثله في ناحية اخرى من نواحي الادارة الاميرية. وكأنما هذا كله لم يكف اصحابنا حتى انهم اوجدوا انواعاً اخرى من الضرر تلحق بهؤلاء العمال الذين قلت رواتبهم فهم عرضة للغرامات اكثر من بقية عمال الحكومة بلا مراء والراتب القليل متى اخذت بعضه على سبيل الجزاء والغرامة ولم يبق منه الا القليل صار ضربة على صاحبه لا يكفي لالزم اللوازم ولا يفي شيئاً من المطالب الكثيرة المتواردة على اهل هذا الزمان. واما اذا كان من بين هذه المطالب فرض تفرضه

المصلحة على العامل الفقير الذي لا يبقي من راتبه الضئيل الا قليل مال فان المصاب يصبح من الاعراض الخطرة التي تودي بالعضو وتوذي جسم الحكومة اذى لا خلاف في حقيقته عند الغافلين. وقد يكون رأي مصلحة البريد في فرض البدل الرسمية على العمال من هذا القبيل فان العامل الصغير مكره على شراء هذه البدل بنحو ستمائة قرش تخصم من راتبه كل عام ونحن لا نصدق قولهم ان ميل الحكومة الى تسهيل الربح لبعض السماسرة والمتجرين يحملها على كل هذا الجور بعمالها ولا نعد البدل الركية غير حمل ثقيل وغرامة رابية لا تفيد في انجاز الاعمال ولا تقدم المصلحة أو تعود علي أمورها بالانتظام فاذا كانت مصلحة البوسطة لا تقدر على الانصاف بمعنى انها تساوي عمالها بعمال النظارات في الرواتب وساعات العمل أو اذا كانت لا ترى الرتب والنياشين لازمة لمكافأة العمال كما ترى النظارات الاخرى أو اذا كان اعطاء الاجازات وبقية نعم الاستخدام ومزياته لا تمكن لها كما تمكن للمصالح الاخرى فان ابطال هذه البدل وما يعقبها من الغرامة والضيق ممكن ومراعاة جانب العمال المصريين وتسويتهم بغيرهم من الاوروبيين المشتغلين معهم في الرواتب يعد من شروط الانصاف بين الناس والبقاء على هذه التمييز والتخصيص الى آخر الزمان لا يجوز.

والذي قيل عن البوسطة يقال عن التلغراف وعماله وعن المديريات والمراكز وغيرها . وأما الذي يمكن ان يقال عن الظلم الخاص الذي يشكو منه افراد معلومون بسبب ظلم الرؤساء أو غرضهم فشئ كثير لا يمكن ايضاحه بغير الاسهاب الذي يلزم له مقال غير مقالة اليوم.

إعانة بورسعيد (*)

منيت بورسعيد منذ ثلاثة شهور بالطاعون فوقفت اعمالها التجارية وانقطعت موارد الارتزاق عنها واصبح الفقراء في عسر شديد لان بورسعيد لا تعيش من تجارتها مع جهات القطر كالاسكندرية بل مع البواخر التي ترسو في مياهها وهذه البواخر لا تتواصل مع البر الآن فاشتدت على الفقراء والعملة وطأة العسر والحاجة والحكومة لم تنظر الى هذه المسألة بعين الاهمية وألم اهالي بورسعيد لم يشعر به اخوانهم في انحاء القطر وقد تلقينا من ذاك الثغر انباء تقضي علينا برفع الصوت والمناداة باعانة فقراء بورسعيد علنا نجد سامعاً وعل نداءنا يلاقي من الحكومة والاهالي مصغياً فاذا كانت الاعانة لفقراء بورسعيد واجبة فطرقها ليست واحدة بل كثيرة ولا يعوز القادرين غير الارادة فمتى أرادوا عملوا ومتي عملوا عدت لهم الحسنة مبرة كبيرة فلكل طائفة جمعية خيرية ومن كل طائفة في بورسعيد جماعة من العملة الفقراء واذا كان المثال الحسن او القدوة الطيبة تحرك القلوب وتهز الاريحية فاننا نورد للقراء ما فعلته ولاية ازمير لاعانة اهاليها بالطاعون وضرب عليها الحجر الصحي ووقفت حركة الاعمال كما كان في بورسعيد. فان دولتلو كامل باشا الوالي ألف لجنة للاعانة برئاسة أشرف باشا محافظ المدينة وعضوية سعيد بك وبوسكو فيتس وارنست بترسون والبارون اليوتي وبولاك وابيبريدي ولامبر بنيدي وماتيو وباليوزوغلي وصادق بك فالتأمت هذه اللجنة في ٢٢ يونيو في ادارة البنك العثماني فاقرت على أن توزع كل يوم الفاً ومائة أقة من الدقيق وأقر محل ويتال وشركاؤه على أعانة العملة الذين يستخدمهم في الشحن والتفريغ بان يعطي كل واحد ٥مجيديات وسعت الحكومة لدى التجار ليحنو حذو هذا المحل وهكذا خفت وطأة المصاب ولم يشعر العطلة بما جره الحجر عليهم وعلى مدينتهم.

(*) الأهرام ٤ يوليو ١٩٠٠ .

ويعلم المصريون ان من اخوانهم الفقراء في بورسعيد ١٥ الف عامل بالفحم لا عمل لهم إلا مع البواخر ولا باخرة الآن يرتزقون منها فهم هناك خلو من كل عمل وانفقوا ما كان معهم في الاشهر الثلاثة التي مرت وباتوا بين انياب الفقر يعضهم الجوع بنابه ويتنابهم العسر باشد مخالبه ولا راحم غير الله ولا مساعد غير ما ينتظرونه من رأفة الرائفين.

نعم ان الاعانات المطلوبة من الاهالي كثيرة ولكن قوماً كراماً تسنح لهم الفرص لاتيان المبرات لا يكبر عليهم ان يكون لهم في كل مبرة يد بيضاء.

وقليل مما يعطون يخفف مصاباً ويدفع داء وويلاً فقد عرف الاطباء واثبت الاختبار ان الطاعون داء يزيده القحط قوة علي الناس والعسر والجوع فتكا بالنفوس حتى قيل ان الهند لو در درها ولم يفض خيرها لما أمات الطاعون مئات الالوف من اهلها فاذا كان داء بورسعيد طاعوناً فالعسر يساعده على التأصل والبقاء فليدفع هذا العسر ويدفعه مكافحة الداء باشد وأقوى مما يفعل الاطباء.

واذا كنا اليوم في موقف الملتمس لفقراء بورسعيد مساعدة واعانة فاننا ايضاً في موقف الدهش لاهمال البنوك والشركات أمر اولئك العملة. أليس في بورسعيد بنوك أليس فيها شركات غير شركة قناة السويس فاين ما فعلته لمساعدة من ترتزق من عرق جباههم ونصب ابدانهم. نعم ان في بورسعيد تجاراً احسنوا واعانوا ولكن اعانتهم قد نفدت ومساعدتهم قد انتهت واصبح الفقراء ينظرون الى العاصمة نظرة الظمآن للبلل والغريق للنجاة فلتنظر الجمعيات الخيرية الى هؤلاء ولتنظر اليهم الحكومة بل فلينظر اليهم كرامنا وعار على الحكومة ان تظل مهملة امر هولاء العملة والفقراء فان عددهم ليس بالقليل ومساعدتهم واجبة .

احتفال الجمعية الخيرية الاسلامية (*)

كان مساء أمس موعد الاحتفال بعيد فقراء المسلمين المعتاد اقامته فى مثل هذا الشهر من كل عام عناية بحاجتهم واستلفاتا لعواطف الاغنياء حنانا عليهم فزينت حديقة الازبكية فوق زينتها المعتادة فى مثل ذلك بل فوق كل زينة أقيمت فيها حتى الآن. وكانت الجمعية فى جلستها العمومية السابقة قد زادت في نفقات هذه الليلة قدراً كبيراً من المال ليصرف علي مزيد التحسين فيها والاكثار من ضروب جمالها وجلالها وناطت ذلك بلجنة الاحتفال المؤلفة من نخبة أعضائها ممن اشتهروا بالنشاط وسلامة الذوق فقامت اللجنة بذلك أحسن قيام.

جاءت الزينة ومجاليها ومعاليها كأنها خلسة الزمان من أفق السماء فأشرقت في جو الحديقة الانجم الزهر على أجمل الامثال وألطف الاشكال وخفقت حولها البنود والاعلام كأنها أجنحة الطير ترفرف بين الثوابت والسيارات من الكواكب النيرات وأقيم هرمان من النور على كل باب من الحديقة اشارة الي أن مصر أصبحت تشيد أهرامها لخير الفقراء وخدمتهم في ظل تعطفات مليكها العباس بعد أن كانت تبنيها لشهوة ملوكها بخدمة الفقراء وتسخيرهم.

وقف سراة مصر وخير أعيانها فضلا وجاهاً وعلاء علي أبواب الحديقة وداخلها يستقبلون الوافدين بأجمل حفاوة المحتفين وخير أكرام المحتفين ليعلم الفقراء المنكسرة قلوبهم في بيوتهم بذل الحاجة أنهم المعنيون بهذه الخدمة فينجبر كسيرهم وينتعش بحسن التعزية ذليلهم. وحسبهم من ذلك أن عيدهم صار يفوق في أبهته وجلاله وجماله أعياد الملوك والامراء حتي أن أمير مصر المعظم يسعي اليه قاصداً من الاسكندرية ذاهباً من المحطة مباشرة الي موضع من الاحتفال حيث لا يحضرا احتفال عيد جلوسه ولا عيد جلوس ملك آخر في هذه الحديقة.

(*) المؤيد ٢٢ ديسمبر ١٩٠٠ .

وقد اقتدى به العظماء والأمراء والوزراء وكبار الذوات والأعيان. فصاحب العطوفة مصطفى فهمي باشا لما رأي انه لا يستطيع حضور الحفلة فى الليل رعاية لصحته توجه الى حديقة الازبكية فى الساعة الرابعة بعد الظهر وجال بين مجالي الزينة متفرجاً مبتهجاً مشجعا شاكراً همم فضيلة رئيس الجمعية وحضرات أعضاء مجلس ادارتها الافاضل وفي منتصف الساعة التاسعة مساء أقبل عل الحديقة صاحب الدولة الغازي مختار باشا يصحبه سعادة صهره الفاضل شوقى باشا فاستقبل دولته فى سرداق الجمعية الأول الاستقبال اللائق بمقامه ولبث نحو ٤٠ دقيقة ثم بارحه متجولا بين أكناف الزينة معجباً بجمالها وحسن رونقها وبديع اتساقها. وقد قال حفظه الله انه لم ير زينة في مصر أبدع ولا أوسع من مظاهر هذه الزينة الفخيمة وشكر مجلس ادارة الجمعية أجمل الشكران على حسن ادارته ودوام اجتهاده في تعظيم شأن الجمعية خدمة للفقراء. وقد ودعه جملة من أعضاء الجمعية الي باب الحديقة ثم ركب وسار الي تياترو الاوبره الخديوية حيث شاهد التمثيل زمناً ودعاه الجناب العالي فلبث فى حضرته العلية مدة تمثيل الفصل الاول من الروية.

وكان فى نية الامير الجليل البرنس محمد على باشا شقيق الجناب العالي الحضور في حفلة الحديقة والاوبره الخديوية ولكن لارتياح خفيف فى صحته أشار الطبيب عليه بعدم الخروج والسهر ليلا فاعتذر للجمعية عن الحضور وان كان فضله قد عم صندوقها وشمل. كذلك دولة الامير البرنس محمد بك ابراهيم قد غمرها ببدرة كبيرة من المال وان لم يحضر الاحتفال لتغيبه عن المدينة وكذلك الامراء أجمعون أوصلوا خيرهم اليها بكل كرم وسخاء.

وبالجملة فقد كان الاحتفال الخيري لفقراء المسلمين أمس خير أعيادهم وأعظم مظهر للعواطف الشريفة والاحساسات الجميلة من كبراء الامة وكرامها. زاد الله في نهضة الاغنياء المصريين لمنفعة فقرائهم وجعل التعاون رائدهم والتعاضد زمام أعمالهم على الدوام آمين.

الاندية العمومية في الديار المصرية (*)

من المميزات بين الانسان والحيوان ان الانسان اكثر الفة وأقرب الى الاجتماع وكلما مال صنف من البشر الى الهمجية والوحشية كان أميل الى العزلة وبالعكس كلما اتجه نحو الحضارة والمدنية مال الى المؤالفة للتعاون والتعاضد. وآخر صور الالفة الجمعيات والمحافل على انواعها.

ولا يخفى ان الانسان الواسع العقل الشاسع الآمال الكثير الهموم يسعى وقت الراحة الى التسلية ويطلب التعزية فلا يجدها الا مع زميل يطارحه او صديق يسامره ولهذا ترى الناس في مواعيد الفراغ من العمل يتوافدون الى المجتمعات العمومية ليستانس بعضهم ببعض ويقف كل على احوال الاخرين عساه يستفيد شيئاً من عشرتهم ومن ذلك نشأت الاندية العلمية والادبية والمجتمعات العمومية كالقهاوي والحانات وغيرها.

وبين بلادنا والبلاد الاوربية من هذا القبيل بون عظيم كما لا يخفى ففي اوروبا تجد الوفاً من الاندية على اختلاف انواعها يختلف اليها الناس من جميع الطبقات كل الى ناد يوافق امياله ومآربه فترى المحافل العملية خاصة بالعلماء والكتاب والخطباء يلقون الخطب او يتباحثون او يتفاوضون وترى المحافل الادبية مكتظة بالاسرات للمحادثة واندية اللهو مما لم يعد للهيئة الاجتماعية غنى عنه في البلاد المتمدنة. واما في بلادنا فلا ترانا مقلدين الغربيين ومتتبعين آثارهم الا باندية للهو والبطالة فترى الرجل منا اذا فرغ من عمله وطلب الراحة لا يجد سلوة له الا في الحانة أو القهوة أو بعض الملاهي – اما في الحانة فيرى كثيرين من الاقران فان كان لا يعرفهم فلا سبيل الى تعريفه بهم الا عرضاً وان كان لا يعرفهم جنح مع معارفه الى احتساء بنت الحان وقبل ان يستقر بهم المقام

(*) الرائد المصرى ٢ مارث ١٩٠٠ .

ويطيب لهم الكلام تذهب الخمرة برشدهم فيخلطون ويهذون ويهذرون وربما انصرف مجونهم الى ما ينافي الحشمة وهكذا ترى أن ذلك المجالس خال من مسحة المدنية الحقيقية عار من حلى الفضيلة فلا يكتسب فيه علم ولا يجتني منه ثمرة صالحة- ذلك هو الغالب في مثل هذا المجلس – وأما في القهوة فيجنح مع صاحبه الى اللعب للتسلية ثم يتدرجان الى المقامرة وأخيراً تتملك فيهما هذه العادة القبيحة والويل لمن تتملك فيه – واما في الملهى فان اتفق وجود اسراب مؤلفة من سيدات وسادة فلا سبيل للمطارحة والاستفادة. وبما اننا في مثل هذه المنتديات مقلدون الافرنج فالواجب علينا ان نأخذ عنهم الحسنات كما قلدناهم بالسيئات والا فالاولى بنا الرجوع الى عوايدنا القديمة .

ترى مما تقدم ان الاجتماعات العمومية في بلادنا لا تفي بحاجة البلاد بل هي على الارجح منافية مبادئ الفضيلة في بعض الظروف . والذي يجعلها مجونية وفاسدة على الغالب كونها غير آهلة بالسيدات المهذبات لانها غير اهلة لهن فلو كانت اسمى منها الآن بحيث يكون الرجل فيها مع أهل بيته لكانت أصون للآداب وأدعى للفضيلة.

واذا بحثنا عن الاجتماعات المنزلية التى يعقدها الاصدقاء والجيران لم نجد فيها كبير أمر فترى جمعية الاصدقاء في منازلهم منصرفه الى أحد أمرين اما الى الالعاب المجونية التي لا فائدة منها غير التسلية أو الى المقامرة التي هي أردأ قدوة للاحداث . وقلما تجد جماعة من الاصدقاء في منزل يتحادثون أو يتسامرون بموضوع مفيد وان وجد بعض الناس في مثل هذا المحفل كان نساؤهم وأولادهم بمعزل عنهم كان حق هولاء ساقط في الهيئة الاجتماعية مع ان الواجب ان يشترك في مثل هذه المحافل الرجل والمرأة واليافع والكاعب لكي يتبادلوا الافكار والملاحظات فيترقى النساء والاحداث ويكونون أعضاء حية في جسم الهيئة الاجتماعية.

فاذاً الاندية العمومية في بلادنا من حانات وقهاوي وملاه غير وافية لانها خاصة بالرجال

وهؤلاء وحدهم لا يرون لهم وازعاً عن الاحاديث الباطلة فيتطرحون في الفساد وان كان بعض محافلهم أدبياً مفيداً خالياً من البطالة كانت العائلات محرومات منه غالباً. وفي الملاهي لا يستفيد النساء والاولاد الا مالا يجوز ان يعرفوه . وفي المنازل ترى الرجال يتأنثون لكي يسلوا السيدات ويسروهن مع ان الواجب عليهم ان يضطروهن الى الترجل – نستمح اللغويين على هذا النحت – لكي يستفدن من محاضرتهم ومطارحتهم.

فنحن اذاً في حاجة شديدة الى أندية شريفة الغاية تختلف اليها الاسرات للمؤانسة والمجاملة والمحاضرة والمذاكرة بغية التسلية وترقية العقول والاخلاق وتدميث الطباع وصرف الرجال ولا سيما الشبان عن اللهو والبطالة وتعويدهم على الليونة والرقة واحترام المرأة وحب الاسرة والرغبة في العيشة المنزلية الى غير ذلك من الفضائل والصفات اللازمة للانسان في مضمار المدنية والعمران.

وقد علم القراء ان بعض السوريين وغيرهم في العاصمة أنشأوا نادياً خصوصياً للمشتركين به يختلفون اليه في اوقات الفراغ فيرون فيه الجرائد المحلية وغيرها والكتب العصرية المفيدة ويشاهدون الاصحاب فيتفاوضون ويتباحثون ويتفاكهون وهو ولا شك مشروع صالح طبقاً لدواعي المدنية والعمران.

بقي ان نشير الى أمر نخشى من تطرقه الى النادي الشرقي المشار اليه الا وهو ان يقتصر المشتركون في اجتماعاتهم على الالعاب التي تفضي أخيراً الى القمار ناقلين هذه العدوى اليه من المنازل ونحن في كثير من البيوت المعتبرة يحملنا على التوجس من تطرقها الى النادي المذكور.

ولنا الامل ان يكون هذا النادي الجديد مثالا لاندية كثيرة غيره تنشئها الطبقات الاخرى من أهالي هذا القطر اقتداء بأولئك الافاضل وعما قليل نرى الهيئة الاجتماعية في بلادنا مشخصة للحواس وظاهرة للعيان.

كلمات في سبيل الفقراء(*)

لاحد فضلاء الكتاب المجيدين

"تعب كلها الحياة كما قال المعري والفقر كل تعب الحياة وليس ما يذكر الاغنياء من أكدارهم ويحدثون عنه من مصائبهم وفواجعهم الا طوارق أحداث وفواجئ أرزاء تصحب الحياة وتمر على الغنى فينفعه فيها غناه وتنزل بالفقير فيضره معها فقره. يشتركان فى المرض فيجد الاول الطبيب والدواء والدفء والغذاء ويقصر وجد الثاني عن بعض ذلك. وتكون مصيبة فيجد أحدهما مواسياً من ماله. مسلياً من أمثاله. متوجعاً من العائشين في ظلاله ومن للآخر بشئ من ذلك. ويأتي الموت فيموت الغني موتا طيباً ويدفن دفناً طيباً وموت الفقير كحياته حرمان وهوان وبالجملة فحامل الفقر مقل تعب الحياة كله مضطلع بنكد الدنيا جميعه من المهد الي اللحد.

يصبح الفقير ويمسي بين زمن يحمل وحال تخذل. وامرأة تعذل. وصبية لا تعقل وقريب يظلم ولا يعدل. وصديق لا يحسن ولا يجمل. ومسؤول يمن ولا يبذل. والى بعض هذا ينتهى الشقاء فى هذه الارض التى هى أظلم الامهات.

لا نعنى بالفقر الربوض والكسل. من القادرين على النهوض والعمل. فهذا النوع من الفقر لا يرثى لحال صاحبه ولا ترق له القلوب ولا ترحمه الانفس لكن نريد بالفقر ما يدفع اليه الفقير كما يدفع إلى السقم السقيم. علة لا شفاء منها أو ضر مس الله به فلا كاشف له أو غير ذلك مما يبتلى الله أو عاهة لا برء معها أو رزق حسبه الله فلا يطلق له به عباده . ولا يعلم أحد حكمته فيهم ولا مراده. وهذا الصنف من الفقراء هم سواد خلقه ومعظم بريته والعديد الاكثر من عياله من رحمهم رحمة الله ومن أقرضه فيهم ضاعف له أجره.

(*) المؤيد ٢٠ ديسمبر ١٩٠٠ .

كان الفقر وكانت محاسن الدنيا قليلة لا تأخذها العين فيبكيها أن تصد عنها. ولا تشوق النفس فيحزنها أن تحرمها.

كان الفقر وكانت ضرورات الحياة معدودة وأسباب المعيشة محدودة وظلال التيسير ممدوة ومناهل القناعة موروودة والاقوات على كل حال موجودة.

كان الفقر وكان الايثار سيرة الاقوام والكرم سجية غير مبدعة في الكرام يحيا بحياة أحدهم خلق كثير ويموت بموت أحدهم خلق كثير. وجوه متهللة و أعطاف مهتزة وأكف منبسطة وأكناف مأمولة ورحاب مقصودة. ومذهب للفقير ورزق كثير. واليوم أنت يا فقر وزهاء الدنيا جميل وعبء العيش ثقيل والمساعدة قل المطلوب أو عظم قليل تملكت القلوب النفرة وتمكنت من النفوس الاثرة فمن اقتني فلنفسه وحدها ولمن خلفت بعدها. سيرة سارها الناس في هذا العصر عصر الاختصاص بالنفع والاستئثار بالفائدة والتناهي في الحرص يعمد الغنى لطبقة من دار فيسكنها لكيلا يهدي الفقير لساحاته ويقتصد في الاكل ونفقاته لكيلا يتبلغ الفقير من فضلاته ويختصر من اللباس لكيلا يلبس الفقير من عارياته ويقبض أنامله مخافة أن يبل دمع الفقير راحاته.

لا نكذب الله ولا نظلم الناس. الخير فيهم كثير والمروءة مازالت والكرم بحالته كلنا يذكر حادثة سوق الشفقة في باريز وما طاح فيها من المهج الغوالي. ومن مات في سبيل الفقراء من ذلك الفريق العالي. فكانوا طغري كتاب المحسنين. والمثال المحتذى في الخيرين.

أسواق الشفقة وأمثالها ضروب من احتيال الكرام في أوربا على عمل البر وتفننهم في المواساة تلقاء الفاقة الشاملة للاقوام الفاعلة فيهم فعل السيف والسيل والنار الي أن اعتماد القوم فيما يأتون من اعمال البر انما هو على الجمعيات الخيرية فهى أكبر حسنات هذا العصر وأول بنيان رفع الله في البر. كان الكرم جهلا فصيرته حلما وكانت الصدقات فوضي فردتها الي نظام وكانت الفاقة الحقيقية محجوبة عن أعين المحسنين بعيدة عن أيديهم فهدتهم مقرها ودخلت بهم على عفة الفقير خدرها.

انتشرت الجمعيات الخيرية في أوربا وأصبح لبعضها مظهر المصالح الكبار ادارة منتظمة

ومال جسيم وأعمال كثيرة وفروع منبثة في أقاصي البلاد وأقبل المثرون عليها اقبالا فاذا نجا أحدهم من خطر أو مسته سراء أو ضراء أو أعطي لوجه الله أو أوصى قبل موته كانت الجمعيات الخيرية رسوله الي الفقراء ويمينه التى تعطى من حيث لا تدرى شماله.

ولعل الجمعية الخيرية الاسلامية أول أساس ألقى فى الشرق لعمل من هذا القبيل وقد أراد الله بها النجاح من أول يوم فسخر لها رجالا من الطراز الاول في هذه الامة نشاطا وأدباً وعلماً ورأياوأخذاً بعظائم الامور وقياماً بجلائل الاعمال فمازالوا فى خدمتها عاملين مجدين يذللون الصعب وكم صعب ذللوا ويتقون المحذور وكم محذور اتقوا الي ان سلمت بالحياة واطمأنت بالوجود وهو حظ لم يلقه مشروع مصرى حتى الآن.

يزعم الاوربيون ان الشرق مسرح الشعور الرقيق ومسري الاحساس الرفيع ويصفون أبناءه بالكرم واذا ذكرنا كتابهم وشعراؤهم كانوا كمادلة حاتم فى الجود فاذا اضيف الى ذلك أن المصريين يدينون بدين من قواعده أداء الزكاة ومن أركانه تقديم الصدقات ثم روعي توحد الجمعية الخيرية الاسلامية وأسباب الثقة التى نستمدها من مكانة رئيسها الجليل واقدار أعضائها الافاضل لم يبق الا أن نتخيلها مملوءة الخزائن من المال ونتمثلها فى ذروة السعد وأوج الكمال فهل الامر كذلك.

الامر يبعث أسف الانفس ويرقق القلوب للجمعية الخيرية الاسلامية لكنه لا يدعو الى الريبة فى صدق دعوى الغربيين ولا يحمل على تثاقل المسلمين في أداء الزكاة فالكرم لا ريب فى طباع القوم والزكاة تؤدي كما هى وربما بولغ فيها وأجزل منها الا أن الكرم اذا قصد به غير سبله واستعمل في غير وجوهه كان كما وصف الشاعر ابن عباد عليه حيث قال

لا تمدحن ابن عباد وان هطلت ... كفاه بالجود حتي أخجل الديما
فانها خطرات من وساوسه ... يعطى ويمنع لابخلا ولا كرما

والزكاة اذا خرجت الى من هو فى غنى عنها أو أعطيها من هو أحق بأن يعطيها خرجت عن مراد الشرع منها وضاعت حكمة الله فى فرضها وخسر المال باذله وأخطأ الحمد والاجر معاً.

من وسـاوسنا في الكرم اننا ننفق في الاعـراس ونبـذل في المآتم ونقـدم في كـثـيـر من الأعياد والمواسم ما نسميه بالخيرات وليس منها في شئ ولعل الداء قديم فقد طالما أشار الجـبرتي الى وقـوع مـثل ذلك في زمنه . ومما ورد له في عـرض الكلام عن جنازة المغـفـور له طوسون باشا الكبير هذه العبارة بنصها .

"كل هذه المسافة ووالده (محـمد علي باشا) خلف نعشه ينظر اليه ويبكي ومع الجنازة أربعة من الحمير تحمل القروش وربعات الذهب ودراهم انصاف عددية ينثرون منها على الأرض وعلى الكيمان وعن يمين الكتخدا ويساره شخصـان يتناول منهما قراطيس الفضـة يفرق على من يتعرض له من الفقراء والصبيان فاذا تكاثروا عليه نثر ما بقي في يده نثر عليهم فيشتغلون عنه بالتقاطها من الارض فكان جمله ما فرق وبدر من الانصاف العددية فقط خمسة وعشرين كيسـاً عنها خمسمائة ألف فضه وذلك خلاف القروش أيضاً والربعيات الذهب وسـاقوا أمام الجنازة ستة رؤس من الجواميس الكبار أخذ منها خدمة التربة ومن حوالهم وخدمة ضريح الامام الشافعي ولم ينل الفقراء الا ما فضل عنهم.... وأخرجوا لاسقاط صلاة المتوفى خمسة وأربعين كيساً تناولها فقراء الازهر وفرقت بجامع الفاكهاني بحسب الاغراض للغنى منهم أضعاف قسم الفقير وأكثر الفقراء من الفقهاء لم ينالوا الا القليل الخ" أ هـ

فلورد الجبرتي الى الحياة لتشابه عليه الامس واليوم ولشهد كذلك من جشع بعض العلماء أخـيراً فوق مـا عـهـد أولا فانك لا تزال ترى الجامعين المال منهم الكانزين الحطام يستـبـقـون قصور الامراء والكبراء كلما أظل موسم الزكاة فيأخذونها من دون المحروم ويؤثرون بها نساءهم وصغارهم على الارملة واليتيم.

ان الله يفرض الزكاة ويامر بالصدقات لكن لا يري لمن يصنع ذلك على وجـهه تعالي أن يفعل الخير مع غير أهله ويحل البر في غير محله ويأتي بالحسنه غير مـأجورة ولا مستحسنة فمن أحس من نفسه سوء الاختيار وجهل مساكن الفاقة من ثياب العباد واشتبه عليه الفقير المتجمل والغني المتهتك والسائل المظلوم والآخر الظالم تحتم عليه سؤال أهل الذكر واستـهداء الاولاء والا كان ذلك عين "استبداد في طاعة الله" وكـان مـثل المحسن منا كـالطفل وقف أمـام

الحيوانات الحبيسة يناول هذا كسرة ويلقم ذاك كسرة وهو يخلط الجوعان والشبعان لعبا منه ولهو الابرار بها ولا رحمة.

الجمعية الخيرية الاسلامية تواسي الفقير وتربي الصغير فهي في عملها الأول نعم الوسيط بين المحروم السائل والمرزوق المعطي تحول دون حياة الكريم اذا بذل وخجل الحر اذا سأل ولعل المسيح عليه السلام كان يشير الي الجمعيات الخيرية بالكلمة المنسوبة اليه "لا تعلم يمينك ما أعطت شمالك" ثم هي في وظيفتها الثانية اى تربية أبناء الفقراء وتعلميهم في مدارسها الزاهرة ترمي الي أشرف المقاصد وتذهب أجمل مذاهب البر والاحسان لانها تقلد الفقراء منذ طفولتهم السلاح الذى يصيبون به الفقر فى مقاتله وهو العلم. سئل المغفور له محمد على باشا ماذا تحب أن تترك لأولادنا ألمال أم العلم أم العلم والمال معاً فقال بل الثانى أو الثالث لأن المال يحرس فاذا ذهب هذا قام العلم مكانه وبهذه وأمثالها من الحكم السامية سار المغفور له محمد على باشا ورفع مصر المنزلة التى رفعها اليها من الوحدة التي كانت فيها.

علي انه ما من مصري فى رأسه عقل وفي قلبه رقة وفي نفسه فضيلة وله احساس وكان من المسلمين الا يرشده عقله الي وجوب مساعدة الجمعية الخيرية الاسلامسة ويدعوه قلبه الي مواساتها وتميل نفسه الى برها ويدفعه احساسه الى تعضيدها ويهزه اسلامه الي نصرتها بيده فان لم يملك فبلسانه فان لم يملك فبقلبه. ذلك لا لأنها "خيرية" ونحن فى موضع الدعوة الى فعل الخير والحض على عمل البر ولا لانها "اسلامية" ومن الدين تعاون المسلمين ولا لانها "وطنية" وأبناء الوطن الواحد كالاخوة الاشقاء بعضهم لبعض مجير من البأساء شريك في السراء والضراء ولا لأنها "اقتصادية" والاقتصاد حياة الأمم وسعادة الافراد ولكن لانها أول بنيان أخرج للناس فى مصر من عمل المصريين وأول أمرتم على أيديهم ونجحوا فيه فهي من هذه الوجهة عنوان شعورهم ومرآة عواطفهم ومخبر همهم وعزائمهم ولا نحسبهم الايضنون بأخلاقهم ان يتهموا فيها . اهـ

تربية البوليس(*)

ان مصلحة البوليس في القطر صارت مثلا في كثرة ما تقلب عليها من آيات التغيير والتبديل والتحسين والتصليح حتى انهم ليعدون لك سبعة عشر نظاماً جرت عليه هذه المصلحة من بعد سنة ١٨٨٢ وهي مع كل هذا التقلب لم تنته من دور الاصلاح والتعديل حتى يومنا هذا . ولا رغبة لنا في تقديم الاراء عن مصلحة البوليس جملة بعد أن كثرت عليها الاراء وتعبت من التعويل على النظامات المتوالية ولكننا نرى في رسائل المكاتبين ندرجها من حين الى حين أن بين رجال البوليس فئة يشتكي منها الحكام والمعاونون هي فئة الصولات وان الاهالي على الجملة يشكون مر الشكوى من فعال رجال البوليس واعتسافهم وقد سطرنا شيئاً من هذا القبيل في الاعداد السابقة وأما شكوى الحكام والرؤساء من الصولات فقريبة من العقل لان رجال هذه الفئة تقرب من رتبة الضابط وصولة تحكي صولة الحاكم فهم يعسر عليهم ان يردوا النفس عن التمادي واتباع الهوى في الاعمال لان تربيتهم لم تؤهلهم للمناصب الكبيرة والسيادة على افراد الناس وكل من يعطى سلطة لم يعتد استعمالها يسئ التصرف ويوجب بفعاله الشكوى ذلك حال الناس في كل زمان ومكان.

واننا نرى ان الاستغناء عن وظائف الصولات يمكن للحكومة ولا يضير بسير الاحكام ولا يوذي الامن العام وأما اذا لم يمكن الاستغناء عمن ذكرنا فان الخلاص من الفعال المنكرة التي ينسبها الحكام الى بعضهم يمكن بتربية رجال البوليس كلهم وتهذيب الذين يرقون لمثل هذه المراكز بنوع اخص ومهما قيل عن سعي نظارة الداخلية وأصابة رأيها في التعديلات الاخيرة فان سعيها في تربية رجال البوليس لم يبلغ شيئاً من المبلغ المطلوب وما زال هؤلاء الرجال الذين تعول عليهم الحكومة في حفظ الارواح والاموال وفي تنفيذ الاحكام شراً على النظام وهيبة الدستور وهم على حال من الجهل والغلظة لا يجوز معها الاغفال.

انك اذا زرت المدائن الاوروبية ترى رجال البوليس نعمة فيها ومدعاة الى الطمائنينة وراحة القلوب اذا خشيت شراً من الناس او خفت ضياعاً ثم بصرت برجل من الشرطة راحت المخاوف كلها وانقلب الحساب الى ارتياح وسرور فان البوليس في تلك المدائن لا يميل مع أهل

(*) مصر في ٢٨ مارس ١٩٠٠ .

المدينة عليك اذا وقع لك معهم جدال او اذا امر بعضهم على ايصال الاذى اليك وأما هنا فاذا حدث بين بعض الرعاع من سكان المدن المصرية وساهم اقل خلاف ووصل الامر الى أفراد البوليس كان تحيز البوليس للرعاع على الذي يظنونه من غير نوعهم غريباً ظاهراً ولطالما وردت علينا حكايات الظلم والاستبداد عن هؤلاء الرجال وطرق معاملتهم للناس لاسيما اذا كانوا من غير الذين ينتمون اليهم. ولطالما عذب رجال البوليس اناساً من الذين يلقون القبض عليهم سواء كانوا من بني جلدتهم أو من السوى بقصد ان يكرهوهم عل دفع شئ من الرشوة وبعضهم يفعل ذلك على مرأى من الناس ومسمع ويتمادى في غية وطغيانه لان المراقبة عليه قلت من يوم ان ألغيت مصلحة البوليس وبطلت مراقبة المفتشين في الاقاليم على الرجال والذين يذكرون حادثة بار العاصمة وما قلناه فيها يؤيدون قولنا من هذا القبيل ، فنحن نطلب ان يتربى رجال البوليس عندنا تربية تردهم عن مثل هذا الصنيع الجائر المغائر لكل نظام وعدالة حتى يصير الشرطة عندنا دعاة الامن بالاسم والفعل كما هم في اكثر مدائن المتمدنين.

ورجل البوليس عندنا اذا لقيه غريب تائه في جهة من جهات العاصمة أو غيرها وسأله عن الطريق الى الموضع الفلاني اجاب بالاستهزاء والتهكم أو بابداء الجهل المطلق وعد ارشاد المارة من غرائب العقول الغريبة وأما في مدن المتمدنين فان ارشاد المارة الى حيث يريدون الوصول من أهم واجبات البوليس وأشهرها ولهم في هذا الارشاد لطف تضرب به الامثال وعناية بالسائل تستحق الذكر مع الشكر الجميل حتى انهم ليقولون لك في لندن احياناً ان سر في هذا الطريق الف يرد ثم تحول الى يمينك وسر مايتي يرد ثم اعطف على الشمال وسر ثلثمائة يرد ترى نمرة الموضع المقصود امامك.

ورجال البوليس في مدن المتمدنين يحاولون منع الجرائم قبل وقوعها ويفرقون العازمين على الخصام قبل حدوث الشر ويظهرون علماً ومعرفة بالقوانين يستفيد منها عامة الناس وينبهون أصحاب البيوت الى ما يلزم عليهم عملا باللوائح والنظامات ويقدمون علي عمل اللازم لحفظ الامن من انفسم ولا ينتظرون المتخاصمين ريثما يتلاكمون ويتلاحمون قبل الاقدام على فصل الخلاف كل هذا عرف عن رجال البوليس هناك واما هنا ففي كل هذه الوجوه اعكس تصب وفي كل موضع يشكو الناس حال البوليس ورجاله ونحن نردد شكوى الجمهور ونتمنى ان تسرع نظارة الداخلية الى تربية رجال البوليس – لاسيما الذين تنتقيهم للمدن الكبرى – على العلم بمثل ما قدمنا من الامور أو يبقى الامن معتلا ولا يصح اصلاح في نظام البوليس .

نهضة شريفة

من عربان مصر (*)

الاعراب المستوطنون مصر هم لا شك سلالة القبائل العربية التى نزحت من جزيرة العرب فى القرون الماضية واستوطنت الشام ومصر وتونس والجزائر والصحراء وواحاتها وبعض البلاد السودانية وهم لذلك يحفظون مزايا كثيرة من تلك المزايا السامية والاخلاق الشريفة التي عرفت بها الامة العربية الغريقة فى شمائل الصدق والنجدة والكرم والفروسية وإباء الضيم وهي الصفات الراسخة في قبائل تلك الامة البدوية وتعلق بها فضائل شتى كانت من مميزات العرب

ولئن فقد أعراب اليوم بعض هذه الصفات وشيئا من تلك الفضائل فلا تزال فيهم بطون وأفخاذ حافظة لتلك السجايا والاخلاق غرائز لها . ولهذا نهض رؤساء قبائل العرب وحماتها فى مصر . ينقون عن أقوامهم العار الذى التصق بهم أخيرا من عرض بعض أشخاص أنفسهم في أوربا على ما يكره العربي من المظاهر الشائنة وينادون أنفسهم الي منافسة الغير فى تحصيل العلوم والمعارف التى تطهر الاقوام من رذيلة الجهالة التى هى أم الرذائل.

ونحن ننشر اليوم مفتخرين ما وافانا من كبراء العربان المصريين فى هذا الموضوع مؤملين أن تتوج نهضتهم هذه بتاج النجاح لمشروعهم الجديد والجريدة مستعدة لأن ننشر كل مايردها من حضراتهم فى هذا الشان وان تزين صفحاتها باسماء المكتتبين فيما دعا اليه أحد الكاتبين . وهذا ما ورد علينا اليوم من رسائلهم المفيدة .

اظهار حقيقة

عن الاعراب الذين يوخذون الى أوروبا

بلغنا غير مرة أن بعض الاوربيين يأخذون شراذم من العربان بازيائهم ونسائهم وأطفالهم الي المعارض الاوربية ليظهروهم على رؤس الاشهاد بأعمالهم وعوائدهم المعيشية والمنزلية وهناك

(*) المؤيد ٣ اكتوبر ١٩٠٠ .

يمثلون أنفسهم هذا يسلب مال غيره وذاك يخطف ما في يد الآخر والثالث يقطع الطريق والمرأة ترضع ولدها والعائلة كيف تعيش بالفوضى وسوء الاخلاق وفساد الآداب والاوربيون يظنون أنهم يطلعون على أحوال الاعراب الحقيقية فيتمثل لهم بذلك العربي في ثوب المتوحش الجاهل المتكالب على الانفس والاموال والاعراض الخ.

وقد ساءت سمعة العرب في أوروبا أضعاف ما كانت سيئة من قبل لكثرة ما عرض عليهم من فساد أخلاقهم وسوء أحوالهم المعيشية وعوائدهم القومية والحال أن العرب فى كل قطر ولاسيما القطر المصرى يحرزون خصالا انسانية من أشرف الخصال وأسمي الاخلاق اشتهروا بالسخاء واكرام الضيف وحماية العرض وحفظ العهد والذمام ونصرة الجار الى حد لا يتصوره الاوروبى في قوم من الاقوام لو كانوا يمثلون بهذه الاخلاق بين أنظارهم لكانت سمعتهم عندهم من أحسن السير والسمعات.

ولكن قدر الله أن يكون في مصر خليط من المتشردين فسدة الاخلاق الهمل ليسوا من العرب في شئ ولا العرب منهم بل هم ليسوا مصريين لانهم همل متشردون فقدوا كل صفة انسانية وكل أخلاق شريفة وهم من شراذم (الغجر) الذين يطوفون في البلاد للكدية والسرقة وخطف ما تناله أيديهم. وهؤلاء صاروا الآن مستعدين لتأجير أنفسهم للاوربيين الذين اعتادوا المتاجرة بأسافل أوباش الشرقيين ليعرضوهم فى معارض أوروبا بكل زي من الازياء وكما يعرضونهم فقهاء ينمنمون ويتمتمون بكلمات يحسبها الاوروبيون هناك قرآنا يعرضونهم أعرابا فى زى الاعراب بملابسهم وهم قادرون على تعويج ألسنتهم ليقلدوا العرب فى لهجتهم الكلامية ويفعلون كل شئ هناك من أنواع الدنايا والسفالات باسم العربان والعربان بريئون منهم.

لهذا أجاهر بالاصالة عن نفسي والنيابة عن جميع مشايخ قبائل العربان في القطر المصري بل عن كل عربي فى هذه الديار بأن كل الذين يستأجرهم الاوربيون للسفر إلي أوربا يمثلون عوائد العربان ليسوا من العربان ولا العربان منهم فى شئ وانماهم شراذم من همل المتشردين واخلاط الاقوام النازلة فى مصر لا يعرفون من الغرباء غير الاسماء ولكنها المهارة

التي اشتهر الاوربيون بها يجعل غير العربي عربيا وتظهر كل احد في الزى الذى يريدونه وتستطيع أن تغش كل أحد في الوجود حتي الاوروبي نفسه .

الملوم السعدي

عمدة قبائل الفوائد

أيـهـا الـعـربـــان

لحضرة صاحب الامضاء

كنتم خير أمة أخرجت للناس لو حافظتم عى صفاتكم الحميدة التي امتزتم بها عن كل الشعوب من صدق الوفاء وعلو الهمة وكرم الاخلاق والبعد عن الدنايا. تلك صفات كانت لأصولكم الا كرمين سادوا بها فى كل العوالم فخلف من بعدهم خلف أضاعوها. ان حالة أفرادكم اليوم أيها الوجوه لتضطركم للاهتمام بتقويم المعوج واصلاح الفاسد منها والا كان ذلك تقصيراً منكم فى واجباتكم ... طرأت عليكم أخلاق فاسدة حدثت فى عامتكم لم تعلموها بل شاهدتم (وسمعتم) ماهم عليه أفراد شعبكم من الجهل وفساد الأخلاق الذى أدى بعضه بهم بأن يكونوا (معرضين أمام الأمم بأقبح الحالات) .

فيا للخجل. نعم انه يوجد فى كل الشعوب من فسدت أخلاقه وقلت آدابه ولكن للعربان أحوال ومزايا مخصوصة تجعلهم بيعدين عما يشين شرفهم وانما الغرض الذي أرمي اليه اليوم هو تلافى هذا الأمر ومداركته لاني أري ان قيامكم أيها الأعيان والوجوه بعمل الصالح نحو أفراد شعبكم الجاهلين لمن أقدس فرض واجب عليكم .. انظروا حولكم تجدوا الجمعيات المؤلفة من كل فئة للاتحاد والتعاون على ما فيه الخير والاصلاح لهم ... هلموا لنتحد فى التعاون على لم شعثنا . هلموا لنتحد علي عمل يحفظ مستقبل هذا الشعب المسكين المتشتت . هلموا لنتحد ولتكن لنا رابطة يرجع اليها فى مصالحنا العمومية . لعمرى اننا لفى أخريات العالم فى درجات المدنية واننا لمن أحوج الناس للاصلاح ... ابتدؤا فى الاتحاد بالقيام لعمل اكتتاب لفتح مدرسة جامعة لابناء العربان لتكون مأثره وصدقه جارية منكم اليهم مدى الدهر (ان الرجال بأعمالهم

المأثورة لا بأموالهم المحصورة) هذه المدرسة تنشأ بمصر القاهرة يدخل فيها كل أولاد العربان الذين يحضكم اياهم على الدخول فيها وبث النصح لهم لا شك فى أن يدخلها عدد عظيم جداً منهم خصوصاً اذا كانت الفقراء منهم مجاناً

انى أتعهد لحضراتكم عندما نجمتع أول اجتماع لهذا الخصوص بان أتبرع بعشرين فدانا من أطيانى بمديريه الفيوم لتكون وقفاً على المدرسة المذكورة وانى أعتقد أن الغيرة والحمية العربية ستتحرك في رؤسكم حتي يظهر هذا الامر من الفكر الى حيز العمل واني أرجو الله جل وعز أن يلهم قلوبكم الاجابة وأن ينظر كل منكم لوجه الله في هذا الامر العمومي وان يشغل فكركم به آناء الليل وأطراف النهار حتي يتم.

انى أقصد بهذا الخطاب كل عائلة من أصل بدوي ولو سلكت مسلك الاهالى مثل العائلات الشهيرة فى الوجهين البحرى والقبلي وهم غير مجهولين.

وحيث ان الاوفق لتقرير هذا العمل هو الاجتماع فى مصر بما أنها المتوسطة بين عربان الوجهين البحري والقبلى فمن وفقه الله لاجابة هذا النداء أرجوه أن يخابرني باسمي بالفيوم لتعيين اليوم المناسب لذلك لقبول الاكتتاب من كل مكتتب وقد رأيت نشر هذا الفكر بواسطة الصحف ليكون عاما والله الموفق لما فيه الصلاح والنجاح .

حمد محمود باسل

عمدة قبيلة الرماح

بالفيوم

نهضة العرب(*)

اذا شئت ان تعلم ما لملوك الزمان وأمرائه من التأثير في الاقوام وحالة الممالك فاذكر حادثة العرب الاخيرة مع سمو الخديوي المعظم تر ان كلمة واحدة من سموه اثرت في العرب أكثر من تأثير الاقوال والكتابات التي مرت عليها القرون فانه مضى كل هذا الزمان الطويل والناس يحضون العرب ويحثون وينصحون ويشيرون ويلومون ويخطئون ويرتأون ويدبرون فما زال العرب عرباً ولم يتغير شئ من حالهم ولا سمعنا ان واحداً منهم حركه النداء لاصلاح شأنهم وأما لما فاه سمو الخديوي المعظم بكلمة واحدة امام رؤساء العرب في هذا الشأن حينما تشرفوا بمقابلة سموه المرة الاخيرة انقادوا الي سموه وحركتهم النخوة العربية واستفزتهم الحمية الشرقية المأثورة الى طلب الاصلاح لقبائلهم والترقية لافرادهم فقاموا ينادون على صفحات الجرائد بطلب العدول عن الخمول القديم واصلاح الخلل والسير في مضمار النماء والارتقاء وظهرت كتابات سراتهم في هذه الجريدة وغيرها ظهوراً وجاء اهتمامهم هذا على غير انتظار فاذهل العقول وولد الاراء الجديدة في حياة الامم ومماتها وفي خصال القبائل وحالتها ويلوح لنا ان الذي شهدناه وقرأناه بالامس من كتابات العرب وارائهم عما يجب عمله لاصلاح شأنهم يعد من حوادث التاريخ المذكورة مما لم يحدث مثله قبل عامنا هذا المبارك. ولا شك ان دعوة العرب بعضهم لبعض لي نزع الرداء القديم ومجاراة المتمدنين في طلبهم بلسان الصحف السيارة عقد مؤتمر ينظر في اصلاح شؤونهم وترقية أفرادهم وادخال وسائط العلم بينهم مما يقابل منهم بالشكر الكثير والثناء الكبير ولا عجب اذا عدت هذه الحادثة من الامور المميزة لعامنا الحالي والحكايات التى تستحق أن يخلد لها الذكر في كتب التاريخ.

ولا حاجة الى القول اننا نفخر بسمو الامير الذي ينبه قومه الى السيئات ويحثهم على ابدال المعتل من الحالات واننا نعجب بنخوة السراة الفضلاء الذين هاج في عروقهم دم العرب الكرام عند ما سمعوا نصح الامير واشتهر منهم الوجيهان عز تلو الموم بك السعدي عمدة قبيلة

(*) مصر ٥ اكتوبر ١٩٠٠ .

الحرابي وعزتلو حمد بك باسل عمدة قبيلة الرماح بما كتبا في الصحف من درر الاقوال وما أشارا به من نفيس الاعمال ونحن نتمنى من صميم الفؤاد ان يمثل افراد العرب كلهم ويسيروا على رأي هذين الاميرين الكريمين وينهضوا الابدال الحالة المنحطة التى رضوا بها كل هذه الاجيال والاحوال. ويعجبنا من قول هذين العميدين العاقلين ذكرهما لمحامد العرب وخصالهم الشماء ومكارمهم الغراء فان الذي ينكر على العرب بعض فضائلهم لا يزيد في اعتبار المنصفين عن الذي ينكر ضوء الشمس فما في الارض أمة اشهر من أمة العرب في حب الضيافة والكرم والبعد عن الدنايا وشرف الشمائل والفخر بالفضل الصحيح. ورأي حضرة الوجيه القائل بانشاء مدرسة جامعة لاولاد العرب في مصر من اجمل الاراء فان العرب مازالوا الى الان اعداء للمدارس وعلومها وهي علة الارتقاء وباب التقدم وموضع تنوير العقول وتوزيع المعارف اللازمة للبقاء فاذا قدر الله لهم ان ينهضوا واسعدهم الزمان على عهد أميرنا المقدام.

هذا كله مقبول وممدوح وليس بين الناس من يخالفنا في أمره ولكن هناك حقيقية أخرى لا تقل في الاعتبار عما ذكرناه ولا ينكرها الا المكابر هي ان العرب خصوا في هذا القطر ببعض الرذائل والمنكرات كما خصهم الله ببعض الفضائل وجميل الصفات وأول ما يذكره العقل من هذه المذمات سرقات العرب وهي شائعة لا تخلو منها بلدة في القطر حتى لقد صدق بعضهم في قوله انه لولا وجود العرب في القطر المصري لما كان لسرقة المواشي والغلال أثر وقد يكون كل سرقة المواشي والحاصلات ما بين البحر المتوسط والشلال الاول من العرب بلا استثناء وهذا من اكبر موجبات الاسف واول ما يجب على سراة العربان وكبرائهم اصلاحه فان رد العرب عن السرقة أهم ماية مرة من دعوتهم الى الاكتتاب لبناء مدرسة واحترام حقوق السوى انفع لهم من نبذ الذين يتمثلون بقبيح الصفات في ملاهي الاجانب والعيش بالكدح والعمل بدل السلب والنهب والرجوع عن السرقة عملاً باوامر الله وسنة العمران لاعظم بالف مرة من تعليم الاولاد مبادئ القراءة . فاذا كان وجهاء العرب يريدون لقبائلهم خيراً فعليهم بازالة هذا الشر أولاً ويفعل بقية ما يخطر لهم ثانياً ولا تقل ان الامة التي جرت على قطع الطرق وتخطف الماشية واستراق الرزق من خمسة ألاف عام عليها الآن ان تولد ولاده ثانية فان السرقة والسلب ليسا من الشروط اللازمة للبقاء وتربية الافراد تغير عوائد الامة في كثير من الاحوال .

الشعور يعز النفوس ويذلها (*)

أثبت العلماء في كثير من الفنون تأثير الاعتقاد على النفس وخضوع الحواس الي آراء المخ ومؤثراته فقالوا كم من قوي ظن نفسه ضعيفا فهزل وكم من ضعيف توهم قلبه قويا فاشتد ساعده وقويت عزيمته ولا أطيل الكلام في اثبات هذا باكثر من الاشارة الي ما كان يعتقده المصريون القدماء أو بعبارة أخري ما كان يفعله الاطباء منهم من حمل المريض علي الاعتقاد بذهاب شيطان المرض من جسمه فيجر ذلك الي الشفاء. والزار وتأثيره على النساء الا أثر من اثار هذا الاعتقاد الذي هو شعور يقوي حتى يكون ملكة راسخة بالعقل ويرفع الوضيع ويضع الرفيع ويريح صاحبه ويتعبه أو كما يقول شكسبير "يجعل النعيم جحيما والجحيم نعيما".

كذلك الشعور بالمعزة والرفعة والقوة يبعث في النفوس الاعتقاد بوجود هذه الصفات فيثبت الاقدام في مواطن الشدة ويوطد القلوب على دعائم ثابتة لا يتحول عنها ولا ينفصل منها العكس مطرد.

كذلك الشعور يحرض على مشاركة أبناء الوطن والدين في المصائب والملمات فيأخذ المرء تؤويه ويؤلف بين القلوب ويدعو الي الاتحاد الذي هو مرمى الانظار وواسطة الامم الى ارتقاء سنام المجد والفخار.

كذلك الشعور يرفع للمرء نفساً ويشمخ له أنفا ويعز له شخصاً ويفيده ديناً ودنيا فمع الشعور بعزة النفس لا يتواضع المرء لمن يذله ولا يرضي الهوان وفيه رمق من الحياة ولا يخشى في الحق لومة لائم ولا يقبل على نفسه مالا يوده ويرضاه فيعز بذلك جانبه وتقوى شوكته ويخافه سواه.

شعر المصري من نفسه بالضعف فوقف بها على باب الموت وظن الغربي من طينة غير

(*) المؤيد ١٢ مايو ١٩٠٠ .

طينته وطبيعة غير طبيعته وان لن يجاريه في ميادين الاعمال والارتقاء فهزلت قواه بايهاماته من هذا الشعور تمكينا .

تمر الحوادث المثقلات ويصيب اخواننا في الدين أو الوطن من المصائب ما تتفتت له الاكباد فلا يتحرك لنا خاطر ولا ينبض لنا عرق ولا نشعر بآلام اخواننا بل اننا نذهل ونتناسى حوادثنا ولا نتذكر أيام عزنا ومجدنا ولا نعلن آثار أحزاننا فماتت النخوة القومية وضعفت العصبية الملية التي هي أثر من آثار ذلك الشعور الشريف.

لا نتكلف ايجاد براهين على هذه القضايا السابقة بأكثر من النظر الى أمة البوير وعالى همم أفرادها وشعورهم بالمقدرة ومثلهم الانكليز وكافة الامم الحية العاملة ولكني أذكر لك برهانا يريك كيف تشتد العزائم عند المرء وكيف تقوي نفسه في مواطن الشدة من الشعور بعزة أمته وشرف نفسه وواجب وظيفته.

يعرف الناس كافة أن البوير حاصروا مدينة لاديسمث شهورا طوالا وجلبوا عليها بخيلهم ورجلهم وصوبوا نحوها بنادقهم ومدافعهم وضاق الحال على من فيها حتي كادت تنحل منهم العزائم وتفارقهم الهمم من آلام الجوع والتضييق عليهم وصاروا ينتظرون من قائدهم أن يأمر بتسليم البلدة ليستريحوا من البلاء والعناء. كل ذلك وقائدهم السير جورج هويت لا تنهد له قوة ولا تذل له نفس لان شعوره كان حيا شريفا يذكره كل وقت بأن في تسليمه العار الخالد.

وقد سافر بعد خلاصه الي بلاده معززا مكرما ودعي لتناول العشاء مع قرينته عند جلالة ملكتهم ثم دعي في الاسبوع الماضي لحفلة أعدها له بعضهم فوقف فيهم خطيبا وقال من ضمن كلامه:

"ماكان ليخطر على بالي بعد أن قضيت من العمر ما قضيت وبعد مامر وانقضى من الحروب أنني أكون يوماً من الأيام ممثلاً في دور هذه الرواية المحزنة وأكون أنا الشخص الذي ربما جر على بلاده العيب والشنار ووسم تاريخ أمته بميسم الذل والعار وأجلب لمليكتي المسنة الآلام والاكدار وأنا من سلالة القواد الذين دوخوا البلاد وجابوا الاقطار والامصار. عند ذلك

وطدت العزم وقويت الفؤاد وعولت على المدافعة إلى آخر نقطة من الحياة"..

فبمثل هذا الشعور ترتفع الامم وبمثل هذا الشعور فى نفوس افراد الانكليز أصبحت لهم هذه الصولة والقوة المعروفة التى يشهد بها العدو قبل الصديق وما قام لامة شان ولا عظم لها سلطان الا بمثل هذا الشعور فى نفوس أفرادها.

يصاب اخواننا بما يؤلم ويحرك عوامل الشفقة في الاجانب فلا نكاد نتأثر أو نشعر والاوربيون يجتمعون فى ساعة الشدة ويمدون أيدي المساعدة لابناء جلدتهم في جميع مصائبهم ونوازلهم. واذا عرفت كيف اهتز الرأي العام فى انكلترا لحادث حريق أو تاوا في كندا وكيف عول الانكليز علي جمع اكتتاب لاخوانهم فى أمريكا مع ما يجمعونه من الاكتتاب للجرحى والايامى واليتامي ومنكوبي الطاعون فى الهند. واذا عرفت كيف لا يرضى الفرنساوي أو الانكليزي أو الطلياني أو الالماني بالضيم لنفسه وظهوره بمظهر الضعيف لانه فرنساوى أو انكليزي الخ وان فى نكوصه عاراً علي امته. اذا عرفت ذلك عرفت كيف يرفع الشعور الشريف النفوس ويعزها بل كيف يرفع الامم التي يحفظ افرادها ذكري المجد فى أشد أوقات الخطر .

(حافظ عوض)

المصري يعمل الشئ وهو يخاف تبعته والانكليزي يعمله وهو لا يخشى تبعة (*)

هذا كلام رجل اشتهر بحرية الفكر واعلان الرأي أكثر من كل انكليزى فى هذه البلاد وهو المستر ويلكوكس لا ينكر علينا جناب المستر ويلكوكس ان هذه المزية لم تكن من الهبات الفطرية في العنصر السكسوني على الاكثر وانما منشؤها فى الغالب عمله الاستعماري بين الاقوام الضعيفة التى ترضخ لاشارته قيما ووصيا أو لامره سيداً أو حاكما . وهذه مزية كل من أمكنتهم الغلبة من غيرهم أضعف منهم حتي البرابرة لو أتيح لهم أن يعملوا مسيطرين على غيرهم لتلاشي من نفوسهم خوف التبعة أو ضعف بالمرة

ومع هذا وذاك نقول ان الفضيلة الكاملة فى العامل أن يخاف التبعة وهو قوي كما يخاف ضعيفاً ولكن الي حد أن يكون الخوف معه كالمرشد للعدل الحائل بين النفس وطغيانها . فهل العنصر السكسوني حائز لهذه الفضيلة عامل بها حتى مع المصري الذى يخاف التبعة كثيراً

وفى الختام نشكر المستر ويلكوكس على انصافه المصرى فى بعض المزايا التى خصه الله بها على سواه من الشرقيين وخصوصاً ليكون أصلح من كل شرقي فى بلده لادارة شوونها حيث قال فيما نقله عنه صاحب الاهرام ما نصه بالحرف الواحد .

"انى أعتقد أن المصري أقدر من السورى في المسائل الرياضية والسورى أقدر من المصري فى معرفة اللغات الأجنبية وأري أن نفضل المصري فى مصر والسورى فى سوريا" ورأيه هذا لو اطرد فى كل الأمم لعاش كل قوم فى أوطانهم سعداء ولكفى الله المؤمنين شر القتال .

(*) المؤيد ٢٣ اكتوبر ١٩٠٠.

وداع وآراء(*)

شاب الصغير وأفنى الكبيـ
ـر كرُّ الغداة مرُّ العشي

فى هذا اليوم تطوي صحيفة القرن التاسع عشر ويفارقنا مذكوراً فى التاريخ بأبلغ ما يكتب الكتاب وأغرب ما يذكر من العجائب والآثار ثم يندمج في سلك القرون الماضية ويتبع خطواتها وينضم الي صفها الذى يمتد من هذا اليوم الى مالا نهاية له من قديم الزمان. في هذا اليوم يجب أن نقف وقفة الوداع ونذكر ماضي الايام وسالف الاخبار التي تبقى الي الابد مقرونة بالقرن الذي نودعه اليوم وهو القرن الذى يستحق البحث والتنقيب والذكر والاجلال اكثر من كل قرن سواه فهو عصر الاكتشافات والاختراعات الحرية والمدنية عصر الآداب والعلوم عصر التقدم والسودد عصر الرفاهة والتأنق عصر المعارض والمنافسة عصر السياسة والمشاكل والمناضلة فحق لنا أن نقول شيئاً عن أحواله ونذكر شيئاً عما تركه لنا وشيئاً عما أخذه منا وشيئاً عما علمناه اياه لنكون على بصيرة من مركزنا اليوم ومقارنته بمثله في اليوم الاول من هذا القرن العجيب.

وليس فى امكان واحد من الناس أن يكتب عن عجائب هذا القرن في مقالة أو مقالات بل ان ذلك يحتاج الي المجلدات الضخمة والأفكار المختلفة اذ لو جمعت الكتب التي ألفت عن حوادث هذا القرن التاريخية وأخباره العلمية وتقدماته الاختراعية ومباحثه الفلسفية لملأت مدينة كبيرة بأسرها. ولكن ذلك لا يمنع الكاتب من النظر الى هذا القرن نظرة اجمالية بأن يلقي أشعة أنظاره

المؤيد ٣١ ديسمبر ١٩٠٠.

القرن التاسع عشر.

على وجهة من وجهاته ويجمع لنا شعب أمورها في كلمات تكفي المراد فالعالم الفيلسوف الباحث في ترقى الافكار في بنى الانسان يوجه أبحاثه عن نتائج هذا القرن الي مجال بحثه وموضع علمه. والطبيب النطاسي يوجه ابحاثه الي ارتقاء فن الطب وتقدم نظرياته وتجاريه وآلاته وما أدخل فيه من المباحث وأسباب التقدم في هذا القرن الذى يحفل بوداعه والصانع الماهر يجد هذا القرن أبا الصناعة ومعلي قدمها ورافع شأنها فيبحث فيه من هذه الوجهة التي تخصه. والسياسي الباحث في تقدم الأمم وسياساتها وسقوط الممالك ورفعتها وأوضاع الجيوش الدائمة وترقيتها وتحول حكم الملوك الي الرعية وما يتعلق بالحرية في الاعمال والاموال. يوجه نظره الي هذه الميدان ويبحث في هذا القرن من باب معارفه ومباحثه. والمربى المحب لمعرفة تغير الافكار واستعداد العقول ومثله الباحث في الهيآت الاجتماعية وما فيها من أراء النيهلست والسوساليت والفوضية والاشتراكية ينظر كل واحد منهما لهذا القرن من سبيل علمه وبحثه. وهكذا يجد كل كاتب أو باحث في القرن التاسع عشر ما يكفيه وما يملأ به بطون الكتب والدفاتر فليكن لكل كاتب من هذا القرن وجهة يرمي اليها ومطية يجد في السير عليها والغاية واحدة وهي أن هذا القرن هو قرن البخار والكهربائية والاختراع والاكتشاف والاقتصاد المالي وازدياد الحاجات الانسانية وما يتبع ذلك من المنافسة والمناضلة والمزاحمة والمقاومة.

واننا الآن في موقف يتيح لنا أن نحكم علي حوادث القرن الماضي لقرب عهدها منا واندمجنا في سلك جزء عظيم منها وان كان حكمنا الآن معرضا للنقض والابرام غير مأمون من زلة الاسراع وغموض جانب من الاشياء. فالذي ينظر للقرن التاسع عشر بعد عشر قرون أخرى ينظر له بعين غير التي نرمقه نحن بها لا لانه يكون أوسع منا مدارك وأكثر منا علما أو فهما ولكن لانه يكون قد أطلع على مالم نطلع عليه ووصل الي ما لم نصل اليه فكم من حقائق لا تظهر في عالم الوجود الا بعد أن ينقرض أهلها وتجد الاسرار المدفونة في زوايا الصدور منفذاً للحياة وبابا للظهور وكم من أحكام تتغير وأراء تتبدل ونتائج تعدل وأفكار تسعفه كان أصحابها يعتقدون أن لا سبيل لنقضها ولا مجال للطعن في حقيقتها. وكم من أعمال يمدحها الكتاب الآن

واختراعات تسدى لصاحبها الفخر والمجد تتغير وجهتها ويسب الذي قام بها والذى ابتكرها أو اخترعها ومن أسباب فساد الحكم عند الباحثين على هذا القرن انهم تشكلوا بشكل وقتهم كما قال بعضهم "الناس مثل زمانهم" ولما كان هذا القرن مادي النظام حسي الاعمال والافكار فقد صار الناس مثله في كل شئ فحكمهم عليه يكون بالطبع مشوبا بما وصلوا اليه من الاثانية والميل الشديد الى الجهة المادية. حتى اذا انقشعت سحب هذه الاوهام وتغيرت نفوس العباد مع تقدم الايام قرنا أو قرونا من الزمان فمن يدري كيف نحتفل بوداعه اليوم ونقول عنه انه قرن الحرية والرفاهية والسعادة والعظمة والفخامة؟ ذلك ما نتركه للابناء والاحفاد وأبنائهم ونكتفى أن نوجه أنظارنا الي ماضينا وندع المستقبل لمن يأتي بعدنا .

فأنت تري ان البحث في تاريخ القرن التاسع عشر وتقدم العلوم فيه وارتقائها وهلم جرا متشعب الاطراف واسع المجال يحتاج في تلخيصه وتقريبه للافهام الى كاتب مفلول رأس القلم واسع الاطلاع ولست من أبطال هذا الميدان ولكنى أقدمت عليه بعد أن أحجمت أملا منى في عفو القراء واستدراجاً الى حيث فطاحل الكتاب على الكتابة فيه كل فيما يرغب من العلوم ويحب كما فصلت ذلك آنفاً .

لهذا عزمت على تقسيم البحث في هذا الموضوع الى عدة أقسام. قسم يبحث في تاريخ أوربا ونتائج الثورة الفرنساوية . وقسم في المواقع الحربية الفاصلة التي حصلت في هذا القرن وهي المواقع التي لو أتيح النصر فيها لغير من انتصر لتغير التاريخ وتبدل وقسم في مشاهير رجال القرن التاسع عشر بين أبطال حروب وساسة أمم. وقسم في الحقائق العلمية التى تقررت في هذا القرن. وقسم آخر في تاريخ مصر.

وسأنظر الى هذه النقط كما ينظر الطائر في الهواء الي ما تحته من الهضاب والوهاد والمسالك والانهار والقرى والبلدان والامصار يجمعها في نقطة صغيرة كأنها صحيفة الكتاب وأجعل فاتحه المقال نظرة اجمالية تبين بطريق الاحصاء مقدار عظمة القرن التاسع عشر مأخوذة من الاحصائيات السنوية والمجلات العملية.

كان سكان العالم بقدر ما وصلت الاحصائيات فى عام ١٨٠٠ لا يزيدون عن ٦٤٠ مليونا فوصلوا الي ١٠٧٥ مليونا في سنة ١٨٥٠ وصارا اليوم ١٥٠٠ مليون.

ولم يكن فى العالم عام ١٨٠٠ شبر واحد من السكك الحديدية ولم يأت النصف الاول من هذا القرن أى فى سنة ١٨٥٠ حتي كان فى العالم ٢٣,٩٦٠ ميلا من السكك الحديدية وقد بلغت في هذا اليوم ٤٤٢,٢٠٠ ميل .

كذلك لم يكن فى العالم عام ١٨٠٠ قيد شبر من الاسلاك البرقية ثم بلغ عددها فى نصف هذا القرن الي ٥٠٠٠ ميل وها هى اليوم تربو على ٩٣٣٠٠٠ ميل. ولم تكن الاسلاك البرقية البحرية معروفة في أول القرن بالطبع ولم يوضع منها فى قاع البحر الى سنة ١٨٥٠ الا خمسة وعشرون ميلا وها هى اليوم ١٦٨,٠٠٠ ميل.

وكان عدد الافدنة المنزرعة فى أول القرن لا يزيد على ٣٦٠ مليواناً فوصلت اليوم الي ٨٦١ مليوناً من الافدنة.

وكانت المراكب البخارية غير معروفة فى أول القرن فكان مجموع ما ينقل فى عام ١٨٠٠ بالمراكب الشراعية ٤٠٢٦ ألف طن من البضائع فصارت المراكب الشراعية تنقل اليوم فى هذا العام ١١٠٤٥ ألف طن وصار مقدار ما ينقل بالمركب البخارية اليوم ١٢٠٤٥ ألف طن.

واذا قدرنا أن نعمل احصائيات عن كل شئ فيما يتعلق بالأمم وفيما يتعلق بالافراد فلا غرابة ان ينطق الناس أجمعون ان هذا القرن التاسع عشر لهو قرن يعادل عدة قرون فى تاريخ الانسان.

وسنوالي الكتابة كما وعدنا في أعداد تالية والله الموفق.

حافظ عوض

وداع القرن التاسع عشر(*)

ودع الالمان القرن التاسع منذ سنة من الزمان ولكن لم يوافقهم على ذلك الا بعض البلدان واتفق اكثر الامم على ان هذا اليوم هو ختام القرن التاسع عشر. ولما كان الانسان مفطوراً على تذكر الاشياء بمثلها فلا عجب اذا كان المصريون يتذكرون اليوم ختام القرن الثامن عشر ويتساءلون قائلين ترى كيف كانت احوال آبائنا واجدادنا في ذلك الحين واين نحن منهم في ميدان الامن والنظام والارتقاء والعمران بعد مئة من السنين .

كان الفرنسويون يحتلون القطر المصري في اواخر القرن كما يحتله الانكليز في أواخر هذا القرن ولكن احتلالهم كان قصير الزمن كثير الحروب والفتن ومع ذلك جابت فيه علماؤهم بلاد مصر وبحثت ابحاثا لا تزال للعلماء هدى ونبراساً الى يومنا هذا ولما صفا لهم الدهر من الكدر مدة شهرين حولوا العناية الى اصلاح هذه العاصمة فردموا ما جاور بركة الازبكية وما جاور منزل قائدهم بونابرت فصيروه ساحة فسيحة وبنوا جسراً من الازبكية الى بولاق ومن بولاق الى طريق ابي العلا والى التبانة والنيل وحفروا خندقين على جانبي ذلك الجسر وغرسوا الاشجار على جانبيه وفتحوا طريقاً بين باب الحديد وباب العدوي ومدوا جسراً من هناك الى خارج الحسينية وهدموا المباني التي كانت بين باب الحديد والرحبة التي في ظاهر جامع المقس ومهدوا الارض بينهما وبنوا مراصد فلكية حولوا بيوت بعض الامراء في حارة الناصرية الى دور للهندسة والفنون الجميلة وحولوا منزل حسن الكاشف جركس الى مكتبة

(*) المقطم ١٣ ديسمبر ١٩٠٠ .

عمومية للمطالعة وحولوا منازل كثيرة الى دور العلم والتجارة والصناعة وجعلوا احداها معملاً كيماوياً وبنوا مطاحن هوائية ومائية وانشأوا مستشفى في الروضة يسع خمس مئة مريض على حسب اصطلاحهم في التمريض هاتيك الايام وفتحوا مدرسة لتعليم اولادهم الذين يولدون في هذا القطر وانشأوا جريدتين فرنسويتين ومرسحاً للتمثيل ومصانع لصنع المدافع والاسلحة والرق والمنسوجات وغيرها وحدائق وملاهي ونحوها من وسائط النزهة والمسرة.

هذا جل اصلاحاتهم العلمية والصناعية واما اصلاحاتهم الادارية فانشاء ديوان عمومي اعضاؤه ستون من المصريين وديوان خصوصي اعضاؤه اربعة عشر من نخبة اولئك الستين وبعض الاجانب للنظر في مصالح العباد ونظام البلد واصلاح احوال اهله. واما اصلاحاتهم العسكرية فتحصين ثغور الاسكندرية ورشيد ودمياط والعاصمة وضواحيها واصوان آخر المدن التي وصلوا اليها .

على ان ذلك لم يؤثر في القطر تاثيراً يذكر بل كان كالكتابة على صفحات الماء بالنظر الى ما انتاب مصر في ايامهم من الحروب والفتن والمصائب والمحن حتى لقد قال بعض واصفيها فيها اذ ذاك انها بلاد غشيها السواد وورث اهلها الحداد. فيوماً تسمع بفتنة فالجنود الفرنسوية تدخل محلات الحريم بحجة التفتيش عن الاسلحة ويوماً ترى خيل الفرنسويين في الجامع الازهر بحجة ان المسلمين شقوا عصا الطاعة ويوماً تسمع ان رعاع المسلمين ذبحوا المسيحيين اخذاً بثارهم من الفرنسويين ويوماً ان خدمة الاوقاف يصيحون ويستغيثون قائلين ان مرتباتنا انقطعت وبتنا نتضور جوعاً لان نظارة الاوقاف باتت بيد قوم من غير المسلمين. ويوماً ان الشيخ البكري يأبي الاحتفال بالمولد النبوي لضيق ذات اليد ولضنك الحال ويوماً ان الضرائب كثرت وتعددت احمالها ثقلت على عاتق الاهالي حتى تجاوزت حد الاحتمال. وزد على ذلك المعارك المتتابعة التي كانت تجري بين الفرنسويين والمماليك وبينهم وبين الانكليز والعثمانيين

من العريش والاسكندرية الى حدود اصوان فكانت بلاد مصر طول مدة الاحتلال الفرنسوي ميداناً للطعان والصراع ومحطا للهجوم والدفاع. وما انتهت سنة ١٨٠٠ الا وقائد الجنود الفرنسوية يعلن اهل العاصمة ان بلاد مصر اصبحت مستعمرة فرنسوية وضباطه يجادلونه وينازعونه ويقولون له ان فرنسا لم تقصد ما تقول من احتلال الديار المصرية. وبقوا على هذه الحال حتى اخرجهم الانكليز من القطر في اول سنة من هذا القرن.

هذه كانت احوال مصر والمصريين في ختام القرن الثامن عشر وباتت بعد رحيل الفرنسويين عنها أسوأ حالاً مما كانت عليه في زمانهم حتى تولت امرها العائلة المحمدية العلوية ففتحت للاصلاح ابواباً وسبلاً فيها ونهضت بها في اواسط هذا القرن نهضة عجيبة حتى بلغت في الحضارة شأوا بعيداً لولا ما تخلل تلك النهضة من العوامل المضعفة التي ازدادت قوة وتأثير على مرور الايام حتى انتهت باشتداد العسر والفاقة وضعف النفوذ والصولة وازدياد عناصر الفوضى الى ان انتهت بالثورة واستبدال المراقبة المالية الاجنبية بالاحتلال الانكليزي.

والآن تودع مصر القرن التاسع عشر وقد امتازت على بلدان الشرق بالاحكام الدستورية ورفع الوية الحرية وكثرة الاموال في خزائن حكومتها وجنى ثمار الاصلاح لخاصتها وعامتها والسهر على مصالح ضعفائها وفقرائها بدلا من تسخيرهم لاقويائهم واغنيائها. وانفردت بين البلدان الشرقية بانها أمنة طموح الابصار من الخارج وشر الطامعين من الداخل. فاذا قيض الله لها دوام ما هي فيه من الامن والاصلاح والعدل والحرية الى ختام القرن العشرين .

فلا ريب عندنا ان اولادنا واحفادنا يفوقوننا في الحضارة وحسن الحال اضعاف ما نفوق آباءنا واجدادنا فيهما. ولكنهم يودعون القرن العشرين وهم يعترفون ان تقدمهم مبني على الاساس الذي وضع في عهد اجدادهم اواخر القرن التاسع عشر وان الفضل في ما هم فيه من رغد العيش والرفاه والتمدن واليسر هو للذين وطدوا اركان الاصلاح في اوائل القرن العشرين .



الفهرس

رقم الإيداع

١١٥٨٢ / ٢٠٠٠

I.S.B.N.

977-319-030-8

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة

العربي
للنشر والتوزيع